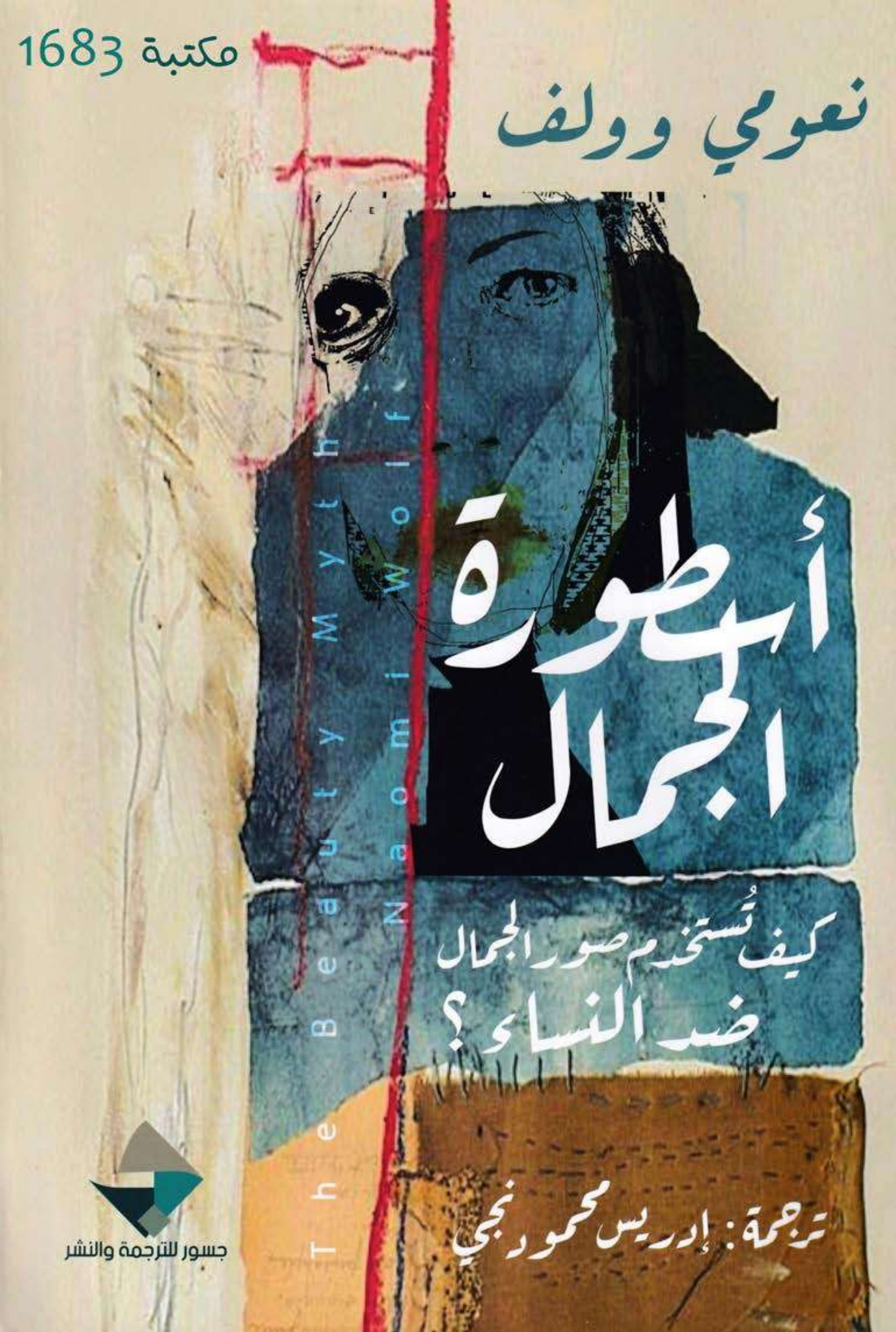


مكتبة 1683
نعومي وولف
أسطورة الجمال
كيف تُستخدم صور الجمال ضد النساء؟
The Beauty Myth
Naomi Wolf
ترجمة: إدريس محمود نجي
جسور للترجمة والنشر



أسطورة الجَمال

كيف تُستخدم صُوَر الجَمال ضدّ النساء؟

مكتبة | 1683

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد جسور للترجمة والنشر

أسطورة الجَمال: كيف تُستخدم صُوَر الجَمال ضدّ النساء؟/نعومي وولف؛

ترجمة إدريس محمود نجي.

۳۸٤ ص.



ببليوغرافية: ص۳۷۹ ـ ۳۸٤

ISBN 978-614-431-740-2

۱. جمال المرأة. ۲. الأنثو

305.42

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن وجهة نظر جسور للترجمة والنشر»

The Beauty Myth: How Images of Beauty are Used Against Women

by Naomi Wolf

الطبعة الأولى، بيروت، ۲۰۲۳

جسور للترجمة والنشر

لبنان ـ بيروت

josour.pub@gmail.com

أسطورة الجَمال

كيف تُستخدم صُوَر الجَمال ضدّ النساء؟



نعومي وولف

ترجمة

إدريس محمود نجي





المحتويات

مقدمة



أتاح لي كتاب **أسطورة الجمال** عندما نُشر لأول مرة، قبل أكثر من عشر سنوات[*]، الفرصة لسماع آلاف القصص. أسرّت إليَّ العديد من النساء، سواء في مقابلات شخصية أو رسائل، بصراعاتهن الشخصية المؤلمة التي مررن بها بقدر ما يمكن أن تعود إليه ذاكرتهن من أحداث الماضي ـ في محاولة لإيجاد ذواتهن داخل ركام أدركن على الفور بأنه أسطورة الجمال. لم يكن هناك قاسم مشترك يوحّد أولئك النساء من حيث مظهرهن: أسرّت إليَّ جميع النساء، الشابات منهن والعجائز، عن خوفهن من الشيخوخة؛ والنحيفات منهن والبدينات، عن معاناتهن الناجمة عن محاولة تلبية متطلبات الرشاقة؛ والنساء ذوات البشرة السوداء، والبُنّية، والبيضاء ـ حتى النساء اللاتي بدا شكلهن وكأنهن عارضات للأزياء ـ جميعهن اعترفن أنّهن كُنّ يُؤمنّ ـ منذ الوقت الذي بدأ فيه وعيهن بالتشكّل ـ بأن المظهر النموذجي للفتاة يعني فتاةً طويلةً ونحيفة، بيضاء وشقراء، ذات وجهٍ صافٍ لا مسام فيه، متناسق لا عيوب له؛ شكلٌ مثاليٌّ تماماً. وشعرن أنهن، بطريقة أو بأخرى، لم يكُنّ كذلك.

لقد كنت سعيدة ومحظوظة بتأليف كتاب مثل هذا، يربط تجربتي الخاصة بتجربة غيري من النساء في كل مكان، وعلى وجه التحديد من سبعة عشر بلداً حول العالم. وسعدتُ أكثر بالطريقة التي استخدم فيها القراء كتابي. من العبارات التي قيلت لي في كثير من الأحيان: «لقد ساعدني هذا الكتاب على التغلب

(*) في الحقيقة كانت أول نسخة عام ١٩٩١.

على اضطراب الطعام عندي»، و«أصبحت الآن أقرأ المجلات بطريقة مختلفة»، و«توقفت عن كره التجاعيد حول عَيْنَيّ».

لقد كان الكتاب أداة للتمكين بالنسبة إلى الكثير من النساء، فجعلهن مثل المحققات والناقدات، يفكّكن أساطير الجمال الشخصية التي كُنّ يُؤمنّ بها، الواحدة تلوى الأخرى.

في حين تلقى الكتاب ردود أفعال متنوعة من قبل القراء من العديد من الخلفيات المتنوعة، أثار الكتاب أيضاً جدلاً شديداً في الفضاء العام. أغضب الكتاب مذيعات القنوات التلفزيونية اللاتي قمن بمعارضة طرحي بأن النساء في التلفاز يُساء إليهن فيما يتعلق بمظهرهن، وبادّعائي بوجود معيار مزدوج، حيث لا يحصل تقييم أقرانهن من الذكور بناءً على مظهرهم بنفس الشكل. كذلك علق مذيعو الراديو من اليمينيين قائلين إنه إن كنت أعارض فكرة أن يُتوقّع منّي أن أرقى إلى مستوى معين من المظهر الذي ينبغي على المرأة أن تظهر به في المجتمع، فلابد أنّ عندي أمراً شخصياً أحاول إخفاءه. وأشار المضيفون ممّن أجروا معي لقاءات شخصية أنّ قلقي من انتشار اضطراب فقدان الشهية كان مجرد دراما نفسية في غير محلّها من فتاة بيضاء محظوظة. وغالباً ما كانت الأسئلة الموجهة إليّ باستمرار في البرامج والعروض التلفازية شبه عدائية، ويتضح ذلك في الإعلانات التي تتبعها، والتي كانت قد اشترت مساحتها الشركات العاملة في قطاع الحمية. يبلغ حجم سوق هذه الإعلانات مليارات الدولارات، وكانت تصدر فيه ادعاءات لا أساس لها من الصحة، وقد باتت الآن ادّعاءات غير مشروعة. ذكر المذيعون كثيراً، سواء كان ذلك عمداً أو عن طريق الخطأ، بأنني ادّعيت بأن المرأة تكون مخطئة عندما تقوم بحلق شعر ساقيها، أو عندما تقوم بوضع أحمر الشفاه، وهو قطعاً غير صحيح، وهو سوء فهم لكلامي بلا شك؛ لأن ما أيدته وذكرته في هذا الكتاب هو حق المرأة في اختيار الطريقة التي ترغب في أن تبدو عليها وتظهر بها، لا إطاعة ما تمليه عليها قوى السوق وقطاع صناعة الإعلانات الذي يقدر بمليارات الدولارات.

بشكل عام، وعلى الرغم من كلامي هذا، بدَا أن الجمهور يشعر (على نحوٍ علني أكثر من أن يكون سرّياً) بأن التشكيك في مُثُلِ الجمال ليس عديم الأنوثة فحسب، بل إنه غير أمريكي أيضاً. قد يكون هذا بالنسبة إلى قارئ في القرن

الحادي والعشربن صعب التصديق، إلّا أنه، سابقاً وفي عام ١٩٩١، كان مجرد التحدي أو التشكيك في نموذج الجمال، الذي كان شديد التأثير في ذلك الوقت، يكاد يكون من الهرطقة. في ذلك الوقت كان المجتمع لتوّه قد خرج مما أسميته (الثمانينيات الشيطانية)، وهو الوقت الذي أصبحت فيه النزعة المحافظة الشديدة في تحالف مع معاداة قوية للنسوية في ثقافتنا، مما جعل الجدل حول المثل العليا الأنثوية يبدو غريباً، بل عجيباً. في ذلك الوقت كان قد مرّ على الرئيس ريغان فترة طويلة في السلطة، وكان تأثير بيان تعديل المساواة في الحقوق قد بدأ يتلاشى، وكانت الناشطات في حالة من التراجع، وتم إبلاغهن أنه لا يمكنهن (الحصول على كل شيء). بيّنت ذلك بوضوح سوزان فالودي في كتابها (رد فعل عنيف)، وهو كتاب نُشر في نفس الوقت الذي نُشر فيه كتاب (**أسطورة الجمال**). كانت مجلة **نيوزويك** *Newsweek* تخبر النساء بأنَّ احتمالية أن يُقتلن على أيدي إرهابيين يتجاوز بكثير احتمالية أن يتزوجن في منتصف حياتهن المهنية. أصبحت النسوية بمثابة الكلمة المشهورة التي تبدأ بالحرف الإنكليزي (F). كان يُعتقد أنّ النساء اللواتي يشتكين من أسطورة الجمال (الشكل الذي تفرضه وسائل الإعلام على المرأة) يعانين من عيوب شخصية: أي لابدّ أنهن سمينات، قبيحات، غير قادرات على إرضاء الرجل، وقد وصِفنَ بأنهنَّ (نازيّات النسوية)، أو ـ بتعبيرٍ أسوأ ـ شاذّات. كان المثل الأعلى لصورة المرأة في ذلك الوقت القوقازية الرشيقة، وكبيرة الصدر في الوقت ذاته ـ وهذا لا يوجد في الواقع غالباً ـ وهو ما كانت تفترض وسائل الإعلام العامة وغالبية قرّاء المجلات ومشاهدي الأفلام أن يكون هو المثال الأبدي والكامل. لقد بدَا من المهم أن نحاول بطريقة ما أن نرقى بأنفسنا إلى ذلك المستوى المثالي.

على سبيل المثال عندما تحدثت إلى المستمعين حول وباء اضطرابات الطعام، أو حول مخاطر زراعة الثدي السيليكوني، كنت غالباً أتلقى إجابة مشابهة للإجابة التي وردت في كتاب أفلاطون (**الندوة** *Symposium*)، الذي يتحدث عن الحوار الشهير حول المثل الأبدية التي لا تتغير: شيءٌ من مثل (لقد عانت النساء دائماً في سبيل الجمال). وباختصار، لم يكن مفهوماً وشائعاً في ذلك الوقت أنّ المثل العليا لم تنزل ببساطة من السماء، وأنها جاءت من مكان ما، وأنها تخدم هدفاً. ذلك الهدف، كما كنت أشرح لهم آنذاك، كان غالباً مادياً، أي زيادة أرباح هؤلاء المعلنين التي قامت دولاراتهم الإعلانية فعلياً بدفع وسائل الإعلام لإنشاء

تلك المثل والمعايير. جادلت أيضاً أن تلك المثل تخدم هدفاً سياسياً؛ أي كلّما أصبحت النساء أقوى سياسياً كانت مُثُل الجمال العليا أشدّ إلحاقاً بالضرر بهن، وذلك غالباً من أجل تشتيت طاقتهن وتقويض تقدمهن.

وبعد مرور عشر سنوات، ما الذي تغير؟ أين أسطورة الجمال اليوم؟ الحقيقة أنها تحوّرت قليلاً، ولذلك سيكون من المفيد أن ننظر إليها بشكل جديد.

اليوم، من الجميل أنه من الصعب أن تعثر على طفلة في الثانية عشرة من عمرها ليست مدركةً بأن (المُثُل العليا) شديدة القسوة على الفتيات، وأنها غير طبيعية، وأن اتّباعها والخضوع لها لا علاقة له بالصحة الجيدة أو بالجاذبية. كما ناقشت مجلة أميريكان غيرل *American Girl*، التي تستهدف الأطفال البالغين من العمر تسع سنوات، فوائدَ حبّ الفتاة لجسدها، ومدى خطأ أن تحاول الفتاة الظهور كالممثلة بريتني سبيرز حتى تكون سعيدة. وتقدّم المدارس الإعدادية محاضرات تُعنى بالتوعية باضطرابات الطعام، وتعرض أعمالاً من الفن التصويري الذي يحمل مُثُل الجمال العليا المدمرة في أروقتها. يمكنني أن أقول إنَّ ما بدأ بوصفه وجهة نظر دخيلة أصبح هو الحكمة التقليدية لفريق الكشافة للفتيات، وعلامة حصول التطوّر في الوعي. لقد كان الوقت مناسباً، وكانت الفتيات والنساء على استعداد لقول «لا» لما يجدنه مجحفاً وظالماً. إن هذا هو التقدم.

وعلى الرغم من نشوء هذه المعرفة التوعوية الإعلامية الجديدة، إلا أنني أيضاً لاحظت أن نموذج الجمال ذاك يصبح تدريجياً نموذجاً جنسياً، ويجعل الفتيات الصغيرات يشعرن على نحوٍ متزايد أنه يجب عليهن العيش وفقاً له. عندما كنت في سن المراهقة كانت الحملات الإعلانية لأحد متاجر الموضة المشهورة سيئة السمعة تعرض صوراً مثيرة لمراهقين ومراهقات في سن السادسة عشرة، ثم أصبحت في أوائل التسعينيات تعرض صوراً مثيرة لمراهقين ومراهقات في سن الرابعة عشرة، ثم في أواخر التسعينيات صوراً مثيرة لمراهقين ومراهقات في سن الثانية عشرة. وتعرض شركة غيس GUESS في الوقت الحالي إعلانات لأطفال بمواضع مثيرة تبدو أعمارهم في سن التاسعة فقط. أما أحدث صيحات الموضة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين السبعة والثمانية أعوام فهي إعادة تسويقهم لملابس نجوم البوب التي تبدو ملابسهم مثل ملابس المشتغلين بالجنس. هل هذا هو التقدم؟ إنني أشكّ في ذلك.

إن جميع مشاريع المدارس الثانوية والكليات التي رأيتها ـ بدءاً من قرص فيديو مضغوط عنوانه (الظهور بمظهر مثالي)، أو أطروحة دراسات عليا حول أسطورة الجمال الأمريكي الإفريقي فيما يتعلق بالشَّعر ـ قامت بتحليل صور النساء التي تنتجها وسائل الإعلام، ثم تفكيك المثل العليا التي تعرضها. بل إنّ الثقافة الشعبية أيضاً استجابت لمخاوف النساء، خذ على سبيل المثال فيديو أغنية (غير جميلة) من إنتاج شركة تي إل سي، الذي يحكي قصة فتاة أغراها إجراء جراحة لتكبير الصدر لتلبية متطلبات رفيقها الرومانسي، ثم قررت عدم إجرائها بعد ذلك. ولكن، في حين أنَّ كتاب **أسطورة الجمال** قد مكّن بلا شك العديد من الفتيات والنساء من انتقاد المثل العليا للثقافة الجماعية، إلا أنه في مقابل هذه الخطوة التي أُنجزت للأمام، كان هنالك العديد من الخطوات المتعددة للوراء.

عندما تمّت كتابة هذا الكتاب لأول مرة، عام ١٩٩١، كانت تحصل عمليات تكبير الثدي بالسيليكون على نحوٍ روتيني، وكانت المواد الإباحية تؤثر باستمرار في الثقافة الشعبية بطريقة جعلت المرأة تقلق لأول مرة حيال حجم صدرها وشكله. وإذا بدا لك من الغريب أن قلقاً حول أمرٍ مثل شكل الثدي يمكن أن ينشأ وينتشر ويشتد تأثيره بين ملايين النساء بسرعة كبيرة، ففكّر في مدى قوة الصور الجنسية وتأثيرها. وبسبب التأثير الجديد للمواد الإباحية على الموضة، شاهدت ملايين النساء في كل مكان فجأة صورة (الثدي المثالي)، وبدأ قلقهن حول حجم وشكل الثدي (غير المثالي). استمرت هذه الظاهرة حتى انتقل تركيز أسطورة الجمال على قلق آخر بعده. كانت ردة فعل العديد من النساء لهذا المثال الجديد للثدي هو تنسيق مواعيد عمليات جراحة الزرع، في حين أصبحت هذه المراكز المعلنة لعمليات الجراحة سوق إعلانات جديداً للمجلات النسائية، أدارت فيه نتيجة لذلك عروضاً إعلانية مبالغاً في محتواها حول أهمية عمليات الثدي. عندما أثار كتاب **أسطورة الجمال** موضوع الآثار الجانبية لمادة السيليكون وللعمليات الجراحية، كان هنالك القليل من الوعي العام حول مخاطرها.

بات الآن تأثير المواد الإباحية على الشعور الجنسي الذاتي للمرأة ـ والذي كان قد بدأ لتوّه في الوقت الذي نُشر فيه هذا الكتاب ـ مكتملاً إلى درجة أنه يكاد يكون من المستحيل على الفتيات الصغيرات سناً التمييز بين الدور الذي تلعبه

الإباحية في صنع تصورهن حول كيف ينبغي أن يبدون ويظهرن ويتحرّكن، وبين شعورهن الفطري النابع من هويّتهن الجنسية. هل هذا هو التقدم؟ لا أظن ذلك.

عندما خرج هذا الكتاب للنور لأول مرة، اعتبر الرأي العام اضطراب فقدان الشهية والشره المرضي سلوكيات هامشية شاذة، ولم يفترض أن يكون السبب هو مسؤولية المجتمع ـ بل خلق مُثُلاً ومارس ضغوطاً للتوافق معها ـ وهو أنها في حقيقتها أزمات شخصية وكمالية وسوء تربية وأشكال أخرى من سوء التكيف النفسي الفردي. في الواقع، عانت العديد من الشابات العاديات من خلفيات عادية من هذه الأمراض على نطاق واسع، وقد كنّ ببساطة نساء وفتيات يحاولن الحفاظ على شكل جسمٍ ووزنٍ (مثالي) على نحو غير طبيعي. كنت أعرف ممّا أراه حولي في المدرسة الثانوية وفي الكلية أن اضطرابات الطعام كانت منتشرة بين النساء الشابات ممّن لولا ذلك لكُنَّ نساء شابات متوازنات على نحوٍ مثالي، وقد كان ببساطة ذلك الضغط الاجتماعي الراسخ بأن تكون الفتاة نحيفة عاملاً رئيساً في تطوّر هذه الأمراض. فتؤكد الرابطة الوطنية لاضطرابات الطعام إحصائيات المعاهد الوطنية للصحة في الإشارة إلى أنَّ ١ إلى ٢ بالمئة من النساء الأمريكيات يعانين من اضطراب فقدان الشهية، أي ما بين ١,٥ و٣ ملايين امرأة، وأنّهنَّ أُصِبن باضطراب فقدان الشهية في مرحلة المراهقة كما هو الشائع. تشير أيضاً المعاهد الوطنية للصحة إلى أن معدل الوفاة بسبب اضطراب فقدان الشهية يصل إلى ٥٦ بالمئة في كل عقد، وهو يزيد على معدل الوفيات السنوي الناتجة عن جميع أسباب الوفاة بين الإناث اللواتي تتراوح أعمارهن بين ١٥ و٢٤ عاماً بنحو ١٢ ضعفاً. إن اضطراب فقدان الشهية هو أكبر قاتل للفتيات المراهقات الأمريكيات. وإنني أعرف، من تجربة شخصية ومن خلال النظر إلى النساء من حولي، أنَّ اضطرابات الطعام عبارة عن حلقة مفرغة: يصبح فيها التجويع أو القيء سلوكيات إدمانية بمجرد أن يبدأ الاضطراب عندك، وأن التوقعات الاجتماعية بأن تكون الفتاة نحيفة للغاية بحيث من غير المحتمل أن تحيض ليس إلا مُثلاً مَرضية سقيمة، وأنّه في كثير من الأحيان عليكِ أن تصبحي مريضة لتتوافقي معه. إنّ الطعام المضطرب، الذي استُخدم ليناسب مُثُلَا مضطربةً، هو أحد أسباب الإصابة بالمرض، وليس بالضرورة مظهراً من مظاهر اضطراب عصبي كامن (كما هو سائد).

بطبيعة الحال، لا شك أن المعرفة بمخاطر الهوس بالحمية أو بممارسة الرياضة تنتشر اليوم على نطاق واسع، كذلك تتوفر المعلومات حول اضطرابات الطعام، وطبيعتها الإدمانية، وكيفية علاجها، في كل مكتبة ومدرسة من المدارس الإعدادية والثانوية ومكاتب الأطباء وصالات الرياضة والجمعيات النسائية. هذا، الآن، هو التقدم.

ومع ذلك، على الجانب السلبي، فإن هذه الاضطرابات نفسها تنتشر الآن على نطاق واسع - وهي حقيقة مغمورة تقريباً بسبب الدعاية الشعبية الشديدة - لدرجة أصبحت فيها طبيعية تقريباً. فلا يقتصر الأمر على أن تعتبر كلّ الجمعيات النسائية أن اضطراب الشره المرضي هو سلوك سائد، بل إن عارضات الأزياء يتحدثن الآن علناً لمجلة جلامور *Glamour* الشهيرة عن حِميات التجويع التي يقمن بها. تحدثت إحدى الصحف عن مجموعة من النساء الشابات الطموحات اللاتي كُنّ يتحدثن مع بعضهن عن أوزانهن، تقول إحداهن: (ما الخطأ في التقيؤ؟). ظهرت كذلك مواقع على الشبكة العنكبوتية تمثل مجموعة من الفتيات المؤيدات لفقدان الشهية ممّن يعتقدن ويصادقن على أن مظهر فقدان الشهية جذّاب. إن هذا بالتأكيد ليس تقدماً.

عندما تم تحليل أسطورة الجمال في أوائل التسعينيات، كانت المثالية صارمة كما قد أشرت. كان لا يُسمح أبداً بظهور النساء كبيرات السن في المجلات، وإذا ظهرن يكون ذلك بعد إصلاح وجوههن ليبدون أصغر سناً. وكانت لا تظهر النساء ذوات البشرة غير البيضاء كنماذج يحتذى بها إلا نادراً، إلا إذا كُنّ يمتلكن سمات شكلية تشبه السمات القوقازية، مثل بيفرلي جونسون. أمّا الآن، فقد تعدّدت هذه الأسطورة؛ يمكن القول اليوم إنه قد أصبح هناك العديد من أساطير الجمال. على سبيل المثال، ظهرت عارضة أزياء أمريكية من أصل إفريقي تبلغ من العمر سبعة عشر عاماً، ولها سمات إفريقية وبشرة داكنة، على غلاف صحيفة نيويورك تايمز بوصفها العارضة المميزة حينها. على نفس المنوال، تعرض شركة 'بينيتون إعلانات لعارضات أزياء ذوات ألوان بشرة متعددة، وعدد لا يحصى من السمات العرقية والإثنية(*).

(*) الإثنية هي مجموعة الأشخاص الذين لديهم ثقافة مشتركة وأجداد مشتركون، أما العرق فهو مجموعة الأشخاص الذين لهم الصفات الجسدية المشتركة وإن اختلفت ثقافتهم.

نشاهد أيضاً ارتفاعاً في مستوى حماية المستهلك ضد التأكيدات المزيفة التي تقدمها الشركات في قطاع صناعة الجمال عمّا كان عليه الأمر في الأيام المبكرة التي ظهر فيها هذا الكتاب. فعلى سبيل المثال لا تستطيع اليوم كريمات مكافحة الشيخوخة تقديم مزاعم سخيفة تروّج بها منتجاتها كما كانت تفعل قبل عقدٍ من الزمان. قبل عشر سنوات، كانت شركات مستحضرات التجميل تُعلن على نحوٍ متكررٍ أن كريمات الشباب التي تطوّرها (تُزيل) علامات التقدم في العمر، و(تعيد هيكلة) الجلد على (مستوى خلوي)، و(تجدّد) الأنسجة من الداخل، وهي أمور جميعها مستحيلة الحدوث مادّياً، لأن ما صُنعت منه من مكونات لا يقدر فعلاً على اختراق الجلد.

وبلغ هذا التحريف مبلغاً حتى قامت إدارة الغذاء والدواء باتّخاذ إجراءات حياله. كان من النادر أيضاً قبل عشر سنوات، ونتيجة لضغوط من إعلانات شركات مستحضرات التجميل، أن تظهر في المجلات الخاصة بالمرأة نساء تجاوز سنّهن الخامسة والعشرين، وكان من النادر أن ترى أي تجاعيد. من جهة أخرى، اتخذت لجنة التجارة الفيدرالية إجراءات صارمة ضد نظام الحمية الغذائية الذي اشتهر في التسعينيات. قامت اللجنة بتنبيه برامج الحمية الغذائية بأن عليها ألا تقدم وعوداً مضللة بالحصول على نتائج فقدان وزن دائمة دون دعم تلك النتائج بدراسات كافية. حتى إن حماية المستهلك قامت بسحب حبوب لفقدان الوزن تسمّى (فين ـ فين) من السوق لتسببها في حالات وفاة مرتبطة بالقلب.

بذلك حفظ الإجراء الذي قامت به إدارة الغذاء والدواء وما قام به المستهلكون أموال النساء من الضياع. ليس ذلك فحسب، بل إنّ هذه الإجراءات أيضاً أثارت بداية حقبة جديدة خالية من قلق النساء من تقدمهن في العمر. وبما أنّ ضغط الإعلانات اليوم لم تعد تقوده الكريمات المضادة للشيخوخة كما كان من قبل، وإنما قوة الإنفاق الجديدة للنساء كبيرات السن، حيث هنّ الشريحة الأسرع نمواً من المستهلكين الموسرين في البلاد، اكتشف صنّاع الأفلام في هوليوود إضافة إلى المجلات النسائية والبرامج التلفزيونية أن هناك وفرة لا ندرة من النساء، صاحبات الشخصية الرائعة التي تجاوزت أعمارهن الأربعين عاماً، اللواتي يمكن تمجيدهن. وبسبب تقدم القدوات في العمر، تبدو النساء أقل خوفاً إلى حدٍّ ما من اقتراب أعياد ميلادهن الأربعين أو الخمسين، وليس من قبيل المصادفة أن النساء

اليوم لا يعتبرن أن الشيخوخة ماحية لهوياتهن كنساء جميلات ونابضات بالحياة ويستحققن الحب والأناقة.

إذاً هل انتصرت أسطورة الجمال التعددية؟ ليس تماماً. إنّ أسطورة الجمال تتحوّل، مثل العديد من أيديولوجيات الأنوثة الأخرى، وذلك حسب ما يوافق الظروف الجديدة، وبهدف إماتة كل محاولات النساء لزيادة قوتهن. اعترفت كيت بيتس، المسؤولة بقسم الموضة في صحيفة نيويورك تايمز، بإبعاد الممثلة الناجحة والمميزة رينيه زيلويجر من غلاف مجلة فوغ *Vogue* بسبب أنها كانت (بدينة للغاية) بعد اكتسابها بعض الوزن (أي بعد أن أصبحت بنفس وزن المرأة العدية) بسبب دورها في مذكرات بريدجيت جونز Bridget Jones's Diary؛ وتكهنت الصحف بأن عارضة الأزياء إليزابيث هيرلي قد فُصلت من منصب المتحدث باسم شركة إيستي لودر بسبب أنها كانت (عجوزاً) في سنّ السادسة والثلاثين، وأصبح نموذج عارضة الأزياء العادية اليوم أنحف حتى من النساء الأمازونيات في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي.

كما أن تحوّل أسطورة الجمال لا يتوقف عند النساء فقط، فعند الرجال تدفعه فرص السوق أكثر من ردّة الفعل الثقافية. وكما توقّعت، أسست أسطورة الجمال نفسها بين الذكور في العقد الماضي، وانتقلت من ثقافة فرعية داخل الذكور الشواذ إلى أكشاك الصحف في البلاد، وصولاً إلى بث قلقٍ لم يُعرف من قبل عند الآباء في الضواحي، حول هيئاتهم التي لم تكن تسبب لهم أي قلقٍ في السابق. وهكذا انضم زيتٌ مثل زيت المينوكسيديل لعلاج تساقط الشعر إلى جانب معجون الأسنان في خزانة الحمّام الخاصة بهم. وبالتوازي مع زيادة القوة الاقتصادية والاجتماعية للمرأة، تقترب فجوة السلطة بين الجنسين من الانغلاق شيئاً فشيئاً، فأزاحت الرجل عن مركزه القديم كحاكمٍ، لا مقدمٍ، للجاذبية الجنسية والجمال. وكنتيجة طبيعية لذلك، نشأ سوق واسع لدواء جنسيٍ يُعرف باسم الفياغرا. وتسارع معها تنامي الموضة والصحة المتعلقة بالذكور ومجلات التزيّن الخاصة بها. ويلغ استخدام الذكور لجراحة التجميل ارتفاعاً قياسياً، وأصبح الرجال الآن يمثّلون ثلث سوق العمليات الجراحية، بينما ١٠ بالمئة من طلاب الجامعات الذين يعانون من اضطرابات الطعام هم في الواقع من الرجال. أصبح الرجال من جميع الأعمار والخلفيات الاقتصادية والتوجهات الجنسية أكثر قلقاً ـ بعضهم قليلاً، والبعض

الآخر منهم على نحوٍ جوهري ـ مما كانوا عليه قبل عشر سنوات فقط. ولكن، هل نكون قد حققنا تقدّماً عندما نعتبر كلا الجنسين سلعة ويتمّ تقييمهما كأشياء؟ ليس إلا عند أكثر الناس تناقضاً.

إذا كان باستطاعتي أن أستخلص استنتاجاً متماسكاً فسيكون ذلك أنه بعد عشر سنوات من تاريخ نشر هذه النسخة سيصبح لدى النساء مساحة حرية كبرى للقيام بما قمت بحثّهن على القيام به في نهاية الكتاب، ألا وهو جعْل أسطورة الجمال أمراً غير ذي تأثيرٍ فيهن. اليوم، أصبح للعديد من النساء شعور بقدرٍ من الحرية في اكتساب وزن أو إنقاصه، دون خوف من أن تكون قيمتهن كنساء على المحك. إننا منذ زمن ليس ببعيد لم نكن نتخذ مثل هذه القرارات دون خوف. ومن غير المعقول أن نفكر بأنّه قبل عقد من الزمن كانت الكثيرات منا يسألن أنفسهن: هل سيأخذني الناس بجدية في العمل إذا ظهرت بمظهر (أنوثة مفرطة)؟ هل سيُسمع لي إذا ما ظهرت بمظهر (بسيط)؟ هل سأكون (سيئة) إذا اكتسبت وزناً؟ هل سأكون (جيدة) فقط عندما أخسر كل وزني؟ إذا لم تعد النساء يفكرن بهذه الطريقة، أو إذا كُنّ يعرفن على الأقل أنّ هناك خطأً كبيراً عندما يُجبرن على التفكير بهذه الطريقة، فهي شهادة على ما تحدثه الفكرة عندما تكون في أذهان الكثير من النساء في نفس الوقت؛ أي دليل على قدرتها على توليد تغيير دائم وتوليد حرية أكثر.



المترجم: قمنا بالعمل على ترجمة هذا الكتاب للفائدة التي رأينا أنها ستحقق من قراءته والاستفادة من فكرته الرئيسية. ويناقش الكتاب بشكل رئيسي قضية معايير الجمال التي يفرضها المجتمع على النساء وتزايد ضغوطها نتيجة تأثير الاعلام والذي من شأنه إضعاف النساء نفسياً وسلب رضاهن وتقديرهن لذواتهن. كما تؤدي هذه الضغوط إلى اهتمام مبالغ فيه بالمظاهر من كلا الجنسين وتصرفات غير سليمة مثل الأمراض المتعلقة بالتغذية. ولأن الكاتبة لا تدين بدين الإسلام سيمر على القارئ في الكتاب بعض العبارات التي توردها المؤلفة والتي لا نتفق معها مثل كلامها عن عمل المرأة في المنزل أو كلامها عن نظرية التطور و غيره من المخالفات العقدية التي وجب التنبه إليها.

أسطورة الجمال

وأخيرًا؛ خرجت النساء إلى الشوارع بعد صمت طويل. اكتسبت النساء الغربيات خلال عقدين من العمل الراديكالي الذي أعقب ولادة الحركة النسائية في أوائل السبعينيات حقوقاً قانونية وإنجابية، وواصلن تعليمهن العالي، وانخرطن في التجارة والأعمال المهنية، وقلبن رأساً على عقب المعتقدات القديمة والمبجلة المتعلقة بدورهن الاجتماعي. ولكن، بعد جيل من الزمان، هل أفادهن هذا؟ هل تشعر النساء بالحرية؟

إن هؤلاء النساء الموسرات المثقفات المتحررات في العالم الأول، واللاتي يتمتعن بحريات لم تتح لأي امرأة في أي وقت مضى، لا يشعرن إلى الآن بالحرية التي يرغبن فيها فعلاً. ولم يعد بمقدورهن كبت شعورهن في العقل اللاواعي بأن هذا الافتقار للحرية له علاقة بأمورٍ واضحة التفاهة، بأشياء لا ينبغي أن تكون مهمة؛ بالمظهر، والأجساد، والوجوه، والشعر، والملابس. تشعر الكثيرات بالخجل من الاعتراف بأنَّ هذه الاهتمامات التافهة هي أمور مهمة للغاية. لكن على الرغم من الخجل والشعور بالذنب والحرمان الناتج عن ذلك، فإنّ المزيد والمزيد من النساء يتساءلن إذا ما كان الأمر ليس سببه كونهن عُصابيات ووحيدات، وإنما يختص بالعلاقة بين تحرّر الأنثى وجمال الأنثى.

كلما ازداد معدل تجاوز النساء للعراقيل القانونية والمادية، ازدادت قساوة ووحشية صور الجمال الأنثوي المعروضة. تشعر العديد من النساء أن تقدم المرأة الجماعي قد توقف؛ فبالمقارنة مع الزخم الذي كان في السنين السابقة، هناك مناخ من الارتباك والفرقة والسخرية، وفوق كل شيء الاستنزاف. تشعر العديد من النساء

الأكبر سناً، بعد سنوات من النضال والاعتراف المكتسب القليل، بالاحتراق. وبعد سنوات من التعامل مع الأمر على أنّه مسلمٌ به، أصبحت العديد من النساء الأصغر سناً يُبدين اهتماماً قليلاً بإحداث تغيير لهذا الوضع.

استطاعت النساء خلال العقد الماضي اختراق هيكل السلطة؛ وفي الوقت نفسه، ارتفع معدل الإصابة باضطرابات الطعام بشكل كبير، وأصبحت الجراحة التجميلية أسرع التخصصات الطبية نمواً. خلال السنوات الخمس الماضية، تضاعف الإنفاق الاستهلاكي، وأصبحت المواد الإباحية هي الفئة الإعلامية الرئيسية، قبل الأفلام والتسجيلات المشروعة مجتمعة، وأبلغت ثلاثة وثلاثون ألف امرأة أمريكية باحثين بأنهنّ يفضلنّ أن يفقدن عشرة إلى خمسة عشر رطلاً عن تحقيق أي هدف آخر. أصبح المزيد من النساء يمتلكن المال والقوة والنفوذ والاعتراف القانوني أكثر من أي وقت مضى؛ إلا أنه من ناحية شعورنا حيال أنفسنا جسدياً، قد نكون في الواقع أسوأ حالاً من جدّاتنا (غير المحررات). تظهر الأبحاث الحديثة باستمرار أنه عند الغالبية العظمى من النساء العاملات المسيطر عليهن وذوات الجاذبية والنجاح هناك سرّ (مخفيّ) يسمّم حرياتهنَّ، ممزوج بمفاهيم الجمال، وهو وريد قاتم من الكراهية الذاتية، والهواجس الجسدية، والذعر من الشيخوخة، والرعب من السيطرة المفقودة.

ليس من قبيل المصادفة أن تشعر العديد من النساء ممن يمكن أن يصبحن قويات بهذه الطريقة. نحن في خضم رد فعل عنيف، رد فعلٍ يستخدم صور جمال الأنثى كسلاح سياسي ضد تقدم المرأة: أي إنه يستخدم أُسطورة الجمال. وهي النسخة الحديثة من رد الفعل الاجتماعي الذي نشأ منذ الثورة الصناعية. عندما حرّرت النساء أنفسهن من الغموض الأنثوي المتعلق بالولع بالحياة الأسرية، استولت أسطورة الجمال على أرضها المفقودة، وتوسعت رغبتها في مواصلة عملها في مجال السيطرة الاجتماعية.

إنّ ردة الفعل المعاصرة عنيفة جداً، وسببها أن أيديولوجية الجمال هي آخر ما تبقى من الأيديولوجيات الأنثوية القديمة التي ما زالت تمتلك القدرة على السيطرة على هؤلاء النساء: لقد ازدادت قوة لتتولى عمل الإكراه الاجتماعي الذي لم تعد تستطيع قوى الأمومة والأسرة والعفة والسلبية إدارته.

تعمل هذه القوة المضادة على إماتة ما فعلته الحركة النسوية على كل المستويات في حياة النساء الغربيات. لقد أعطتنا النسوية قوانين ضد التمييز الوظيفي على أساس النوع؛ وعلى الفور، تطوّر قانون في بريطانيا والولايات المتحدة يجرّم التمييز الوظيفي على أساس المظهر الخارجي للمرأة. لقد كسرت النسويات ـ بإلهام من فريدان ـ القبضة الخانقة على الصحافة الشعبية للمعلنين للمنتجات المنزلية، الذين كانوا يروّجون للسحر الأنثوي؛ وفي آن واحد، أصبحت صناعات الحمية الغذائية والعناية بالبشرة هي الرقابة الثقافية الجديدة على الفضاء الفكري للنساء، وبسبب ضغطها حلّ نموذج المرأة ذات المظهر النحيل شابّة المحيى محل ربة البيت السعيدة كَحَكَم على نجاح المرأة. لقد عزّزت الثورة الجنسية اكتشاف جنسانية الأنثى، والتي ظهرت في (مواد الجمال الإباحية)، والتي تربط بشكل مصطنع لأول مرة في تاريخ المرأة (الجمال) السلعي مباشرةً وصراحةً بالجنسانية، وغزت التيار الرئيسي لتقويض حسّ المرأة الجديد والضعيف من القيمة الجنسية الذاتية. سمح حصول المرأة الغربية على الحقوق الإنجابية بامتلاكها السيطرة على جسدها؛ فانخفض وزن عارضات الأزياء إلى ٢٣ بالمئة أقلّ من مثيله لدى النساء العاديات، وارتفعت نسبة الإصابة باضطرابات الطعام على نحوٍ كبير، وتم الترويج لاضطراب العصاب الجماعي الذي يستخدم الغذاء والوزن لتجريد النساء من ذلك الشعور بالسيطرة. أصرّت النساء على تسييس الصحة؛ فطُوّرت بسرعة تقنيات جديدة لعمليات جراحية (تجميلية) مميتة لاستعادة الأشكال القديمة من الرقابة الطبية على النساء.

كان على كل جيل منذ نحو عام ١٨٣٠ أن يحارب نسخته الخاصة من أسطورة الجمال. قالت لوسي ستون عام ١٨٥٥: (إنّه لمن أبسط الأمور بالنسبة إلي أن يكون لي الحق في التصويت، أو امتلاك العقارات، وما إلى ذلك، كما أتمكن من المحافظة على جسدي، واستخدامه، في حق مطلق أمتلكه). وبعد ٨٠ عاماً، بعد أن فازت النساء بالتصويت، وخمدت الموجة الأولى من الحركة النسوية المنظمة، كتبت فيرجينيا وولف أنه لا يزال أمام النساء عقود قبل أن يتمكّنّ من قول الحقيقة عن أجسادهن. وفي عام ١٩٦٢، نقلت بيتي فريدان عن امرأة شابة محاصرة في الغموض الأنثوي قولها: (في الآونة الأخيرة، أنظر إلى المرآة وأنا خائفة جداً من أن تبدو صورتي مثل والدتي). بعد ثماني سنوات، مبشرة بالموجة الثانية الجائحة من الحركة النسوية، وصفت جيرمين جرير (الصورة النمطية): (ينتمي إليها

كل ما هو جميل، حتى كلمة الجمال نفسها... إنها دمية... لقد سئمت من الحفلة التنكرية). وعلى الرغم من الثورة العظيمة للموجة الثانية، نحن لسنا مستثنيات. الآن يمكننا أن ننظر إلى الحواجز المدمرة: لقد حدثت لنا ثورة، وغيّرت كل شيء في مسارها، ومرّ عليها وقت كافٍ منذ ذلك الحين حتى أصبحت الرضيعات نساء، ولكن لا يزال هناك حق أخير لم يُنتزع كلياً.

تحكي أسطورة الجمال قصة: إنَّ الميزة المسمّاة (الجمال) موجودة فعلاً على نحوٍ موضوعي وعالمي. يجب على النساء أن يرغبن في تجسيدها في أجسادهن، ويجب على الرجال أن يرغبوا في امتلاك النساء اللواتي يجسّدنها. هذا التجسيد ضروري للمرأة وليس ضرورياً للرجل، وهذا الوضع ضروري وطبيعي لأنه حيوي وجنسي: فالرجال الأقوياء يناضلون من أجل النساء الجميلات، والنساء الجميلات ناجحات أكثر من الناحية الإنجابية. يجب أن يرتبط جمال المرأة بخصوبتها، وبما أن هذا النظام قائم على الاختيار الجنسي فإنه أمر لا مفر منه ولا يتغير.

شيء من هذا صحيح، (فالجمال) هو نظامُ عملةٍ مثل معيار الذهب. مثل أي اقتصاد، تحدده السياسة، وفي العصر الحديث في الغرب هو آخر وأفضل نظام اعتقادات يحافظ على بقاء هيمنة الذكور. إسناد قيمة للمرأة في هرمية رأسية وفقاً لمعيار مادي مفروض ثقافياً، هو تعبير عن علاقات القوة التي يجب على النساء فيها، بشكل غير طبيعي، التنافس على الموارد التي خصصها الرجال لأنفسهم.

(الجمال) ليس عالمياً ولا ثابتاً، على الرغم من أن الغرب يزعم أنّ كل المثل العليا لجمال المرأة تنبع من امرأة مثالية أفلاطونية؛ يكون فيها الرجل الماوري(*) معجباً بدهون المرأة، والبادونج معجباً بالثديين المتراخيين. لقد ألغت الأنثروبولوجيا فكرة أنَّ الأنثى يجب أن تكون (جميلة) ليتم اختيارها للتزاوج. إن الأعضاء الجنسية الوردية الملتهبة عند الرئيسيات غالباً ما يتم الاستشهاد بها من قبل علماء الأحياء الاجتماعية الذكور على أنها نظائر للترتيبات البشرية المتعلقة (بالجمال) الأنثوي، في حين أنها في الواقع سمة رئيسيات أنثوية عالمية غير هرمية.

فلم تكن أسطورة الجمال دائماً بهذه الطريقة. على الرغم من أن اقتران الرجال الأغنياء الأكبر سناً بالنساء الشابات (الجميلات) يُنظر إليه على أنه أمر

(*) الماوري: هم السكان الأصليون لنيوزيلندا وجزر كوك.

حتمي إلى حدٍّ ما، كان الوضع معكوساً في الديانات الأمومية التي هيمنت على البحر الأبيض المتوسط من نحو ٢٥,٠٠٠ عاماً قبل الميلاد إلى نحو ٧٠٠ قبل الميلاد: (في كل ثقافة، كانوا يعتقدون بآلهة تمتلك العديد من العشاق... والنمط الواضح هو امرأة أكبر سناً ذات شباب جميل ولكن مستهلك ـ عشتار وتموز، وفينوس وأدونيس، وسيبيل وأتيس، وإيزيس وأوزوريس... وظيفتها الوحيدة هي خدمة (الرّحم الإلهي).

وليست أسطورة الجمال شيئاً تفعله النساء فقط، والرجال يشاهدونه فقط: عند الودابيين النيجيريين النساء هنّ من يمتلكن القوة الاقتصادية، وعند القبيلة هوس بجمال الذكر يقضي الرجال ساعات معاً في جلسات مكياج متقنة، ويتنافسون في رسم الصور وارتداء الملابس بشكل مثير، ويتمايلون ويصدرون التعابير الإغرائية في مسابقات الجمال التي تُحكّمها النساء.

إذا كانت أسطورة الجمال لا تستند إلى فكرة التطور (النظرية الإلحادية لداروين)، أو الجنس، أو الجنوسة، أو الجماليات، أو الدين، فعلى أي أساس هي قائمة؟ إنها تدّعي أنها تدور حول العلاقة الحميمية والجنس والحياة، الاحتفال بالمرأة وتكريمها. وهي في الواقع تتشكّل من الانجراف العاطفي والسياسة والمال. أسطورة الجمال ليست عن المرأة على الإطلاق، إنها تتعلق بمؤسسات الرجل والقوة المؤسساتية.

إن الصفات التي تعتبرها جميلة في النساء في فترة معينة هي مجرد رمز للسلوك الأنثوي الذي تعتبره تلك الفترة مرغوباً فيه: دائماً ما تصف أسطورة الجمال في الواقع السلوك وليس المظهر. جُعلت المنافسة بين النساء جزءاً من الأسطورة وذلك لغرس الشقاق بين النساء. الشباب ـ وحتى وقت قريب العذرية ـ كان سمةً (جميلة) في النساء لأنها تشير إلى الجهل التجريبي والجنسي. والشيخوخة في النساء (غير جميلة)، لأن المرأة تكبر وتكبر معها قوّتها مع مرور الوقت، وبما أن الروابط بين أجيال النساء دائماً ما تُكسر حديثاً: تخشى المرأةُ الأكبرُ سناً الأصغرَ سناً، وتخشى الأصغرُ سناً الأكبرَ سناً، وتستمر أسطورة الجمال مع الأنثى في جميع مراحل حياتها. الأكثر إلحاحاً عندهم هو أنه يجب أن تستند هوية المرأة إلى (الجمال) حتى نظل في احتياج للموافقة الخارجية، ونجعل الجهاز الحيوي الحساس لتقدير الذات مفعلاً.

على الرغم من أنّه كان هناك دائماً بلا شك أسطورة للجمال بشكل ما، إلا أنَّ أسطورة الجمال في شكلها الحديث هي اختراع حديث إلى حدٍّ ما. تزدهر هذه الأسطورة عندما تُرخي القيود المادية على النساء على نحوٍ خطير. قبل الثورة الصناعية، لم يكن لدى المرأة المتوسطة نفس المشاعر حول مفهوم (الجمال) بالشكل الذي تفهمه النساء المعاصرات اللاتي يعشن الأسطورة كمقارنة مستمرة مع مثالية مادية منتشرة. قبل تطوير تكنولوجيات الإنتاج الضخم (المكثف) ـ مثل الصور الشمسية، والصور الفوتوغرافية، وما إلى ذلك ـ كانت تتعرض المرأة العادية لعدد قليل من هذه الصور خارج الكنيسة. بما أن الأسرة كانت وحدة منتجة، وكان عمل النسوة مُكمّلاً لعمل الرجال، كانت تكمن قيمة النساء غير الأرستقراطيات وغير المومسات في مهارات العمل، والحكمة الاقتصادية، والقوة البدنية، والخصوبة، لكن بعد إرخاء القيود المادية على المرأة وانتشار التصوير أيضاً أصبحت المرأة تحاكم على جمالها.

من الواضح كذلك أن الجذب الجسدي قد قام بدوره. لكن (الجمال) كما نفهم، لم يكن بالنسبة إلى المرأة العادية قضية خطيرة في سوق الزواج. اكتسبت أسطورة الجمال في شكلها الحديث أرضية بعد ثورات التصنيع، حيث تم تدمير وحدة العمل في العائلة، وطالب التوسع العمراني ونظام المصانع الناشئة بما وصفه المهندسون الاجتماعيون في ذلك الوقت بـ (المجال المنفصل) للحياة الأسرية، ما أيّدته فئة العمالة الجديدة من (المعيلة) فغادرت المنزل إلى مكان العمل خلال النهار. توسعت الطبقة الوسطى، وارتفعت مستويات المعيشة ومعرفة القراءة والكتابة، وانكمش حجم الأسر. تطوّرت فئة جديدة من النساء المتعلمات اللواتي لا يعرفن القراءة والكتابة، واللواتي وضعن النظام المتطور للرأسمالية الصناعية على أساس خضوعهن لخدمة الأسرة القسرية. إن معظم افتراضاتنا حول الطريقة التي دأبت النساء على التفكير بها في (الجمال) يرجع تاريخها إلى ما قبل الثلاثينيات من القرن العشرين، عندما تم ترسيخ عبادة الدعاية لأول مرة واختراع مؤشر الجمال.

ولأول مرة أصبح يمكن للتكنولوجيات الجديدة ـ مثل لوحات الموضة، والصور الشمسية والقصديرية، وصور النقش الدوار (الروتوغرافية) ـ أن تنتج صوراً تُبيّن كيف يجب أن تظهر النساء. في أربعينيات القرن التاسع عشر، تم التقاط

أول صور عارية للبغايا؛ ظهرت إعلانات مستخدمةً صور النساء (الجميلات) لأول مرة في منتصف القرن، ونسخ من الأعمال الفنية الكلاسيكية، والبطاقات البريدية لجميلات المجتمع والعشيقات الملكيات، وغمرت مطبوعات كوربير وآيفس والتماثيل الخزفية المجال المنفصل الذي كان يحبس المرأة من الطبقة المتوسطة.

منذ الثورة الصناعية، تمّ التحكم بالمرأة الغربية من الطبقة الوسطى عن طريق المثل والقوالب النمطية، بقدر ما تم التحكّم بها أيضاً من خلال القيود المدنية. هذا الوضع ـ الفريد لهذه المجموعة ـ يعني أن التحليلات التي تتبع (المؤامرات الثقافية) هي معقولة على نحوٍ فريد فيما يتعلق بها. كان صعود أسطورة الجمال مجرد واحد من العديد من الخيالات (الروايات) الاجتماعية الناشئة التي تمّ ترسيخها بوصفها مكونات طبيعية بين النساء، والذي من الأفضل حصر أولئك النساء داخله. وظهرت مثل هذه الروايات على نحوٍ متزامن: فنسخة من الطفولة تتطلب الإشراف الأمومي المستمر؛ مفهوم البيولوجيا الأنثوية التي تطلب من النساء من الطبقة المتوسطة أن يتصرفن كالمصابين بالهستيريا والمراق(*)؛ الاقتناع بأن النساء المحترمات عبارة عن نساء مخدرات جنسياً؛ تحديد عمل النساء الشاغل لهن بالمهام المتكررة والمستهلكة للوقت والمتعبة، مثل التطريز. وكجميع الاختراعات الفيكتورية، خدمت هذه الأمور وظيفة مزدوجة؛ أي إنه على الرغم من أنَّ تلك الأمور قُدمت كوسيلة لاستنفاد طاقة الإناث وذكائهنّ بطرائق غير ضارة، إلا أنَّ النساء غالباً ما استخدمنها للتعبير عن الإبداع والشغف الحقيقي.

على الرغم من أن هذه الخيالات المستهلكة للوقت والعقل حول دور المرأة الطبيعي قد استطاعت أن تعاود الظهور في فترة ما بعد حرب الغموض الأنثوي عندما دمّرت الموجة الثانية من الحركة النسوية ما وصفته مجلات المرأة على أنه (الرومانسية) و(العلم) و(المغامرة)، إلا أنّها فشلت فشلاً مؤقتاً.

وهكذا حوّلت الروايات ببساطة نفسها مرة أخرى لشيءٍ آخر: بما أن الحركة النسوية قامت بتفكيك معظم الوجوه الضرورية الأخرى للأنوثة، فإن جميع أعمال السيطرة الاجتماعية التي كانت منتشرة فيما مضى قد اجتمعت في الشيء الوحيد الذي بقي سليماً، مما أدى إلى تعزيزه مئة مرة. وهذا فرض من جديد على

(*) المراق: اضطراب قلق المرض.

وجوه النساء وأجسادهن جميع القيود، والمحظورات، والعقوبات المفروضة من القوانين القمعية.

انتشرت أعمال الجمال سريعة الزوال وأصبحت من ضمن الأعمال المنزلية. وعندما تم فتح الاقتصاد والقانون والدين والأعراف الجنسية والتعليم والثقافة قسراً لتشمل النساء على نحو أكثر عدالة، احتل واقعٌ خاص وعي النساء. ومن خلال استخدام الأفكار حول (الجمال)، أُعيد بناء عالم بديل للمرأة بقوانينه الخاصة، واقتصاده، ودينه، وجنسه، وتعليمه، وثقافته، وكل عنصر منه هو بنفس قمع ما كان قبله.

وبما أن أفضل طريقة يمكن إضعاف النساء الغربيات من الطبقة المتوسطة بها هي استنفاد الوقت الذي تكون فيه أقوى من الناحية المادية، فإن أسطورة الجمال، كما ظهرت في الجيل الأخير، اضطرت إلى الاعتماد على مزيد من التطور التكنولوجي وحماسة صيحة الرجعية أكثر من أي وقت مضى. ترسانة الأسطورة الحديثة تكمن في نشر ملايين الصور لما يجب أن تكون عليه الصورة المثالية الحالية للمرأة. على الرغم من أن هذا الوابل من الصور يُنظر إليه عموماً على أنه خيال جنسي جماعي، إلا أنه لم تكن الغاية منه الجنس إلا قليلاً؛ إنما نبع عن الخوف السياسي من جانب المؤسسات التي يهيمن عليها الذكور والتي تهددها حرية المرأة، ويستغل ذنب النساء وتخوف تلك المؤسسات من تحررنا؛ المخاوف الكامنة من أننا قد تجاوزنا الحد الطبيعي.

إن هذا التجسيد الهائل للتشبيه هو عبارة عن هلوسة رجعية جماعية أُوجِدت للرجال والنساء على حد سواء، المنذهلين من سرعة تحول العلاقات بين الجنسين: حصن طمأنة ضد طوفان التغيير. إن التصوير الجماعي للمرأة العصرية بوصفها من منطلق (الجمال) هو تناقض: أي الطريقة التي تترعرع بها النساء، ويتحركن، ويعبّرن عن تفرّدهن، وكما تقول الأسطورة؛ فإنّ (الجمال) هو ـ بحكم التعريف ـ جامد، خالد، وعام. وأن هذه الهلوسة ضرورية ومتعمّدة لهو دليل على الطريقة التي يتناقض فيها (الجمال) بشكل مباشر مع وضع المرأة الحقيقي.

وهذه الهلوسة اللاواعية أكثر نمواً وتأثيراً وانتشاراً مستمراً بسبب تلاعب السوق بالوعي: الصناعات القوية ـ صناعة الحمية البالغ حجم سوقها ٣٣ مليار دولار في العام، وصناعة مستحضرات التجميل التي تبلغ ٢٠ مليار دولار، وصناعة

الجراحات التجميلية التي تبلغ كلفتها ٣٠٠ مليون دولار، وصناعة المواد الإباحية التي تبلغ ٧ مليارات دولار ـ نشأت جميعها من رأس المال الذي تم صنعه من مخاوف غير واعية، وهي بذلك قادرة ـ من خلال تأثيرها على الثقافة الجماهيرية ـ على استخدام هذه الهلوسة وتحفيزها وتعزيزها في دوامة اقتصادية صاعدة.

هذه ليست نظرية مؤامرة؛ فلا تحتاج أن تكون كذلك. إنّ المجتمعات تقصّ على نفسها الروايات الضرورية بنفس الطريقة التي يفعلها الأفراد والعائلات. وهو ما وصفه هنريك إبسن بـ (الأكاذيب الحيوية)، ووصفها عالم النفس دانييل جونمن بأنها تعمل بالطريقة نفسها التي تعمل بها على المستوى الاجتماعي داخل العائلات: (يتم إخفاؤها من خلال توجيه الانتباه بعيداً عن الحقيقة المخيفة، أو بإعادة تغليف معناها في شكل مقبول)، إن التكاليف التي تلقي بها هذه المجالات العمياء الاجتماعية ـ حسب قوله ـ هي مجرد أوهام مجتمعية مدمرة. أصبحت خيارات المرأة مفتوحة جداً إلى حد أصبحت فيه تهدد بزعزعة استقرار المؤسسات التي تعتمد عليها ثقافة سيطرة الذكور، وقد أدى رد فعل التخوف الجماعي من جانب كلا الجنسين إلى فرض حصول طلب على الصور المضادة.

الهلوسة الناتجة حقيقية جداً بالنسبة إلى المرأة؛ فلم تعد مجرد فكرة، لقد أصبحت فكرة ثلاثية الأبعاد تدمج في نفسها الطريقة التي ينبغي أن تعيش بها النساء والتي لا ينبغي أن يعشن بها: لقد أصبحت العذراء الحديدية. إنَّ مسمّى (العذراء الحديدية، أو Iron Maiden) أساساً هو لأداة ألمانية استخدمت للتعذيب في العصور الوسطى، وهي عبارة عن نعش على شكل جسم مطليٍّ بالألوان، له أطراف وشكل امرأة شابة جميلة ومبتسمة. الضحية سيئة الحظ كان يُغلق عليها ببطء داخله، ويحكم الإغلاق ليغلق الغطاء عليها شالاً حركتها، ثم ستموت إما من التضور جوعاً، أو بشكل أقل قسوة، من المسامير المعدنية المضمنة داخل تلك الأداة. وإن الهلوسة الحديثة من أسطورة الجمال التي تُحاصر فيها النساء أو يُحاصرن أنفسهن فيها هي بنفس المبدأ قاسية، ووحشية، ومطلية على هيئة لطيفة.

لماذا يشعر النظام الاجتماعي بالحاجة للدفاع عن نفسه بالتهرب من حقيقة المرأة، من وجوهنا وأصواتنا وأجسادنا الحقيقية، والحدّ من معنى النساء إلى هذه الصور الفوتوغرافية (الجميلة) المصممة غير الواقعية والتي يُعاد إنتاجها بتكرارٍ لا نهاية له؟ وعلى الرغم من أن القلق الشخصي للنظام الذكوري يمكن أن يكون

قوة كبيرة في عملية خلق كذبة حيوية، إلا أن الضرورة الاقتصادية تضمن حدوثها عملياً وفعلياً. يحتاج الاقتصاد الذي يعتمد على العبودية إلى تعزيز صور عبيد (تبرر) مؤسسة العبودية. إنّ الاقتصادات الغربية تعتمد الآن بشكل مطلق على المدفوعات القليلة المستمرة للنساء. كانت هناك حاجة ملحة لإيديولوجية تجعل المرأة تشعر (بقيمة أقل).

هذا لا يتطلب مؤامرة، بل فقط جوّاً ملائماً. يعتمد الاقتصاد المعاصر الآن على تمثيل المرأة داخل أسطورة الجمال. يقدم الخبير الاقتصادي جون كينيث غالبريث تفسيراً اقتصادياً لاستمرار رؤية إعمار المنازل باعتبارها دعوة أعلى: (إنَّ مفهوم المرأة المحصور على نحوٍ طبيعي داخل سحر الأنوثة)، كما يقول، (قد أُجبِرنا عليه من قبل علم الاجتماع الشعبي، ومن قبل المجلات، والخيالات، ولكن لإخفاء حقيقة أن المرأة في دورها كمستهلك كانت أساسية في تنمية مجتمعنا الصناعي... إنّ ذلك السلوك الضروري لأغراض اقتصادية قد تم عرضه على أنّه فضيلة اجتماعية). ولكن، الآن، بمجرد أنه لم يعد من الممكن تعريف القيمة الاجتماعية الأساسية للمرأة على أنها تحقيق الحياة الأسرية الحميدة، قامت أسطورة الجمال بتعريف قيمة المرأة بأنها تحقيق الجمال الفاضل. وقد فعلت ذلك لاستبدال كل احتياجات المستهلك الجديد، وكذلك تقديم مبررٍ جديد لعدم النزاهة الاقتصادية في مكان العمل، حيث خسرت المبررات القديمة سطوتها على النساء المُحرّرات حديثاً، فبدلاً من كون تحرير المرأة من المنزل يجعلها تتحرر من ثقافة الاستهلاك، جعلها مقيدةً به أكثر بكثير ممّا مضى.

ظهرت هلوسة أخرى صاحبت هلوسة العذراء الحديدية: تم إعادة بعث كاريكاتير الصورة النمطية لـ (النسوية القبيحة) مرة أخرى للحدّ من خطوات الحركة النسوية. وليس ذلك الكاريكاتير بحقيقي، فلقد صُنع للسخرية من النسويات في القرن التاسع عشر. لوسي ستون Lucy Stone نفسها، التي رآها مؤيدوها بوصفها (نموذجاً للنسوية... منعشة مثل الصباح)، استهزأ بها المنتقدون بـ (التقرير المعتاد) الخاص بهم عن النسويات الفيكتوريات: (امرأة ذكورية وكبيرة، ترتدي حذاءً عسكرياً، وتدخن سيجارة وتشتم بشدّة). وكما قالت بيتي فريدان ببصيرة في عام ١٩٦٠، حتى قبل إعادة الصياغة الوحشية لذلك الكاريكاتير القديم: (إن الصورة غير السارة للنسويات اليوم لا تشبه النسويات أنفسهن بقدر ما تشبه الصورة التي

ترعاها المصالح التي تعارض بشدة التصويت لصالح النساء ولاية بعد أخرى. ثلاثون عاماً مرّت منذ ذلك الوقت واستنتاجها ذلك يصبح في كل مرة أكثر صحة من أي وقت مضى: ذلك الرسم الكاريكاتوري المبعوث من جديد، والذي سعى لمعاقبة النساء على أفعالهن العامة عن طريق تتبع شعورهن الذاتي الخاص. أصبح النموذج لحدود جديدة وُضعت على المرأة الطامحة في كل مكان. بعد نجاح الموجة الثانية من الحركة النسوية، أتقِنَت أسطورة الجمال لتقضي على كل قوة عند كل مستوى في حياة المرأة. انتشر اضطراب العصاب للحياة الحديثة في جسد الأنثى امرأة بعد امرأة بمعدلات وبائية. إن الأسطورة تقوض ـ ببطء، وبشكل غير محسوس، من دون إدراكنا للقوى الحقيقية للتآكل ـ الأرض التي اكتسبتها النساء بعد كفاح طويل وصعب ومشرّف.

أسطورة الجمال الحالية هي حالة أكثر خبثاً من أي سحر آخر للأنوثة فيما سبق: منذ قرن من الزمن، أغلقت نورا بعنف باب بيت الدمية؛ منذ جيل مضى، أدارت النساء ظهورهن للجنّة الاستهلاكية المتمثلة بالمنزل المعزول المجهّز؛ ولكنّ الحالة التي تُحاصر فيها النساء اليوم هي: لا يوجد بابٌ لإغلاقه. إن الحالة المعاصرة الناتجة من ردود فعل الجمال تُدمر النساء جسدياً وتستنفدنا نفسياً. وإذا ما أردنا أن نُحرّر أنفسنا من هذا الثقل الميّت الذي تم إنشاؤه مرة أخرى للنساء، فما ستحتاجه النساء أولاً لن يكون صناديق الاقتراع أو جماعات الضغط أو اللافتات، بل طريقة جديدة للنظر للأمور.

الهوامش

Cosmetic Surgery: *Standard and Poor's Industry Surveys* (New York: Standard and Poor's Corp., 1988).

Pornography main media category: See "Crackdown on Pornography: A No-Win Battle," *U.S. News and World Report*, June 4, 1984. The Association of Fashion and Image Consultants tripled its membership between 1984 and 1989 alone (Annetta Miller and Dody Tsiantar, *Newsweek*, May 22, 1989). During the five or six years prior to 1986, consumer spending rose from $300 billion to $600 billion.

Thirty-three thousand American women, University of Cincinnati College of Medicine, 1984: Wooley, S. C, and O. W. Wooley, "Obesity and Women: A Closer Look at the Facts," *Women's Studies International Quarterly*, vol. 2

(1979), pp. 69–79. Data reprinted in "33,000 Women Tell How They Really Feel About Their Bodies," *Glamour*, February 1984.

Recent research shows: See Dr. Thomas Cash, Diane Cash, and Jonathan Butters, "Mirror-Mirror on the Wall: Contrast Effects and Self-Evaluation of Physical Attractiveness," *Personality and Social Psychology Bulletin*, September 1983, vol. 9, no. 3. Dr. Cash's research shows very little connection between "how attractive women are" and "how attractive they feel themselves to be." All the women he treated were, in his terms, "extremely attractive," but his patients compare themselves only to models, not to other women.

Very little to me: Lucy Stone, 1855, quoted in Andrea Dworkin, *Pornography: Men Possessing Women* (New York: Putnam, 1981), p. 11.

A doll: Germaine Greer, *The Female Eunuch* (London: Paladin Grafton Books, 1970), pp. 55, 60.

Myth: See also Roland Barthes's definition: "It [myth] transforms history into nature....

Myth has the task of giving an historical intention a natural justification, and making contingency appear eternal." Roland Barthes, "Myth Today," *Mythologies* (New York: Hill and Wang, 1972), p. 129.

Anthropologist Bronislaw Malinowski's definition of "a myth of origin" is relevant to the beauty myth: A myth of origin, writes Ann Oakley, "tends to be worked hardest in times of social strain, when the state of affairs portrayed in the myth are called into question." Ann Oakley, *Housewife: High Value/Low Cost* (London: Penguin Books, 1987), p. 163.

Platonic: See Plato's discussion of Beauty in *Symposium*. For varying standards of beauty, see Ted Polhemus, *BodyStyles* (Luton, England: Lennard Publishing, 1988).

Sexual selection; Darwin...was unconvinced: See Cynthia Eagle Russett, "Hairy Men and Beautiful Women," *Sexual Science: The Victorian Construction of Womanhood* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1989), pp. 78–103.

On page 84 Russett quotes Darwin: "Man is more powerful in body and mind than woman, and in the savage state he keeps her in a much more abject state of bondage, than does the male of any other animal; therefore it is not surprising that he should have gained the power of selection.... As women have long been selected for beauty, it is not surprising that some of their successive variations should have been transmitted exclusively to the same sex; consequently that they should have ransmitted beauty in a somewhat higher degree to their female than to their male offspring, and thus have become more beautiful, according to general opinion, than men." Darwin himself noticed the evolutionary inconsistency of this idea that, as Russett puts it, "a funny thing happened on the way up the ladder: among humans, the female no longer chose but was chosen." This theory "implied an awkward break in

evolutionary continuity," she observes: "In Darwin's own terms it marked a rather startling reversal in the trend of evolution."

See also Natalie Angier, "Hard-to-Please Females May Be Neglected Evolutionary Force," *The New York Times*, May 8, 1990, and Natalie Angier, "Mating for Life? It's Not for the Birds or the Bees," *The New York Times*, August 21, 1990.

Evolution: See Evelyn Reed, *Woman's Evolution: From Matriarchal Clan to Patriarchal Family* (New York: Pathfinder Press, 1986); and Elaine Morgan, *The Descent of Woman* (New York: Bantam Books, 1979). See especially "the upper primate," p. 91.

Goddess: Rosalind Miles, *The Women's History of the World* (London: Paladin Grafton Books, 1988), p. 43. See also Merlin Stone, *When God Was a Woman* (San Diego: Harvest Books, 1976).

Wodaabe tribe: Leslie Woodhead, "Desert Dandies," *The Guardian*, July 1988.

In the West African Fulani tribe young women choose their husbands on the basis of their beauty: "The contestants...take part in the yaake, a line-up in which they sing and dance, stand on tip-toe and make faces, rolling and crossing their eyes and grimacing to show off their teeth to the judges. They keep this up for hours, aided by the consumption of stimulating drugs beforehand. Throughout all this, old ladies in the crowd hurl criticisms at those who do not live up to the Fulani idea of beauty." [Polhemus, op. cit., p. 21]

See also Carol Beckwith and Marion van Offelen, *Nomads of Niger* (London: William Collins Sons & Co. Ltd., 1984), cited in Carol Beckwith, "Niger's Wodaabe: People of the Taboo," *National Geographic*, vol. 164, no. 4, October 1983, pp. 483–509.

Paleolithic excavations suggest that it has been human males rather than females to whom adornment was assigned in prehistoric societies; in modern tribal communities men generally adorn at least as much as women, and often hold "a virtual monopoly" over adornment. The Sudanese Nuba, the Australian Waligigi, and the Mount Hagen men of New Guinea also spend hours painting themselves and perfecting their hairstyles to attract the women, whose toilette takes only minutes. See Polhemus, op. cit, pp. 54–55. Technologies: See, for example, Beaumont Newhall, *The History of Photography from 1839 to the Present* London: Seeker & Warburg, 1986), p. 31. Photograph *Academie*, c. 1845, photographer unknown.

Powerful industries: Diet items are a $74-billion-a-year industry in the United States, totaling one-third the nation's annual food bill. See David Brand, "A Nation of Healthy Worrywarts?," *Time*, July 25, 1988.

$33-billion-a-year diet industry: Molly O'Neill, "Congress Looking into the Diet Business," *The New York Times*, March 28, 1990.

$300-million-a-year cosmetic surgery industry: *Standard and Poor's Industry Surveys*, op. cit. 1988.

$7 billion pornography industry, "Crackdown on Pornography," op. cit.

Vital lies: Daniel Goleman, *Vital Lies, Simple Truths: The Psychology of Self-Deception* (New York: Simon and Schuster, 1983), pp. 16–17, quoting Henrik Ibsen's phrase: "The vital lie continues unrevealed, sheltered by the family's silence, alibis, stark denial."

A higher calling: John Kenneth Galbraith, quoted in Michael H. Minton with Jean Libman Block, *What Is a Wife Worth?* (New York: McGraw-Hill, 1984), pp. 134–135.

Ugly Feminist: Marcia Cohen, *The Sisterhood: The Inside Story of the Women's Movement and the Leaders Who Made It Happen* (New York: Ballantine Books, 1988), pp. 205, 206, 287, 290, 322, 332.

Swearing like a trooper Betty Friedan, *The Feminine Mystique* (London: Penguin Books, 1982), p. 79, quoting Elinor Rice Hays, *Morning Star: A Biography of Lucy Stone* (New York: Harcourt, 1961), p. 83.

Unpleasant image: Friedan, op. cit., p. 87.

العمل

منذ أن استخدم الرجال (جمال المرأة) كشكل من أشكال العملات المتداولة بينهم، تطورت الأفكار حول (الجمال) منذ الثورة الصناعية جنباً إلى جنب مع الأفكار المتعلقة بالمال، بحيث أصبح الاثنان متشابهين تقريباً في اقتصادنا الاستهلاكي. تبدو المرأة مثل مليون دولار، إنها جمال من الدرجة الأولى first-class، وجهها هو ثروتها. وفي أسواق الزواج البرجوازي في القرن الماضي، تعلمت النساء النظر لجمالهن كجزء من هذا الاقتصاد.

وبحلول الوقت الذي دخلت فيه الحركة النسوية غمار سوق العمل، اعتاد النساء والرجال، على حدٍّ سواء، تقييم الجمال كثروة. تمّ إعداد كل منهما للتطوّر الكبير الذي حدث بعد ذلك؛ فبينما طالبت النساء بالوصول إلى السلطة، استخدم هيكل السلطة أسطورة الجمال مادياً لتقويض تقدم المرأة.

يجري في العادة توصيل المحوّل الكهربائي بجهاز في أحد طرفيه، ومصدر طاقة في الطرف الآخر، وذلك لتغيير شدة تيار غير قابل للاستخدام إلى آخر متوافق مع الآلة. وبنفس الطريقة تم إضفاء الطابع المؤسسي على أسطورة الجمال في العقدين الماضيين كمحوّل بين المرأة والحياة العامة؛ حيث قامت أسطورة الجمال بربط طاقة المرأة بجهاز السلطة، بينما تقوم بتغيير الجهاز بأقل درجة ممكنة لاستيعابها؛ في نفس الوقت، مثل المحوّل، تضعف طاقة المرأة عند نقطة المنشأ. تقوم بذلك للتأكد من أن الجهاز يقوم بالفعل بمسح مدخلات المرأة وإدخال نظام يناسب هيكل السلطة.

مع تفكك (الغموض الأنثوي)، ازدادت أعداد النساء بين القوى العاملة. في الولايات المتحدة، ارتفعت نسبة النساء اللاتي حصلن على وظائف من ٣١,٨ بالمئة بعد الحرب العالمية الثانية إلى ٥٣,٤ بالمئة عام ١٩٨٤؛ ومن بين أولئك اللاتي يتراوح أعمارهن بين خمسة وعشرين وأربعة وخمسين، كان ثلثاهن يشغلن وظائف. في السويد، ٧٧ بالمئة من النساء كُنّ يشغلن وظائف، ومثلها ٥٥ بالمئة من النساء الفرنسيات. بحلول عام ١٩٨٦، قامت ٦٣ بالمئة من النساء البريطانيات بأعمال مدفوعة. ومع دخول المرأة الغربية قوى العمل الحديثة، تم الاستيلاء على نظام تحديد القيمة لسوق الزواج من قبل اقتصاد العمل، لاستخدامه ضد مطالباتهن بتيسير الدخول إليه. إن الحماس الذي أوكل به سوق العمل قيمة مالية لمؤهلات سوق الزواج نفسها يثبت أن استخدام أسطورة الجمال هو مسألة سياسية وليست جنسية: قام سوق العمل بتنقيح أسطورة الجمال كوسيلة لإضفاء الشرعية على التمييز في العمل ضد المرأة.

عندما اخترقت النساء هيكل السلطة في الثمانينيات، اندمج الاقتصادان أخيراً. لم يعد الجمال مجرد شكل رمزي للعملة، لقد أصبح حَرفياً مالاً. وتم التنصيص على نظام العملات غير الرسمي لسوق الزواج، الذي تم إضفاء الطابع الرسمي عليه في مكان العمل، في القانون. فبعدما هربت النساء من بيع أنوثتهن في سوق للزواج، قُيّدن بها بالتبعية الاقتصادية، قوبلت محاولاتهن الجديدة للاستقلال الاقتصادي بنظام مقايضة مماثل تقريباً. وكلما ارتقت النساء خلال هذه الفترة في درجات التسلسل الهرمي الاحترافي، عملت أسطورة الجمال بتفانٍ أكبر لتقويض كل خطوة من خطواتهن في السعي في صعود ذلك التسلسل.

لم يكن هناك أبداً مثل هذه المجموعة الدخيلة (النساء في هيكل السلطة) التي من الممكن أن تزعزع الاستقرار وتطلب فرصة عادلة للتنافس للوصول إلى السلطة. انظر فيما يهدد هيكل السلطة في الصور النمطية للقادمين الجدد من الآخرين. يُخشى من اليهود بسبب تقاليدهم التعليمية وكذلك (بالنسبة إلى أولئك الذين من أوروبا الغربية) بسبب ذكرياتهم البرجوازية الرفيعة. الآسيويون في الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، والجزائريون في فرنسا، والأتراك في ألمانيا، يُخشى منهم بسبب أنماط العالم الثالث الخاصة بهم من العمل المضني بأجور منخفضة. وتُخشى الطبقة الدنيا من الأمريكيين الأفارقة في الولايات المتحدة بسبب

التكتل المتفجر لوعي الأقليات والغضب. في إلمام المرأة السهل بثقافة المهيمنة، في التوقعات البرجوازية لأصحاب الطبقة المتوسطة، في عادات عمبهم في العالم الثالث، في إمكانياتهم لتكتيل الغضب والولاء في الطبقة السفلية المتأججة. يُحدّد هيكل السلطة بشكل صحيح مركب فرانكشتاين لأسوأ رعب تمتلكه الأقليات. أصبح التميز الجمالي للنساء ضرورياً، ليس من منظور أن المرأة لن تكون جيدة بما فيه الكفاية، ولكن من منظور أنها ستكون كما كانت أفضل بمرتين.

وتواجه الشبكة القائمة على محاباة الذكور لبعضهم في هذه المجموعة الدخيلة وحشاً أكبر بكثير من تلك الوحوش التي صنعتها الأقليات العرقية الأخرى. لأن المرأة ليست أقلية. فبالنظر لنسبة ٥٢,٤ بالمئة من عدد السكان، النساء هُنَّ الأغلبية.

وهذا ما يُفسّر الطبيعة الشرسة لردة الفعل العنيفة المتمثلة بالتركيز على الجمال، ويوضح لماذا أصبح تطورها شمولياً بسرعة. إن الضغط على النخبة الحاكمة يمكن أن ينظر إليه أي قائد لأقليةٍ ما على أنَّه أغلبية هائجة بدأت في تقدير قوتها الكبيرة. وفي ظل حكم الجدارة (الميريتوقراطية) الذي يستحق اسمه، فإن جاذبية الأحداث ستغير قريباً وإلى الأبد من يملكون السلطة، وليس ذلك وحسب، بل أيضاً ماهية السلطة نفسها، وما هي الأهداف الجديدة التي سيتم تكريسها لها.

لم يقم أرباب العمل بتطوير ردة الفعل المتمثلة بالتركيز على الجمال ببساطة لأنهم أرادوا زخرفة مكاتبهم؛ وإنما تطورت من الخوف. هذا الخوف، من وجهة نظر هيكل السلطة، له أسبابه القوية. إنّ ردة فعل الجمال هي في الحقيقة ضرورية للغاية لبقاء هيكل السلطة.

تعمل النساء بجد، ويبذلن ضعف المجهود الذي يبذله الرجال.

في جميع أنحاء العالم، ومنذ مدة أطول مما تحفظه السجلات التاريخية، كان هذا صحيحاً. تشير المؤرخة روزاليند مايلز إلى أنه في المجتمعات التي سبقت عصور ما قبل التاريخ (كانت أعمال النساء الباكرة مرهقة ومتواصلة ومتنوعة وصعبة. وإذا ما تم إعداد كتالوج للأعمال البدائية، فستجد أن النساء كُنّ يفعلن خمسة أشياء كان يفعل منها الرجال واحدة فقط). وفي المجتمعات القبلية الحديثة،

تضيف روزاليند: (كانت النساء تعمل دون انقطاع خلال ساعات النهار، وكُنّ ينتجن بانتظام ما يصل إلى ثمانين بالمئة من إجمالي الطعام الذي تتناوله القبيلة، على أساس يومي. وكان الأعضاء الذكور يقومون وما زالوا بخُمس العمل الضروري فقط للمجموعة من أجل البقاء، بينما الأربعة أخماس الأخرى كانت تقوم بها النساء بالكامل). في القرن السابع عشر، كتبت البريطانية مارغريت كافنديش دوقة نيوكاسل أن النساء (يعملن مثل الوحوش). وأمّا قبل الثورة الصناعية، فقد كتبت: (لم يكن هناك شيء اسمه عمل شاق أو مرهق للغاية حتى يتم استبعادهن منه).

خلال فترة الاستغلال في نظام المصانع في القرن التاسع عشر (كانت النساء يعملن أكثر على المستوى العالمي... ويُدفع لهن أجورٌ أقل) من الرجال. يوافق أرباب العمل في كل مكان على أن (النساء أسهل تحريضاً على الإرهاق الجسدي الشديد من الرجال). أما اليوم، فقد انخفض العمل (البدائي) الذي تقوم به النساء من خمسة أضعاف الجهد الذي يقوم به الرجل إلى (شكل مُتحضّر)، وهو الضعف. وهذه النسبة ثابتة وعالمية. وفقاً لمعهد همفري للشؤون العامة: (وبينما تمثل النساء ٥٠ بالمئة من سكان العالم، فإنهن يقمن بما يقرب من ثلثي إجمالي ساعات العمل، ولا يحصلن إلا على عُشر الدخل العالمي، ويملكن أقل من ١ بالمئة من الممتلكات عالمياً). يوافق (تقرير المؤتمر العالمي لعقد الأمم المتحدة للمرأة): عندما يتم حساب الأعمال المنزلية، (ينتهي الأمر بأن النساء حول العالم يعملن ضعف الساعات التي يعملها الرجال).

ماذا عن (المرأة الحديثة)، مع مسؤولية وظيفتها ذات الدوام الكامل؟ تقول الخبيرة الاقتصادية نانسي باريت إنه (لا يوجد دليل على تغييرات كاسحة في تقسيم العمل داخل الأسر تزامناً مع زيادة مشاركة المرأة في القوة العاملة). أو: على الرغم من أن المرأة تقوم بعمل مدفوع بدوام كامل، فإنها لا تزال تفعل كل أو أغلب الأعمال غير المدفوعة التي اعتادت عليها.

النساء المحترفات في الولايات المتحدة الأمريكية وضعهن أفضل بقليل: وجدت عالمة الاجتماع أرلي هوتشيلد أن النساء في حالات الزواج التي يكون فيها للزوج والزوجة وظائف تجعلهم يعيشون بعيدين عن بعضهم، عندما يعدن إلى المنزل يقمن بـ ٧٥ بالمئة من العمل المنزلي. يقوم الرجال الأمريكيون المتزوجون بعمل منزلي أكثر بـ ١٠ بالمئة فقط من الذي كانوا يقومون به قبل عشرين عاماً.

تعمل المرأة في الأسبوع ٢١ ساعة أكثر من الرجال؛ تُوضح الخبيرة الاقتصادية هايدي هارتمان أنه (يطلب الرجال خدمة إضافية في الأسبوع ثماني ساعات أكثر مما يساهمون به). في إيطاليا، ٨٥ بالمئة من الأمهات اللواتي لديهن أطفال ووظائف مدفوعة الأجر بدوام كامل متزوجات من رجال لا يقومون بأي عمل في المنزل على الإطلاق. تُحصّل النساء الأوروبيات اللاتي يعملن بأجر مدفوع ٣٣ بالمئة وقت فراغ أقل مقارنة بأزواجهن. في كينيا، عندما أُعطيت النساء موارد زراعية غير متكافئة مع الرجال، كان إنتاجهن معادلاً لإنتاج الرجال؛ وعند إعطائهن موارد متكافئة، فإنّهن أنتجن حصاداً أكبر وكُنَّ أكثر كفاءة.

قدر بنك تشايس مانهاتن أن النساء الأمريكيات يعملن كل أسبوع لمدة ٩٩,٦ ساعة. في الغرب، حيث العمل مدفوع الأجر هو في نحو الأربعين ساعة في الأسبوع، فإن الحقيقة التي لا يمكن تجنبها لمواجهة هيكل السلطة هي أن النساء الوافدات الجدد للعمل أتين ويأتين من مجموعة اعتادت على العمل ضعف الساعات التي يعملها الرجال، وقتاً ومجهوداً. وليس ذلك بأجر أقل فحسب، بل بلا أجر أصلاً.

حتى الستينيات من القرن الماضي، ساعد العرف الذي يعتبر العمل غير المأجور في المنزل (ليس حقيقياً) في إرباك معرفة النساء بقيمة هذا العمل الذي يقمن به. مثل هذا التكتيك أصبح عديم الفائدة بمجرد أن بدأت النساء القيام بالأعمال التي يُميّزها الرجال على أنها عمل ذكوري، أي كعمل جدير بأن يعدَّ عملاً.

على مدى الجيل الماضي في الغرب، اكتسبت كثيرات من أولئك العاملات المجدات في العمل أيضاً تعليماً متساوياً. في الخمسينيات من القرن العشرين، كان ٢٠ بالمئة فقط من الطلاب الجامعيين (المرحلة الجامعية) في الولايات المتحدة من النساء (ثلثهنّ فقط أنهين دراستهن)، مقارنة بما نسبته ٥٤ بالمئة اليوم. بحلول عام ١٩٨٦، كان خُمسا الطلاب الجامعيين المتفرغين في المملكة المتحدة من النساء. كيف يكون مثل هذا نظاماً ميريتوقراطياً والنساء يطرقن أبوابه بهذه الطريقة؟

إذا ما تم نسج العمل الشاق الذي قامت به المرأة في شبكة مرنة تمتد عبر الأجيال، فإننا سنجد أن عملها الشاق هذا يتجاوز بأضعاف، وبشكل غير متناسب، تميّزها. حدثت ردة الفعل المعاكسة لأنه حتى عندما صارت النساء يقمن بعملين

(داخل المنزل وخارجه)، استطاعت المرأة أن تخترق هيكل السلطة؛ وكان ذلك مستفزاً لأنه إذا أرادت أولئك النساء باحترام الذات الجديد الذي امتلكنه أن يطالبن بالمال لكونهن يعملن عملين بينما الرجال واحداً، فإن التكلفة على أرباب العمل والحكومة ستكون مرتفعة للغاية.

في الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي ١٩٦٠ و١٩٩٠، ارتفع عدد المحاميات والقاضيات من ٧٥٠٠ إلى ١٨٠,٠٠٠، والطبيبات من ١٥,٦٧٢ إلى ١٠٨,٢٠٠، والمهندسات من ٧,٤٠٤ إلى ١٧٤,٠٠٠. في السنوات الخمس عشرة الماضية، تضاعف عدد النساء في المكاتب المحلية المنتخبة ثلاث مرات، ليصل إلى ١٨,٠٠٠. واليوم في الولايات المتحدة الأمريكية، تشغل النساء ٥٠ بالمئة من المناصب الإدارية على مستوى الدخول إنتري ـ ليفل، و٢٥ بالمئة من الإدارة الوسطى، ويشكلن نصف المحاسبين المتخرجين، وثلث طلاب الماجستير في إدارة الأعمال، ونصف المحامين المتخرجين، وربع الأطباء، ونصف الموظفين والمديرين في البنوك التجارية الخمسين الكبرى. وتجني ٦٠ بالمئة من النساء الموظفات في الشركات الكبرى ما متوسطه ١١٧ ألف دولار في السنة وفقاً لدراسة استقصائية أجرتها مؤسسة فورتشن. وهن حتى مع وجود نوبتين، على هذا المعدل، ما زلن يتحدّين الوضع الراهن. ينبغي على أحدهم أن يأتي بسرعة بنوبة ثالثة.

تم التقليل من احتمال حدوث رد فعل قاسٍ لأن العقلية الأمريكية تحتفل بالفوز وتتجنب ملاحظة النتيجة الطبيعية، أي يفوز الفائزون فقط بخسارة الخاسرين. وتقر الخبيرة الاقتصادية مارلين وارينغ بأنه (لن يتخلّى الرجال بسهولة عن نظام يعمل فيه نصف سكان العالم مقابل لا شيء تقريباً)، وتعترف بأن ذلك، (على وجه التحديد، لأن نصف هذا العالم يتقاضى القليل جداً، وهذا لا يترك لهم أي طاقة للقتال من أجل أي شيء). وتقول باتريشيا إيرلاند من المنظمة الوطنية للمرأة مصدقة على ذلك: الجدارة الحقيقية تعني للرجال (المزيد من المنافسة في العمل والمزيد من الأعمال المنزلية في المنزل). وما يتم تجاهله هو رد فعل ذلك النصف الآخر من النخبة الحاكمة الذين يشغلون وظائف قد يخسرونها لا محالة.

لذلك يجب التصدّي لهذه المجموعة الدخيلة، أو أن النخبة التقليدية في السلطة ستصبح في وضع سيئ: الطفل الأبيض الذكر من الطبقة العليا هو

بحسب تعريفه شخص لا يجب عليه العمل في وظيفتين أو ثلاث في آن واحد، ولا يشعر بالحماسة للتعليم الذي يأتي بعد تراث من الأمية بقدم التاريخ المكتوب، ولا يغضب لاستبعاده.

بماذا يستطيع هيكل السلطة الدفاع عن نفسه ضد هذا الهجوم؟ في البداية؛ يمكن أن يحاول تعزيز النوبة الثانية. ٦٨ بالمئة من النساء اللواتي لديهن أطفال دون سن الثامنة عشرة هن في القوى العاملة الأمريكية، وهو أعلى مما كانت نسبته عام ١٩٦٠ (٢٨ بالمئة). في المملكة المتحدة، ٥١ بالمئة من الأمهات لأطفال معالين يعملن مقابل أجر. ٤٥ بالمئة من النساء العاملات في الولايات المتحدة الأمريكية هن من العازبات أو المطلقات أو الأرامل أو المنفصلات، وهن الداعم المادي الوحيد لأطفالهن. تعمل إخفاقات برامج رعاية الأطفال الأمريكية وحتى الأوروبية التي تمولها الدولة كعرقلة فعالة أمام قوة هذه المجموعة الدخيلة. لكنَّ النساء اللواتي يستطعن تحمل التكاليف قمن بتوظيف نساء فقيرات للقيام بعملهن المنزلي وتولي رعاية أطفالهن. لذا، فإن تكتيك العرقلة بسبب نقص رعاية الأطفال لم يعد كافياً لكبح طبقة النساء اللواتي يخشى منهن هيكل السلطة أكثر ما يخشى. ما كانت تحتاج إليه هذه السلطة هو أغلال جديدة، وعبء مادي جديد من شأنه أن يستنزف فائض طاقتهن ويقلل من ثقتهن بأنفسهن، وهي أيديولوجية يمكنها أن تنتج النساء العاملات التي تحتاج إليها، ولكن فقط في شكل القالب الذي تريد أن يتشكّلنه.

في جميع أنحاء الغرب، أدى التآكل الواسع للقاعدة الصناعية والانتقال إلى تكنولوجيا المعلومات والخدمات إلى زيادة توظيف المرأة. وإنَّ انخفاض معدلات المواليد في مرحلة ما بعد الحرب، وما نجم عنه من نقص في العمالة الماهرة، عنى أن النساء مرحب بهن في مجتمع العمل: ككادحات ومستهلكات، غير منطويات تحت نقابة، منخفضات الأجر، داخل غيتو الياقات الوردية(*). وصف الخبير الاقتصادي مارفن هاريس النساء بأنهن مجموعة عمل (متعلمة وطيّعة)، ومن ثمّ (مرشحات مرغوب فيهنّ للعمل في وظائف مجال المعلومات والأشخاص والتي تتيحها صناعات الخدمات الحديثة).

(*) المترجم: مصطلح يشير لوظائف تشغلها النساء بأجرٍ منخفض.

إن الصفات التي تخدم أصحاب العمل على أفضل وجه في مثل هذه المجموعة من العمال هي: تدني احترام الذات، والتسامح إزاء المهام المتكررة المبتذلة، وعدم الطموح، والتوافق الشديد، والمزيد من الاحترام للرجال (الذين يديرونهن) من النساء (اللاتي يعملن إلى جانبهم)، وقليل من السيطرة على وضع حياتهن. على مستوى أعلى، تكون مديرات الإدارة المتوسطة مقبولات ما دُمنَ ذكوريات، ولا يضغطن بقوة على السقف الزجاجي؛ والنساء شكلاً فقط في أعلى الإدارة، اللاتي لا علاقة لهن بالتقليد الأنثوي، مفيدات كذلك. أسطورة الجمال هي آخر وأفضل تقنية تدريبية لإنشاء مثل هذه القوة العاملة. تُفعل كل هذه الأمور للنساء خلال ساعات العمل، ثم تُضاف (نوبة عمل ثالثة) لوقت فراغهن.

كان على النساء الخارقات، اللاتي لم يكنّ على دراية بالآثار الكاملة لهذه الأسطورة، أن يضفن عملاً (تجميلياً) جاداً لجدول أعمالهن المهني. أصبحت مهمتها من هي؟ الجديدة تزيد صرامة شيئاً فشيئاً، حيث أصبحت المبالغ المالية والمهارة والحرفة التي يجب أن تستثمرها في ذلك لا تقل عن المبالغ التي كان (قبل أن تخترق النساء هيكل السلطة) من المتوقع أن تنفقها فقط الجميلات المحترفات في مهن العروض. لبست النساء مرة واحدة جميع الأدوار، ربة منزل محترفة، ومهنية محترفة، وجميلة محترفة.

تصفيات الجمال الاحترافية

قبل أن تدخل النساء قوةَ العمل بأعداد كبيرة، كان هناك فئة عمل واضحة المعالم لأولئك اللاتي دُفع لهن صراحة مقابل إظهارهن (جمالهن): العاملات في المهن الاستعراضية، مثل عارضات الأزياء، والممثلات، والراقصات، والعاملات في مجال الجنس الأعلى أجراً مثل الداعرات المرافقات. وحتى تحرّرت المرأة، كانت الجميلات المحترفات مجهولات الهوية عادة، وذات مرتبة اجتماعية متدنية، وغير محترمات. ثم كلما زادت النساء قوة، أصبحت مهن الاستعراض مقرونة باحترامٍ وشهرةٍ ومالٍ أكثر: أصبحت هذه الأشياء تحتل مكانة أعلى وأعلى فوق رؤوس النساء الصاعدات حتّى يُقلّدنها.

ما يحدث اليوم هو أن جميع المهن التي تتقدم فيها النساء بخطوات واسعة يتم إعادة تصنيفها بسرعة (بقدر اهتمام وجود النساء فيها) كمهن عروض. ويُصنف

(الجمال)، في المهن والحرف البعيدة عن مهن العروض الأصلية، كنسخة لما يسميه قانون التمييز الجنسي في الولايات المتحدة الأمريكية بي إف أو كيو BFOQ (مؤهل مهني أصلي)، وفي بريطانيا جي أو كيو GOQ (مؤهل مهني أصلي)، مثل الأنوثة للمرضعة، أو الذكورة للمتبرع بالحيوانات المنوية.

قوانين المساواة بين الجنسين تستبعد المؤهل المهني الأصيل باعتباره مثالاً استثنائياً يكون فيه التمييز الجنسي في التوظيف عادلاً؛ لأن الوظيفة نفسها تتطلب نوعاً محدداً من الجنس؛ كاستثناء واعٍ لقانون حكم تكافؤ الفرص، فقد جرى تعريفها على نحوٍ ضيقٍ للغاية. ما يحدث الآن هو أن محاكاةً ساخرةً للمؤهل المهني الأصلي (ما أسميه بشكل أكثر تحديداً بـ PBQ، أو مؤهل الجمال المهني) تتم فيها عملية إضفاء الطابع المؤسسي عليه على نطاق واسع كشرط لتوظيف النساء وترقيتهن. من خلال الاستيلاء بسوء النية على اللغة حسنة النية للمؤهل المهني الأصلي، فإن أولئك الذين يتلاعبون بمؤهلات الجمال المهنية يمكن أن يدافعوا عنها باعتبارها غير تمييزية مع إخلاء المسؤولية بأنها شرط ضروري إذا ما أريد القيام بالعمل بشكل صحيح. لأنه قد تم تطبيق النظام دائم التوسع على نحوٍ كبير على النساء حتى الآن في أماكن العمل وليس على الرجال، فإن استخدامه للتوظيف والترقية (والتحرش والإقالة) هو في الواقع تمييز جنسي، ويجب اعتباره انتهاكاً للمادة السابعة من قانون الحقوق لعام ١٩٦٤ في الولايات المتحدة، وقانون التميز على أساس الجنس لعام ١٩٧٥ في بريطانيا العظمى. لكن ثلاث أكاذيب حيوية جديدة في أيديولوجية (الجمال) نمت خلال هذه الفترة لتمويه حقيقة أن الوظيفة الفعلية لمؤهل الجمال المهني في مكان العمل هي توفير طريقة خالية من المخاطرة والتقاضي للتميز ضد المرأة.

هذه الأكاذيب المركزية الثلاث هي: ١) يجب تعريف (الجمال) بأنه مؤهل شرعي وضروري لصعود المرأة للسلطة. ٢) من الضروري إخفاء المقصد التمييزي للكذبة رقم واحد (خاصة في الولايات المتحدة، استجابةً لخطاب الوصول المتساوي) من خلال اندماجها بقوة في الحلم الأمريكي، بحيث يمكن لأي امرأة الحصول على (الجمال) من خلال العمل الجاد والمشاريع. عملت هاتان الأكذوبتان الحيويتان جنباً إلى جنب على السماح باستعمال أرباب العمل للمؤهلات سالفة الذكر باعتبارها اختبارات ملائمة لاستحقاق المرأة وتوسيع نطاق

واجباتها المهنية. ٣) أُخبرت المرأة العاملة بأن عليها أن تفكر في (الجمال) بطريقة تقوض، خطوة بخطوة، الطريقة التي بدأت تفكر فيها نتيجة نجاحات الحركة النسوية. هذه الكذبة الحيوية الأخيرة طبّقت على حياة النساء الفردية القاعدةَ المركزية للأسطورة: لكل عمل نسوي هناك ردة فعل متساوية ومعاكسة لها. في الثمانينيات كان من الواضح أنه كلما أصبح للنساء أهمية أكبر، أصبح للجمال أهمية أكبر أيضاً. وكلما اقتربت النساء من السلطة، طُلب منهن زيادة الوعي الذاتي بأجسادهن وتضحية أكبر. يصبح (الجمال) شرطاً أمام المرأة لاتخاذ الخطوة التالية. أنتِ الآن غنية جداً، لذلك لا يمكن أن تكوني نحيلة للغاية.

كان التركيز على (الجمال) في الثمانينيات نتيجة مباشرة، وفحصاً وموازنة فردية، لدخول النساء إلى مراكز قوية. لقد جاءت انتصارات إيديولوجيات (الجمال) في الثمانينيات نتيجةً لخوف حقيقي من جانب المؤسسات المركزية في مجتمعنا، حول ما يمكن أن يحدث إذا حققت النساء الحرات تقدماً حراً في هيئات حرة من خلال نظام يطلق على نفسه نظام الجدارة. وبالعودة إلى استعارة المُحوّل، فإن الخوف يكمن في أن قوة تيار الطاقة النسائية غير الموصول بموصل على طول الموجة الأنثوية قد يؤدي إلى انهيار عدم التوازن الدقيق في النظام.

الرابط الأوسط للمُحوّل هو الأيديولوجية الطموحة للمجلات النسائية. من خلال طرح الجدارة بلغة الأحلام (احصلي على الجسد الذي تستحقينه)، (الجسد الرائع لا يأتي دون جهد)، وروح المبادرة (استفيدي الاستفادة القصوى من قدراتك الطبيعية)، والمسؤولية الشخصية المطلقة لحجم الجسم والشيخوخة (يمكنك إعادة تشكيل جسدك بالكامل)، (خطوط وجهك الآن تحت سيطرتك)، وحتى القبول المفتوح (في النهاية أنتِ أيضاً يمكن أن تعرفي أسرار النساء الجميلات عن الجمال التي أخفينها لسنوات)، فتبقى النساء ساعيات لاستهلاك منتجات معلنيهنَّ سعياً في الوصول إلى تحول شخصي كلي في الوضع الذي يقدمه المجتمع الاستهلاكي للرجال على شكل نقود.

من ناحية، فإن الوعد الطموح من مجلات النساء للنساء بأنه بإمكانهن فعل أي شيء بمفردهن هو أمر جاذب للنساء اللواتي قيل لهن حتى وقت قريب إنهن لا يمكنهن فعل شيء بمفردهن. ومن ناحية أخرى، كما تشير عالمة الاجتماع روث سايدل، فإن (الحلم الأمريكي) يحمي دائماً الوضع الراهن:(فهو يثبط من هم

في القاع، وإضافةً إلى ذلك يقوم بتشجيع عقلية إلقاء اللوم على الضحية... وأنه إذا عمل الفرد بجد أكثر، وحاول أكثر، فإنه سوف يصل). لكن أسطورة الجمال الريادي، الجمال غير الطبيعي، تؤذي النساء بالطريقة ذاتها التي يؤذي فيه النموذج الأصلي الرجال، وذلك بإسقاط عبارة: (إذا ما تساوت جميع الأشياء الأخرى).

لقد اكتملت عملية النقل (وهي بالطبع ضارة) عندما تمكنوا من خلال هذا الحلم بإقناع النساء بتقليم رغباتهن واحترامهن لذاتهن بعناية لتناسب المتضبت التمييزية في مكان العمل، مع وضع اللوم في فشل النظام على أنفسهن فقط.

تقبلت النساء متطلبات الجمال المهنية بهدوء أكثر مما فعلته مجموعات العمل الأخرى في ردة فعلها تجاه مطالب أرباب العمل غير المعقولة وغير المرغوب فيها. إن مؤهل الجمال المهني يعمل على تهييج مخازن الشعور بالذنب التي لم يكن هناك وقت كافٍ لتصريفها: بالنسبة إلى النساء المحترفات الأكثر حظاً، يمكن أن يكون هذا الشعور بالذنب متعلقاً بالسلطة التي يمتلكنها، أو بالمتعة (الأنانية) في الالتزام بالعمل الإبداعي؛ وبالنسبة إلى الغالبية العظمى من المعيلات العازبات أو الداعمات للأطفال اللواتي يتقاضين أجوراً متدنية، يكون الشعور بالذنب لعدم تمكنهن من تقديم المزيد، والرغبة في بذل كل جهد ممكن لأسرهن. قنوات مؤهل الجمال المهني تنضح بالخوف: بالنسبة إلى امرأة من الطبقة المتوسطة التي تم تقديرها مؤخراً لاستعدادها للتوافق مع فكرة البقاء في المنزل، فإن الحياة في الشارع والمكتب تحمل الكثير من القلق المجهول، مما يخضعها للفحص العام الذي كانت تتجنبه أمها وجدّتها بأي ثمن. لطالما عرفت النساء العاملات عن الاستغلال الوحشي في مكان العمل، وعن قدرة (الجمال) على تغيير مساره. وتعلمت النساء من جميع الطبقات أن الإنجاز يعتبر قبيحاً وتتم المعاقبة عليه كلٌ بحسبه، وقد سُمح لعدد قليل من النساء من أي طبقة بالتحكم في كثير من الأموال الخاصة بهن.

لاعتياد النساء على النظر إلى الجمال كثروة، فقد كُنَّ منفتحات على فكرة قبول نظام مكافآت مالية مباشر لجمالهن يحل محل نظام المكافآت غير المباشرة المتمثل بسوق الزواج. لم يتم تفحص معادلة الجمال والمال عن كثب، وأعيد تعريف القوة الوهمية للجمال من أجل وعد النساء بنوع القوة التي يحصلها الرجال في الواقع من المال. وباستخدام منطق مشابه لذلك الذي من خلاله

أضافت ربات البيوت في السبعينيات قيمة سوقية لأعمالهن المنزلية، رأت النساء أن نظام (الجدارة) كان غير متوازن بدرجة كبيرة بين الرجال والنساء بالنسبة إلى المرأة المعزولة، فضلاً عن أن تتحداه. وهو ما جعل جزءاً من نفسية المرأة حريصاً على السعي للعمل، والموهبة، والمال المطلوب منهن بالفعل في تجميع صورتهن. وجزء آخر من النساء أدرك بأنه نظراً للطبيعة الباهتة وغير الجذابة لمعظم أعمال النساء، فإنّ مؤهل الجمال المهني يضخ جرعة من الإبداع والسرور والفخر في الوظيفة التي عادة ما تكون مفقودة من الوظيفة نفسها.

وبحلول الثمانينيات من القرن الماضي، أصبح الجمال يقوم في سعي المرأة نحو المكانة الاجتماعية بدور شبيه بالدور الذي تقوم به النقود عند الرجال: وهو حاجز دفاعي للمنافسين الشرسين عن الرجولة والأنوثة. وبما أنَّ كلا نظامي القيمة (المال والجمال) اختزالي، فليس هناك مكافأة كافية على الإطلاق لأيٍّ منهما، ويفقد كلٌّ منها بسرعة أي علاقة بقيم الحياة الحقيقية. على مدار العقد ـ مع تناقص رواج فكرة قدرة المال على شراء الوقت من أجل الراحة والترفيه في السباق الشديد للثروة من أجل الثروة فحسب ـ شهدت المنافسة على (الجمال) تضخماً موازياً: إن الملذات المادية التي قُدّمت ذات يوم كأهدافٍ للجمال (الجنس، والحب، والحميمية، والتعبير عن الذات) قد فُقدت في صراع يائس داخل اقتصاد مُغلق، وأصبحت ذكريات بعيدة وغريبة.

خلفية نظام مؤهل الجمال المهني PBQ

أين بدأ مؤهل الجمال المهني؟ لقد تطور، مثل أسطورة الجمال نفسها، إلى جانب تحرّر المرأة، وشعّ إلى الخارج لمساندة حقوق المرأة المهنية. انتشر، مع إضفاء الطابع المهني للمرأة، من المدن الأمريكية وأوروبا الغربية إلى المدن الصغيرة؛ من العالم الأول إلى العالم الثالث؛ ومن الغرب إلى الشرق. ومع سحب الستار الحديدي (مصطلح يشير إلى سياسة العزلة التي انتهجها الاتحاد السوفياتي)، فإننا من المقرر أن نرى تسارعاً في آثاره في دول الكتلة الشرقية. مركز ومنشأ هذا المؤهل هي مدينة مانهاتن، حيث تتركز العديد من النساء اللواتي وصلن إلى أعلى المستويات في الهرم المهني.

بدأ الأمر في الستينيات عندما بدأت أعداد كبيرة من الطبقة المتوسطة المتعلمة من الشابات في العمل في المدن، والعيش وحدهن، في الفترة بين التخرج والزواج. وجرى في الوقت نفسه الترويج للسحر الجنسي التجاري لمضيفة شركة الطيران، وعارضة الأزياء، والسكرتيرة. تم حصر المرأة العاملة الشابة في صورة نمطية استخدمت الجمال لتقويض جدية العمل الذي كانت تقوم به وآثار استقلالها الجديد. كان كتاب هيلين جوري براون أكثر الكتب مبيعاً عام ١٩٦٢. المسمّى (**الجنس والفتاة العازبة** *Sex and the Single Girl*)، خريطة نجاة في التفاوض حول هذا الاستقلال. لكن عنوانه أصبح شعاراً ألغت فيه الكلمة الأولى الكلمة الثانية. كان لابد أن تُرى الفتاة العازبة العاملة على أنها (مثيرة) حتى لا تبدو أعمالها وحياتها مثل ما كانت عليه حقاً: جادة وخطِرة ومزلزلة. إذا كانت الفتاة العاملة مثيرة، فإن إثارتها ستجعل عملها يبدو سخيفاً، لأن الفتيات سرعان ما سيصبحن نساء (يكبرن بالعمر).

في حزيران/يونيو عام ١٩٦٦ تأسست المنظمة الوطنية للمرأة في أمريكا، وفي نفس العام تظاهر أعضاؤها ضد فصل مضيفات الطيران في سن الثانية والثلاثين وعند زواجهن. عام ١٩٦٧ بدأت لجنة تكافؤ فرص العمل في عقد جلسات استماع حول التمييز الجنسي. وغزت نساء نيويورك غرفة أوك الفندقية للذكور فقط في فندق بلازا هوتيل في شباط/فبراير ١٩٦٩. وفي عام ١٩٧٠، اتُّهمت مجلتا تايم ونيوزويك بالتميز على أساس الجنس، ورفعت اثنتا عشرة من مضيفات الطيران عبر العالم دعوى بملايين الدولارات ضد شركة الطيران. بدأت مجموعات زيادة الوعي في التشكل، ودخلت النساء اللواتي كان قد تم تسييسهن كطالبات إلى سوق العمل، مصممات على جعل قضايا المرأة، بدلاً من القضايا المتعلقة بالحرب والحرية، على رأس أولوياتهن.

بعيداً عن حالة الهيجان، ولكن مستفيدة بشكل كبير منه، كان يتم بهدوء صياغة قانون. ففي عام ١٩٧١، حكم قاضٍ على امرأة بفقدان ثلاثة أرطال أسبوعياً أو الدخول إلى السجن. وفي عام ١٩٧٢، حُكِم بأن (الجمال) شيء يمكن أن تكسب المرأة من خلاله وظيفتها أو تفقدها قانونياً: حدّد مجلس استئناف حقوق الإنسان في ولاية نيويورك، في قضية سانت كروس ضد نادٍ إباحي في نيويورك، أنه في إحدى المهن الواضحة للغاية (جمال) المرأة هو مؤهل أصيل للتوظيف.

ثم تم فصل الموظفة مارغريتا سانت كروس النادلة في نادٍ إباحي (لأنها قد فقدت صورتها الأرنبية). وقد قيّمت معايير التوظيف في النادي النادلات على النحو التالي:

١. جمال لا تشوبه شائبة (الوجه، والشكل، والتبرج).

٢. فتاة جميلة على نحوٍ استثنائي.

٣. على الحافة (تظهر عليها علامات بداية الشيخوخة، أو أنها قد حدثت مشكلة في المظهر قابلة للتصحيح).

٤. فقد الصورة الأرنبية (إما عن طريق الشيخوخة، أو بسبب مشكلة في المظهر غير قابلة للتصحيح).

بينما نظراء مارغاريتا كروس الذكور الذين كانوا يقومون بنفس العمل وفي نفس المكان (لم يخضعوا لتقييمات من أي نوع).

طلبت مارغاريتا كروس من مجلس الإدارة أن تقرر أنها ما زالت جميلة بما فيه الكفاية للحفاظ على وظيفتها، بعد أن وصلت كما قالت إلى مرحلة (الانتقال الفسيولوجي من ذلك المظهر الشبابي المنعش الجميل إلى مظهر المرأة الراشدة). لكنَّ المتحدثين باسم مؤسسة هيفنر قالوا للمجلس إنها لم تكن كذلك. توصل المجلس إلى قراره باعتبار كلام هفنر وتجاهل كلام كروس، بافتراض أن صاحب العمل هو أكثر مصداقية حول جمال المرأة من المرأة نفسها، باعتبارها ذات مصلحة في تغيير الحقيقة: بأن التقييم كان (في حدود اختصاص) نادٍ إباحي ليقرر. ولم يعطوا أي وزن لخبرة مارغاريتا كروس حول ما يُشكّل (الصورة الأرنبية).

في نزاعات التوظيف العادية، يحاول صاحب العمل إثبات أن الموظف يستحق أن يتم فصله، في حين يحاول الموظف إثبات أنه أو أنها تستحق الحفاظ على وظيفته أو وظيفتها. عندما يكون (الجمال) هو المؤهل المهني يمكن أن تقول المرأة إنها تقوم بعملها، يمكن أن يقول صاحب العمل إنها لا تقوم بذلك، ومع هذا الحكم يفوز رب العمل تلقائياً.

حدد مجلس الاستئناف في حكمه مفهوماً أطلق عليه (معايير قرب الكمال). إن الحديث في محكمة قانونية عن شيء خيالي كما لو كان حقيقياً يجعله حقيقياً.

منذ عام ١٩٧١، اعترف القانون بوجود معيار للكمال في أماكن العمل يحاكم إليه في الحكم على جسد المرأة، وأنه إذا لم تصل إليه فقد يتم فصلها. بينما (معيار الكمال) لجسد الذكر لم يُعرف تحديده بنفس الطريقة قانونياً. على الرغم من تعريف معيار الكمال الأنثوي بشكل مادي، إلا أن معيار الأنثى نفسه لم يتم تعريفه أبداً. وهذه الحالة وضعت أساسات المتاهة القانونية التي يتطوّر فيها مؤهل الجمال المهني PBQ: يمكن فصل المرأة لمظهرها غير المناسب، مع بقاء المظهر المناسب مفتوحاً للمحاكمات.

قالت غلوريا ستاينم: (جميع النساء أرانب). كانت قضية مارغاريتا كروس قصة رمزية للمستقبل: قد يمكن القول إن (الجمال) أمر ضروري للمرأة حتى تقوم بعمل جيد، إلا أن ذلك المفهوم من توظيف الإناث قد تم تبنّيه عموماً كنموذج لجميع النساء في العمل. تعمقت حقيقة تعليق ستاينم خلال العقدين التاليين، في أي مكان حاولت النساء فيه الحصول على عمل مدفوع الأجر والتشبث به.

وفي عام ١٩٧١ ظهر نموذج أولي لمجلة مس *Ms*. وفي عام ١٩٧٢ تم تمرير قانون تكافؤ فرص العمل في الولايات المتحدة، وحظر البند التاسع المتعلق بالتمييز الجنسي في التعليم. بحلول عام ١٩٧٢، أصبحت المرأة تشغل ٢٠ بالمئة من المناصب الإدارية في أمريكا. وفي عام ١٩٧٥، اضطرت كاثرين ماكديرموت لمقاضاة شركة زيروكس لسحب عرض عمل منها على أساس وزنها. ثم شهدت السبعينيات تدفق النساء إلى المهن بطريقة لم يعد من الممكن اعتبارها متقطعة أو عارضة أو ثانوية باعتبار دورهن الأساسي كزوجات وأمهات.

في عام ١٩٧٨ في الولايات المتحدة، كان سُدس مرشحي ماجستير إدارة الأعمال وربع المحاسبين المتخرجين من النساء. لكن أيضاً قامت الخطوط الجوية الوطنية بفصل المضيفة إنغريد فيي لأنها كانت (سمينة للغاية) (٤ أرطال فوق الوزن الأقصى). في عام ١٩٧٧، تحدثت روزالين كارتر واثنتان من السيدات الأوائل السابقات في مؤتمر هيوستن الذي عقد في هيوستن تحت مسمّى الآن NOW. وفي عام ١٩٧٩، أُنشئت سياسة المشاريع التجارية الوطنية للمرأة لدعم الأعمال التجارية النسائية؛ ولكن في تلك السنة أيضاً حكم قاضٍ فيدرالي بأن لأصحاب العمل الحق في تحديد معايير المظهر. بحلول العقد الجديد، أصدرت سياسة حكومة الولايات المتحدة مرسوماً بأن المرأة العاملة يجب أن تؤخذ على

محمل الجد، وأن القانون ينص على وجوب أخذ مظهرها على محمل الجد. الوظيفة السياسية لأسطورة الجمال واضحة في توقيت هذه القوانين؛ فعندما ملأت النساء المجال العام انتشرت القوانين حول المظهر في مكان العمل.

ما المظهر الذي يجب أن يبدو عليه هذا المخلوق، أي هذه المرأة المهنية الجادة؟

طرحت الصحافة التلفزيونية بشكل واضح إجابتها. انضمت إلى المذيع المرموق مذيعة أصغر سناً بكثير مع مستوى جمال مهني معين. تلك الصورة المزدوجة ـ الرجل الأكبر سناً، المصفوف والمميز، إلى جانب أنثى صغيرة السن بمواد زينة كثيفة ـ أصبحت هي النموذج للعلاقة بين الرجل والمرأة في مكان العمل. لقد كانت وما زالت قوة استعارتها واسعة الانتشار: مؤهل الجمال المهني، الذي كان يهدف في البداية إلى تجميل الحقيقة المزعجة بتولي المرأة سلطة عامة، وانتشر ذلك انتشاراً واسعاً، إلى أن تم تعيين الجميلات المحترفات ليصبحن صحفيات على التلفاز. بحلول الثمانينيات من القرن العشرين، جعل الوكلاء الذين اختاروا المذيعين ذوي المكانة المرموقة أشرطة الاختبار الخاصة بهم تحت فئات مثل: (مذيعون ذكور مرموقون: من ٤٠ إلى ٥٠)، دون وجود أي فئة مماثلة من النساء، وجُعل المظهر الخارجي للمذيعات المميزات في التقييم أكثر أهمية من مهارات الإنجاز أو من خبراتهن.

إن رسالة فريق الأخبار، والتي ليس من الصعب قراءتها، هي أن الرجل القوي ذو شخصية مميزة، سواء كانت تلك الشخصية يُعبر عنها بميزات غير متناظرة، أو خطوط، أو شعر رمادي، أو خصلات الشعر الخارجية، أو الصلع، أو البدانة، أو التشوهات في الوجه، أو الرقبة البالية؛ وأن نضجه هو جزء من قوته. إذا ما طُبّق معيار واحد على النساء والرجال في الصحافة التلفزيونية، فإن معظم الرجال سيكونون عاطلين عن العمل. لكن النساء بجانبهن بحاجة إلى شباب وجمال ليدخلن نفس المسرح. يقدم الشباب والجمال، المغطى بمكياج كثيف، المذيعة المرموقة باعتبارها شيئاً ثانوياً، أي شيئاً مشابهاً للمذيع المرموق؛ في المصطلح العامي للصناعة. ما هو عام يمكن استبداله بسهولة. إذاً مع الشباب والجمال يصبح من الممكن النظر إلى المرأة العاملة، لكن تكون مع ذلك غير آمنة، ما

يجعلها تشعر أن صفاتها ليست فريدة من نوعها. لكنها أيضاً تكون من دونها غير مرئية، أي تقع حرفياً (خارج الصورة).

يرمز ويعزز وضع المرأة في التلفاز مؤهلات الجمال المهنية على العموم، فالأقدمية لا تعني التمكين وإنما الإزالة، فمن بين المذيعين التلفزيونيين المرموقين فوق سن الأربعين هنالك ٩٧ في المئة ـ كما تدّعي المذيعة المرموقة كريستين كرافت ـ ذكور، وأمّا (الـ ٣ بالمئة الآخرون فهم من النساء الأربعينيات اللواتي يبدون أصغر من أعمارهن). وأضافت: «المذيعات المرموقات الأكبر سناً يمررن عبر (كابوس حقيقي)، لأنهن قريباً لن يكنَّ جميلات بما فيه الكفاية (للقراءة الأخبار على التلفاز بعد الآن). أما إذا كانت المذيعة (جميلة)، فإنها ستتعرض للمضايقة باستمرار لأنها من النوع الذي حصل على وظيفته فقط بسبب المظهر».

تم وضع اللمسات الأخيرة على الرسالة الموجهة للنساء العاملات، وهي: يمكن أن تكون أكثر النساء العاملات رمزية في الغرب ظهوراً إذا كُنّ (جميلات)، وحتى لو كُنّ سيئات في عملهن؛ يمكن أيضاً أن يكُنّ جيدات في عملهن و(جميلات)، وبالتالي ظاهرات، ولكن لن يحصلن على فضل الاستحقاق والجدارة؛ أو يمكن أن يكُنّ جيدات و(غير جميلات)، وبالتالي غير مرئيات، ولذلك جدارتهن لن تُفيدَهنّ. أما الملاذ الأخير، فيمكن أن يكُنّ جيدات وجميلات كما يردنَ أن يكُنّ ولفترة طويلة، ولكن حتى بعد ذلك مع التقدم في السن وبداية الشيخوخة سيختفين. هذا الوضع يمتد الآن في جميع أنحاء القوى العاملة.

إن ذلك المعيار المزدوج للمظهر بين الرجال والنساء يتصل كل صباح ومساء بجماعات النساء العاملات، كلما حاولن الاتصال بأحداث عالم(هن). وأطّرت معضلتهن هذه نافذتهن على التطورات التاريخية. إن محاولة معرفتهن ما يجري في العالم دائماً ما تنطوي على تذكيرهن بأنّ ذلك يحصل في العالم.

عام ١٩٨٣، تلقت النساء العاملات حكماً حاسماً عرفن منه مدى رسوخ مؤهل الجمال المهني PBQ، وإلى أي مدى يمكن أن يستمر على نحوٍ قانوني. رفعت السيدة ذات الستة والثلاثين عاماً كريستين كرافت Christine Craft دعوى ضد رب عملها السابق، شركة ميتروميديا، في مدينة كنساس بتهمة التميز الجنسي. وقد تم فصلها على أساس أنه، كما نقلت كريستين كرافت عن ربّ عملها، كانت (كبيرة جداً في السن، وغير جذابة أبداً، وليست مراعية لرغبات الرجال).

جاءت إقالتها بعد شهور بناء على مقتضيات مؤهل الجمال المهني بسبب خرق عقدها وإهانتها لنفسها، وذلك على حساب وقتها ومالها، وخضعت للتنسيقات والتحويلات على مدار الساعة، وقُدّم لها جدول يومي للملابس التي ينبغي ارتداؤها وهو ما لم تكن لتختاره بنفسها، ثم طُلِب منها دفع ثمنها. لم يطلب من أيّ من زملائها الذكور القيام بمثل هذه الأشياء. وأظهرت شهادات من مذيعات مرموقات أخريات أنهن قد شعرن بالإجبار على ترك العمل بسبب (الهاجس المتعصب) لشركة ميتروميديا تجاه مظهرهن.

عُيِّنت نساء أخريات لتنفيذ المحاكمة. أُهينت كرافت من قبل زملائها على الكاميرا. قال أحدهم إنها كانت مثليّة؛ سألت كرافت في بث قناة إخبارية وطنية إذا ما كانت ديان سوير Diane Sawyer (التي بعد ستّ سنوات على ذلك، عندما حصلت على راتب من ستة أرقام، تمّ تقييم مظهرها على غلاف مجلة تايمز مع عنوان (هل تستحق ذلك؟)) (فريدة بالفعل بين النساء) في (افتقارها) لمهارات الظهور). أرباب عملها لم يفعلوا شيئاً تجاه كلامها ذلك بسبب ما يغرسه عادة هذا التمييز ضد ضحيته: الخجل الذي يضمن الصمت. لكن كتبت كرافت بتحدٍّ: (ستكون ميتروميديا مخطئة إذا ما اعتقدت أنّ المرأة لن تعترف مطلقاً بأن هنالك من نعتها بأنها قبيحة).

تثبت روايتها كيف يتسرّب هذا التمييز إلى الأماكن التي لا يستطيع الآخرون الوصول إليها، فيسمّم المنبع الخاص الذي ينبثق منه احترام الذات: (على الرغم من أنني ربما رفضت فكرياً التصريح بأنني غير جذابة، مع ذلك في أعماق نفسي شعرت أنّ شيئاً ما حول وجهي كان من الصعب النظر إليه، إن لم يكن مشوّهاً. من الصعب أن تكوني فاتنةً حتى بشكل معتدل عندما تشعرين بالانزعاج من وجهة نظر مُحبطة مثل هذه). لا يمكن لربّ العمل أن يثبت عدم كفاءة الموظف بمجرد إعلان أنه كذلك. لكن لأن (الجمال) يسكن في عمق النفس، في مكان يختلط فيه الجنس مع احترام الذات، وبما أنه عُرّف على نحوٍ مفيد على أنه شيء يتم منحه باستمرار من الخارج ويمكن دائماً أن يحرمك أحدٌ منه، فإن إخبار المرأة بأنها قبيحة يمكن أن يجعلها تشعر بالقبح فعلاً، وتتصرف كما لو أنها قبيحة، بل وحتى تكون قبيحة في مكان يجعلها فيه شعورها بالجمال تشعر بأنها كاملة.

لا توجد امرأة جميلة للغاية ـ تعريفاً ـ يمكن أن تكون واثقة من النجاة من عملية قضائية جديدة تقدم فيها الضحية لمحنة مألوفة عند النساء نتيجة التجارب الأخرى التي مرت بها: النظر إليها من أعلى إلى أسفل لرؤية كيف أن ما حدث لها هو ناتج خطئها هي. وبما أنه لا يوجد شيء (موضوعي) حول الجمال، يمكن للنخبة الحاكمة عند الضرورة أن تشكل إجماعاً لتجريد (الجمال) بعيداً عن امرأةٍ ما. إن القيام بذلك لامرأة علنياً عبر منصة شهود هو دعوةٌ لكل العيون لتأكيد قبحها، والذي يصبح واقعاً يراه الجميع. تضمن عملية الإكراه القانوني هذه إمكانية القيام بمشهد مهين على حسابها، وضد أي امرأة من أي مهنة إذا ما اتّهمت أنّ هناك تمييزاً جمالياً ضدها.

كانت العظة في محاكمة كريستين كرافت هي أنها خسرت: فعلى الرغم من وجود محلفين لها دعموها، إلا أنَّ القاضي قام بإلغاء أحكامهم. بدا أنها قد وُضعت على القائمة السوداء في مهنتها نتيجة لقتالها القانوني. هل أثّر مثالها على النساء الأخريات في مهنتها؟ (هناك الآلاف من كريستينا كرافت). أخبرتني إحدى المراسلات، (إننا فقط نلتزم الصمت. من ذا الذي يستطيع النجاة من القائمة السوداء؟).

المدافعون عن حكم القاضي ستيفنز برّروا ذلك على أساس أنه لم يكن تمييزاً جنسياً وإنما منطق السوق. إذا لم تجذب مقدمة التلفاز المشاهدين، فإنها لم تقم بعمل جيد. الأمر الراسخ المخفي هنا (جلب المشاهدين، والمبيعات، والعملاء، أو الطلاب من خلال (جمالها)) بعد تطبيقه على النساء، أصبح ميراثاً نقلته قضية كرافت إلى النساء العاملات في كل مكان.

كانت نتيجة المحاكمة واحدة من تلك العلامات الفارقة التي شهدتها المرأة في الثمانينيات، وشعرت كأنها حبلٌ مشدود حول الرقبة، وعرفت أنها يجب أن تستمر ولا تتوقف. عندما قرأت الخلاصة، أدركت أنّ عليها أن تنأى بنفسها عن معرفتها بشبهها الكبير بكريستينا كرافت. وربما تكون قد تفاعلت مع ذلك ببدء نظام غذائي جديد، أو شراء ملابس جديدة باهظة الثمن، أو تحديد موعد لعملية رأب الجفن. وسواء كان ذلك بوعي أو دون وعي، فهي على الأرجح قد تفاعلت؛ حيث نمت مهنة (مستشار الصور) ثمانية أضعاف في ذلك العقد. وانصهر مفهوم المرأة والعمل مع (الجمال) خارج المهن الجنسية في اليوم الذي فقدت فيه

كرافت قضيتها، وبدأت دورة أوسع من الأمراض. ربما قالت النساء لأنفسهن: لن يحدث ذلك لي كما حدث لكرافت؛ لكنه حدث بالفعل.

القانون يدعم ثورة التجميل

حدث هذا وما زال يحدث للنساء العاملات، حيث عزز القانون موقف أرباب العمل من خلال سلسلة من الأحكام البيزنطية التي ضمنت أن ينمو قانون مؤشر الجمال المهني بمرونة أكبر كأداة للتميز. طور القانون تشابكاً من التناقضات شلّ حركة المرأة: في حين أن أحد الأحكام (حكم قضية ميلر ضد بنك أوف أمريكا) خلط بين الانجذاب الجنسي والتحرش الجنسي، ورأى أن القانون ليس له دور يقوم به في نزاعات التوظيف التي تركز على (الجاذبية)، قررت المحكمة أنه بما أن ذلك (ظاهرة جنسية طبيعية) وهي (تقوم على الأقل بدور جزئي خفيٍّ في معظم قرارات الموظفين)، فإنه لا ينبغي على المحكمة الخوض في (مثل هذه الأمور). وخلصت المحكمة في قضية أخرى (بارنز ضد كوستل) إلى أنه إذا كانت الخصائص الجسدية الفريدة للمرأة (الشعر الأحمر، مثلاً، أو الثدي الكبير) هي الأسباب التي قدمها صاحب العمل عن المضايقات الجنسية، فهذا يعني أن مظهرها الشخصي هو القضية وليس جنسها، وفي هذه الحالة لا تتوقع الحماية بموجب الباب السابع من قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤. مع هذه الأحكام، أصبح جمال المرأة هو وظيفتها وخطؤها في آن واحد.

طُوّر قانون الولايات المتحدة لحماية مصالح هيكل السلطة من خلال إنشاء متاهة قانونية تحجب فيها أسطورة الجمال كل مسار حتى لا تستطيع أي امرأة (أن تظهر بمظهر حسن) وتفوز. فقدت مارغاريتا كروس وظيفتها لأنها كانت (كبيرة) جداً و(قبيحة) جداً، وفقدت كرافت وظيفتها لأنها كانت (كبيرة) جداً و(قبيحة) جداً، (غير أنثوية)، ولم ترتدِ ما يُرضي. وهذا قد يجعل المرأة تظن أن القانون سوف يعاملها بشكل عادل في نزاعات العمل إذا أدّت ما عليها، أي بدت جميلة وارتدت ما يجعلها تبدو أنثوية.

وعلى الرغم من ذلك ستكون مخطئة على نحوٍ خطير إذا ما ظنّت ذلك. لننظر إلى حال امرأة عاملة أمريكية تقف أمام خزانة ملابسها، وتتخيل صوت المستشار القانوني ينصحها حول كل لباس تخرجه من داخل الخزانة.

(هل هذا أنثوي؟).

تسأل المرأة (كردّة فعل لقرار كرافت؟).

«نعم، كان يجب أن تسألي عنه».

وفي عام ١٩٨٦، رفعت ميشيل فينسون دعوى تمييز جنسي في مقاطعة كولومبيا ضد ربّ عملها (بنك ميريتور للادخار) على أساس أن مديرها قد قام بالتحرش الجنسي بها، وأخضعها للمداعبة وكشف ملابسها ثم اغتصابها. كانت فينسون شابة و(جميلة) وتختار ملابسها بعناية. قضت محكمة المقاطعة بأن مظهرها قد عمِل ضدها: يمكننا سماع شهادة عن ملابسها (المثيرة) لنقرّر ما إذا كانت مضايقتها (موضع ترحيب).

هل كانت ترتدي ملابس مثيرة؟

قال محاميها في حالة من السخط: «كانت ميشيل فينسون ترتدي ملابس».

لقد اعتبروا أن جمالها داخل ملابسها دليل على أنها ترحّب بالاغتصاب من ربّ عمله.

حسناً، أنثوية، لكن ليست أنثوية جداً، إذاً.

احذري: في قضية هوبكنز ضد برايس ووترهاوس، حُرمت السيدة هوبكنز من شراكة لأنها كانت بحاجة إلى أن تتعلم (المشي بشكل أكثر أنوثة، وتتحدث بشكل أكثر أنوثة، وترتدي ملابس أكثر أنوثة، وأن تضع الماكياج.

ربما لم تكن تستحق شراكة؟

لقد جلبت أموالاً للشركة أكثر من أي موظف آخر.

حسناً، ربما أكثر أنوثة قليلاً.

ليس بهذه السرعة. تم طرد الشرطية نانسي فضل Nancy Fadhl لأنها كانت (أشبه بسيدة إلى حدٍّ بعيد).

حسناً، أقل أنوثة. لقد أزلت أحمر الخدود الذي كنت قد وضعته.

يمكن أن تفقدي وظيفتك إذا كنت لا تضعين مساحيق التجميل. انظري قضية تاميني ضد شركة هوارد جونسون.

ماذا عن هذه، أليست... ملائمة للمرأة؟

آسف. يمكن أن تفقدي وظيفتك إذا لبستِ مثل المرأة. في قضية أندريه ضد شركة بنديكس، تمّ الحكم بأنه (غير مناسب لمشرفة) على النساء أن ترتدي مثل (المرأة).

ماذا علي أن أفعل؟ أرتدي كيساً؟!

حسناً، كان على النساء في قضية بورين ضد مدينة شيكاغو الشرقية أن (يرتدين ما يُغطّين به أنفسهن من الرقبة وحتى إصبع القدم) لأن الرجال في العمل كانوا (قذرين) نوعاً ما.

ألن يخرجني دستور اللباس في العمل من كل هذا؟

لا تراهني على ذلك. في قضية دياز ضد كولمان، قام أحد أرباب العمل بتعيين كود لباس من التنانير القصيرة، ثم قيل إنه قد تحرّش جنسياً بهن؛ لأنهن ارتضين الامتثال لمثل ذلك النوع من اللباس.

هذا الأمر سيكون مضحكاً لو كان قصة تخيلية. وعندما نرى أن القانون البريطاني قد طور وضعاً قانونياً لا مجال فيه للفوز، وضعاً قريباً جداً من هذا الوضع، فهذا يعني أن نمطاً ما بدأ بالظهور.

يمكننا أن نحفظ المرأة البريطانية من الجولة الإرشادية المحيّرة من خلال خزانة ملابسها: الوضع هو نفسه إن لم يكن أسوأ. يُعرّف قانون GOQ (مؤهل مهني أصلي) بأنه يسمح (بالتمييز الجنسي) عندما تتطلب الوظيفة ـ إضافةً إلى الأمور الأخرى اللازمة للوظيفة ـ (الشكل الجسدي أو الصحة، مثل عارضات الأزياء والممثلين). لكن منذ عام ١٩٧٧، فُسّرت قضية شميدت ضد أوستيك بوكشوبس بشكل واسع بأن جُعِل أمر تعيينها وإقالتها بشكل عام قانونياً على أساس المظهر المادي. فقدت الآنسة شميدت وظيفتها وخسرت قضيتها لأنها ارتدت بنطالاً لعملها في محل لبيع الكتب. رفضت محكمة استئناف العمل قضيتها، التي استندت إلى حقيقة أن قانون اللباس كان أكثر تقييداً على النساء من

الرجال، من خلال الحكم بأن لصاحب العمل (قدراً كبيراً من حرية التصرف في التحكم في صورة مؤسسته)، وليس ذلك فحسب، وإنما أيضاً بأن الموضوع برمته عديم الأهمية: حكمت بأنّ إخبار المرأة ما ترتدي ليس أكثر من موضوع تافه. في قضية إرميا ضد وزارة الدفاع، كان يتجنب أرباب العمل توظيف النساء في أعمال عالية الأجر على أساس أنها كانت أعمالاً قذرة وسيفسدن مظهرهن. قال اللورد دينتج في حكمه بعد تأمل: (شعر المرأة هو مفخرتها... وهي لا تحبّ أن يبعثر، خاصة عندما تكون قد أنهت عمل (تسريحتها) للتو). وأكّد محامو أصحاب العمل أن إجبار النساء على إفساد تسريحاتهن لتحصيل أجور عمل أعلى من شأنه أن يؤدي إلى اضطرابات صناعية.

في عام ١٩٨٧ تم مهاجمة الخطوط الجوية دان آير لتوظيفها الفتيات الشابات الجميلات فقط كطواقم في الهواء، ودافعت عن تمييزها بأنّ العملاء يفضّلون النساء الشابات الجميلات. (بعد سنتين، قام ناشر صحيفة (يو إس إيه توداي *USA Today*)، في افتتاحيةٍ، باستخدام نفس المنطق، بالدعوة إلى العودة إلى الأيام التي كان يتم فيها تعيين المضيفات الصغيرات في السن والجميلات ثم تسريحهن بعد النضج).

في قضية مورين مورفي وايلين دافيدسون ضد ستاكيس ليجر، يمكننا أن نرى موجة المستقبل. أُجبرت النادلات على تغييرٍ في (الهيئة) ليظهرن في زيٍّ (أكثر كشفاً)، وأُجبرنَ على وضع مساحيق التجميل وطلاء الأظافر. وصفت إحدى النادلات تلك الأزياء بأنها قد أُخذت مباشرة من رواية شهوانية، وهي تتألف من تنورة قصيرة ومشد خارجي أو باسكي شديد الضيق للدرجة التي تنزف النساء منه تحت أذرعهن. كانت إحدى النساء ممن رفعن دعوى ضده حاملاً عندما أُجبرت على ارتدائه. واعترفت الإدارة بأن التغيير قد تم فرضه على النساء كجالب جنسي للعملاء الذكور. بالمقابل لم تُفرض أي متطلبات مثل تلك على النوادل (وبالمناسبة، فإن التزام النادلات بالظهور في حالة تعرٍّ أمام الجنس الآخر ينتهك حكم قضية سيسلي ضد أجهزة الأمن البريطانية، التي قضت بأن قانون التميز على أساس الجنس لعام ١٩٧٥ يمكن أن يستخدم (للحفاظ على اللياقة أو الخصوصية) من الجنس الآخر في حين (وجودهن في حالة تعرٍّ)). ولم يستطع محامو المرأتين الوصول إلى أي نتيجة في الإشارة إلى أن الماكياج، والملابس الكاشفة، وطلاء

الأظافر، يحول نظام اللباس إلى جنسي بطريقة لا يمكن أن تكون موازية للرجال. رُفضت هذه القضية أيضاً باعتبارها أتفه من أن يُنظر فيها. خسرت المرأتان القضية لكنهما حافظتا على وظيفتهن ـ لمدة ستة أسابيع ـ ثم تم طرد كليهما، فقامتا برفع دعوى ضد فصلهما غير العادل.

لذا إذا رفضت ارتداء زيٍّ يستثمر جنسياً في العمل في بريطانيا العظمى، فقد تفقدين وظيفتك. ولكن في قضية سنوبال ضد شركة جاردنر ميرشانت المحدودة، وايلمان ضد شركة مينيليك للهندسة المحدودة، تم الحكم بأن جنسانية المرأة ذات علاقة وثيقة في الحد من الضرر الذي يلحق بها بسبب التحرش الجنسي. في الحالة الثانية، حصلت الآنسة ويلمان على مبلغ مالي تعويضي باعث على السخرية، وهو خمسون باونداً (خمسة وسبعون دولاراً)، لمضايقات استمرت أربع سنوات ونصفاً، على أساس أن ما حدث لها لا يمكن الدفاع عنه أكثر من ذلك، بسبب أنها كانت ترتدي (ملابس غير كافية ومثيرة) في العمل، فحكمت المحكمة: (إذا سارت فتاة في محل بملابس مثيرة وتمايلت، فليس من المستبعد أن تتعرض هذه الفتاة للمضايقات). قبلت المحكمة شهادة الرجال بأنّ ملابس السيدة ويلمان مثيرة جنسياً. محاولة الآنسة ويلمان بترديد الصدى الحزين لمحامي ميشيلا فينسون عندما احتجت على أن ملابسها حتماً لم تكن (غير كافية ومثيرة) تم تجاهلها في الحكم.

بوجود هذه الأحكام كأحكام معمول بها، تم منح الإذن الاجتماعي للأثر الانتشاري لقانون مؤهل الجمال المهني. انتشر ذلك إلى موظفات الاستقبال والمعارض الفنية، وعاملات شركات المزاد، والنساء في الدعاية، وتجارة البضائع والسلع، والتصميم والعقارات، وصناعات التسجيل والأفلام، وإلى النساء في الصحافة والنشر؛ ثم إلى صناعات الخدمات: النادلات، والساقيات، والمضيفات، وموظفات تقديم الطعام في الأماكن الراقية. هذه هي الوظائف المتعلقة بالجمال بشكل مكثف التي توفر قاعدة لطموحات الجميلات الريفيات والمحليات والإقليميات اللاتي يتدفقن إلى المراكز الحضرية في البلاد، والمصممات على الوصول و(تحقيق هدفهن) في مهن العرض، ليصبحن ـ على نحوٍ مثلي ـ عارضات الأزياء الأمريكيات اللواتي يعملن بدوام كامل والبالغ عددهن ٤٥٠ عارضة أزياء، ويشكلن فرق النخبة، واللواتي تم نشرهن بطريقة تُبقي على ١٥٠ مليون امرأة

أمريكية في طابور الانتظار (خيال عارضة الأزياء هو على الأرجح الحلم المعاصر الأكثر انتشاراً بين النساء الشابات من جميع الخلفيات).

ثم تم تطبيق مؤهل الجمال المهني على كل وظيفة تضع النساء في اتصال مع الجمهور. إحدى المديرات التي أعرفها، والتي تعمل في سلسلة محلّات شراكة جون لويس البريطانية، والتي أعطت وظيفتها (كل ما تستطيع من جهد)، تم استدعاؤها من قِبل مشرفها ليخبرها أنه سعيد للغاية بمستوى عملها، إلا أنها (بحاجة إلى بعض التحسين من الرقبة فما أعلى). كان يريدها أن ترتدي ما أسمته (قناعاً) من مساحيق التجميل، وأن تبيّض وجهها وتسرّح شعرها. أخبرت صديقة: (لقد جعلني أشعر وكأن كل العمل الذي قمت به لم يكن مهماً بقدر ما يهم شكلي وارتدائي لتلك الملابس مثل فتاة جميلة لكن حمقاء. لقد جعلني أشعر أنه لا فائدة من القيام بعملي على نحوٍ جيد)، وأضافت: (أما الرجال، فلم يطلب منهم أن يفعلوا أي شيء مشابه).

ثم تم تطبيقه على كل عمل تواجه فيه امرأة رجلاً آخر: نُقل عن امرأة أمريكية تبلغ من العمر أربعة وخمسين عاماً في كتاب جنسانية المنظمة *The Sexuality of Organization* أن رئيسها استبدلها يوماً دون سابق إنذار، (لقد أخبرها أنه يريد أن ينظر إلى امرأة أصغر سناً ترفع له معنوياته)، وقالت إن (سنّها... لم يسبق أن أزعجها أبداً قبل أن يَذكر ذلك لها). وأما الآن فقد صار قانون مؤهل الجمال المهني موجوداً في كل وظيفة لا تعمل فيها المرأة في عزلة تامة.

لسوء الحظ، لا تستطيع النساء العاملات الحصول على مشورة قانونية عندما يخترن ملابسهن في الصباح. لكنهن يستشعرن أن هذه المتاهة موجودة. هل من المفاجئ أنه بعد مرور عقدين من الزمن على التطور القانوني لمؤهل الجمال المهني PBQ ظلّت النساء العاملات متوترات إلى درجة الجنون حول مظهرهن؟ إنّ ما ينشأ عندهن من اضطراب عصابي ليس لعدم توازن عقل الأنثى، وإنما ردود فعل عاقلة على الوضع المحير والتلاعب المتعمد في مكان العمل. فمن الناحية القانونية، ليس لدى النساء ما يرتدينه.

وصف علماء الاجتماع التأثير الذي يحدث للنساء بسبب ما تقننه هذه القوانين من أمور؛ حيث ذكرت عالمة الاجتماع ديبورا ل. شيبارد، في كتاب جنسانية المنظمة، اكتشافها بأن (القواعد والمبادئ التوجيهية غير الرسمية حول مدى ملاءمة

المظهر ذات تحولٍ مستمر، وهو ما يساعد على تفسير المظهر المستمر للكتب والمجلات التي توجه النساء كيف عليهن أن يظهرن ويتصرفن في العمل). إلا أن علماء الاجتماع التنظيميين لم يتطرقوا لفكرة أنها تستمر في التحول لأنها مضبوطة بحيث تستمر في التحول.

تقول شيبارد: (نعتقد النساء بأنهن يواجهن باستمرار تجربة مزدوجة بأن يكنّ (أنثويات) و(عمليات) في نفس الوقت، بينما لا يلمسن بأن الرجال يعانون من نفس التناقض). (عمليات ولكن أنثويات)، هو وصف مفصل للملابس التي تُباع في كتالوجات الطلبات البريدية التي تستهدف النساء العاملات، وهذه الثنائية المراوغة هي التي تسببت في ردة الفعل القوية في الولايات المتحدة تجاه سلسلة من الإعلانات لشركة تصنيع الملابس الداخلية التي أظهرت ملابس عمل تنفخها الرياح وتكشف شيئاً فشيئاً عما تحتها من ملابس عارية. إن الكلمتين (عملية) و(أنثوية)، كما رأينا، تستخدم كلٌّ منهما للتلاعب بالأخرى، والمرأة محاصرة في وسطهما.

وتخلص شيبارد إلى أنه: (تدرك النساء أنهن معرضات باستمرار لانتهاكات غير متوقعة لتوازنهن في اللباس... حيث تشعر النساء بخصوص المظهر أنه بإمكانهن بسهولة ممارسة بعض السيطرة حيال كيف سيستجيب الرجال لمظهرهن)، لكنهن (يلمسن أيضاً أنهن بحاجة إلى تحمل المسؤولية لإثارتهن مثل هذه الانتهاكات).

تلوم النساء أنفسهن على إثارة هذه (الانتهاكات). ما هي هذه الانتهاكات؟ وجدت دراسة استقصائية قامت بها مؤسسة ريد بوك أن ٨٨ بالمئة من اللاتي شاركن في الدراسة قد تعرضن للتحرش الجنسي أثناء العمل. وفي المملكة المتحدة، واجهت ٨٦ بالمئة من المديرات و٦٦ بالمئة من الموظفات ذلك. ووجدت الخدمة المدنية البريطانية أن ٧٠ بالمئة من اللاتي شاركن في الدراسة حصل لهنَّ ذلك. تعرضت ١٧ بالمئة من أعضاء الاتحاد النسائي السويدي للمضايقات، وهو رقم يشير إلى أن ثلاثمئة ألف امرأة سويدية قد تم التحرش بهن في جميع أنحاء البلاد. ووجد الاستطلاع أنَّ النساء اللواتي تعرضن للمضايقة شعرن أنهن مذنبات لخوفهن من (أن هذه التعليقات من الممكن أنها قد جاءت بسبب ارتدائهن ملابس غير مناسبة). وتظهر أبحاث أخرى أن ضحايا التحرش الجنسي نادراً ما يكُنّ في وضع يسمح لهن بالصراخ على المتحرش بالتوقف.

لذا، ترتدي النساء ملابس تجعلهن يظهرن عمليات ولكن أيضاً أنثويات. فيسرن على خط متحرك، ويسقطن ويفشلن حتماً: ما نسبته ثلثان إلى ما يقرب من تسعة أعشار ممن تعرضن لمضايقة عُدن في اللوم بها على أنفسهن، وضعف تحكمهن في مظهرهن. هل يمكن أن توصِل المرأة، من خلال مظهرها في العمل، رسالة ما؟ وفقاً لكتاب جنسانية المنظمة، وجدت خمس دراسات أن (سلوك المرأة... يلاحظ ويوصف بالجنسي حتى إذا لم تكن تقصد به ذلك). غالباً ما يتم تفسير التصرفات اللطيفة للمرأة على أنها جنسية، خاصة عندما تكون (الإشارات غير اللفظية غامضة، أو عندما تكون النساء يرتدين ملابس كاشفة). كما رأينا، تختلف تعريفات النساء والرجال (للملابس الكاشفة). إن شعور المرأة في فقدانها للسيطرة، حيث إنها تحاول (التحدث من خلال ملابسها)، أمر منطقي.

إن اعتبار قانون مؤهل الجمال المهني والحكم القانوني بأنَّ ملابس المرأة تدعو إلى التحرش الجنسي كلاهما يعتمد على عدم ارتداء النساء لزي موحد في أماكن العمل التي يرتدي فيها الرجال زيّاً موحّداً. في عام ١٩٧٧، عندما كانت المرأة لا تزال جديدة في دخولها سوق العمل، كتب جون مولوي أحد أفضل الكتب مبيعاً، تحت عنوان (كتاب لباس المرأة من أجل النجاح *The Woman's Dress for Success Book*). أجرى مولوي بحثاً شاملاً على الموضوع، ووجد أنه دون ارتداء زي عمل مهني ممكن تمييزه واجهت النساء صعوبة في فرض الاحترام والسلطة. وبعد مرور عام على التزام مجموعة الاختبار في دراسته بـ (زيّ عمل موحّد)، تحسن الموقف العام لمديريهن تجاههن تحسناً كبيراً، وكان عدد من حصلن على ترقيات عمل ضعف العدد السابق. أما في مجموعة المقارنة فقد بقي الوضع على ما هو عليه. اختبر مولوي (الزي الموحّد) على نطاق واسع، ووجد أن البدلة الرسمية ذات التنورة كانت هي (بدلة النجاح)؛ فأوصى بشكل حاسم أن تعتمدها النساء المحترفات. (دون زي موحد)، قال مولوي، (لا ولن توجد مساواة في الصورة). ثم ملتزماً بمساعدة النساء على التقدم، حثّ مولوي النساء على ارتداء الزي تضامناً مع بعضهن؛ واقتبس تعهداً موقّعاً من بعض النساء العاملات في الشركات: (أنا أفعل هذا حتى يكون للنساء زي عمل موحد فعال مثل الرجال، وبالتالي يصبحن أقدر على المنافسة في وضع متساوٍ).

كذلك حذّر مولوي مما قد يحدث إذا ما تبنت النساء لباساً مهنياً: (إن صناعة الأزياء بكاملها ستشعر بالقلق إزاء هذا الوضع... سوف ترى أنه تهديد لهيمنتها على النساء. وستكون على حق. إذا تبنت النساء الزي الموحد، وإذا تجاهلن التصريحات العبثية، ذات الحافز الربحي، باختيارهن هذا الزي، فلن يكنّ لقمة سائغة بعد الآن). ثم تابع تنبأه بالاستراتيجيات التي قد تلجأ إليها صناعة الأزياء لتقوّض اعتماد زيّ موحد محترف للنساء.

في النهاية، نشرت مجلة نيويورك تايمز مقالاً أعلنت فيه أن استراتيجية مولوي كانت متقنة، وأن النساء أصبحن واثقات من أنفسهن، لدرجة أنه يمكنهن الآن التخلي عن البدلة الموحدة والتعبير عن (أنوثتهن) مرة أخرى. العديد من وسائل الإعلام التي كانت توفر لها صناعة الأزياء جزءاً كبيراً من ميزانيتها الإعلانية سرعان ما اتبعت نصيحة المجلة. الآن، أصبح الجمال والنحافة والتصميم والذوق يشكل سلطة المرأة وهو ما لم يستطع الزي المهني أن يفعله لها. ولكن من المحزن بالنسبة إليها أن الأدلة، حسب قول مولوي، هي أن ارتداء الملابس للنجاح في العمل وارتداءها لتكون جذابة جنسياً أمران لا ينفصلان عن بعضهما، لأن جنسانية المرأة المتصورة يمكن أن (تلغي) جميع الخصائص الأخرى. والنساء المحترفات اليوم من المتوقع أن يُقلّدن نماذج الموضة. إلا أنه في دراسة مولوي، التي شملت مئة محترف من الذكور والإناث، أربعة وتسعون بالمئة منهم اختار النساء اللاتي يرتدين ملابس مهنية، على غيرهن ممن يرتدين نماذج الموضة بوصفهن يُجسّدن كفاءة مهنية أكبر.

شجبت الثمانينيات من القرن العشرين حركة مولوي على أساس أنها أجبرت النساء على الظهور مثل الرجال، على الرغم من أن الهيئة المقترحة (الأخفاف ذوات الكعب العالي، والجوارب، كأنها لوحة ألوان، ومساحيق التجميل، والمجوهرات) لا تكون ذكورية إلا إن حددت للمرأة لباساً يمكن وصفه بأنه لباسٌ مهنيٌ محترفٌ. لكن صناعة الأزياء أعاقت تجربة صناعة بدلات عمل رسمية للنساء، ففقدت النساء الوضع المهني الاحترافي الفوري والتمويه الجنسي المعتدل الذي يوفره الزي الموحد للذكور. ضمن هذا التحول في الأزياء فإن صناعة الأزياء لن تعاني، في حين أنها ضمنت أيضاً أن النساء سيعملن بتزامنٍ، وبجدية أكبر ليظهرن (جميلات)، وكذلك ليؤخذن على محمل الجد.

يقول القانون إن الجمال يثير حصول التحرشات، إلا أنه ينظر للأمر عبر عيون الرجال عند تحديد ما الذي يثير ذلك. قد تجد ربّة عمل قطعة نسيج قطني أوروبية جذّابة، تلتصق بشكل شهواني بخاصرة أنيقة لذكر ذي عضلات، ومثيرة جنسياً بشكل جنوني، خصوصاً أنّ ذلك يوحي بقوة الذكر ومكانته، وهو أمر تعظّمه ثقافتنا. إلا أنه من غير المحتمل أن يتقبل القانون خياطة أحد محلات الخياطة بشارع سافيلارو ما تطلبه ربّة العمل هذه إذا أخبرت مالك هذا المتجر أن العامل عندها يجب أن يخدمها جنسياً أو سيفقد وظيفته.

إذا كانت المرأة في العمل لا تعاني من ضغوط للتزيّن أكثر من نظرائها الذكور في بدلات المحاماة المقلمة أو المصنوعة من نسيج الغبردين، فإن المتعة في مكان العمل قد تضيق؛ ولكن سيضيق معها أيضاً مجال خصب للتمييز. ولما كان مظهر المرأة يستخدم لتبرير المضايقات الجنسية تجاهها فضلاً عن فصلها من العمل، فإن العبارات التي تصدر من خلال ملابس النساء تُفهم باستمرار وعن قصد بشكل غير صحيح. بما أن ملابس النساء العاملات (الكعب العالي، والجوارب، والماكياج، والمجوهرات، فضلاً عن الشعر والثديين والأرجل والوركين) تُعد زينةً إباحية، فهذا يعني أنه يمكن للقاضي أن ينظر إلى أي امرأة أصغر سناً على أنها بغي قابلة للتحرش، بالضبط مثلما يستطيع أن ينظر إلى أي امرأة مسنة ويظن أنه يشاهد عجوزاً غير صالحة.

إنّ محاكاة الزي الموحد للذكر لهو أمر صعب على النساء. ورغبتهن في جعل الفضاء الرجولي التقليدي أقل رمادية، وخالياً من التفكير الجنسي، وأحمق، هي رغبة جذابة، إلا أنّ مساهمتهن لم تخفف القواعد؛ فلم تكن استجابة الرجال كما توقعن. وارتداء الرجال لزيّ موحّد لا ترتدي مثله النساء عنى ببساطة أن النساء سيتحملن العقوبات الكاملة، وكذلك تلذذ الرجال بسحرهن الجسدي في مكان العمل، ويمكن قانونياً أن يعاقبن أو يُرقّين أو يُهنّ أو حتى يتم اغتصابهن وفقاً لذلك.

لا تجرؤ النساء على التخلي عن (الميزة) التي يمنحها إياهنّ عدم المساواة في اللباس. لا يضع الناس الزي الموحد طواعية إلا عندما يؤمنون بالمكافآت العادلة للنظام. ومن المفهوم أنهم لن يكونوا مستعدين للتخلي عن الحماية التي يوفرها (جمالهم) إلى أن يتأكدوا من أن نظام المكافآت يعمل بشكل صحيح؛ ولن

ترغب المهن في التخلي عن وظيفة السيطرة على النساء التي تقدمها لها مؤهلات الجمال المهنية إلى أن تتأكد تلك الشركات أن النساء محبطات للغاية بسبب ذلك، بحيث لا يشكلن أي تهديد حقيقي للطريقة التي تتم بها الأمور. إنها هدنة مضطربة، يلعب كل جانب لأجل الزمن، إلا أنه، عند اللعب لأجل الزمن تحت أسطورة الجمال، النساء هن من يخسر.

ماذا عن التصور الشائع بأن النساء يستخدمن (جمالهن) للتقدّم؟ في الواقع، تُظهر عالمة الاجتماع باربرا أ. غوتك أن هنالك القليل من الأدلة على أن النساء يستخدمن أحياناً نوعهن الجنسي للحصول على مكافأة تنظيمية، ووجدت أن الرجال هم الذين يستخدمون نوعهم الجنسي للمضي قدماً، تقول (هنالك قلة قليلة من الرجال قالوا إنهم يرتدون ملابس مغرية في العمل)، مقابل امرأة واحدة من بين كل ٨٠٠ امرأة قالت إنها استخدمت ذلك لتحقيق تقدم. وفي دراسة أخرى، ذكر ٣٥ بالمئة من الرجال مقابل ١٥ بالمئة فقط من النساء أنهم يستخدمون مظهرهم لتحصيل المكافآت في مكان العمل.

التواطؤ في المظهر موجود بالطبع. هل هذا يعني أن يقع اللوم على النساء؟ لقد سمعت مديرين في جامعات رابطة الآيفي، وقضاةً يناقشون محاميات نساء، وأعضاء اللجان الدراسية، وغيرهم من الرجال الذين تم توظيفهم ليؤمنوا بمفاهيم الإنصاف ويقوموا بتطبيقها، لقد كانوا يتكلمون برضًى حول استخدامات (الحيل الأنثوية)، وهو تعبير ملطف عن الجمال الموظَّف لصالح المرأة. وينظر إليه الرجال الأقوياء بالإعجاب المُكره، كما لو كانت قوة (الجمال) قوة لا تقاوم أذهلت الرجال البارزين، وشلّت حركتهم، وحوّلتهم إلى معجون طيّع في يد الساحر. مثل هذا الموقف يجعل النساء يتأكّدن من لزام استمرارهن في استخدام الأشياء التي يستخدمنها أحياناً لتحصيل الأشياء التي لا يحصلن عليها إلا نادراً.

الأعراف المتبعة في هذا ماهي إلا حجابٌ يحجب ما نُقِش على الأحجار، ما هو راسخٌ ومتأصل: الأقوياء هم من يملون الشروط؛ فعندما يلعب الكبار المصارعة مع طفل، يستمتعون بالسماح للطفل بالشعور أنه فاز.

وجهة النظر هذه (حيث يشكل الجمال الجسر بين النساء والمؤسسات) هو ما تُدرّس النساء أنه ينبغي عليهن اغتنامه، ثم يستخدم بعد ذلك كدليل على أن النساء أنفسهن هن من يستحققن اللوم في نهاية المطاف. ولكن لتشبث المرأة

بهذه القشة، عليها كبت ما تعرفه: فالمطلب الصارخ هو أن تعرض النساء أنفسهن بهذه الطريقة. عندما تتلاعب السلطة بالجمال، فإن طلب اتباع النساء سلوك عرض جمالهن بهذه الطريقة قد تقرر بالفعل قبل أن تتاح للمرأة الفرصة لدخول غرفة التقييم.

هذا الطلب لسلوك عرض الجمال غير معلن. إنه أمر دقيق بما فيه الكفاية بحيث لا تستطيع المرأة الإشارة إليه على نحوٍ موثوق، كمثال على التحرش (في أي حال، لكي تكون المرأة ذات مصداقية حول التعرض للتحرش، يجب عليها أن تبدو قابلةً للتحرش، وهو ما يدمّر مصداقيتها). وهذا عادةً ما يترك الشخص الذي تم التلاعب به بلا أي خيار، حيث لا يسمح له بالوصول إلى مستوى ممكن من الانسحاب، كما أنه لا يملك أن يلحق بها إساءة، فقط عليه الاستمرار على نفس الوتيرة فقط. قد يكون على المرأة أن تُريح جسدها ولا تشدّ أعصابها في مجاملة غير مرغوبة، أو ببساطة أن تجلس باستقامة أكثر، بحيث يبدو جسدها أكثر وضوحاً، أو تحرّك الشعر من على عينيها بطريقة تجعل وجهها يبدو أكثر جاذبية. أياً كان ما عليها أن تفعله، إنها تعرف ذلك دون أن تُخبر به، من تعبير ولغة جسد الرجل القوي الذي يكمن مستقبلها في عينيه.

عندما يكون هناك ناقدة لامعة وامرأة جميلة (هذا هو الترتيب في أولوياتي، وليس بالضرورة أن تكون هي أولويات الرجال الذين يقومون بتدريسها)، ترتدي كعباً أسود من جلد الغزال، وتضع أحمر الشفاه ذا اللون الأحمر الداكن، قبل أن تطلب من أستاذ بارز أن يكون مستشاراً لأطروحتها، أتكون بذلك امرأة داعرة؟ أم أنها تقوم بواجبها تجاه نفسها، في تقييم واضح لبيئة معادية أو غير مبالية، من خلال الاهتمام بتغذية موهبتها الحقيقية، مستخدمةً الحماية التي توفرها موهبتها العرضية؟ هل ترسم بيدها مستخدمةً أحمر الشفاه قوس كيوبيد في بادرة إرادة حرة؟

ليس عليها أن تفعل ذلك.

هذا هو الرد الذي تريده أسطورة الجمال من المرأة، لأنّه بذلك تكون (المرأة الأخرى) هي العدو. هل عليها فعلاً أن تفعل ذلك؟

المرأة الطامحة ليس عليها أن تفعل ذلك إذا كان لديها خيار. وسيكون عندها الخيار عندما تتوفر مجموعة كبيرة من الجامعات في مجالها ترأسها نساء،

وتدعمها أجيال من النساء البارزات الثريات، والبارونات السارقات، جامعات تفتح أبوابها لها؛ عندما ترغب بشدة الشركات متعددة الجنسيات ذات القيادة النسائية في الحصول على مهارات الخريجات من الإناث؛ عندما تكون هناك جامعات أخرى، مع تماثيل برونزية من بطلات التعليم الكلاسيكي لنصف الألفية؛ عندما تكون هناك مجالس أخرى لتمويل البحوث التي تحتفظ بها الخزائن العميقة من إيرادات المخترعات الإناث، حيث تشغل نصف المقاعد نساء عالمات. سيكون لديها خيار عندما يتم تقييم ملفها الدراسي بالطريقة المعمية التي لا تميز فيها.

سيكون أمام النساء خيار عدم التنازل، وسيستحققن اللوم الكامل على التنازل (لاعتبار ما قد تكون عليه المطالب لـ (جمالهن) في مجلس السلطة) في اللحظة التي يعرفن فيها أنه يمكنهن الاعتماد على حصتهن العادلة: بأنّ ٥٢ بالمئة من مقاعد الإنجازات العليا مفتوحة لهن. سوف يستحققن اللوم الذي يحصلن عليه الآن على أية حال، فقط عندما يعلمن أن أفضل حلم في حياتهن الوحيدة غير المتكررة لن يتم ضغطه قسراً على شكل هرم مقلوب، ثم رميه بقوة نحو سقف زجاجي، متحولاً إلى معزلٍ على شكل ياقة وردية خانقة، ثم حشره ميتاً في طريق مسدود.

النتيجة الاجتماعية لمؤهل الجمال المهني PBQ

تعمل مؤهلات الجمال المهنية بسلاسة لتعيد لعلاقات العمل أساسات الاستغلال التي تهددها قوانين الفرص المتساوية الحديثة، وهي تعطي أرباب العمل ما يحتاجونه اقتصادياً في قوة عمل نسائية من خلال التأثير على النساء نفسياً على عدة مستويات.

يعزز مؤهل الجمال المهني المعيار المزدوج: دائماً ما تتقاضى النساء أجراً أقل من الرجال مقابل حجم عمل متساوٍ، ويمنح هذا المؤهل هذا المعيار المزدوج وجهاً منطقياً جديداً، ويجعل من الأساس المنطقي القديم غير قانوني.

تجري المقارنة بين أجساد الرجال والنساء بطريقة ترمز إلى المقارنة بين وظائف الرجال والنساء. ألا يتوقع من الرجال أيضاً المحافظة على مظهر مهني معين؟ بالتأكيد: يجب أن يتوافقوا مع معيار أن يكونوا ذوي مظهر لائق، وأحياناً يجب أن يرتدوا زياً موحداً، وملائماً لسياق ما يقومون به. ولكن التظاهر بأنه بما أن

للرجال معايير مظهر معينة أيضاً فإن هذا يعني أنه تتم معاملة الجنسين على نحوٍ متساوٍ هو تجاهل حقيقة أنه في التوظيف والترقية يتم الحكم على مظهر الرجال والنساء بطريقةٍ مختلفة، وأن أسطورة الجمال تصل إلى أبعد من قواعد اللباس وإلى عالم مختلف. وفقاً لتوجيهات العمل التلفزيونية التي ذكرتها المنظرة القانونية سوزان ليفيت، من المفترض أن يتذكر المذيعون من الذكور (هيئتهم المهنية)، في حين تُحذَّر المذيعات من نسيان (الأناقة المهنية). إن المعيار المزدوج للمظهر هو تذكير دائم بأن الرجال يستحقون أكثر من النساء، وأنهم ليسوا بحاجة لبذل الجهد الذي تبذله النساء في ذلك.

تقول روزاليند مايلز: (تُظهر السجلات التي سَلِمت أن المرأة إما أنها كانت تجني أقل مما يجنيه الرجل، أو أنها لم تكن تحصل على أي شيء على الإطلاق). ولا يزال هذا صحيحاً: ففي عام ١٩٨٤ في الولايات المتحدة، النساء اللاتي كُنَّ يعملن على مدار العام في وظائف بدوام كامل لا يزال متوسط ما يجنينه ١٤,٧٨٠ دولاراً فقط، وهو ٦٤ بالمئة من مبلغ ٢٣,٢٢٠ دولاراً الذي كان يجنيه الرجال الذين كانوا يعملون بدوام كامل. وتتراوح تقديرات نسبة ما تجنيه المرأة الآن من ٥٤ إلى ٦٦ سنتاً مقابل كل دولار يجنيه الرجل. وحتى إذا ما أخذنا الرقم الأعلى، فإن الفارق لن يتقلص إلا بمقدار ١٠ سنتات فقط خلال العشرين سنة الماضية.

في المملكة المتحدة، تجني المرأة ٦٥,٧ بالمئة من إجمالي الدخل الأسبوعي للرجل. ويتم الحفاظ على فارق الأجور في الولايات المتحدة في نفس الوظيفة في جميع أنحاء البنية الاجتماعية: في المتوسط، يجني المحامون الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٥ و٣٤ عاماً ٢٧,٥٦٣ دولاراً، إلا أنَّ المحاميات في نفس العمر يجنين فقط ٢٠,٥٧٣ دولاراً؛ ويجني بائعو التجزئة الذكور ١٣,٠٠٢ دولاراً، في حين تجني البائعات ٧,٤٧٩ دولاراً أمريكياً؛ ويجني سائقو الحافلات الذكور ١٥,٦١١ دولاراً، بينما سائقات الحافلات ٩,٩٠٣ دولاراً؛ وتجني مصففات الشعر أقل من ٧,٦٠٣ دولاراً من مصففي الشعر الذكور. إن وابلاً من الصور التي تجعل النساء يشعرن أنهن يستحققن قيمة أقل من الرجال، أو يستحققن فقط بمقدار ما يبدين من جمال، يساعد على الحفاظ على هذه الحالة مستمرة بقوة.

وهذا يثبت مرة أخرى أن الأسطورة سياسية وليست جنسية: يقوم المال بصنع التاريخ بكفاءة أكثر من الجنس. قد يكون لضعف الثقة عند النساء قيمة جنسية

لبعض الرجال، إلا أنّ لها قيمة مالية لكل المجتمع. إن الصورة الذاتية المادية السيئة للنساء اليوم هي أقل بكثير من أن تكون نتيجة للمنافسة الجنسية، وإنما هي نتيجة لاحتياجات السوق.

يوافق العديد من الاقتصاديين على أن النساء لا يتوقعن ترقية وأجوراً عليا، لأنه تم تكييفهن من خلال تجربتهن العملية على ألا يتوقعن تحسينات في وضع العمل؛ فكما يكتب سيدل: (غالباً ما تكون النساء غير متأكدات من قيمتهن الجوهرية في سوق العمل). الإضراب الذي جرى عام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ من قبل اتحاد عمال المكتبات من النساء البالغ نسبتهن ٨٥ بالمئة كان يشتمل على قضية بسيطة، وفقاً لأحد المنظمين، وهي جعل النساء يسألن أنفسهن: (ما هي قيمتنا الحقيقية؟). أمّا العقبة الكبرى التي كانت تحول بين النساء وهذا السؤال فهي (الافتقار الأساسي للثقة). تُولّد أسطورة الجمال احترام الذات المتدنّي للمرأة، وينتج عن ذلك أرباح عالية للشركات.

تُعلّم إيديولوجيا الجمال المرأة أنها لا تملك إلا القليل من السيطرة والقليل من الخيارات. وصور المرأة في أسطورة الجمال اختزالية ونمطية. في أي لحظة هناك عدد محدود من الوجوه التي يمكن التعرف عليها بوصفها (جميلة). من خلال هذه المفاهيم المحدودة للمرأة، أصبحت النساء ينظرن إلى خياراتهن على أنها محدودة: تتجمع النساء في الولايات المتحدة في ٢٠ من أصل ٤٢٠ مهنة تم إدراجها من قبل مكتب إحصاءات العمل. لا تزال ٧٥ بالمئة من النساء الأمريكيات يعملن في (وظائف النساء) التقليدية، ومعظمهن لا يحصلن على رواتب كافية. ووجدت أرلي هوتشيلد أن النساء يتركزن (في الوظائف التي تشدد على جاذبيتهن الجسدية).

مع وجود عدد قليل من الأدوار التي يمكن للنساء الأمريكيات من خلالها رؤية أنفسهن ورؤية غيرهم لهن، فإن ثلثيهن يعملن في وظائف الخدمات أو التجزئة أو في البيروقراطيات المحلية، وهي جميعاً وظائف ذوات أجور منخفضة وفرص قليلة للتقدم. الأدوار القليلة التي تمّ تصوّرها للنساء هي ذوات أجور رخيصة: فمثلاً السكرتيرية، التي ٩٩ بالمئة من شاغليها هم إناث، يحصل شاغلوها على راتب متوسط قدره ١٣,٠٠٠ دولار؛ معلمو الروضات، ٩٧ بالمئة إناث،

ويتقاضين ١٤,٠٠٠ دولار؛ الصرافون في البنوك، ٩٤ بالمئة إناث، ويتقاضين ١٠,٥٠٠ دولار؛ عمال خدمات الطعام، ٧٥ بالمئة إناث، ٨,٢٠٠ دولار.

تجني النساء من بيع أجسادهن أكثر مما يجنينه من بيع مهاراتهن. (في هذا السياق)، تكتب الدكتورة القانونية كاثرين أ. ماكينون: (من المفيد أن نسأل: ما هو أفضل خيار اقتصادي للمرأة؟)، وعلى عكس رواتب النساء (المحترمات) الموصوفة أعلاه، تشير إلى أدلة على أنّ المتوسط الذي تجنيه الداعرة في مانهاتن هو بين ٥٠٠ دولار و١٠٠٠ دولار في الأسبوع. وتُظهر دراسة أخرى لها أن الفرق الوحيد بين الداعرات في مجموعة العيّنات والنساء الأخريات اللاتي ينتمين إلى خلفيات متماثلة هو أن الأولى تكسب ضعفي هذا المبلغ؛ وتبين دراسة ثالثة أن عرض الأزياء والدعارة هما المهنتان الوحيدتان اللتان تجني المرأة فيها باستمرار أكثر من الرجال. تجني امرأة واحدة من كل أربع نساء أقل من عشرة آلاف دولار في السنة على الرغم من أنها تعمل بدوام كامل؛ لكن في عام ١٩٨٩، جنت ملكة جمال أمريكا ١٥٠,٠٠٠ دولار، ومنحة دراسية قيمتها ٤٢,٠٠٠ دولار، وسيارة بقيمة ٣٠,٠٠٠ دولار.

كيف يمكن للمرأة أن تؤمن بالجدارة في واقع مثل هذا؟ إن سوق العمل الذي يكافئها بشكل غير مباشر كما لو كانت تبيع جسدها، يقوم ببساطة بإدامة خيارات العمل الأساسية التقليدية للنساء (الزواج الإجباري أو الدعارة) بأدب أكثر وبأقل من نصف الأجر. إن نسبة الدفع مقابل العمل في أعلى مهن العرض، والتي يتم إبقاء النساء على دراية جيدة بها (إنها منهكة حقاً تحت هذه الأضواء الساخنة)، هي صورة كاريكاتورية للعلاقة الحقيقية بين عمل المرأة والأجر الحاصل من تلك المهن. إنَّ الأجر الإجمالي المرتفع للجميلات المحترفات هو بريق كاذب على الحالة الاقتصادية الفعلية للمرأة. من خلال ترويج خيالات الاكتشاف في مهن عرض الأجساد والجمال ذات الأجر المبالغ به، تساعد الثقافة المهيمنة أرباب العمل على تجنب المقاومة المنظمة للتكرار والأجور المنخفضة للعمل الحقيقي للمرأة الحقيقية. وبوجود تلك العلاقة الطموحة بين المجلات النسائية تتعلم النساء عدم الاستحقاق. إن الإحساس بالاستحقاق المهني الذي يكتسبه العامل من توقع الحصول على مكافأة منصفة على عمل تم تنفيذه على نحوٍ حسن يبقى بعيداً عن توقعات النساء العاملات.

يعترف أرباب العمل بأن (إحدى طرائق إبعاد النساء المتقدمات للحصول على عمل هي إعادة إعلان الوظيفة براتب أعلى). تختم إحدى الدراسات: (عندما يتعلق الأمر بتعريف قيمتنا مالياً، فإنّ لدينا شكوكاً قوية حول أنفسنا). وفي دراسة أخرى عن الإدراك الذاتي للجسد، تبالغ النساء بانتظام في تقدير حجم أجسادهن؛ وفي دراسة للإدراك الذاتي الاقتصادي، استخففن بشكل منتظم بنفقات أعمالهن. والفكرة هي أن الفهمَيْن الخاطئَيْن مرتبطان سببياً. من خلال وضع تقييم منخفض لمهارات النساء عمداً وربط قيمتهن المادية بمكان العمل، فإنّ السوق يحمي مجموعته من العمالة النسائية الرخيصة.

إن انعدام الأمن المهني الذي يولّده هذا الوضع يسبب شروخاً في نظام الطبقات البيولوجية الذي أسّس له مؤهل الجمال المهني: فهو موجود في النساء (الجميلات)، حيث غالباً لا يمكن لأي قدر من النجاح المهني أن يقنعهن بأنّهن هُنَّ أنفسهن من استحققن هذه المكانة المهنية الحالية وليس (جمالهن)؛ وكذلك يوجد في النساء (القبيحات)، اللاتي تعلّمن خفض قيمتهن الذاتية.

كانت ملصقات الصور المغرية في مكان العمل استعارات لمسألة أكبر عن كيفية استخدام صور العذراء الحديدية للإبقاء على النساء باستمرار في العمل. وفي منجم شوميكر ماين في الولايات المتحدة، عندما انضمت النساء العاملات في مناجم الفحم إلى قوة العمل، ظهرت كتابة على الجدران هدفها السخرية من ثديي المرأة وأعضائها التناسلية؛ على سبيل المثال، كانت المرأة ذات الثديين الصغيرين تسمى (حلمات مقلوبة). وفي مواجهة هذا التمحيص، أفادت عالمة قانونية تدعى روزماري تونغ: (وجدتِ العاملات في مجال التعدين صعوبة متزايدة في الحفاظ على احترامهن لذواتهن، وبدأت حياتهن الشخصية والمهنية في التدهور). مع ذلك، صدر حكم من محكمة أمريكية، في قضية رابيدو ضد شركة أوسيولا للتكرير (١٩٨٦)، أيّد حق العمال الذكور في عرض المواد الإباحية في مكان العمل، بغض النظر عن مدى إساءتها للعاملات، على أساس أن المشهد غارق في هذا النوع من الصور على أية حال.

في بريطانيا العظمى، يعتبر المجلس الوطني للحريات المدنية بأن ملصقات الصور المغرية تشكل تحرشاً جنسياً، لأنها (تقوض بشكل مباشر نظرة المرأة لنفسها وقدرتها على القيام بعملها). وعندما شكلت النقابات مجموعات نقاش

حول موضوع هذه الملصقات، اعتبرت سبع وأربعون مجموعة من المجموعات الأربع والخمسين ملصقات الصور المغرية أمثلة على التحرش الجنسي الذي أزعج النساء. تعتبر جمعية الموظفين المدنيين والعامّين التقييم الجنسي للمظهر، إضافة إلى ملصقات الصور المغرية، تحرشاً جنسياً. قالت النساء اللاتي تمت مقابلتهن إنه عندما يتم تثبيت ملصقات الصور المغرية على الجدران فإنهن يشعرن بأن (هنالك مقارنات مباشرة تجري).

يتم استخدام ملصقات الصور المغرية بشكل مباشر لتقويض النساء: في قضية المجلس الإقليمي لستراثكلايد ضد بورسيلي، شهدت السيدة بورسيلي بأن مضايقيها في كثير من الأحيان: (علّقوا على مظهري الجسدي بالمقارنة مع تلك المرأة العارية في الملصق). ولكن لا النظام القضائي الأمريكي ولا البريطاني يُبديان نظرة ثاقبة تجاه حقيقة أن هذا النوع من المضايقات يهدف إلى جعل النساء في مكان العمل يشعرن بأنه لا قيمة لهن جسدياً، خاصة بالمقارنة مع الرجال. وهي متعمدة لإعادة وضع عدم المساواة الذي أزاله دخول المرأة إلى سوق العمل. في تعزيز شعور النساء بالقبح ـ أو التكشف والحماقة، إذا كان (جمالهن) هو الهدف ـ لا ينبغي أن يؤدي ذلك إلى ضرر آخر ـ كما يعرّفه القانون الآن ـ لكي يُفهم على أنه تمييزي؛ إن ذلك سيكون ضرراً في حد ذاته.

يحافظ مؤهل الجمال المهني على إبقاء المرأة فقيرة مادياً وسيكولوجياً: فهو يستنزف الأموال من النساء اللاتي قد يشكلن أكبر تهديد إذا تعلّمن الإحساس بالاستحقاق الذي يمنحه الأمن الاقتصادي: من خلال هذا المؤهل، فإنه حتى النساء الغنيات يتم إبعادهن عن التجربة الذكورية للثروة. وإن معياره المزدوج هو الذي يجعل هؤلاء النساء أفقر من أقرانهن الذكور، عن طريق قطع جزء أكبر من دخل الموظفة التنفيذية عن ذلك الذي للذكور، وهذا جزء من غرضه. تشتكي ساخرةً محررة الجمال السابقة في مجلة فوغ، التي تقدر أن نفقات تجميلها ستبلغ ٨,٠٠٠ دولار سنوياً: (تتم معاقبة النساء على مظهرهن، في حين أن الرجال يمكن أن يذهبوا لأي مكان بمجرد بدلة من اللون الرمادي الفانيلي). تكرس النساء المحترفات في المناطق الحضرية ما يصل إلى ثلث دخلهن من أجل (الجمال)، معتبرات ذلك استثماراً ضرورياً. حتى إن عقود توظيفهن تخصص جزءاً من راتبهن للملابس الراقية وعلاجات التجميل المكلفة. وتصف مجلة نيويورك النسائية *New*

York Woman امرأة مهنية طموحة نموذجية، بأنها امرأة تبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً وتنفق (ما يقرب من ربع دخلها الذي يبلغ ٦٠ ألف دولار في العام... على الحفاظ على الذات). وأخرى (تنفق عن طيب خاطر أكثر من ٢٠ ألف دولار سنوياً على التدريبات الرياضية مع مدرب متخصص). أما النساء القلائل اللاتي يجنين أخيراً نفس ما يجنيه الرجال، فإنهن يُجبرن، من خلال مؤهل الجمال المهني، على أن يأخذن لأنفسهن أقل بكثير مما يأخذه نظراؤهن من الرجال. لقد قام هذا المؤهل بهندسة قاعدة شخصية لتمييز الدخل يفعلها كل شخصٍ بنفسه.

عندما يستخدم مؤهل الجمال المهني ضد النساء الثريات حديثاً، فإنه يساعد على فرض التمييز وترشيده على أعلى المستويات. ووجد تقرير غرفة التجارة الأمريكية عام ١٩٨٧ أن النساء اللاتي يعملن في الشركات بمستوى نواب الرؤساء وما فوق، يجنين ٤٢ بالمئة أقل من أقرانهن من الذكور. تقول روث سيدل: (إن الرجال في المهن العشرين الأعلى أجراً يجنون أموالاً أكثر بكثير من أقرانهم من النساء. وهذا الفارق محمي من خلال الطريقة التي يستنزف بها المؤهل الأموال والترفيه والثقة من هذه الطبقة الصاعدة، ما يسمح للشركات بالاستفادة من خبرات النساء في المستويات الأعلى أجراً، مع الدفاع عن هياكل المؤسسات ذوات الهيمنة الذكورية من هجوم محتمل على النساء اللواتي توقفن عن التفكير بضعف).

يُنهك مؤهل الجمال المهني النساء: فمع اقتراب القرن من نهايته، استنفدت النساء العاملات قواهن بسبب الإجهاد، بطريقة قد لا يستطيع زملاؤهن الذكور تخيلها. سلسلة حديثة من الاستطلاعات التي تم تلخيصها في الصحافة النسائية (تشير جميعها إلى شيء واحد: النساء الحديثات مُنهكات). ٧٠ بالمئة من كبار المديرات التنفيذيات في الولايات المتحدة يشِرن إلى التعب باعتباره مشكلتهن الرئيسية، وما يقرب من نصف الأمريكيين الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين يشعرون (بالتعب في معظم الأوقات)، وأجابت ما نسبته ٤١ بالمئة من النساء الدنماركيات اللاتي تم سؤالهن بأنهن (يشعرن بالتعب في الوقت الحاضر). في بريطانيا العظمى، وضعت ٩٥ بالمئة من النساء العاملات (أشعر بالتعب بدرجة غير عادية) على رأس قائمة مشاكلهن.

قد يقضي هذا الاستنفاد على التقدم الجماعي للمرأة في المستقبل، وهذا هو الهدف. ذلك التعب الذي تذكيه صرامةُ الامتثال للمؤهل، والذي يديمه

التعطش المستمر للحصول عليه، يجعل المرأة كما لو كانت تلهث على جهازٍ للجري إلى ما لا نهاية. ربما يكون المؤهل قد استطاع في نهاية المطاف إدارة ما لا يستطيع التميز المباشر تحقيقه. لهذا يكون عند النساء المحترفات وصاحبات الإنجاز العالي بسببه ما يكفي من الطاقة والتركيز والوقت للقيام بعملهن جيداً، ولكن بالمقابل لديهن ضعفٌ في النشاط الاجتماعي وما شابهه، أو في الفكر الحر الذي من شأنه أن يسمح لهن باستجواب وتغيير النظام نفسه. وإذا تكثفت تلك الصرامة لتصل بالمرأة إلى نقطة الانهيار الجسدي، فعندها ستبدأ بالاشتياق للعودة إلى المنزل.

وبالفعل هنالك تذمر عند نساء الولايات المتحدة المهنيات اللاتي أنهكهن العمل، يخالجهن فيه الحنين إلى الحياة أمام السلالم الآلية التي لا تقود إلى أي مكان.

لقد أدركت جميع أنظمة العمل التي تعتمد على إكراه قوة العمل على قبول الشروط السيئة والمكافأة غير العادلة فعالية الحفاظ على قوة العمل مستنفدة لمنعها من إحداث أي مشاكل.

يقلب مؤهل الجمال المهني عمر المهن الذكورية: يعلِّم مؤهل الجمال المهني النساء بصرياً أنه يجب عليهن تحصيل السلطة بنفس الوتيرة التي يكتسبها الرجال. من بين النساء اللاتي تجاوزن سن الخامسة والستين، وهي الفئة الأسرع نمواً من سكان الولايات المتحدة، فإن واحدةً من بين كل خمسة يعشن في فقر. وثلث الأشخاص الذين يعيشون بمفردهم في الولايات المتحدة هم نساء كبيرات السن، نصفهن يملكن أقل من ألف دولار مدّخرات. كتب أحد الاقتصاديين: (إذا كنت امرأة، فنسبة أن تكوني فقيرة في سن الشيخوخة هي ٦٠ بالمئة). أما متوسط دخل المرأة الأمريكية كبيرة السن فإنه ٥٨ بالمئة من دخل الرجال المسنين. في بريطانيا العظمى، يفوق عدد النساء المسنات الوحيدات عدد الرجال المسنين بنسبة أربعة إلى واحد؛ ومن هؤلاء، هناك أكثر من ضعف عدد الرجال المسنين من النساء المسنات اللاتي يحتجن إلى دعم الدخل. تحصل المرأة العادية المتقاعدة في ألمانيا الغربية على نصف المعاش الكامل فقط. ومن بين النساء الأمريكيات المتقاعدات، ٢٠ بالمئة فقط يحصلن على معاشات تقاعدية خاصة. في جميع أنحاء العالم، ستحصل ٦ بالمئة فقط من النساء ذوات الأجور على معاش تقاعدي

بحلول عام ٢٠٠٠. لذا ما يبعث الخوف في أن تكوني امرأة عجوزاً في ثقافتنا ليس فقط أنك تفقدين بشرتك ومظهرك العام. تتشبث النساء بالمؤهل لأن ما يهددها صحيح: قد تحقق المرأة الشابة عائداً أفضل من الناحية الاقتصادية من خلال استثمار نوعها الجنسي في المرحلة التي يكون فيها سعر صرف جسدها عالياً، فتجني به أكثر مما تجنيه من خلال العمل الجاد طوال حياة كاملة.

تصل (الجميلات) إلى ذروة الفرص المتاحة لهن في وقت مبكر من الشباب؛ وهي حال النساء في الاقتصاد. ففي الاقتصاد يعيد مؤهل الجمال إنتاج مدة الحياة المعكوسة لـ (الجمال): على الرغم من مرور ٢٠ عاماً على الموجة الثانية للحركة النسائية، إلا أن مهن المرأة ما زالت لا تصل إلى ذروتها في الحياة المتوسطة وما بعدها مثلما هي الحال مع الرجال. على الرغم من أن سوق العمل بدأ بتوظيف النساء في أوائل السبعينيات، وهي فترة طويلة بما فيه الكفاية ليكون لديهنَّ الوقت لإحداث تقدم وظيفي هام، فإن ما نسبته ١ بالمئة إلى ٢ بالمئة فقط من الإدارة العليا هُو من الإناث.

على الرغم من أن نصف خريجي كليات الحقوق هم من النساء، وأن ٣٠ بالمئة من الشركاء المالكين للشركات الخاصة هم من الإناث، إلا أنَّ ٥ بالمئة فقط من الشركاء نساء. في الجامعات الأفضل في الولايات المتحدة وكندا، يبلغ عدد النساء برتبة أستاذ كامل ٥ بالمئة تقريباً. يعمل السقف الزجاجي لصالح النخبة التقليدية، ويتم تعزيز نظام عمله الجيد من خلال أسطورة الجمال.

أحد ردود الأفعال تجاه هذا هو أن النساء الأمريكيات الأكبر سناً ممن حققن تقدماً في أي مهنة يُجبرن على رؤية علامات تقدم السن (أمر مساعد لتقدم الذكور) بوصفها (حاجة) للخضوع لعملية تجميل. يعتبرن هذه (الحاجة) بوصفها التزاماً مهنياً وليس شخصياً. وبينما يمتلك أقرانها الذكور جيلاً من الرجال الناجحين أكبر سناً تبدو عليهم علامات تقدمهم بالسن، لا تجد المرأة المعاصرة أمامها سوى عدد قليل من القدوات.

يجلب هذا الطلب الوظيفي لجراحة التجميل النساء إلى واقع عمل بديل قائم على أفكار حول استخدامات البشر كعُمّال، وهي أفكار لم تطبّق على الرجال منذ إلغاء العبودية، والتي كان من حق مالك الرقيق قبلها أن يمارس تشويهاً جسدياً على قوته العاملة. هذا الاقتصاد الجراحي ليس هو اقتصاد العبيد بالطبع؛

ولكن بازدياد الطلب على التغيير الدائم للجسد المؤلم والمحفوف بالمخاطر (مثل الوشم والوسم والخدوش في أوقات وأماكن أخرى) فإنه يشكل فئة تقع في مكانٍ ما بين اقتصاد العبيد والسوق الحرة. يمكن لمالك العبد أن يقطع قدم العبد الذي قاوم السيطرة؛ أما رب العمل، مع هذا التطور، فيمكنه، في الواقع، قطع أجزاء من وجه امرأة. في السوق الحرة، يُباع عمل العاملة إلى صاحب العمل؛ أما جسدها فهو ملك لها.

قد تكون جراحة التجميل وأيديولوجية تحسين الذات قد جعلت من أمل المرأة في اللجوء إلى العدالة القانونية أمراً عفا عليه الزمن. يمكننا أن نفهم على نحو أفضل مدى غدر هذا التطور إذا حاولنا أن نتخيل دعوى تمييز عنصرية جُلبت في مواجهة تقنية قوية تعمل، بألم شديد، على غير البيض ليصبحوا بيضاً أكثر، وموظفاً أسود يطلب، بتعاطف، بأنه لا يريد أن يبدو أكثر بياضاً، وأنه لا يجب أن يبدو أكثر بياضاً للحفاظ على وظيفته.

لم نبدأ بعد في الدفع نحو الحقوق المدنية للنساء التي ستؤهل المرأة لتقول إنها ستريد أن تبدو نفسها من أن تبدو شابة (جميلة) غريبة. على الرغم من أن مؤهل الجمال يصنف النساء في نظام طبقي بيولوجي مماثل، إلا أن الهوية الأنثوية لا تؤخذ بالاعتبار قانونياً إلى حد بعيد مثل الهوية العرقية (على الرغم من أنه معترف بها قليلاً). إن من غير المتصور أن تَحترم الثقافة المهيمنة عزم المرأة على إظهار ولائها لعمرها وشكلها ونفسها وحياتها كولاء سياسي في وجه أسطورة جمال بقوة الأساطير حول التفوق الأبيض، مثل احترام أي فخرٍ عرقي أو إثني آخر.

يُبقي مؤهل الجمال المرأة معزولة: إن التضامن النسائي الجماعي في مكان العمل من شأنه أن يجبر هيكل السلطة على معالجة التنازلات مرتفعة التكلفة التي يعتقد الكثير من الاقتصاديين الآن أنها ضرورية إذا كان للمرأة أن تتساوى بالفعل في الفرص الحقيقية: الرعاية اليومية، ومرونة أوقات العمل، والأمن الوظيفي بعد الولادة، والإجازة الوالدية. وهي قد تغير أيضاً تركيز العمل وبنية التنظيم ذاته. إن إضفاء الطابع النقابي على النساء العاملات في الكتابة وفي مجال المبيعات من شأنه أن يجبر الاقتصادات الغربية على الاعتراف جدياً بما تسهم به القوى العاملة النسائية: إذ إن ٥٠ بالمئة من النساء العاملات في المملكة المتحدة غير منطويات

تحت نقابة، وفقاً للجنة تكافؤ الفرص. وفي الولايات المتحدة، فإن ٨٦ بالمئة من العاملات لسن منطويات تحت نقابة أيضاً.

يعتقد العديد من الاقتصاديين أن مستقبل النقابات أنثوي، وأنهن يمثلن الحل لمشكلة (تأنيث الفقر) في العشرين سنة الماضية. كتب أحدهم: (إنَّ حقيقة أن العاملات النقابيات يجنين بالمتوسط ٣٠ بالمئة أكثر من العاملات غير النقابيات، لهو حقيقة لا تحتاج لتوضيحات إضافية). (فبشكل جماعي، تعمل العاملات بصورة أفضل). كانت العاملات في الكتابة (وهن ثلث العاملات بأجر) والعاملات في مجال المبيعات والخدمات (وهن أكثر من الربع) من أكثر المجموعات صعوبة في عملية طيهن تحت نقابة. إنّه من الصعب البحث عن التضامن عندما تتعلم النساء رؤية بعضهن بوصف الجميلات أولاً. تحُثّ الأسطورة النساء على الاعتقاد بأن تنظر كل امرأة لنفسها فقط.

يستخدم ذلك المؤهل لبلوغ دورها الاقتصادي. عندما تقول امرأة: (هذا لن يكون عادلاً حتى لو لعبت وفقاً لقواعدهم)، فإنها تكون قد نظرت نظرةً ثاقبة في العمل الحقيقي الذي يجري داخل الأسطورة. فلا قدر من العمل على الإطلاق ستتم مكافأته بشكل مناسب؛ إنها لن تستطيع مهما حاولت، ومهما حاولت جاهدة (الوصول)؛ ولادتها ليست ولادة حسناء أرستقراطية، تلك أنواع أسطورية. إنه ليس عدلاً. وهذا هو سبب وجودها.

إن عمل المرأة من أجل الجمال، وتقييم المرأة كجميلة بدلاً من كونها عاملة، يُصدّر للنساء كل يوم استعارات من المظالم الاقتصادية الحقيقية التي تنطبق عليهن في مكان العمل: فوائد انتقائية، المحسوبية في الترقية، لا أمن وظيفي، خطة تقاعد يعطى فيها جزء من رأس المال الذي وضعه العامل، محفظة أسهم مضطربة يديرها مستشارون عديمو الضمير يستفيدون من خسائر المستثمر، وعود كاذبة وعقود لا قيمة لها من الإدارة، سياسة من يتم التعاقد معه أولاً يتم تسريحه أولاً، لا يوجد نقابة، وخرق نقابي شديد، والكثير من العمالة التي تخشى الطرد في أي وقت.

في تجربة سلوكية، تستشهد كاثرين ماكينون بأن مجموعة من الدجاج تمت تغذيتها في كل مرة نقرن فيها بمنقارهن، ومجموعة أخرى كل مرتين، ومجموعة ثالثة بشكل عشوائي. عندما تم قطع الطعام عنها، توقفت المجموعة الأولى عن

المحاولة دفعة واحدة، ثم توقفت المجموعة الثانية بعدها؛ أما المجموعة الثالثة، كما قالت ماكينون، (فلم تتوقف أبداً عن المحاولة).

إذاً فالنساء، حيث الجمال والعمل يكافئهن ويعاقبهن، لا يتوقّعن أبداً حصول اتساق، ولكن أيضاً يمكن الاعتماد عليهن لمواصلة المحاولة. تعمل أعمال التجميل ومؤهل الجمال المهني في مكان العمل معاً لتعليم النساء أنّ العدالة، بقدر ما يتعلق الأمر بهن، لا تُطبق في هذا المكان. هذا الظلم يُقدّم للمرأة باعتباره غير متغير، وأبديّاً، وملائماً، وهو نابع منها نفسها، كجزءٍ من طولها ولون شعرها ونوعها الجنسي وشكل وجهها.

الهوامش

U.S. women in work force: Ruth Sidel, *Women and Children Last: The Plight of Poor Women in Affluent America* (New York: Penguin Books, 1987), p. 60.

British women in paid work: U.K. Equal Opportunities Commission, *Towards Equality: A Casebook of Decisions on Sex Discrimination and Equal Pay, 1976–1981*, pamphlet. See also: U.K. Equal Opportunities Commission, *Sex Discrimination and Employment: Equality at Work: A Guide to the Employment Provisions of the Sex Discrimination Act 1975*, pamphlet, p. 12.

Prehistory: Rosalind Miles, *The Women's History of the World* (London: Paladin Grafton Books, 1988), p. 152.

Modern tribal societies: Ibid., p. 22.

Duchess of Newcastle: The entire quote is: "Women live like *bats* or *owls*, labour like *beasts* and die like *worms*," ibid., p. 192.

No work too hard: Ibid., p. 155, quoting Viola Klein, *The Feminine Character: History of an Ideology*, 2d ed. (Urbana: University of Illinois Press, 1971).

Fatigue: Ibid., p. 188.

Humphrey Institute: Humphrey Institute, University of Minnesota, *Looking to the Future: Equal Partnership Between Women and Men in the 21st Century*, quoted in Debbie Taylor et al., *Women: A World Report* (Oxford: Oxford University Press, 1985), p. 82.

Twice as many hours as men: *Report of the World Conference for the United Nations Decade for Women*. Copenhagen, 1980, A/Conf. 94/35.

Pakistani women: Taylor et al., op. cit., p. 3.

Nonwork: Ann Oakley, *Housewife: High Value/Low Cost* (London: Penguin Books, 1987), p. 53.

Rise by 60 percent: Sidel, op. cit., p. 26.

France's labor power: Sylvia Ann Hewlett, *A Lesser Life: The Myth of Women's Liberation in America* (New York: Warner Books, 1987).
Volunteer work: Yvonne Roberts, "Standing Up to Be Counted," *The Guardian* (London) 1989 interview with Marilyn Waring, author of *If Women Counted: A New Feminist Economics* (San Francisco: Harper & Row, 1988). See also Waring, p. 69.
Gross national product: Taylor et al., op. cit., p. 4.
Nancy Barrett: "Obstacles to Economic Parity for Women," *The American Economic Review*, vol. 72 (May 1982), pp. 160–165.
Thirty-six minutes more: Arlie Hochschild with Anne Machung, *The Second Shift: Working Parents and the Revolution at Home* (New York: Viking Penguin, 1989).
Household chores: Michael H. Minton with Jean Libman Block, *What Is a Wife Worth?*(New York: McGraw-Hill), p. 19.
75 percent of household work: Hochschild and Machung, op. cit., p. 4. See also Sarah E. Rix, ed., *The American Woman, 1988–89: A Status Report*, Chapter 3: Rebecca M. Blank, "Women's Paid Work, Household Income and Household Well-Being," pp. 123–161 (New York: W. W. Norton & Co., 1988).
U.S. married men: Claudia Wallis, "Onward Women!," *Time International*, December 4, 1989.
Demand eight hours more: Heidi Hartmann, "The Family as the Locus of Gender, Class and Political Struggle: The Example of Housework," in *Signs: Journal of Women in Culture and Society*, vol. 6 (1981), pp. 366–394.
Italy: Hewlett, op. cit.
Less leisure: Taylor et al., op. cit., p. 4.
Kenya: Ibid.
Chase Manhattan Bank: Minton and Block, op. cit., pp. 59–60.
U.S. college undergraduates: Wallis, op. cit.
Undergraduates in the United Kingdom: U.K. Equal Opportunities Commission, *The Fact About Women Is…*, pamphlet, 1986.
American women in work force: Sidel, op. cit., p. 60.
Marilyn Waring: Quoted in Roberts, op. cit.
Patricia Ireland: Quoted in Wallis, op. cit.
Women with children in the American work force: Ibid.
United Kingdom mothers: U.K. Equal Opportunities Commission, op. cit.
Sole economic support: Sidel, op. cit.
Marvin Harris: quoted in Minton and Block, op. cit.
Title VII: See Rosemarie Tong, *Women, Sex and the Law* (Totowa, N.J.: Rowman and Littlefield, 1984), pp. 65–89.
1975 Sex Discrimination Act/Great Britain: See U.K. Equal Opportunities Commission, *Sex Discrimination and Employment*, especially pp. 12–13: "Sex

discrimination where sex is a 'genuine occupational qualification' for the job, or for part of the job, because of: (a) Physical form or authenticity—for example, a model or an actor." See also *Sex Discrimination: A Guide to the Sex Discrimination Act 1975*, U.K. Home Office pamphlet (2775) Dd8829821 G3371, p. 10.

The Sex Discrimination Act of 1984 in Australia docs not cover discrimination on the basis of appearance; as of 1990, the federal attorney general will extend the jurisdiction of the Human Rights and Equal Opportunity Commission Act to cover discrimination on the ground of "age, medical record, criminal record, impairment, marital status, mental, intellectual or psychiatric disability, nationality, physical disability, sexual preference and trade union activity," but discrimination on the basis of appearance will not be addressed. See also Australia, Human Rights and Equal Opportunity Commission, *The Sex Discrimination Act 1984: A Guide to the Law*, pamphlet, August 1989.

American Dream: Sidel, op. cit., p. 22.

Helen Gurley Brown: See *Sex and the Single Girl* (New York: Bernard Geis, 1962).

Firing of stewardesses: See Marcia Cohen, op. cit., p. 394. One flight attendant explains that the sexualized cabin atmosphere is expressly designed to diminish male passengers' fear of flying: "They figure mild sexual arousal will be helpful in getting people's minds off" the danger (Hochschild, 1983, cited in Albert J. Mills, "Gender, Sexuality and the Labour Process," in Jeff Hearn et al., *The Sexuality of Organization* (London: Sage Publications, 1989), p. 94.

Or go to prison: *Time*, June 7, 1971, cited in Roberta Pollack Seid, *Never Too Thin: Why Women Are at War with Their Bodies* (New York: Prentice-Hall, 1988).

Bunny Image: *Weber* v. *Playboy Club of New York, Playboy Clubs International, Inc., Hugh Hefner*, App. No. 774. Case No. CSF22619-70, Human Rights Appeal Board, New York, New York. December 17, 1971; see also *St. Cross* v. *Playboy Club of New York*. CSF222618-70.

"All women are Bunnies": Gloria Steinem, *Outrageous Acts and Everyday Rebellions* (New York: Holt. Rinehart & Winston, 1983), p. 69.

20 percent of management: Hewlett. op. cit.

Xerox Corporation: Catherine McDermott won her suit only after an eleven-year battle in New York courts: Seid, op. cit., p. 22, citing "Dieting: The Losing Game," *Time*, January 20, 1986, p. 54.

One sixth of U.S. MBAs: Hewlett, op. cit.

Appearance standards: Christine Craft, *Too Old, Too Ugly and Not Deferential to Men* (New York: Dell, 1988).

"Male Anchors: 40 to 50": Ibid., p. 37.

"Fortyish women": Ibid., p. 204.

IS SHE WORTH IT?: Richard Zoglin, "Star Power," *Time*, August 7, 1989, pp. 46–51. The opening sentence of the article reads: "First there are the blond-haired good looks, striking but somehow wholesome, more high school prom queen than Hollywood glamour puss." Then it continues: "It pains [Sawyer] that her journalistic accomplishments are overshadowed by questions about her looks...." See also the obsession with Jessica Savitch's appearance described in Gwenda Blair, *Almost Golden: Jessica Savitch and the Selling of Television News* (New York: Avon Books, 1988). (The jacket copy reads, "She was the Marilyn Monroe of TV News.")

Crippling point of view: Ibid., p. 77.

Physical characteristics: *Miller* v. *Bank of America*, 600 F.2d 211 9th Circuit, 1979, cited in Tong, op. cit., pp. 78.

Barnes v. *Costle*, 561 F.2d 983 (D.C. Circuit 1977), cited in Tong, op. cit., p. 81.

Mechelle Vinson: *Meritor Savings Bank, FSB* v. *Vinson*, 106 S. Circuit 2399 (1986).

Hopkins v. *Price-Waterhouse*: 741 F.2d 1163; S. Ct., 1775. See also Laura Mansuerus, "Unwelcome Partner," *The New York Times*, May 20, 1990.

Nancy Fadhl v. *Police Department of City and County of San Francisco:* 741 F.2d 1163, cited in Suzanne Levitt, "Rethinking Harm: A Feminist Perspective," unpublished doctoral thesis, Yale University Law School, 1989.

Tamini v. *Howard Johnson Company, Inc.*: cited in ibid.

Andre v. *Bendix Corporation:* 841 F.2d 7th Circuit, 1988, cited in ibid.

Buren v. *City of East Chicago, Indiana:* 799 F.2d 1180 7th Circuit, 1986. cited in ibid.

Diaz v. *Coleman:* Conversation with counsel Ursula Werner, Yale University Law School, New Haven, Connecticut, April 15, 1989.

M. Schmidt v. *Austicks Bookshops, Ltd.*: U.K. Industrial Relations Law Reports (IRLR), 1977, pp. 360–361.

Jeremiah v. *Ministry of Defense:* 1 Queen's Bench (QB) 1979, p. 87; see also *Strathclyde Regional Council* v. *Porcelli*, IRLR, 1986, p. 134.

Dan Air: See U.K. Equal Opportunities Commission, "Formal Investigation Report: Dan Air." January 1987. Dan Air lost the case.

Costumes: *Maureen Murphy and Eileen Davidson* v. *Stakis Leisure, Ltd.*, The Industrial Tribunals, Scotland 1989.

Sisley v. *Britannia Security Systems, Ltd.*: Industrial Court Reports, 1983, pp. 628–636.

Snowball v. *Gardner Merchant, Ltd:* IRLR, 1987, p. 397; see also *Balgobin and Francis* v. *London Borough of Tower Hamlets*. IRLR, 1987, p. 401.

Wileman v. *Minilec Engineering, Ltd.*: IRLR. 1988. p. 145.

200 London models: British Association of Model Agencies.

Fifty-four-year-old woman: Hearn et al., op. cit., p. 82.

Informal rules: Ibid., p. 149.

Contradiction: Ibid., p. 143.

Violations: Ibid., p. 148.

Sexual harassment: In a survey of nine thousand *Redbook* readers, 88 percent reported sexual harassment in the workplace. Hearn et al., op. cit., p. 80.

In the United Kingdom, where there is no specific law against it, 86 percent of managers and 66 percent of employees "had seen" sexual harassment, according to an Alfred Marks Bureau survey; a British Civil Service study found that 70 percent of women employees had been subjected to it. See British Society of Civil and Public Servants, *Sexual Harassment: A Trade Union Issue*, pamphlet, p. 14. For more information on sexual harassment, see Constance Backhouse and Leah Cohen, *Sexual Harassment on the Job* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1982), and Catharine A. MacKinnon, *Sexual Harassment of Working Women* (New Haven: Yale University Press, 1979), especially Chapter 3, "Sexual Harassment: The Experience," pp. 25–55. See also p. 17: "How many thousands of employers hire women for their 'aesthetic' appeal?"

Since 1981, the number of sexual-harassment complaints filed has nearly doubled, 94 percent of them brought by women, most of them serious charges, i.e., sexual assault, physical contact, or threats of job loss. Only 31 percent of the decisions favored the plaintiff. See David Terpstra, University of Idaho, and Douglas Baker, Washington State University, cited in "Harassment Charges: Who Wins?," *Psychology Today*, May 1989.

Provoked the comments: Nancy DiTomaso, "Sexuality in the Workplace: Discrimination and Harassment," in Hearn et al., op. cit., p. 78. Catharine A. MacKinnon cites a study by the Working Women United Institute in which respondents who had been harassed "tend to feel the incident is their fault, that they must have done something, individually, to elicit or encourage the behavior, that it is 'my problem.'...Almost a quarter of the women in one study reported feeling 'guilty.'" MacKinnon, *Sexual Harassment of Working Women*, p. 47. Rape defendants' lawyers can legally cite a woman's "sexually provocative" clothing as evidence in rape cases in every state except Florida: "Nature of Clothing Isn't Evidence in Rape Cases, Florida Law Says," *The New York Times*, June 3, 1990.

Nonverbal cues ambiguous: Barbara A. Gutek, "Sexuality in the Workplace: Social Research and Organizational Practise," in Hearn et al., op. cit., p. 61.

Molloy: Cited in Deborah L. Sheppard, "Organizations, Power and Sexuality: The Image and Self-Image of Women Managers," in Hearn et al., op. cit., p. 150.

Success suit: John T. Molloy, "Instant Clothing Power," *The Woman's Dress for Success Book* (New York: Warner Books, 1977), Chapter 1.

Equal footing: Ibid.

Dress-for-success passé: Molloy remarks that "'anything goes' articles were written by fashion industry types who were not going to put themselves in a straitjacket by saying that one item worked better than another." Molloy, Ibid., p. 27.

Molloy study: Ibid., p. 48.

Sizeable minority of men: Gutek, op. cit., pp. 63–64.

Use their appearance: "I use my personal appearance to my advantage in getting things accomplished on the job" is a statement that more men agree with than women. According to a recent study by psychologist Andrew DuBrin of the Rochester Institute of Technology, of 300 men and women, 22 percent of men use their appearance to get ahead, as opposed to 14 percent of women; 22 percent of men versus 15 percent of women admit using manipulation, and 40 percent of men versus 29 percent of women use charm.

Cited in Marjory Roberts, "Workplace Wiles: Who Uses Beauty and Charm?," *Psychology Today*, May 1989.

According to Barbara A. Gutek: "My surveys found relatively little evidence that women routinely or even occasionally use their sexuality to try to gain some organizational goal. There is even less support for the position that women have succeeded or advanced at work by using their sexuality.... In comparison to women, men may not only use sex more often at work, they may be more successful at it!" [Hearn et al., op. cit., pp. 63–64.]

Professional elegance: Levitt, op. cit., pp. 31–34.

Wherever records have survived: Miles, op. cit., p. 155.

1984 U.S. women: Sidel, op. cit., p. 61.

Estimates...from 54 to...: Ibid.

In the United Kingdom: Hewlett, op. cit.

U.S. pay differential: Hewlett, ibid.

Self-worth: Rosabeth Kanter, See *Men and Women of the Corporation* (New York: Basic Books, 1977), cited in Sidel, op. cit., p. 62.

Unsure of worth: Ibid., p. 63.

20 of 420 occupations: Ibid., p. 61.

Arlie Hochschild even found: See Hearn et al., op. cit.; see also Hochschild with Machung, op. cit.

Best economic option: Catharine A. MacKinnon, *Feminism Unmodified: Discourses on Life and Law* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1987) pp. 24–25, citing Priscilla Alexander, NOW Task Force on Prostitution; the pimp retains much or most of this amount. See also Moira K. Griffin, "Wives, Hookers and the Law," *Student Lawyer*, January 1982, p. 18, cited in MacKinnon, ibid., p. 238.

Twice as much: Ibid., p. 238.

Miss America's salary: Ellen Goodman, "Miss America Gets Phonier," *The Stockton* (Calif.) *Record*, September 19, 1989.

"Severe doubts": Liz Friedrich, "How to Save Yourself from Financial Ruin," *The Observer* (London), August 21, 1988.
Shoemaker Mine: Tong, op. cit., p. 84.
This sort of imagery anyway: Tong, ibid. See also Zillah R. Eisenstein, *The Female Body and the Law* (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1988).
Direct comparisons are being made: See *Strathclyde* v. *Porcelli*, op. cit.
"Nude female depicted": Ibid.
"Gray flannel suit": Maureen Orth, "Looking Good at Any Cost," *New York Woman*, June 1988.
Income discrimination. Ibid. Orth cites other examples of these expenses: A-list personal training, $1,240 a month. Retin-A, six visits to dermatologist at $75 each. Electrical facebuilding" by Janet Sartin, $2,000 a series, lasts six months. "Female executives now consider the act of maintaining themselves a legitimate business expense," Orth writes.
"Maintenance has invaded the tax code." "Models and prostitutes," in MacKinnon, *Feminism Unmodified*, p. 24.
Vice-presidents who are women: Wallis, op. cit.
Fatigue: Deborah Hutton, "The Fatigue Factor," British *Vogue*, October 1988.
A 60 percent shot at being poor: Hewlett, op. cit.
American older women: Sidel, op. cit.
In Great Britain: Taylor et al., op. cit., p. 14. Benefits for British old women are described in U.K. Equal Opportunities Commission, 1986. *The Fact About Women Is...*
West German women retiring: Taylor et al. op. cit. p. 34.
Private pensions: Sidel, op. cit., p. 161.
Year 2000: Taylor et al., op. cit., p. 11, citing UN World Assembly on Aging, Vienna, 1982.
Long enough to give them: Hewlett, op. cit.
Unions never stopped trying: MacKinnon, *Feminism Unmodified*, p. 227. "Women," MacKinnon also notes, "are randomly rewarded and systematically punished for being women. We are not rewarded systematically and punished at random, as is commonly supposed."

الثقافة

بما أن نساء الطبقة الوسطى قد حُبسن عن العالم، وعزلن عن بعضهن، وحُجب تراثهن من جيلٍ لآخر، فقد أصبحن أكثر اعتماداً من الرجال على النماذج الثقافية المعروضة، والأرجح أن يتطبّعن بها. تشرح مارين وارنر في كتابها **الآثار والعذارى** سبب نقش أسماء ووجوه رجال محددين على الآثار، لكنها مدغمة بصور نساء متطابقات من حيث الشكل مجهولات و(جميلات). هذا الوضع ينطبق على الثقافة عموماً. نظراً لقلة نماذج القدوات النساء في العالم، تسعى النساء في إيجادهن على الشاشة والصفحات اللامعة.

يمتد هذا النمط، الذي يستبعد النساء كأفراد، من ثقافة راقية إلى أساطير شعبية: (ينظر الرجال إلى النساء، وتشاهد النساء أنفسهن يُنظر إليهن. لا يحدد هذا فقط العلاقات بين الرجال والنساء، بل علاقة النساء بأنفسهن). لقد كان الاقتباس المعروف للناقد جون بيرغر صحيحاً على طول تاريخ الثقافة الغربية، وهو أكثر صحة الآن من أي وقت مضى.

يرى الرجال صور الموضة ذكورية ولكنهم لا يرونها نماذجَ يُحتذى بها. لماذا تكون ردة فعل النساء قوية جداً تجاه لا شيء، حقاً، على صورٍ وقصاصات من الورق؟ هل ذلك لأن هويتهن ضعيفة جداً؟ لماذا يشعرن أنه يجب عليهن أن يعاملن هذه (النماذج) (دمى عرض الأزياء) كما لو كانت (نماذج واجبة الاتباع)؟ لماذا تتفاعل النساء مع (المثل الأعلى) أياً كان الشكل الذي يتخذه في تلك اللحظة، كما لو كان واجب الاتباع بدون تفاوض؟

البطلات

ليس الأمر أن هويات النساء ضعيفة عادةً، إنما أصبحت الصورة (المثالية) مهمة بالنسبة إلى النساء لدرجة الهوس، لأنه كان يُراد بتلك الصورة أن تصبح كذلك. النساء مجرد مجموعة من (الجميلات) في ثقافة الرجال، وذلك سائد ليتمكنوا من المحافظة على الثقافة الذكورية. عندما تظهر المرأة شخصية في الثقافة، فهي غير مرغوب فيها، على عكس المرأة الساذجة والبريئة. في وصف البطلة الجميلة تناقض في المصطلحات، حيث إن البطولة تدور حول الفردية، وهي مثيرة للاهتمام ومتغيرة باستمرار، لكنَّ (الجمال) عام، وممل، وخامل. وفي حين تعمل الثقافة على استنباط المعضلات الأخلاقية، فإن (الجمال) لاأخلاقي: فإذا ما ولدت امرأة تشبه صورة فنية، فهي مصادفة من الطبيعة، وهو إجماع متغير للإدراك الجماهيري، ومصادفة غريبة، ولكنها ليست فعلاً أخلاقياً. تتعلم النساء درساً لاأخلاقياً مريراً من (الجميلات) في الثقافة الذكورية، وهو أنَّ الدروس الأخلاقية لثقافتهم تستبعدهن.

منذ القرن الرابع عشر، ساهمت الثقافة الذكورية في إسكات النساء عن طريق تفريقهن على نحوٍ جميل: فقام دليل السمات الذي طوره الشعراء بشل حركة المرأة المحبوبة داخل صمت الجمال. وحسَّنَ الشاعر إدموند سبنسر قائمة السمات في ترتيلته (Epithalamion). ونحن اليوم نرث تلك القائمة في أشكال تتراوح بين قائمة اذكري نقاطك الجيدة في المجلات النسائية، والأوهام في الثقافة الجماهيرية التي تجمع النساء المثاليات.

تُقولب الثقافة النساء لتُناسب الأسطورة عن طريق تسطيح الأنوثة إلى جمال دون ذكاء أو ذكاء دون جمال؛ يسمح للمرأة إما بالعقل أو بالجسد، لا بكليهما. الاستعارة الشائعة التي تعلم المرأة هذا الدرس هي الجمع بين الجميلة والعادية: ليا وراشيل في العهد القديم، ومريم ومارثا في العهد الجديد، وهيلينا وهيرميا في حلم مسرحية **ليلة منتصف الصيف** *A Midsummer Night's Dream*، وآنيا ودنياشا في مسرحية **بستان الكرز** *The Cherry Orchard* لشيخوف، وزدايسي ماي وسادي هوكينز في **بقعة الكلب** *Dogpatch*، وغليندا والساحرة الشريرة للغرب في رواية **أوز** *Oz*، وفيرونيكا وإثيل في **ريفرديل** *Riverdale*، وجينجر ومريم آن في **جزيرة جيليجان** *Gilligan's Island*، وجانيت وكريسي في **الرفقة الثلاثة** *Three's Company*، ومريم

وروداً في عرض ماري تايلر مور *The Mary Tyler Moore Show*، وغيرهـ. تبدو ثقافة الذكور في قمة سعادتها عند تخيل امرأتين معاً تُعرف إحداهما كفائزة والأخرى كخاسرة في أسطورة الجمال.

من ناحية أخرى، تقلب كتابات النساء الأسطورة رأساً على عقب. يتشرّث أعظم كتّاب الثقافة النسائية في البحث عن الإشعاع النوراني، الجمال الذي له معنى. تشكل المعركة بين الجمال المبالغ بتقدير قيمته، والمرأة البطلة المقدرة بأقل من قيمتها وغير الفاتنة والمفعمة بالحيوية، العمود الفقري لرواية المرأة. وهي تمتد من زمن رواية جين آير إلى الروايات الرومانسية بشكلها الحالي، التي تكون فيها المنافِسة البذيئة لكن الجميلة ذات الأظافر من الشعر المجعد، بينما لا تمتلك البطلة إلا عيونها المفعمة بالحيوية والحماسة. إن قدرة البطل على رؤية الجمال الحقيقي للبطلة هو اختباره المركزي.

هذا التقليد يضع الجميلة والتافهة جين فيرفاكس (لا أستطيع فصل السيدة فايرفاكس عن مظهرها) ضد الداهية إيما وودهاوس في رواية إيما *Emma* لجين أوستن؛ والتافهة الشقراء روزاموند فينسي (ما هي فائدة أن تكوني فاتنة إذا لم يُنظر إليك من قبل أفضل القضاة؟) مقابل التقيّة دوروثيا زوجة كازاوبون في رواية مدل مارش *Middlemarch* لجورج إليوت؛ والمتلاعبة و(الجميلة بشكل ملحوظ) إيزابيلا كرافورد مقابل المتواضعة فاني برايس في رواية حديقة مانسفيلد *Mansfield Park* لأوستن؛ والأنيقة وعديمة الروح إيزابيلا ثورب مقابل كاثرين مورلاند، غير المتأكدة (أين يكمن الجمال في جنسها كأنثى) في رواية دير نورث آنغر *Northanger Abbey*لأوستن؛ والنرجسية جينيفر فانشاو (كيف أبدو الليلة؟... أعلم أنني جميلة) مقابل الخفية لوسي سنوو (رأيت نفسي في الزجاج... لم أفكر إلا قليلاً في هذا المظهر الشاحب) في رواية فيليت *Villette* لشارلوت برونتي؛ وفي رواية نساء صغيرات *Little Women* للويزا ماي ألكوت، المتكبرة إيمي مارش (تمثال جميل) مقابل تومبويش جو، الذي يبيع لها (جمالاً واحداً)، شعرها، لمساعدة أسرتها؛ وصولاً إلى الحاضر في روايات أليسون لوري، وفاي ويلدون، وأنيتا بروكنر. كتابات المرأة ممتلئة إلى حد الغصة من المظالم التي أحدثها الجمال، بوجوده وغيابه على حد سواء.

ولكن عندما تقرأ الفتيات كتب الثقافة الذكورية، فإن الأسطورة تفسد ما تريد تلك القصص قوله. تصبح الحكايات التي تُعلّم للأطفال لترسيخ القيم الصحيحة بلا معنى بالنسبة إلى الفتيات حيث الأسطورة تكون قد بدأت عملها. خذ على سبيل المثال قصة بروميثيوس، التي في الكتاب المصور سوليفان ريدر للأطفال الأمريكيين في الصف الثالث. بالنسبة إلى الطفل الذي ينشأ على الثقافة الغربية، تعلمه أن الرجل العظيم يخاطر بكل شيء من أجل الجرأة الفكرية، ومن أجل التقدم والصالح العام. ولكن كامرأة في المستقبل، تتعلم الطفلة أن أجمل امرأة في العالم كانت من صنع الرجل، وأن جرأتها الفكرية جلبت المرض والموت الأول للرجل. تجعل الأسطورة الفتاة القارئة تشك في المنطق الأخلاقي لقصص ثقافتها.

وعندما تكبر، تكبر معها رؤيتها المزدوجة: إذا قرأت رواية جيمس جويس صورة الفنان في شبابه *Portrait of the Artist as a Young Man*، فعليها ألا تسأل لـمَ ستيفن ديدالوس هو بطل قصته. أما في رواية *Tess of the D'Urbervilles* لتوماس هاردي، فلِمَ اتجه ضوء الوصف نحوها، وليس نحو أي فتاة أخرى من فتيات مزرعة ويسيكس المعافيات وغير المُدرّسات اللاتي يرقصن في دوائر في صباح أول يوم في أيار/مايو؟ نُظر إليها ووُجد أنها جميلة، ولهذا حدثت لها تلك الأشياء: الغنى، والعوز، والدعارة، والحب الحقيقي، والشنق.

أصبحت حياتها، على أقل تقدير مثيرة للاهتمام، بينما فتيات الدّرس خشنات اليدين حولها، وصديقاتها، اللاتي لم يبارَكْن أو يُلعَنّ بجمالها، بقين في المقاطعات الموحلة لمواصلة الكدح الزراعي الذي لا يرقى لأن يكون ممّا يُكتب في الروايات. ستيفن موجود في قصته لأنه موضوع استثنائي، يجب أن يكون، وسوف يكون، معروفاً. لكن تيس، من دون جمالها، ستُستبعد من الأحداث الكبيرة. تتعلم الفتاة أن القصص تحدث للنساء (الجميلات)، سواء كُنّ مثيرات للاهتمام أم لم يكنّ. أما النساء غير (الجميلات) فسواء كُنّ مثيرات للاهتمام أو لا، لا تحدث لهن قصصٌ ذات أهمية.

إن تعليمها المبكر داخل الأسطورة يجعلها سريعة التأثر ببطلات الثقافة الجماهيرية للنساء الراشدات (عارضات الأزياء في مجلات المرأة). هؤلاء النساء هنّ عادة من تذكرهُنّ النساء أولاً عندما يُفكّرن في الأسطورة.

يسخر معظم المعلّقين، مثل الشخص الذي كان يهجو مجلة برافيت آي *Private Eye*، من الاهتمامات التافهة للمجلات النسائية وأسلوبها التحريري: (تفاهة مجلة المرأة... تجمع بين معرفة الثرثرة عن الجنس الفموي وتحريكها لمكامن عاطفية عميقة). وتعتقد النساء أيضاً أنهن ينقلن أسوأ جوانب أسطورة الجمال. والقارئات أنفسهن في كثير من الأحيان يكُن مشوشات حول المتعة المختلطة مع القلق الذي تقدمه لهن قراءة تلك المجلات. قالت لي امرأة شابة: (أنا أشتريها كشكل من أشكال إيذاء النفس، تعطيني مزيجاً غريباً من الترقب والرهبة، نوعاً من النشوة المؤلمة. نعم فعلاً! رائع! يمكنني أن أصبح أفضل إذا ما بدأت من هذه اللحظة! انظر إليها! انظر إليها! لكن بعد ذلك مباشرة أشعر كأنني أريد رمي كل ملابسي وكل شيء في ثلاجتي وإخبار صديقي ألا يتصل بي مرة أخرى وتدمير حياتي. أشعر بالخجل من الاعتراف بأنني أقرأ هذه المجلات شهرياً).

رافقت مجلات المرأة التقدم الذي أحرزته المرأة والتطور المتزامن لأسطورة الجمال. خلال ستينيات وسبعينيات القرن التاسع عشر (١٨٦٠ إلى ١٨٧٠)، تم تأسيس كلٍّ من كليات جيرتون ونيونهام وفاسار ورادكليف، وغيرها، من مؤسسات التعليم العالي للنساء. وكما كتب المؤرخ بيتر غاي، (كان تحرير المرأة في حالة من الخروج عن نطاق السيطرة). في غضون ذلك الوقت، تم تحسين الإنتاج الضخم لصور الجمال، وتأسست مجلة ذا كوين *The Queen* وهاربرز بازار *Harper's Bazaar*، وتضاعف تداول المجلة المنزلية للنساء الإنكليزيات *English Women's Domestic Magazine* إلى خمسين ألف نسخة. وقد نتج هذا الارتفاع في المجلات النسائية عن طريق الاستثمارات الكبيرة لرأس المال مقترنة بزيادة معرفة القراءة والكتابة والقوة الشرائية لنساء الطبقة المتوسطة الدنيا والطبقة العاملة: ومن هنا، بدأت عملية دمقرطة الجمال.

بدأت المجلات باستقطاب معلنين في مطلع القرن. وبما أن المنادين بمنح المرأة حق الاقتراع كانوا يصفدون أنفسهم على أبواب البيت الأبيض والبرلمان، فقد كان هذا سبباً لمضاعفة تداول المجلات النسائية مرة أخرى. واستقر بحلول السنوات العشر الثانية من القرن العشرين (عصر المرأة الجديدة) أسلوبها على ما هو عليه اليوم: دافئ، ومريح، وحميم.

عكست المجلات، كما بيّن كُتّاب آخرون، التحولات في وضع المرأة: المجلات الفيكتورية (اهتمت بالجنس الأنثوي بحيث يكون فعلياً عبودية منزلية)، ولكن مع الحرب العالمية الأولى ومشاركة المرأة فيها، فإنها (المجلات) (سرعان ما طوّرت درجة متناسبة من الوعي الاجتماعي مع الوضع الراهن حينها). ثم وعندما عادت القوى العاملة من خنادق الحرب، عادت المجلات إلى ما كانت عليه. ومرة أخرى في أربعينيات القرن العشرين، قامت بتعظيم عالم إنتاج الحرب مدفوع الأجر والعمل التطوعي في الحرب. يكتب جون كوستيلو في كتابه (**الحب والجنس والحرب ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥**) (*Love, Sex and War 1939-1945*) (تعاونت الصحافة) عندما (لجأت لجنة القوى العاملة في الحرب إلى... ماديسون أفنيو لتعزيز حملتها الوطنية لجذب النساء العاملات في أول مرة). كان التعظيم ـ كما ادّعى ـ أداة رئيسية في حملة التجنيد آنذاك، مثلما تخدم أسطورة الجمال اليوم الحكومة والاقتصاد(*).

عندما استجابت النساء لتلك الدعاية، وتولّت عمل الرجال ذوي الأجر الأعلى، انتابهن شعور جديد بالكفاءة والثقة. كتب كوستيلو: (في الوقت نفسه حاولت الإعلانات الحفاظ على الصورة الأنثوية المقبولة اجتماعياً للنساء العاملات في الحرب). قرأت أحد إعلانات الكريم البارد(**) لشركة بوند في ذلك الوقت، يقول: (نحب أن نشعر بأننا نبدو أنثويات على الرغم من أننا نقوم بالعمل الذي عادة ما يقوم به الرجل... ولذا فإننا نضع زهوراً وشرائط في شعرنا، ونحاول أن نحافظ على مظهر وجوهنا جميلة كما تحبين أن يكون). اقتبس كوستيلو من إعلان لشركة مستحضرات تجميل يعترف أنه في حين أننا لا يمكن أن نفوز بالحرب بأحمر الشفاه، (إلا أنه يرمز إلى أحد أسباب قتالنا... الحق الثمين للمرأة في أن تكون أنثوية وجميلة). في مواجهة ثوران اجتماعي عظيم منح المرأة المسؤولية، والاستقلالية، ورعاية الطفل التي تديرها الدولة، والمال الجيد، أراد المعلنون أن يضمنوا وجود سوق لسلعهم. يشير كوستيلو إلى أنه (لم يقتصر الأمر على

(*) المترجم: مثال على كيف يتلاعب الإعلام بعقول النساء منذ زمنٍ بعيد، ويريهنّ أن قيمتهن في شيءٍ يحدده بنفسه. وتقتنع النساء بهذا ويسرن كما يريد الإعلام لخدمة مصالحه، ثم قد يقلب لهن الأمر بالعكس، فيصدقنه مجدداً.

(**) كريم يعطي إحساساً بالبرودة عند تطبيقه، لذلك يسمى الكريم البارد.

الإعلانات فقط... فقد ظهرت مقالات في المجلات أيضاً تركّز انتباه السيدات على ضرورة الحفاظ على مستوى أنوثتهن مرتفعاً). أرادت المجلات ضمان أن قارئاتها لن يحررن أنفسهن من اهتمامهن بالمجلات النسائية.

عندما تم تسريح الرجال، واجهت الاقتصادات الغربية أزمة. ففي الولايات المتحدة، احتاجت الحكومة إلى (مواجهة المخاوف من عودة الجنود الأمريكيين إلى سوق عمل مشبع بالنساء). لسوء حظها، أدركت لجنة القوى العاملة أنها كانت مخطئة في آمالها في أن تستغل عمالة النساء: (وراء الكواليس، كانت البيروقراطيات التي يهيمن عليها الذكور تضع خطط ما بعد الحرب على افتراض أن معظم النساء سيعدن إلى مهمتهن الأساسية كزوجات وأمهات. لكنهم كانوا مخطئين)؛ مخطئين للغاية: في الواقع، ما نسبته ٦١ بالمئة إلى ٨٥ بالمئة من النساء، كما وجدت دراسة عام ١٩٤٤، (لم يُردن بلا شك العودة إلى الأعمال المنزلية بعد الحرب). رأت اللجنة في هذا القرار الذي اتخذته النساء العاملات تهديداً للمحاربين العائدين بإبعادهم من العمل لصالح العاملات ذوات الأجور المنخفضة، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى اضطرابات سياسية، وربما حتى تكرار الكساد. بعد مرور عام على انتهاء الحرب، عادت المجلات مرة أخرى ـ بمبالغة أكبر عن ذي قبل ـ إلى التركيز على الحياة المنزلية، وتم طرد ثلاث ملايين امرأة أمريكية، ومليون امرأة بريطانية، أو قُمن بترك وظائفهن.

على الرغم من أن العديد من الكُتّاب قد أشاروا إلى أن المجلات النسائية تعكس التغيير التاريخي، إلا أن عدداً أقل أدركوا كيف أن جزءاً من وظيفتهم هو تقرير التغيير التاريخي أيضاً. يقوم المحررون بوظائفهم جيداً من خلال قراءة زايتجايست Zeitgeist؛ يتعين على المحرّرين في مجلات المرأة ـ وعلى نحو متزايد، وسائل الإعلام الرئيسية أيضاً ـ أن يكونوا حذرين من الدور الاجتماعي المطلوب من المرأة لخدمة مصالح أولئك الذين يرعون نشرها. كانت المجلات النسائية وما زالت لأكثر من قرن من الزمان واحدة من أقوى العوامل لتغيير أدوار المرأة، وطوال ذلك الوقت ـ واليوم أكثر من أي وقت مضى ـ قد دأبت على تعظيم كل ما يحتاجه الاقتصاد ومعلنوها وخلال زمن الحرب الحكومة من النساء في تلك اللحظة.

في الخمسينيات من القرن الماضي أعيد تأسيس دور المجلة النسائية التقليدية: (من الناحية النفسية)، كتب آن أوكلي في كتابه **ربة المنزل** *Housewife:* (لقد مكنوا الأم التي تمت مضايقتها، وربة البيت التي أثقلتها الأعباء، من التواصل مع نفسها المثالية: تلك النفس التي تطمح أن تكون زوجة صالحة، وأماً جيدة، وربة منزل فعالة... كان دور المرأة المتوقع في المجتمع هو السعي وراء الكمال في جميع الأدوار الثلاثة). مع ذلك، كان تعريف الكمال يتغير مع احتياجات أصحاب العمل والسياسيين، وكذلك المعلنين في اقتصاد ما بعد الحرب المعتمد على تصاعد الاستهلاك.

في الخمسينيات من القرن الماضي، قفزت عائدات الإعلانات، وحوّلت معها التوازن بين الإدارات التحريرية والإعلانية. أصبحت المجلات النسائية هامة (للشركات التي أصبحت، مع اقتراب انتهاء الحرب، مضطرة إلى جعل مبيعات المستهلكين تحل محل عقود الحرب). كان المعلنون الرئيسيون في المجلات النسائية المسؤولة عن الغموض الأنثوي يسعون لتسويق وبيع المنتجات المنزلية.

في فصل من كتاب **الغموض الأنثوي** *The Feminine Mystique* لبيتي فريدان بعنوان (البيع الجنسي)، تتبعت المؤلفة مسألة كيف أن عدم امتلاك ربات المنزل الأمريكيات (هوية) و(هدفاً)... يفتح لهنّ طريقاً لتحصيل المال منهن. واطلعت على خدمة للتسويق فوجدت أنّه من بين فئات النساء الثلاثة، كانت المرأة العاملة (غير صحّية) من وجهة نظر المعلنين، (وأنه سيكون من مصلحتهم عدم السماح لهذه المجموعة بالنمو أكبر من ذلك... إنهن لسن النوع المثالي من العملاء؛ إنهن خطرات للغاية).

وصفت تقارير المسوقين طريقة التلاعب بربات البيوت، وتحويلهن إلى مستهلكات غير واثقات من أنفسهن للمنتجات المنزلية. فكما ذكر المسوّقون: (يجب أن نحقق هدفنا بأن ننقل إليهن شعوراً بالذنب)، والاستفادة... من (الشعور بالذنب حيال وجود الأوساخ الخفية). وشدّدوا على (القيمة العلاجية) لخبز العجين، ومما جاء في أحد إعلاناتهم: (مع خلطة كذا في المنزل، سوف تكونين امرأة أخرى). وحثوا على إعطاء ربة المنزل (شعوراً بالإنجاز) لتعويضها عن مهمة (لا نهاية لها) و(مستهلكة للوقت). فكان المصنعون يستحثون المرأة بأنّهم (قدّموا لها منتجات متخصصة لمهام متخصصة). عرّفوا منتجاتهم بـ (المكافآت

الروحية)، وكأن الأمر (شعور ديني)، وكأنه (اعتقاد ديني) بالنسبة إلى الأشياء ذات (القيمة النفسية المضافة)، فإن التقرير قد خلص إلى أن (السعر لا يشكّل أهمية). يبيع المعلنون المعاصرون منتجات الحمية ومستحضرات التجميل (المتخصصة) والكريمات المضادة للشيخوخة بدلاً عن السلع المنزلية. في عام ١٩٨٩، قدّمت عائدات أحد إعلانات (منتجات العناية الشخصية ومستحضرات التجميل) ٦٥٠ مليون دولار للمجلات، في حين أن (منتجات الصابون والمنظفات والملمّعات) لم تحقق سوى عشر هذا المبلغ. لذا فإن المجلات النسائية الحديثة تركز الآن على أعمال التجميل بدلاً من العمل المنزلي: يمكنك بسهولة استبدال الأرقام المذكورة أعلاه في الخمسينيات من القرن الماضي بكل النظائر الحديثة المناسبة من أسطورة الجمال.

خلُصت فريدين إلى أنه إذا كانت الإعلانات والدعايات التجارية هي (حالة واضحة من المسؤولية تقع على المشتري) فإن:

نفس البيع الجنسي المتنكر بالمحتوى التحريري هو أقل سخرية وأكثر غدراً... لا حاجة لكتابة ملاحظة أبداً، ولا يجب النطق بجملة مطلقاً في مؤتمر تحريري؛ الرجال والنساء الذين يتخذون قرارات التحرير غالباً ما يخرقون معاييرهم العالية الخاصة بهم لمصلحة الدولار الإعلاني.

وهذا لا يزال صحيحاً.

لم يتغير أي شيء بنيوي باستثناء تفاصيل الحلم. تسأل بيتي فريدان:

لماذا لا يقال أبداً إن الوظيفة الحاسمة فعلاً... التي تفعلها النساء بوصفهن ربات بيوت هي شراء المزيد من الأشياء للمنزل؟ شخص ما، بطريقة ما، في مكان ما، لابد أنه قد خلُص إلى أن النساء سيشترين المزيد من الأشياء إذا تم إبقاؤهن في حالة الاستخدام الناقص، والتشوق غير المألوف، والطاقة الزائدة التي ينبغي التخلص منها لربات البيوت... سوف يحتاج الأمر إلى خبير اقتصادي ذكي لمعرفة ما الذي يمكن أن يحافظ على استمرار اقتصادنا الثري إذا ما بدأ سوق ربات البيوت بالتراجع.

عندما فرّت ربة المنزل القلقة والمنعزلة والمالّة وغير الواثقة من نفسها من الغموض الأنثوي إلى مكان العمل، واجه المعلنون خسارة مستهلكهم الأساسي.

كيف يمكن التأكد من أن هذه المرأة العاملة المنشغلة والمحفزة ستستمر في الاستهلاك عند نفس المستويات السابقة عندما كانت لا تفعل شيئاً طوال اليوم غير ذلك ولا يكاد يشغلها شيء؟ كانت هناك حاجة إلى أيديولوجية جديدة من شأنها أن تفرض نفس النزعة الاستهلاكية التي يكون فيها المستهلك غير واثق من نفسه؛ ينبغي أن تكون هذه الإيديولوجية، بخلاف الغموض الأنثوي، عصاباً بحجم حقيبة اليد يمكن أن تأخذه المرأة العاملة معها إلى المكتب. إذا ما أعدنا صياغة كلام فريدان، لماذا لَمْ يُقَلْ أبداً إن الوظيفة الهامة حقاً التي تقوم بها المرأة كجميلة طموحة هي شراء المزيد من الأشياء للجسد؟ لابد أن شخصاً ما، في مكان ما، بطريقة ما، قد أدرك أنهن سيشترين المزيد من الأشياء إذا ما تم إبقاؤهن في حالة الكراهية الذاتية، الفاشلة دائماً، الجائعة، وغير الواثقة من نفسها جنسياً بوصفها (جميلة) طموحة.

لقد اكتشف (الاقتصاديون الأذكياء) ما يمكن أن يحافظ على اقتصادنا الثري مستمراً إذا ما بدأ سوق ربات البيوت في التراجع بعد الموجة الثانية من تقدم المرأة التي أثارها كتاب فريدان: لقد برز الشكل الحديث لأسطورة الجمال، مع صناعة التنحيف التي تبلغ قيمتها السوقية ٣٣ مليار دولار، وصناعة الشباب التي تبلغ قيمتها ٢٠ مليار دولار.

في انهيار الغموض الأنثوي وانبعاث الحركة النسائية من جديد، واجهت المجلات والمعلنون لهذا الدين البائد حقيقة تقادمهم. لقد نشأت أسطورة الجمال في شكلها الحديث، لتحل محلّ الغموض الأنثوي من أجل إنقاذ المجلات والمعلنين من التداعيات الاقتصادية للثورة النسائية.

تولّت أسطورة الجمال ببساطة وظيفة (الدِّين) التي تحدثت عنها فريدان في الحياة المنزلية. صحيح أنَّ الشروط تغيرت، لشروط أخرى، لكن التأثير بقي هو نفسه. في ثقافة النساء في الخمسينيات من القرن الماضي، أعربت فريدان عن أسفها بأنه (لا توجد طريقة أخرى تصبح بها المرأة بطلة) أفضل من (أن تحافظ على إنجاب الأطفال)؛ أما اليوم، فعلى البطلة (أن تستمر بكونها جميلة أيضاً).

كادت الحركة النسائية تنجح في إسقاط اقتصاديات إصدار المجلات التي تعنى بالأنوثة؛ فخلال موجتها الثانية، شعر مصنعو الملابس بالقلق لأنهم وجدوا أنَّ المرأة لم تعد تنفق الكثير من المال على الملابس كما من قبل. تخلّي النساء من

الطبقة الوسطى عن دورهن كربات منزل مستهلكات، ودخولهن في قوة العمل، سيعني أن تعاطيهن مع قضايا العالم الخارجي يمكن أن يدفعهن إلى فقدان الاهتمام بشكل كامل في الواقع الأنثوي المنفصل للمجلات النسائية.

كما تم تقويض سلطة المجلات أكثر مع تقلبات الموضة التي بدأت في أواخر الستينيات، ونهاية الأزياء الراقية وبداية ما يسميه المؤرخان إليزابيث ويلسون ولو تايلور (الموضة للجميع). هل ستقرأ النساء المحرّرات المجلات النسائية؟ لمَ ذلك؟ في الواقع، بين عامي ١٩٦٥ و١٩٨١، انخفضت مبيعات مجلة النساء البريطانيات بشكل حاد من ٥٥٥,٣ مليون نسخة في السنة إلى ٤٠٧,٤ مليون نسخة؛ وبدأ يتبين لمحرري المجلات والناشرين أن قبضتهم التقليدية على النساء بدأت تترنّح بسبب رياح التغيير الاجتماعي.

انتهت ثقافة الأزياء الراقية، وأصبحت الخبرة التقليدية للمجلات النسائية فجأةً غير ذات صلة. تبخر الغموض الأنثوي، وكل ما بقي هو الجسد. مع انبعاث الحركة النسائية إلى الحياة من جديد، عرضت مجلة فوغ *Vogue* عام ١٩٦٩ المظهر العاري، متمسكة بأمل ما، وربما بِيَئْس. تمت مواجهة إحساس المرأة بالتحرر من القيود القديمة في الموضة بعلاقة جديدة وشريرة بجسدها، كما تقول المؤرخة روبرتا بولاك سيد، (بدأت مجلة فوغ *Vogue* بالتركيز على الجسد بقدر تركيزها على الملابس، ويرجع ذلك جزئياً إلى وجود القليل مما يمكنها التحكم فيه في أنماط الأزياء الفوضوية). بعدما تجردت المجلات من خبرتها وغايتها وجاذبيتها الإعلانية القديمة، قامت باختراع جاذبية جديدة (بشكل شبه اصطناعي). في خطوة مذهلة، طورت ثقافة استبدال كامنة من خلال تسمية (مشكلة) كانت لا تكاد تكون موجودة من قبل، تركز على الحالة الطبيعية للمرأة، وترفعها إلى المعضلة الوجودية للأنثى. ارتفع عدد المقالات ذات الصلة بالحمية الغذائية بنسبة ٧٠ بالمئة من عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٧٢، وارتفعت المقالات المتعلقة بالحمية في الصحافة الشعبية من ٦٠ بالمئة في عام ١٩٧٩ إلى ٦٦ بالمئة في شهر كانون الثاني/يناير من عام ١٩٨٠ وحده. بحلول عام ١٩٨٣ و١٩٨٤، أدرج دليل القارئ للأدب الدوري ١٠٣ مواد ؛ وبحلول عام ١٩٨٤، أصبح هناك ٣٠٠ كتاب حول الحمية الغذائية توجد على رفوف المكتبات. تم إحياء (نقل الشعور بالذنب) المُربِح في الوقت المناسب.

إن (نقل الشعور بالذنب) الذي أنقذ المجلات النسائية قد حصل على سلطته من الرسم الكاريكاتوري في وسائل الإعلام الرئيسية لبطلات الحركة النسائية اللواتي وُلدن من جديد، وهو رسم كاريكاتوري تمت إعادته مراراً وتكراراً لأكثر من قرن، ودائماً ما كان في خدمة نفس النوع من رد الفعل. في عام ١٨٤٨، أثار مؤتمر سنيكافولز لوثيقة حقوق المرأة افتتاحيات مثل (النساء عديمات الأنوثة)، كما تقول غاي. واقترحت هذه الافتتاحيات أنهن أصبحن ناشطات لأنهن (كُنّ منفّرات للغاية لدرجةِ أنهنَّ لا يستطعنَ أن يجدن زوجاً). هؤلاء النساء خاليات تماماً من عوامل الجذب الشخصية). واقتبست من ناشر آخر مناهض للنسوية وصَفَهُنّ (بالنوع الهجين، نصف رجل ونصف امرأة، لا ينتمين إلى أي جنس).

عندما قدّم أحد المؤيدين (السناتور لين من كانساس) عريضة توكيل نيابة عن (مئة وأربع وعشرين سيدة جميلة وذكية ومنجزة)، احتجّت افتتاحية أخرى بأنّ (تلك الخدعة... لن تنجح. نراهن على مجرد تفاحة على أن السيدات المُشار إليهن لسن بـ (جميلات) أو منجزات. تسع من أصل عشر منهن حتماً فقدن رونقهن. لديهن أنوف مثل شكل منقار الببغاء، وخطوط متجعدة حول أعينهن الغائرة...). كان ذلك رد فعل طبيب على الهياج النسوي المتمثل بـ (النساء المتقهقرات) (بأصواتهن المنخفضة وأجسادهن المشعرة وصدورهن الصغيرة). وفقاً لغاي، (شُوّهت سمعة النسويات بوصفهن نساءً فاشلات، وأنصاف الرجال، ودجاجاً ينقنق... وبثّت المجلات الفكاهية والمشرّعون العدائيون صورة مخيفة للعجائز الذكوريات المرعبات اللواتي يخاطبن مجلس العموم).

حالما بدأ يظهر صوت النساء في الستينيات من القرن الماضي، تبنّت وسائل الإعلام التلاعب بالحلم الذي تطلبته الكذبة الحيوية في ذلك الوقت، ودربت أسطورة الجمال ضد مظهر المرأة. ومهّدت ردة الفعل على احتجاج عام ١٩٦٩ الطريقَ ضد عرض ملكة جمال أمريكا. ركّزت التغطية على قراءة الشعارات، (هناك شيء واحد فقط خاطئ في ملكة جمال أمريكا، وهو أنها جميلة، والحسد لن يوصللكِ إلى أي مكان). سريعاً، صوّرت مجلة **إسكوير** *Esquire* غلوريا ستاينم (بمثقفة الملصق)، ورفضت مجلة **كوميتاري** *Commentary* النسوية ووصفتها بأنها (حفنة من النساء القبيحات اللاتي يصرخن على شاشات التلفاز).

ونقلت صحيفة نيويورك تايمز عن قائدة نسائية تقليدية قولها: (الكثير منهن غير جذابات أبداً). وقد فسرت صحيفة واشنطن ستار *Washington Star* في آذار/ مارس عام ١٩٧٠ مسيرة (الجادة الخامسة) على أنها مهمة (لتكذيب الإشاعة بأن مؤيدات النساء قبيحات)؛ إذ إنّ: الصحفي بيت هاميل لم يشاهد (الكثير من النساء الجميلات في مكان واحد لسنوات). قالت نورمان ميلر لجيرمين غرير قبل مناظرتهن الشهيرة في قاعة المدينة: (إنك تبدين أجمل مما كنت أعتقد)؛ فجاء في عناوين الصحف (النساء ثائرات). أدركت النساء أن الحركة يتم تصويرها وقام رسامو الكاريكاتير بعملهم.

على الرغم من أن العديد من النساء أدركن أن رسّامي الكاريكاتير يركزون انتباههم على هذا الأمر، إلا أنّ عدداً أقل من النساء فهمن تماماً كيف يعمل هذا التركيز على المستوى السياسي: عند تركيز الانتباه إلى الخصائص الجسدية للقادة النساء، قد يُعرض عنهن إما لكونهن جميلات جداً أو قبيحات جداً. والنتيجة هي إبعاد النساء عن القضية. إذا تم وصم المرأة العامة بأنها (جميلة) جداً، فإنها ستمثل تهديداً، ستمثل منافساً، أو أنها ببساطة ستظهر بأنّها ليست جادة؛ لكن إذا سُخر منها على أنها (قبيحة)، فستخاطر المرأة بطلاء نفسها بنفس الفرشاة بغية أن تتماثل مع الصورة السائدة لأهدافها. الآثار السياسية المترتبة على حقيقة أنه لا توجد امرأة أو مجموعة من النساء (سواء من ربات البيوت أو المومسات أو رائدات الفضاء أو السياسيات أو النسويات) يمكن أن يسلمن من الفحص الدقيق الذي لا يمكن الفوز فيه في أسطورة الجمال لم تُعرف بعد أبعادها الكاملة، ولذا فإن آلية التلاعب بالحلم القائمة على فرّقْ تسدْ كانت فعالة. بما أن (الجمال) يتبع الموضة، وبما أن الأسطورة تقرّر أنه عندما ينضج شيء ما أنثوي فإنه يصبح غير عصري، فإن نضج الحركة النسوية قد تم تشويهه بفجاجة ولكن بفعالية في عدسة الأسطورة.

اكتسبت الموجة الجديدة من مجلات حركة ما بعد النسوية أساساً تقوم عليه نتيجة كم القلق الذي أثارته مثل تلك الرسوم الكاريكاتورية ضد النساء المنجزات. مع ذلك، كانت الموجة الجديدة ـ التي بدأتها مجلة كوزموبوليتان *Cosmopolitan* عام ١٩٦٥ بعد تحسينها ـ ثورية بالفعل مقارنة بمجلات الخدمات التي سبقتها

والتي هاجمتها فريدان(*). فقد كان خطاب تلك المجلات يحتوي على نبرة طموحة فردية وفعالة تقول إنك يجب أن تكون أفضل ما يمكنك، ولا ينبغي أن يعترض طريقك شيء؛ وركزت على العلاقات الشخصية والجنسية التي تؤكد طموح الأنثى والرغبة الجنسية، وعلى الصور الجنسية لعارضات الأزياء، والتي، على الرغم من كونها أخف قليلاً من تلك التي تستهدف الرجال، تهدف لنقل التحرر الجنسي الأنثوي. لكن يجب أن تتضمن المعادلة أيضاً عنصراً يتناقض مع المنتجات المؤيدة للمرأة، ومن ثم تقوضها: فهي من خلال النظام الغذائي، والعناية بالبشرة، ومميزات الجراحة، تبيع النساءَ النسخة الأشد فتكاً من أسطورة الجمال التي يمكن للمال أن يشتريها.

إنَّ هذه الجرعة الإجبارية من أسطورة الجمال التي جلبتها المجلات أثارت في قراء تلك المجلات هذياناً ونشاطاً وتعطشاً شهوانياً وأحلاماً دائمةً لتحصيل تلك المنتجات: التوق لتلك الجنية العرَّابة التي ستصل إلى باب القارئة وتنيمها. وأن يكون حمّامها، عندما تستيقظ، ممتلئاً بمنتجات العناية بالبشرة المناسبة، مع تعليمات استخدامها خطوة بخطوة، وعلب من الماكياج المطلوب بالتحديد. وسيكون الشبح اللطيف قد صبغ وقصّ شعر تلك النائمة بطريقة مثالية، ووضع الكريم على وجهها، ودلّكه، وفي خزانة ملابسها ستكتشف خزانة كاملة مرتبة حسب الموسم والمناسبة، منسّقة الألوان، إضافة إلى شجرةٍ من الأحذية المتنوعة، وصناديق القبعات المختلفة. وستكون الثلاجة مليئة بالخضروات اللطيفة، تزين ببراعة وجبات الطعام الفاخرة، مع مياه بيرييه وإيفيان مصفوفة بطريقة مناسبة. وسوف يدخلها هذا عالماً من تأليه الاستهلاك الأنثوي يتجاوز مجرد الشهية.

تثير التناقضات الشديدة بين العناصر الإيجابية والسلبية لرسالة المجلات ردود فعل شديدةً عند النساء (عام ١٩٧٠، كانت صحيفة **ذا لايديز هوم** *The Ladies' Home Journal* هدفاً لاعتصام غاضب من كل النساء). لماذا تهتم النساء كثيراً بما تقوله المجلات؟

(*) فريدان هي صاحبة كتاب الغموض الأنثوي *The Feminine Mystique* الذي فضحت فيه بعض ممارسات استغلال النساء.

إنهن يهتممن، على الرغم من تسخيف ما تذكره المجلات، لأنها تمثل أمراً مهماً للغاية: ألا وهو الثقافة الجماهيرية للمرأة. مجلة المرأة ليست مجرد مجلة. العلاقة بين المرأة القارئة ومجلتها مختلفة جداً عن العلاقة بين الرجل ومجلته التي ليست في نفس الفئة: رجل يقرأ مجلة **بوبيولار ميكانيكس** *Popular Mechanics* أو **نيوزويك** *Newsweek* يتصفح منظوراً واحداً فقط من بين عدد لا يحصى من الثقافة العامة الموجهة للذكور، والتي هي في كل مكان. بينما امرأة تقرأ مجلة **غلامور** فإنها تحمل بين يديها كامل الثقافة الجماهيرية الموجهة للنساء.

تتأثر النساء تأثراً عميقاً بما تخبرهن به مجلاتهن (أو بما يعتقدن أن هذه المجلات تخبرهن به) لأنها كل ما تمتلكه معظم النساء كنافذة لهن على حسهن الجماعي. أما بالنسبة إلى الذكور فتأخذ الثقافة العامة وجهة نظرهم حول ما هو جدير بالنشر، فترى في الصفحة الأولى مباراة السوبر بول (المباراة النهائية في كرة القدم الأمريكية) بينما تغيير في تشريع رعاية الطفل يتم دفنه في فقرة في صفحة داخلية. كما تأخذ أيضاً وجهة نظر الذكور حول من يستحق النظر إليه: فبالنظر لخمسين سنة من أغلفة مجلة **لايف** *Life*، على الرغم من أنه في العديد منها كانت تظهر عليها نساء، ١٩ امرأة فقط من بين هؤلاء لم يكُنّ ممثلات أو عارضات؛ أي لم يظهرن بسبب (جمالهن) (في الواقع، بما يتطابق مع أسطورة الجمال، في حالة إليانور روزفلت فقد كان جميع من أجرى مقابلة معها تقريباً قد أشار إلى (بشاعتها) الشهيرة). تنفي الصحف قضايا المرأة بعيداً إلى (صفحة المرأة)، وتقيّد برامج الأخبار التلفزيونية (قصص النساء) في وقت النهار. وعلى العكس من ذلك، تعتبر المجلات النسائية المنتجات الوحيدة للثقافة الشعبية التي تتغير (على عكس المجلات الرومانسية) مع واقع المرأة، وهي في معظمها تكتبها المرأة من أجل المرأة حول قضايا المرأة، وتتعامل مع قضايا المرأة على محمل الجد.

تتفاعل النساء بشدة مع عدم اتّساق المجلات، لأنهن ربما يدركن أن تناقضات هذه المجلات هي بشكل آخر تناقضاتهن. واقعهن الاقتصادي هو واقع المرأة عموماً: فتعكس الهدنة غير المريحة التي تدفع فيها النساء للحصول على المجال والسلطة مقابل طريقة تفكير الجمال. تخضع المجلات النسائية نفسها لنسخة نصية من مؤهل الجمال المهني. تماماً كما قراؤها، يجب على المجلة أن تدفع مقابل محتواها الجاد والمؤيد للمرأة في كثير من الأحيان، وذلك بعرضها

زخارف ثروة التجميل؛ عليها أن تفعل ذلك لتطمئن معلنيها الذين قد تهددهم الآثار المحتملة للتفوق الشديد للصحافة النسائية على أذهان النساء. لذلك تنقسم شخصيات المجلات بين أسطورة الجمال والنسوية بنفس الطريقة التي تنقسم بها شريحة قرّائها.

هل هذه المجلات تافهة ومهينة وضد المرأة؟ أسطورة الجمال هي كذلك؛ إلا أن المحتوى التحريري الآن ليس كذلك بالتأكيد، وذلك أينما أمكنها الهروب من الأسطورة. العديد من النساء المهتمات بالثقافة النسائية منجذبات للاستفادة من هذا التدفق للوعي الأنثوي الجماعي، سواء كُنَّ محررات أو كاتبات أو قارئات. تغير المحتوى التحريري للمجلات إلى حدٍّ بعيد، إلى الأفضل، بعد ولادة الحركة النسوية.

نادراً ما يُعترف أنَّ تلك المجلات قد قامت بنشر الأفكار النسوية على نطاق أوسع من أي وسيط آخر، وبالتأكيد على نطاق أوسع من المجلات النسوية الصريحة. وكان من خلال هذه اللمسات أن تسرّبت قضايا الحركة النسائية من المتاريس ومن الأبراج العاجية الأكاديمية لتدخل إلى حياة نساء الطبقة العاملة، والنساء الريفيات، والنساء اللاتي لم يحصلن على تعليمٍ عالٍ. في ضوء هذا، تعتبر هذه المجلات أدوات قوية وفعالة للتغير الاجتماعي.

لم يكن بالإمكان تخيل مستوى المحتوى النسوي في تلك المجلات في منشورات سيسيل بيتون في مجلة فوغ *Vogue*، أو في مقالات بيتي فريدان في مجلة ريد بوك *Redbook*: كانت هناك مقالات تناقش بانتظام الإجهاض والاغتصاب وضرب المرأة والتعبير عن الذات الجنسية والاستقلال الاقتصادي. في الواقع، يمكن العثور فيها على نقدٍ لأسطورة الجمال أكثر من أي مكان آخر. على سبيل المثال، نُشر في مجلة غلامور: (كيف تشعرين بالسلام تجاه جسدك؟)؛ وفي مجلة شي *She*: (الدهون ليست خطيئة)؛ وفي مجلة كوزموبوليتان: (ما الذي يجب علينا القيام به حيال الإباحية؟)؛ وفي مجلة غلامور أيضاً: (نداء من النساء الحقيقيات)، (أفسحوا المجال للممثلات المغرورات اللاتي يحصلن على الرجل دون الحاجة لأن يكُنّ فائقات الجمال... اللاتي تأتي جاذبيتهن الجنسية من الطاقة، والمزاح الأنيق، والذكاء، بدلاً من الأجساد الأشبه بالتماثيل المثالية أو الشكل الأخاذ). (حتى المقالات التي تتناول الحالات العاطفية والعلاقات الشخصية، تلك التي يتم

السخرية منها في أغلب الأحيان، ليست سخيفة عند الأخذ بالاعتبار كيف تتماسك المجتمعات المحلية من خلال هذا (العمل المنزلي العاطفي) الذي يُتوقع من النساء أن يعرفن كيفية القيام به).

عندما يكون التركيز على الجزء (الجماعي) من ندائهن، تزداد الأهمية السياسية للمجلات النسائية. لقد نقلت العديد من الكتب والمجلات قضايا الحركة النسائية إلى الأقلية، إلى نساء الطبقة الوسطى المتعلمات. لكن السلالة الجديدة من المجلات النسائية هي أولى مجلات في التاريخ تتناول الغالبية من النساء، أولئك النساء اللاتي يناضلن مالياً، ليقلن بأن لهن الحق في تعريف أنفسهن أولاً. ولتشير تلك المجلات عليهن بطرائق تمكنهن من الحصول على القوة: مثل تعلّم فنون الدفاع عن النفس، والمشاركة في سوق الأسهم، وأن يهتممن بصحّتهن، تقوم هذه المجلات بنشر الكتابات المتعلقة بالمرأة، وإظهار وعرض النساء المنجزات، ومناقشة التشريعات المتعلقة بهن. وحتى إذا ما كان الأمر يتعلق فقط بتوفير مساحة كافية لتغطية تجربة المرأة السياسية والثقافية، فإن أخفّ مجلة نسائية وزناً ستكون أكثر قوة لنهوض المرأة من الدوريات العامة الأثقل وزناً.

وهي توفر أيضاً منصة نادرة لمناظرات النساء، وذلك من خلال الرسائل، والسلاسل، والمساهمين المتغيرين. ولأنها المكان الوحيد الذي تستطيع من خلاله النساء معرفة ما يجري في العالم الآخر (فالمجلات (الجادة) تتطرق لواقع أنثوي يُتطرّق إليه على عجل)، لذا فإن ردة فعل النساء الشديدة بين الحب والكراهية تجاهها لهو أمر منطقي. في هذا الصدد، ينبغي النظر إلى دور المجلات على أنه شديد الأهمية. بالنسبة إلى ثقافة نسائية جماعية تستجيب للتغير التاريخي، فإنّ تلك المجلات هي كل ما تملكه النساء.

ولا عجب من استياء النساء من عناصر صيغ المكتبة المتكررة باستمرار. لا عجب أنهن ينزعجن عندما تبدو مجلاتهن خانعة لخط الأساس الاقتصادي المهين لأسطورة الجمال. لن تثير المجلات النسائية مثل هذه المشاعر القوية إذا كانت مجرد ترفيه انهزامي. لكن في ظل غياب الصحافة السائدة التي تعالج قضايا المرأة بكل ما تستحقه من جدية، يلقى على مجلات المرأة عبءٌ من الأهمية ـ والمسؤولية ـ في الأمور التي كان يجب نشرها في نصف الدوريات (الجادة) الموجودة في السوق.

لكن مجلات المرأة لا تعكس ببساطة معضلتنا عن كون الجمال يستخدم كاعتذار عن النطاق الجديد والسلطة الجديدة، إنما تزيد من حدّتها. حتى إن محرريها يشعرون بالقلق من أن العديد من القراء لا يعرفون كيف يفصلون المحتوى المؤيد للمرأة عن أسطورة الجمال في المجلات، والتي أخذت مكانها لأسباب اقتصادية بشكل أساسي.

لسوء الحظ، تنتشر ثورة التجميل وتتعزز أكثر بدورات الكراهية الذاتية في النساء، وهو ما تثيره الإعلانات والصور الفوتوغرافية ونماذج الجمال في المجلات. تشكل هذه الأشياء مؤشر الجمال، الذي تفحصه النساء بنفس القلق الذي يفحص فيه الرجال تقارير أسهم البورصات، وتعد بإخبار النساء ما يريده الرجال حقاً، وما هي الوجوه والأجساد التي تثير الانتباه المتحول للرجل (وهو وعد مغرٍ في بيئة نادراً ما يتحدث فيها الرجال والنساء مع بعضهم بصدق في إطار عام حول ما يرغب فيه كلٌّ منهم). لكن العذراء الحديدية التي تقدمها تلك المجلات ليست نموذجاً مباشراً لرغبات الرجال، بنفس ما أن صور الرجال مفتولي العضلات لا تُخبر الحقيقة الكاملة عن رغبات النساء. فليست المجلات وسائط تتحدث نيابة عن الرجال. في الواقع، خلُصت إحدى الدراسات إلى أنه (تشير بياناتنا إلى أن النساء مغاليات في مقدار النحافة التي يرغب فيها الرجال... إنهن مضلّلات، وربما ذلك نتيجة لتعزيز فكرة النحافة في النساء من خلال الإعلانات في صناعة الحمية). ما يظهر به المحررون بأنهم ملتزمون بقول ما تريده النساء من الرجال هو في الواقع ما يريده معلنوهم من النساء.

تُحدّد رسالة المجلة حول الأسطورة من قِبل المعلنين، لكن العلاقة بين القارئة ومجلتها لا تحدث في سياق يشجعها على تحليل كيف تتأثر الرسالة باحتياجات المعلنين؛ فهي علاقة عاطفية، موثوقية، دفاعية، غير متساوية: (الرابط الذي يربط القارئات بمجلتهن، أي الحبل السّرّي العظيم، كما يسميه البعض، هو الثقة).

تعزل الأسطورة النساء كلاً وفق جيلها، ويبدو أن المجلات تقدم لهن النصيحة الحكيمة، التي تم اختبارها من خلال التجربة، لامرأة قدوة كبيرة في السن

وقريبة في العائلة. هناك عدد قليل من الأماكن الأخرى التي يمكن للمرأة العصرية أن تجد فيها مثل هذا النموذج. لقد تعلمت أن ترفض تعاليم أمها عن الجمال والزينة والإغراء بما أن أمها قد فشلت في ذلك، فأمها تكبر في السن بسرعة. وإذا كانت محظوظة بما فيه الكفاية لتجد مُرشداً، فسيكون ذلك داخل علاقة مهنية أقرب للرسمية، لا تكون فيها هذه المهارات الحميمية جزءاً من التدريب. يقدم صوت المجلات للنساء شخصيةً ذات سلطة أنثوية غير مرئية، ليعجبن بها ويلتزمن بها؛ علاقة مشابهة للعلاقة بين المُرشد وخليفته التي يُشجّع العديد من الرجال على تطويرها في تعليمهم وفي الوظيفة، والتي لا تُتاح للنساء إلا نادراً مع غير مجلّاتهن البراقة.

يقدّم صوت المجلة تلك الثقة. لقد طوّرت نبرة من الولاء مع القارئة، بكونها تقف إلى جانبها مسبحةً بمعرفةٍ وموارد متفوقة، مثل الخدمة الاجتماعية التي تديرها المرأة، فتقول: (العديد من شركات مستحضرات التجميل على استعداد للمساعدة)، (نحن نعرف كيف نحقق فرقاً. دعي خبراء التجميل لدينا يرشدونك خطوة بخطوة). تقدم المجلات خدمات فعلية، وتقدّم قائمة من أرقام الهواتف للمساعدة، وتوفر استطلاعات رأي القراء، وتعطي النساء أدوات للميزانية والمعلومات المالية. تتجلى هذه الأمور في جعل المجلة تبدو أكثر من مجرد مجلة: تجعلها تبدو وكأنها مزيج من الأسرة الممتدة، ووكالة الاستحقاق الاجتماعي، والحزب السياسي، والنقابة. وتجعلها تبدو كمجموعة من مجموعات المصالح تضع مصلحة القارئ فوق كل شيء. يقول أحد المحررين: (المجلة مثل النادي؛ تتمثل مهمتها في تزويد القراء بشعور مريح بالاجتماعية والفخر بهويتهم).

نظراً لأن الأشخاص ينقون في أنديتهم ولأن هذا الصوت جذاب جداً، يصبح من الصعب على القارئ قراءة المجلة بنظرة حاذقة يعرف من خلالها مدى تأثير إيرادات الإعلانات عليها. من السهل التضليل في قراءة كل شيء (الإعلانات، ونسخة الجمال، وصور عارضات الأزياء) كما لو كانت رسالة محكمة من المحررين تُخبر النساء: (ينبغي أن تكوني مثل هذه).

تستجيب النساء أيضاً إلى الجانب الأسطوري الجمالي من المجلات لأن الزينة هي جزء كبير من الثقافة الأنثوية، وفي كثير من الأحيان تكون ممتعة. وليس

هنالك أي مكان آخر تقريباً يمكن أن يشاركن فيه في ثقافة المرأة بطريقة واسعة جداً. لا تعزل الأسطورة النساء فقط على مستوى جيلي، ولكن لأنها تشجّع حذر النساء من بعضهن على أساس مظهرهن فإنها تحاول عزلهن عن جميع النساء اللاتي لا يعرفنهن أو يعجبنهن شخصياً. وعلى الرغم من أن للنساء شبكات من الأصدقاء الحميمين، فإن الأسطورة، وظروف المرأة حتى وقت قريب، لم تسمح للنساء بتعلم كيفية القيام بشيء ما يجعل كل التغيير الاجتماعي الذكوري أمراً ممكناً: لم تعلم المرأة كيف تتطابق مع النساء وتتعرّف على اللاتي لا تعرفهن بطريقة غير شخصية.

تود الأسطورة أن تُصدّق النساء أنَّ المرأة المجهولة غير مُرحّبة؛ تحت الاشتباه قبل أن تفتح فمها لأنها (امرأة أخرى)، ويحث تفكير الجمال النساء على الاقتراب من بعضهن كأعداء محتملات حتى يجدن أنهن صديقات. إن النظرة الغريبة التي تقوم بها النساء الغريبات أحياناً عند تقييم بعضهن تصف كل شيء: نظرة سريعة حذرة تشمل المرأة من أعلاها إلى أخمص قدميها، تنظر في الصورة ولكنها تتجاهل الشخص؛ الحذاء، التناغم العضلي، المكياج، تُلاحظها بدقة، لكن عندما يصلن إلى العينين فإنهن يلمحن بعضهن لمحاً. تميل النساء إلى الامتعاض من بعضهن إذا بَدون (بشكل حسن جداً)، وتتجاهل بعضهن البعض إذا بَدون بشكل (سيئ جداً). لذلك نادراً ما تستفيد النساء من التجربة التي تجعل من أندية الرجال ومؤسساتهم متماسكة: تضامن الانتماء إلى مجموعة قد لا يكون أعضاؤها أصدقاء شخصيين في الخارج، إلا أنهم متحدون في مصلحة أو أجندة أو نظرة للعالم.

ومن المفارقات أن الأسطورة التي تفرّق النساء تجمعهن معاً أيضاً. إنّ المواساة من أمر الأسطورة هو أمر جيد، كطفل يجلب النساء الغريبات إلى عملية تواصل لطيف، ويكسر حاجز الحذر والحيطة المسمى (المرأة الأخرى). فالابتسامة الساخرة عن السعرات الحرارية، والتذمر من الشَّعر، يمكن أن يُلاشي الفحص الدقيق لإحدى المنافسات في ضوء التقييم في غرفة السيدات. من ناحية، تُدرَّب النساء على أن يكُنّ منافسات ضد جميع النساء الأخريات في (الجمال)؛ ومن ناحية أخرى، عندما تحتاج امرأة (عروس، أو متسوّقة في متجر) إلى التزيّن

في مناسبة كبيرة، فإنّ النساء الأخريات يتهيّجن وينقضضن حولها بتركيز سخيّ في شكل فريق مصمّم كفريق لعبة كرة قدم. هذه الطقوس اللطيفة والمُرضية في كونها جميعها تقع في نفس الجانب، وهذه الاحتفالات غير المتكررة من الأنوثة المشتركة، هي بعض من الطقوس الأنثوية المشتركة القليلة التي بقيت؛ وبالتالي سحرها وقوتها. لكن للأسف، وبشكل محزن، هذه الروابط المبهجة غالباً ما تتلاشى عندما تدخل المرأة مرة أخرى الحيز العام وتستأنف وضعها (الجمالي) المعزول وغير المتكافئ والمُهدّد بشكل متبادل والمحمي بالغيرة.

تلبي المجلات النسائية هذا الشعور اللطيف من التضامن الأنثوي غير الشخصي، النادر جداً مقارنة مع الحد الأعلى للموجة الثانية. تُخرج هذه المجلات للعيان شهوة النساء للدردشة عبر حواجز الغيرة المحتملة والحكم المسبق. بماذا تُفكّر وتشعر وتعيش النساء الأخريات عندما يبتعدن عن نظرة الرجال وثقافتهم؟ تقدم المجلات الشعور المثير بأن المرأة نادراً ما تُمنح فرصة أن تكون متصلة دون عداء مع ملايين الأشخاص ذوي التفكير نفسه من نفس الجنس، على الرغم من أن الرجال في مجموعاتهم يشعرون بهذا الشعور باستمرار. وعلى الرغم من تخفيف شدة ما تنقله المجلات بشكل محزن، إلا أن النساء يشعرن بأنهن محرومات لدرجة أنهن ما زلن يجدنها قوية حتى بهذا التركيز المخفف. كل قارئة، سواء كانت ربة منزل مورمونية في فينيكس، أو معلمة مدرسة في لانكشاير، أو فنانة مفاهيمية في سيدني، أو أمّاً من الرعاية الاجتماعية في ديترويت، أو أستاذة في الفيزياء في مانهاتن، أو عاهرة في بروكسل، أو جليسة في ليون؛ جميعهن منغمسات في نفس بحر الصور. ويمكن للجميع أن يشاركن بهذه الطريقة في ثقافة المرأة العالمية، والتي، على الرغم من كونها غير كافية وفي نهاية المطاف ضارة، لا تزال واحدة من الاحتفالات القليلة ذات التضامن في الجنسية الأنثوية التي يُسمح بها للمرأة.

يرى المرء الوجه (المثالي) بشكل مختلف عندما يضع ذلك في الاعتبار. وقوة ذلك الوجه ليست شديدة نتيجة أي شيء مميز خاص في الوجه: لماذا ذلك الوجه؟ إن قوته الوحيدة هي أنه قد تم تحديده على أنه (الوجه)، ولهذا السبب فإن الملايين والملايين من النساء ينظرن إليه معاً، ويعرفنه. تُحدّق رؤية شركة التجميل كريستيان ديور من حافلة نحو جَدَّة تحتسي قهوة كُون ليتشي على شُرفة في مدريد، وتحدق نفس الصورة المطبوعة على قطع كرتونية بعامل في سن المراهقة

من برنامج تدريب الشباب الذي يضعه في الصيدلية المحلية في قرية في دورست، ثم تضيء على سوق في الإسكندرية. يظهر الطابع الكوزموبوليتاني (العالمي) في سبعة عشر بلداً؛ بشرائهنّ علامة كلارنس التجميلية (تنضم النساء اللاتي اشترين إلى ملايين النساء حول العالم)، وبشراء منتجات مراقبة الوزن فإنهن يحصلن على (أصدقاء والمزيد المزيد من الأصدقاء).

وعلى نحوٍ متناقض، تقدم أسطورة الجمال وعداً بحركة تضامنية عالمية. أيّ مكان آخر ذلك الذي تشعر فيه النساء بارتباط سواء كان إيجابياً أو حتى سلبياً بملايين النساء في جميع أنحاء العالم؟ تشكل الصور الموجودة في المجلات النسائية التجربة الأنثوية الثقافية الوحيدة التي يمكن أن تبدأ في التعبير عن اتساع نطاق التضامن الممكن بين النساء، وهو تضامن يصل اتّساعه إلى نصف الجنس البشري. إنها لغة إسبرانتو هزيلة، إلا أنه في غياب لغة أفضل خاصة بهم فإنه يجب على النساء أن يتدبّروا الأمر بواحدة من صنع الإنسان ويحرّكها السوق، وهو ما يؤذيهن.

تعكس مجلاتنا ببساطة معضلتنا: نظراً لأن معظم رسائلها تدور حول تقدم المرأة، فإنه يجب أن يرافقها حجم كبير من أسطورة الجمال ويُخفّف تأثيرها. ولأن المجلات شديدة الجدية، فإنها يجب أن تكون مثيرة جداً أيضاً. فلأنها توفر القوة للمرأة، فإنه يجب عليها أيضاً تعزيز المازوخية. ولأن الشاعرة النسوية مارج بيرسي تهاجم دين اتباع نظام غذائي في نيو وومان New Woman، لذلك يجب أن تعطي الصفحة المقابلة ورقة تخويف حول السمنة. بينما يأخذ المحرّرون خطوة إلى الأمام لأنفسهم ولقرائهم، فإنه يجب عليهم أيضاً أخذ خطوة إلى الوراء نحو أسطورة الجمال من أجل معلنيهم.

المعلنون هم المراقبون المهذّبون للغرب، حيث يطمسون الخط الفاصل بين حرية التحرير ومطالب السوق. قد تُصوّر المجلة الجو الحميمي للأندية أو النقابات أو العائلات الممتدة، ولكن على المجلات أن تتصرف مثل الأعمال التجارية. بسبب معلنيهم، يتم إجراء فحص ضمني. وهي ليست سياسة واعية، أو يتم تداولها في المذكرات، ولا يحتاج إلى التفكير فيها أو التحدث بها. من المفهوم أن بعض أنواع التفكير حول (الجمال) من شأنه أن يُنفّر المعلنين، في حين يروج لمنتجات البعض الآخر. مع الحاجة الضمنية للحفاظ على إيرادات

الإعلانات لأجل الاستمرار في النشر، لا يستطيع المحرّرون بعْدُ تحديد السمات واختبار المنتجات كما لو أن الأسطورة ليست هي التي تدفع الفواتير.

لا يأتي ربح المجلات النسائية من ثمن النسخة، لذلك لا يمكن أن تجوب محتوياتها بعيداً عن منتجات المعلنين. عرضت قصة في إحدى مقالات مجلة **صحافة كولومبيا ريفيو** *Columbia Journalism Review* (أزمة المجلات: البيع من أجل الإعلانات)، ذكر مايكل هويت أن المجلات النسائية كانت دائماً تحت ضغط خاص من المعلنين؛ أما الجديد في ذلك فهو ازدياد شدة المطالب.

المجلات النسائية ليست وحدها في هذا الالتزام التحريري إلى الحد الأدنى. إن هذا الالتزام في ازدياد خارجها أيضاً، ما يجعل جميع وسائل الإعلام تعتمد على نحوٍ متزايد على الأسطورة. شهدت الثمانينيات من القرن العشرين ازدياداً كبيراً في المجلات، تنافس كل منها بشراسة على قطعة من فطيرة الإعلان. أمّا الضغط الآن فعلى الصحف والمجلات الإخبارية. يقول المحرر في صحيفة **كريستيان ساينس مونيتور** *Christian Science Monitor*: (يواجه المحرّرون صعوبة أكبر في الحفاظ على عذريتهم). يقول لويس لابام، محرر مجلة **هاربرز** *Harper's*: إنّ محرري مجلة **نيويورك** يتحدثون عن (هشاشة الكلمة) و(يَنصَحون بالسلطة التقديرية عندما يقتربون من موضوعات من المحتمل أن تثير قلق مشتري المساحات الإعلانية الكبيرة). ويكتب: (لقد كانت الصحافة الأمريكية، باستمرار، صحافة معززة، تُبرز صفحاتها التحريرية بشكل مميز نفس الحجج التي تبرزها النسخة الإعلانية المدفوعة). ووفقاً لمجلة **تايم**، فإن إدارة وسائل الإعلام الحديثة الآن (ترى القراء بوصفهم سوقاً). ولذلك يجب على الناشرين البحث عن المعلنين الراقين والضغط من أجل الحصول على قصص راقية. يقول المحرر توماس وينشيب: (اليوم، إذا كان لديك فضيحة مثل فضيحة ووترغيت، فسيتعين عليك مراجعة قسم التسويق). وتقتبس مجلة **صحافة كولومبيا ريفيو** من المحرر السابق لصحيفة (**بوسطن غلوب**) توماس وينشيب قوله: (إنّ المجلات سلع، وهذه السلع موجودة لتبيع السلع، والمنافسة في هذه الأيام شرسة). ثم اعترف بأنه الآن يعتمد بشكل كبير على إعلانات الأزياء: (اعتدنا أن يكون لدينا حاجز منيع بين الإعلان والتحرير، ولكن لم يعد هناك الآن. لسنوات، وحتى الآن، خرج بعض الناشرين عن الحد العادي لاجتذاب معلنين من خلال إنشاء ما يُعتبر عنه المعلنون بأنه جوّ تحريري مناسب).

كتب هويت أنَّ جون ر. ماك آرثر، محرر مجلة هاربرز، يعتقد أنّ (التحرير لإرضاء المعلنين) سيُدمّر ما يجعل المجلات ذات قيمة، ألا وهو (بيئة من الجودة والثقة). قريباً، إذا ما استمر هذا الاتجاه دون رادع، سيكون هناك القليل من وسائل الإعلام التي تملك حريتها في التحقيق أو التشكيك في أسطورة الجمال، أو حتى تقديم بدائل، دون القلق بشأن الانعكاسات الإعلانية. مكتبة سُر مَن قرأ

يزدحم الجو بمزيد من نُسَخ العذراء الحديدية الآن أكثر من أي وقت مضى بسبب التغيرات الأخيرة في التنظيم الإعلامي التي زادت من المنافسة البصرية. عام ١٩٨٨، شاهد الشخص العادي في الولايات المتحدة ١٤ بالمئة إعلانات تلفزيونية أكثر من العامين الماضيين، أو ٦٥٠ رسالة تلفزيونية أسبوعياً كجزء من إجمالي ١٠٠٠ رسالة إعلانية كل يوم. تُطلق الصناعة على هذا الوضع (ارتباك المُشاهِد): حيث لا يتذكر المشاهد سوى ١,٢ من أصل ٦٥٠ رسالة، وهي أقل من ١,٧ التي كانت عام ١٩٨٣؛ إن الأعمال التجارية الإعلانية في حالة من الذعر المتنامي.

وهكذا تصبح صور النساء و(الجمال) أكثر تطرفاً. كما أخبر مديرو الإعلان في صحيفة بوسطن غلوب، (عليك أن تضغط بقوة أكبر... لتهزّ، وترجّ، وتخترق. والآن بعد أن أصبحت المنافسة أشد ضراوة، فإن تجارةً أكثر خشونة بكثير أصبحت قائمة (التجارة الخشنة، مصطلح عامي يستخدمه الشواذ يشير للشريك الجنسي السادي مغاير الجنس). اليوم، تريد الأعمال التجارية بشدة التركيز على الإغراء... إنها تريد هدم المقاومة). إنّ الاغتصاب هو الاستعارة الإعلانية الحالية.

إضافة إلى ذلك، يتعرض الفيلم والتلفاز والمجلات لضغوط نتيجة التنافس مع المواد الإباحية، التي تعد الآن أكبر فئة إعلامية. عالمياً، يولّد إنتاج المواد الإباحية ما يقدر بنحو ٧ مليارات دولار سنوياً، وهو أكثر، بشكل لا يصدق، من صناعات الأفلام والموسيقى المشروعة مجتمعة. تتجاوز الأفلام الإباحية عدد الأفلام الأخرى بنسبة ثلاثة إلى واحد، حيث تصل إلى إجمالي مبيعات ٣٦٥ مليون دولار سنوياً في الولايات المتحدة وحدها، أو مليون دولار في اليوم. تبيع مجلات إباحية بريطانية عشرين مليون نسخة سنوياً بواقع ٢ إلى ٣ جنيه استرليني (نحو ٣,٢٠ دولار إلى ٤,٨٠ دولار) للنسخة، وإجمالي ٥٠٠ مليون جنيه استرليني سنوياً. تكسب المواد الإباحية السويدية ٣٠٠ ـ ٤٠٠ مليون كرون في

السنة؛ يقدم متجر الجنس هناك نحو ٥٠٠ عنوان، وتقدم زاوية في متجر السجائر من ٢٠ إلى ٣٠ عنواناً.

عام ١٩٨١، كان هنالك خمسمئة ألف رجل سويدي يشترون مجلات إباحية كل أسبوع؛ وبحلول عام ١٩٨٣، من بين كل ٤ أشرطة فيديو تؤجر في السويد هنالك واحد إباحي؛ وبحلول عام ١٩٨٥، تم بيع ١٣,٦ مليون مجلة إباحية من قبل أكبر الموزعين في أكشاك الزوايا. يشتري ثمانية عشر مليون رجل شهرياً في الولايات المتحدة ما مجموعه ١٦٥ مجلة إباحية مختلفة تُولّد نحو نصف مليار دولار سنوياً؛ رجل أمريكي واحد من أصل عشرة يقرأ مجلة إباحية كل شهر. يُنفق الرجال الإيطاليون ٦٠٠ مليار ليرة على المواد الإباحية سنوياً، تمثل فيها مقاطع الفيديو الإباحية نسبة ٣٠ إلى ٥٠ بالمئة من جميع مبيعات الفيديو في إيطاليا. ووفقاً للباحثين فإنّ المواد الإباحية في جميع أنحاء العالم قد أصبحت عنيفة بشكل متزايد (كما وصف ذلك هيرشل جوردون لويس مخرج المُشَرّح: (لقد جعلت النساء تظهر بصورة مشوهة في الصور لأنني شعرت أن ذلك سيجلب المزيد من المتفرجين إلى شباك التذاكر)).

من أجل رفع مستوى الضغط مرة أخرى، تجرى مسابقة الصور أثناء رفع القيود عن الإعلام في جميع أنحاء العالم. في أعقابها، يتم تصدير أسطورة الجمال من الغرب إلى الشرق، ومن الأغنياء إلى الفقراء. تُغرق برامج الولايات المتحدة أوروبا وتُغرق برامج العالم الأول العالمَ الثالث: في بلجيكا وهولندا وفرنسا، ٣٠ بالمئة من برامج التلفاز أمريكية الصنع، ونحو ٧١ بالمئة من البرامج التلفزيونية في البلدان النامية هي بالأصل ترد من العالم الغني. في الهند، تضاعف عدد ممتلكي جهاز التلفاز في غضون خمس سنوات، وقام المعلنون برعاية برامج منذ عام ١٩٨٤. وحتى عقد من الزمن، كان معظم ما يُبث في التلفاز الأوروبي تديره الدولة؛ غير أن الخصخصة، والخطوط، والأقمار الصناعية، غيرت كل ذلك، بحيث يمكن أن تصل عدد القنوات عام ١٩٩٥ إلى ١٢٠ قناة، جميعها باستثناء القليل منها تموله الإعلانات، مع توقع أن ترتفع الإيرادات من ٩ مليار دولار إلى ٢٥ مليار دولار بحلول عام ٢٠٠٠.

أمريكا ليست استثناء. ذكرت صحيفة **الغارديان** (لندن): (الشبكات التلفزيونية في حالة من الخوف)؛ فقد فقدت خلال عشر سنوات (١٩٧٩ ـ ١٩٨٩) ١٦ بالمئة

من السوق، والذي تحول إلى تلفزيون الكابل، والمستقلين، والفيديو: (والنتيجة هي حملة خاطفة باهظة).

مع سياسة الغلاسنوست glasnost، فإن أسطورة الجمال يتم استيرادها من وراء الستار الحديدي، وذلك للحد من إمكانية إحياء الحركة النسوية بقدر ما هي لمحاكاة كثرة الاستهلاك حيث لا يوجد غير القليل. تقول ناتاليا زاخاروفا، الناقدة الاجتماعية السوفياتية: (إنّ الغلاسنوست والبيريسترويكا perestroika... من المحتمل أن تجلبا لنساء السوفيات حريات متناقضة، والفتنة الأنثوية ستكون إحداها). لقد كانت ملاحظتها ذات بصيرة: فقد أصبحت صحيفة **الإصلاح** *Reform* (الصحيفة الشعبية المجرية الأولى ذات الاسم المعبّر المعروفة في هنغاريا)، التي يقرؤها واحد من بين كل عشرة من الهنغاريين، تعرض عارضة كاشفة الصدر أو الساقين من الأسفل في كل صفحة.

وصفت إحدى المجلات الإباحية السوفياتية ناتاليا نيغودا بأنها (أول نجمة جنس في السوفيات). ودخلت الصين الوطنية مسابقة ملكة جمال الكون عام ١٩٨٨، وهي السنة التي أقيمت فيها مسابقة ملكة جمال موسكو الأولى، بعد كوبا وبلغاريا. وفي عام ١٩٩٠، بدأ شحن نسخ قديمة من مجلة إباحية ومجلات نسائية فاتنة أخرى إلى بلدان الكتلة السوفياتية، ومنها سوف نشاهد كيف تتكشف أسطورة الجمال هناك في الرحم. أجابت تاتيانا مامانوفا، وهي نسوية سوفياتية، رداً على سؤال عن الفرق بين الغرب وروسيا، قائلةً: (إنها المواد الإباحية، وهي موجودة في كل مكان، حتى على لوحات الإعلانات... (إنها) نوع مختلف من الاعتداء. ولا أراها حرية بالنسبة إلي).

الرقابة

في الغرب الحر، هناك الكثير من الأشياء التي لا تستطيع المجلات النسائية أن تتحدث فيها. في عام ١٩٥٦، تم القيام بأول (اتفاق)، عندما قامت جمعية مصنّعي النايلون بحجز مساحة قيمتها ١٢ ألف دولار في مجلة وومان *Woman* ووافق المحرر على عدم نشر أي شيء في النسخة التي أبرزت بشكل رئيسي الألياف الطبيعية. كتب جانيس وينشيب: (مثل هذا الصمت سوف يصبح أمراً شائعاً، سواء عن وعي أو دونه).

إنَّ هذا الصمت الذي ورثناه يعوق حرية تعبيرنا. وفقاً لجلوريا ستاينم، خسرت مجلة مس *Ms* جزءاً كبيراً من حسابها من شركات مستحضرات التجميل لأنها أظهرت نساء سوفياتيات على غلافها لم يكُنّ، وفقاً للمعلن، يضعن ما يكفي من مستحضرات التجميل. وتم سحب إعلانات تبلغ قيمتها خمسة وثلاثين ألف دولار من مجلة بريطانية في اليوم الذي نُقل فيه عن إحدى المحررات في المجلة، وهي كارول سارلير، قولها إنها وجدت صعوبة في إظهار المرأة ذكية عندما تغطيها مستحضرات التجميل.

أخبرت محررة شاب رأسها لمجلة نسائية رائدة كاتبة أخرى شاب رأسها، هي ماري كاي بلاكيلي، أن مقالاً عن بهاء الشيب قد كلّف مجلتها خسارة حساب شركة كليرول لمدة ستة أشهر. وقد أخبرني أحد الموظفين أن إحدى المحررات في مجلة نيويورك وومان *New York Woman* قد أُعلِمت أنه عليها ـ لأسباب مالية ـ أن تضع عارضة أزياء على الغلاف بدلاً من امرأة رائعة كانت ترغب في التعريف بها. تذكر غلوريا ستاينم صعوبة محاولة تمويل مجلة تتجاوز أسطورة الجمال: مع... عدم وجود نية لتكرار الأقسام التقليدية التي تدور حول الفئات الإعلانية (النسائية) (وصفات لتعزيز إعلانات الطعام، وسمات جمالية لذكر منتجات الجمال، وما شابه ذلك) كنا نعلم أن الأمر سيكون صعباً من الناحية الاقتصادية. (لكننا لحسن الحظ لم نكن نعرف مدى صعوبته في ذلك الوقت). لا يزال جذب إعلانات للسيارات ومعدات الصوت والجعة وغيرها من الأشياء التي هي تقليدياً ليست موجهة إلى النساء أسهل من إقناع المعلنين بأن النساء ينظرن إلى إعلانات الشامبو دون النظر إلى المقالات المرافقة حول كيفية غسل شعرهن، تماماً كما ينظر الرجال إلى إعلانات منتجات الحلاقة دون النظر إلى المقالات حول كيفية الحلاقة.

كما تصف الأمر بشكل أكثر إزعاجاً في مقابلة لاحقة في مجلة نيو وومن بقولها إنّ (المعلنين لا يؤمنون بصانعات الرأي من النساء). تُؤمن ستاينم أن المعلنين هم من عليهم التغيير. وهي تعتقد بأنهم سوف يفعلون هذا وإن لم يحدث هذا في فترة حياتها. كذلك فإنَّ المرأة بحاجة إلى التغيير أيضاً؛ فقط عندما نأخذ وسائل الإعلام الخاصة بنا على محمل الجد ونقاوم توقعاتها بأننا سنسلّم للمزيد من الإرشادات حول (كيف نغسل شعرنا)، سيعترف المعلنون أنه يجب أن تُمنح المجلات النسائية قدراً واسعاً من حرية التعبير كما هي الحال مع الرجال.

الرقابة الأخرى هي أكثر مباشرة: تنقل المجلات النسائية (معلومات) عن منتجات التجميل في وسط يخضع للرقابة الشديدة. عندما تقرأ عن كريمات البشرة والزيوت المقدسة، فأنت لا تلحظ حرية في التعبير. يتعذّر على محرّري الجمال معرفة الحقيقة الكاملة عن منتجات المعلنين. في مقال في مجلة هاربرز بازار *Harper's Bazaar* بعنوان (أصغر كل يوم)، تم التماس الآراء حول الكريمات المتنوعة المضادة للشيخوخة، لكن فقط وبشكل كامل من رؤساء عشر شركات مستحضرات تجميل.

ينفق منتجو مستحضرات التجميل والعناية بالجسد نسبياً على الإعلانات أكثر من أي صناعة أخرى. كلما انتعشت الصناعة أكثر، تقهقرت حقوق المرأة الاستهلاكية والحقوق المدنية. ترتفع أسهم شركات مستحضرات التجميل بنسبة ١٥ بالمئة سنوياً، وتزيد كتابات الجمال قليلاً على الإعلانات. كتبت بيني تشورلتون في كتابها التستّر *Cover-up*: (نادراً ما يكون محررو الجمال قادرين على الكتابة بحرية عن مستحضرات التجميل)، حيث إن المعلنين يتطلّبون ترويجاً تحريرياً كشرط لوضع الإعلان. إن المرأة التي تشتري منتجاً بناءً على توصية من كتابات الجمال تدفع مقابل حصولها على ميزة أنّه قد كذب عليها مصدران.

إنَّ هذا السوق مُدعّم أيضاً بشكل آخر من الرقابة أكثر خطورة. تؤكد دلما هين Dalma Heyn، المحررة في مجلتين نسائيتين، أن إخفاء العمر من وجوه النساء بالبخّاخات هو أمر روتيني، وتلاحظ أن المجلات النسائية تتجاهل النساء الأكبر سناً أو تتظاهر بأنهن غير موجودات: تحاول المجلات أن تتجنب صور النساء الأكبر، وعندما تقوم بعرض المشاهير من النساء ممن تزيد أعمارهن على الستين سنة، فإن فنّاني إعادة تعديل الصّور يتعاونون على (مساعدة) النساء الجميلات أن يبدون أكثر جمالاً؛ أي أصغر من عمرهن.

تمتد هذه الرقابة إلى ما هو أبعد من المجلات النسائية، فتمتد إلى أي صورة لامرأة كبيرة: يقول بوب سيانو، والذي كان في يوم من الأيام مديراً فنياً لمجلة لايف *Life*: (لا توجد صورة لامرأة لا تجري عليها تعديلات... حتى المرأة (المُسنّة) المعروفة التي لا تريد أن يتم تعديل صورتها، لا نزال نحاول أن نجعلها تبدو كما لو كانت في الخمسينيات من عمرها). إن تأثير هذه الرقابة على ثلث حياة الإناث كان واضحاً لدلما هين: (في هذا الوقت ليس عند القراء أي فكرة عن كيف يبدو

وجه امرأة حقيقية في عمر الستين وهو مطبوع على الأغلفة، لأنه يجري جعلها تبدو وكأنها بعمر الخامسة والأربعين. الأسوأ من ذلك هو أن القارئات البالغات من العمر ٦٠ عاماً ينظرن إلى المرآة ويعتقدن بأنهنّ يبدون مسناتٍ جداً، لأنهن يقارنّ أنفسهنّ مع بعض الوجوه المعدّلة التي تبتسم لهن في مجلة ما).

غالباً ما يتم تعديل صور أجساد عارضات الأزياء بالمقص. ويُستخدم (التصوير بالحاسب) (وهو تقنية جديدة مثيرة للجدل تتلاعب بالواقع الفوتوغرافي) منذ سنوات في إعلانات الجمال في المجلات النسائية. إنّ ثقافة المرأة هي وسط مغشوش ومثبط. كيف تكون قيم الغرب مناسبةً هنا، وهي قيمٌ تكره الرقابة وتؤمن بحرية التبادل للأفكار؟

هذه القضية ليست بسيطة، إنها تتعلق بأكثر الحريات أساسية: حرية أن يتخيل المرء مستقبله وأن يكون فخوراً بحياته. إنّ لطمس معالم التقدم بالسن من وجوه النساء المسنات باستخدام الأدوات الحديثة نفس الصدى السياسي الذي سيُسمع صوته إذا ما تم تفتيح جميع الصور الإيجابية للسود بشكل روتيني. وهذا من شأنه أن يُضفي نفس الحكم على القيمة حول السواد الذي يُضفيه هذا التلاعب على قيمة حياة الأنثى: بأن الأقل أكثر. إن إخفاء عمر المرأة من وجهها يعني محو هوية المرأة وقوتها وتاريخها.

لكن يجب على المحررين اتباع الصيغة التي تعمل بفعالية؛ فلا يمكنهم المخاطرة بتقديم ما تدّعي الكثير من القارئات أنهن يُرِدْنه: التشبيهات التي تشملهن، والعروض التي لا تستخفّ بهن، وتقارير المستهلك الموثوق بها. يؤكد العديد من المحررين أنّه من المستحيل فعل ذلك، لأن القارئات لا يُردن هذه الأشياء بعد بما فيه الكفاية.

تخيّل مجلة نسائية عرضت على نحوٍ إيجابيٍّ عارضات أزياء بدينات، أو قصيرات، أو كبيرات في السن، أو لا عارضات أزياء على الإطلاق وإنما نساء حقيقيات عاديات. دعنا نقول إنّها تمتلك سياسة لتجنب القسوة تجاه النساء، تماماً كما أن بعض هذه المجلات الآن لديها سياسة ترويج المنتجات التي صُنعت بشكل يخلو من القسوة على الحيوانات؛ وإنها تخلت عن الحميات الغذائية القاسية، والتغني بها لتحقيق الكراهية الذاتية، وعن المقالات الترويجية للمهنة التي تقطع أجساد النساء السليمات (الجراحة التجميلية). ودعونا نقول إنها نشرت

مقالات في مدح روعة العمر الظاهر على المرأة، وعرضت مقالات مصورة محببة حول أجساد النساء من جميع الأشكال والنّسَب، وبحثت بفضول لطيف تغيرات الجسد بعد الولادة والرضاعة الطبيعية، وقدمت وصفات دون عقاب أو شعور بالذنب، ونشرت صوراً إغرائية للرجال.

إنها بذلك ستهوي إلى الأرض وتفقد الجزء الأكبر من المعلنين. يجب على المجلات، بوعي كليٍّ أو جزئي، أن تفهم بأن ظهور المرأة بنفس عمرها أمر سيئ؛ لأن ٦٥٠ مليون دولار من عائدات إعلاناتها يأتي من أشخاص سيخرجون من السوق إذا ما كان العمر الحقيقي الظاهر يبدو حسناً. وهي بحاجة، بوعي أو دون وعي، إلى تشجيع النساء على كره أجسادهن بما يكفي ليجوّعن أنفسهن على نحو مُربح، إذ إنّ الميزانية الإعلانية لثلث فاتورة الطعام للشعب تعتمد على اتباع حمية غذائية. يعتمد المعلنون الذين يجعلون ثقافة المرأة الجماعية أمراً ممكناً على جعل النساء يشعرن بالسوء بما فيه الكفاية حول وجوههن وأجسادهن لإنفاق مزيد من المال على منتجات لا قيمة لها أو تسبب الألم، أكثر مما كُنّ سيفعلن إذا ما شعرن بأنهن جميلات بالفطرة.

لكن الأهم من ذلك أن المجلة ستهوي إلى الأرض لأن النساء قد عُلّمْنَ جيداً أسطورة الجمال إلى درجة أنهن غالباً ما تشرّبنها في أنفسهن الكثير منهن لسن متأكدات بعد إذا ما كان يمكن أن تكون المرأة مثيرة للاهتمام دون (الجمال)، أو أن قضايا المرأة وحدها تحتوي ما يكفي لتدفع النساء أموالاً جيدة ليقرأن عنها إذا لم يتم إضافة تفكير الجمال إلى المزيج.

وبما أن الكراهية الذاتية تُضاعف الطلب والسعر على نحوٍ مصطنع، فإن الرسالة الشاملة للنساء من مجلاتهن يجب أن تبقى سلبية وليست إيجابية، ما دامت ردة الفعل نحو الجمال سليمة. ومن هنا جاءت النبرة المتغطرسة التي لا تستخدمها أي مجلات أخرى لمخاطبة البالغين الذين يملكون المال في جيوبهم: افعلي هذا ولا تفعلي ذلك، بطريقة توبيخية ولماحة واستحقارية. بالمقابل فإنَّ نفس النبرة في مجلة الرجال: (قم بالاستثمار في سندات من دون ضرائب؛ لا تصوت للجمهوري)، هي أمر لا يمكن تصوّره. بما أن المعلنين يعتمدون على سلوك المستهلك مع النساء بطريقة لا يمكن تحقيقها إلا من خلال التهديدات والإكراه، فإن التهديدات والإكراهات تؤثر وتثقل كاهل المحتوى التحريري القيّم للمجلات.

ترى النساء الوجه والجسد من حولهن في كل مكان الآن، ليس لأن الثقافة تُقدِّم بشكل سحري خيالاً ذكورياً واضحاً، إنما لأن المعلنين يحتاجون إلى بيع المنتجات في صورة تنافسية من القصف الصوري المقصود للتخفيف من احترام النساء لذواتهن؛ ولأسباب سياسية لا جنسية، يهتم الرجال والنساء الآن بصور الوجه والجسد. وهذا يعني أنه في المنافسة الشرسة التي ستأتي، إذا لم يحدث أي تغيير في الوعي ـ لا يمكن أن تصبح المجلات النسائية أكثر إثارة للاهتمام حتى نصدق نحن أنفسنا النساء بأننا أكثر إثارة للاهتمام ـ فإنّه من المؤكد أن تصبح الأسطورة أقوى من ذلك بعدة مرات.

ثم كلما قادت المجلة القارئة في رحلتها الفكرية الإيجابية، دفعتها في نفس الوقت إلى أسفل الطريق المضطرب لإدمان جمالها. وبينما تصبح التجارب على طول الطريق أكثر تطرفاً، سينمو إحساس المرأة المجنون بأن ثقافتنا تعاني من انفصام شخصية تسعى إلى نقلها لنا من خلال مقايضة مغرية، ومحرجة، ومليئة بالتحديات، ومثقلة بالذنب بين الأغطية الباهرة.

الهوامش

Anonymous women: See Marina Warner, *Monuments and Maidens: The Allegory of the Female Form* (London: Weidenfield and Nicholson, 1985).

Men look: John Berger, *Ways of Seeing* (London: Penguin Books, 1988), p. 47.

This tradition: Jane Austen, *Emma* (1816) (New York and London: Penguin Classics, 1986), p. 211; George Eliot, *Middlemarch* (1871–72) (New York and London: Penguin Books, 1984); Jane Austen, *Mansfield Park* (1814) (New York and London: Penguin Classics, 1985); John Davie, ed. Jane Austen, *Northanger Abbey, Lady Susan, The Watsons and Sanditon* (Oxford: Oxford University Press, 1985); Charlotte Brontë, *Villette* (1853) (New York and London: Penguin Classics, 1986), p. 214; Louisa May Alcott, *Little Women* (1868–69) (New York: Bantam Books, 1983), p. 237; see also Alison Lurie, *Foreign Affairs* (London: Michael Joseph, 1985); Fay Weldon, *The Life and Loves of a She-Devil* (London: Hodder, 1984); Anita Brookner, *Look at Me* (London: Jonathan Cape, 1984).

Blowjobs and sentimentality: "Bookworm," *Private Eye*, January 19, 1989.

Out of control: Peter Gay, *The Bourgeois Experience: Victoria to Freud, Volume II: The Tender Passion* (New York: Oxford University Press, 1986), p. 99. Harvard's Radcliffe Annexe and Somerville College and Lady Margaret Hall

at Oxford were founded in 1879; Cambridge University opened degrees to women in 1881.

To fifty thousand: Janice Winship, *Inside Women's Magazines*, (London: Pandora Press, 1987), p. 7.

The press cooperated: John Q. Costello, *Love, Sex, and War: Changing Values, 1939–1945* (London: Collins, 1985).

Ideal self: Cynthia White, *Women's Magazines, 1693–1968*, quoted in Ann Oakley, *Housewife: High Value/Low Cost* (London: Penguin Books, 1987), p. 9.

Betty Friedan: Friedan, "The Sexual Sell," in *The Feminine Mystique* (London: Penguin Books, 1982), pp. 13–29. All quotes through page 67 are from this source.

"toiletries/cosmetics" ad revenue: Magazine Publishers of America, "Magazine Advertising Revenue by Class Totals, January–December 1989," Information Bureau, A.H.B., January 1990.

Weren't even spending much money on clothing anymore: Roberta Pollack Seid, *Never Too Thin* (New York: Prentice-Hall, 1989).

Style for all: Elizabeth Wilson and Lou Taylor, *Through the Looking Glass: A History of Dress from 1860 to the Present day* (London: BBC Books, 1989), p. 193.

Fell sharply: Marjorie Ferguson, *Forever Feminine: Women's Magazines and the Cult of Femininity* (Gower, England: Aldershot, 1983), p. 27.

"What part did women's magazines play in all this [the feminist agenda]?" Ferguson asked. "Most editors busily grappling with the problems of how to target audiences more tightly, or prevent circulation decline, were aware that some changes were taking place outside their offices, but often lacked any systematic information about their nature or extent.... Some editors related women going out to work to diminished 'time' and 'need' for women's magazines:

"'Then there is the business of women going out to work. Once you go out to work you have less time; your needs are different, and they might have been answered by either television, newspapers, or by the television programme paper.' (Women's weekly editor)".

Helen Gurley Brown, *Cosmopolitan*'s editor, increased its circulation from 700,000 in 1965 to 2.89 million copies a month in 1981. According to Brown, "*Cosmopolitan* is every girl's sophisticated older sister.... *Cosmopolitan* says you can get anything if you really try, if you don't just sit on your backside with your nose pressed to the glass.... We carry our profile, one piece on health, one on sex, two on emotions...one on man/woman relationships, one on careers, one short story and one part of a major work of fiction, as well as our regular columns." Quoted in Ferguson, p. 37.

The Nude Look: Seid, op. cit., p. 217.

Diet-related articles rose 70 percent: Ibid., p. 236.

To 66 in month of January: Ibid.

300 diet books on the shelves: Ibid.

Hybrid species, half man and half woman: Gay, op. cit.

Senator Lane: Ibid.

Degenerate women: Ibid. See also Barbara Ehrenreich and Deirdre English, *Complaints and Disorders: The Sexual Politics of Sickness* (Old Westbury, N.Y.: City University of New York, Feminist Press, 1973).

Feminists were denigrated: Gay, op. cit., p. 227.

Jealousy will get you nowhere: Marcia Cohen, *The Sisterhood: The Inside Story of the Women's Movement and the Leaders Who Made It Happen* (New York: Fawcett Columbine, 1988), p. 151; quotes from *Commentary* and *The New York Times*, also from Cohen, ibid., p. 261.

A bunch of ugly women: Ibid., p. 261.

Pete Hamill: Quoted in Cohen, p. 287.

Norman Mailer: Quoted in Cohen, p. 290.

WOMEN ARE REVOLTING: Ibid., p. 205.

Rivers and screams: Ibid., pp. 82–83, 133.

Misinformed: April Fallon and Paul Rozin, "Sex Differences in Perceptors of Body Size," *Journal of Abnormal Psychology*, Vol. 92, no. 4 (1983). "Our data suggest women are misinformed and exaggerate the magnitude of thinness men desire."

Trust: Cohen, op. cit., p. 91.

Pride in their identity: Quoted in J. Winship, op. cit., p. 7.

Fragility of the word: Lewis Lapham, *Money and Class in America: Notes on the Civil Religion* (London: Picador, 1989), p. 283.

Readers as a market: Lawrence Zuckerman, "Who's Minding the Newsroom?," *Time*, November 28, 1988.

Watergate: Thomas Winship, former editor at *The Boston Globe*, quoted in Zuckerman, op. cit.

Sell goods: Daniel Lazare, "Vanity Fare," *Columbia Journalism Review* (May/June 1990), pp. 6–8.

Atmosphere: Ibid, pp. 6–8. Lazare points out that one American magazine. *Vanity Fair*, gives laudatory coverage of fashion and cosmetics giants; in September 1988 alone, these recipients of editorial promotion took out fifty ad pages at up to $25,000 a page.

650 TV messages a week: Mark Muro, "A New Era of Eros in Advertising," *The Boston Globe*, April 16, 1989.

Demolish resistance: Ibid.

Pornography...7 billion dollars a year: MacKinnon, *Feminism Unmodified*, op. cit., citing Galloway and Thornton, "Crackdown on Pornography—A No-Win Battle," *U.S. News*

and World Report, June 4, 1984; see also Catherine Itzin and Corinne Sweet of the Campaign Against Pornography and Censorship in Britain, "What Should We Do About Pornography?," British *Cosmopolitan*, November 1989; J. Cook, "The X-Rated Economy," *Forbes*, September 18, 1978 ($4 billion per year); "The Place of Pornography," *Harper's*, November 1984 ($7 billion per year).

In the past fifteen years, the industry has increased 1,600 times over and now has more outlets than McDonald's. See Jane Caputi, *The Age of Sex Crime* (Bowling Green, Ohio: Bowling Green State University, Popular Press, 1987).

United States alone, a million dollars a day: Consumer Association of Penang, *Abuse of Women in the Media* (Oxford: Oxford University Press, 1985), cited in Debbie Taylor et al., *Women: A World Report*, (Oxford: Oxford University Press, 1985), p. 67.

British magazines, Angela Lambert, "Amid the Alien Porn," *The Independent*, July 1, 1989.

Swedish pornography: Gunilla Bjarsdal. Stockholm: Legenda Publishing Research, 1989.

18 million U.S. men: Taylor et al., op. cit., p. 67.

One American man in ten: John Crewdson, *By Silence Betrayed: Sexual Abuse of Children* (New York: Harper & Row, 1988), p. 249.

Best read in Canada: Caputi, op. cit., p. 74.

Italian pornography: The Institute for Economic and Political Studies, Italy; research by Mondadori Publishing, 1989.

Increasingly violent: See Andrea Dworkin, *Pornography: Men Possessing Women* (New York: Putnam, 1981), especially "Objects," pp. 101–128. On Herschel Gordon Lewis, see Caputi, op. cit., p. 91. Also, concerning competition with pornography, see Tony Garnett, director of *Handgun*, Weintraub Enterprises, quoted in "Rape: That's Entertainment?," Jane Mills, producer, *Omnibus*, BBC1, September 15, 1989. According to Garnett, "One of the reasons a film like this is probably financed is because there is a rape scene at the center of it. There was...a considerable pressure from the various distributors who controlled it. Most of the people who dealt with it were very disappointed in the film, particularly in the rape because it was not sexually exciting and I was asked if we had any off-cuts that we could re-cut in to make it more sexually exciting because that sells tickets."

30 percent U.S. made: "Stars and Stripes Everywhere," *The Observer*, October 8, 1989.

71 percent imports: Paul Harrison, *Inside the Third World: The Anatomy of Poverty* (London: Penguin Books, 1980).

TV ownership in India: Edward W. Desmond, "Puppies and Consumer Boomers," *Time*, November 14, 1989. (In 1984 Indian advertisers began to sponsor shows.)

Worldwide deregulation of airwaves: The Dutch government is concerned about satellitebased pornography and commercial TV from Luxembourg. Some European foreign ministers believe that "by the end of the next decade the US-dominated media empires will have a stranglehold on global broadcasting." [John Palmer, "European Ministers Divided Over US 'Media Imperialism,'" *The Guardian*, Oct. 3, 1989.] In "Review and Appraisal: Communication and Media," a paper presented to the World Conference to Review and Appraise the Achievements of the United Nations Decade for Women, Nairobi, 1985 (A/CONF. 116/5), a worldwide survey found that in the media, there is little representation of women's changing roles. In Mexico, women are "the soul of the home" or the "sex object." In Turkey, the typical woman in the media is "mother, wife, sex symbol"; the Ivory Coast emphasizes her "charm, beauty, frivolity, fragility." Cited in Taylor et al., op. cit., p. 78.

$9 billion: "Stars and Stripes Everywhere," op. cit.

Glitz blitz: "You Must Be Joking," *The Guardian*, October 10, 1989.

Contradictory freedoms: Cynthia Cockburn, "Second Among Equals," *Marxism Today*, July 1989.

Glamour See David Remnick, "From Russia with Lycra," *Gentlemen's Quarterly*, November 1988.

Reform: David Palliser: *The Guardian*, October 16, 1989.

Negoda: "From Russia with Sex," *Newsweek*, April 17, 1989.

China: See "The Queen of the Universe," *Newsweek*, June 6, 1988.

Tatiana Mamanova: Quoted in Caputi, op. cit., p. 7.

Silences: J. Winship, op. cit., p. 40.

Looking intelligent: Penny Chorlton, *Cover-up: Taking the Lid Off the Cosmetics Industry* (Wellingborough, U.K.: Grapevine, 1988), p. 47; also Gloria Steinem, "Sex, Lies and Advertising," *Ms.*, September 1990.

Ad pressure...gray hair Michael Hoyt, "When the Walls Came Tumbling Down," *Columbia Journalism Review*, March/April 1990, pp. 35–40.

Steinem: See Gloria Steinem, *Outrageous Acts and Everyday Rebellions* (New York: Holt, Rinchart and Winston, 1983), p. 4.

Her lifetime: Marilyn Webb, "Gloria Leaves Home," *New York Woman*, July 1988.

Ten presidents: Lisa Lebowitz, "Younger Every Day," *Harper's Bazaar*, August 1988.

More on advertising: Chorlton, op. cit., p. 46.

Cosmetic Stock: Standard and Poor's Industry Surveys (New York: Standard and Poor's Corp., 1988). In the United States, in 1987, the cosmetics, toiletries, and personal care products industry accounted for $18.5 billion, with cosmetics making up 27 percent of that figure; see Robin Marantz Henig, "The War on Wrinkles," *New Woman*, June 1988.

Much of the growth is due to the depressed price of petroleum derivatives, especially ethanol, which is the base of most products. "A major factor underlying the group's performance," according to the 1988 *Standard and Poor's Industry Surveys*, "has been its favorable cost/price ratio."

Beauty editors: Chorlton, "Publicity Disguised as Editorial Matter," in *Cover-up*, op. cit., pp. 46–47.

Dalma Heyn: Pat Duarte, "Older, but Not Invisible," *Women's Center News* (Women's Center of San Joaquin County, Calif.), vol. 12, no. 12 (August 1988), pp. 1–2.

Bob Ciano: Quoted in ibid., p. 2.

Advertising revenue: A single issue of *Harper's and Queen*, in October 1988, carried £100,000 worth of ads from cosmetics companies: Gerald McKnight, *The Skin Game: The International Beauty Business Brutally Exposed* (London: Sidgwick and Jackson, 1987), p. 65.

Advertising depends on…dieting: Magazine Publishers of America, op. cit.

الدين

طقوس الجمال

تتناقل المجلات أسطورة الجمال كما لو أنها تبشر بدينٍ جديد. وبمجرد قراءة النساء لها، يشاركن في إعادة إنشاء نظام عقائدي يماثل بقوته أي نظام كنائسي، والتي أرخت «النظم الكنسية» من شدة قبضتها عليها.

كنيسة الجمال ـ مثلها مثل العذراء الحديدية ـ هي رمز ذو وجهين، فقد اعتنقتها النساء بشغف بدونية، كوسيلة لملء الفراغ الروحي الذي كان يكبر أكثر فأكثر بزيادة تآكل علاقتهن التقليدية مع الدين. ويفرضها النظام الاجتماعي بقوة، لتحل محل السلطة الدينية كقوة منظمة لحياة النساء.

تعاكس طقوس الجمال حرية المرأة الجديدة، وذلك من خلال مقاومتها دخول المرأة العالمَ العلماني العام مع نهاية القرن العشرين، محافظةً على تفاوتٍ في السلطة بين الرجال والنساء أكثر أماناً مما قد يكون عليه في خلاف ذلك. ومع انتقال العالم إلى عصر جديد دخلت النساء في صراع، فقد أُلزمنَ أكثر بنظام عقائدي قوي، يستحوذ على جزءٍ من وعيهن بفكرة أنَّ العالم الذكوري قد انتهى منذ العصور المظلمة. فإذا نظرنا لوعيين، أحدهما يتبع نظام الاعتقاد في القرون الوسطى (السائد فيه فكرة العالم الذكوري)، والآخر معاصر جداً، فسنرى أنَّ العالم المعاصر وقوته ينتميان إلى الوعي الثاني. لكن طقوس الجمال قديمة جداً، وبدائية، لهذا فإنَّ ذلك الجزء من جوهر وعي الأنثى يبقى قديماً وبدائياً.

لدى الرجال أيضاً مشاعر تبجيل تجاه دين النساء هذا. ويُدافَع عن نظام التصنيف على أساس (الجمال) كما لو أنّه مستمد من حقيقة مطلقة، ويفترض

الناس أنَّ الذين لا يخوضون العالم بهذا النوع من الإيمان القطعي ليسوا على شيء. وعلى الرغم من أنّه في هذا القرن(*) حصل تحوير لمعظم مجالات التفكير من خلال الاعتقاد بأنَّ الحقائق نسبية، وأنَّ التصورات شخصية، إلا أنَّ صواب وديمومة نظام التصنيف وفقاً لـ (الجمال) هو أمر مسلمٌ به عند جميع الناس، عند من يدرس فيزياء الكوانتم ومن يدرس الإثنولوجيا(**) ومن يدرس قانون الحقوق المدنية؛ حتى عند الملحدين المشككين بأخبار التلفاز، وعند غير المؤمنين بأنَّ الأرض خُلقت في أيام. هو أمرٌ لا يخضع للنقد، كأحد بنود الإيمان.

يُنظر إلى هذه (الحقيقة) على أنّها سلطة سامية يملكها جميع الرجال ضد أي امرأة، هذا أمرٌ منتشرٌ جداً في مجتمعاتنا، وهم هنا: مسؤولو مسابقات الجمال، والمصورون، وصولاً إلى الرجل في الشارع. فحتى ذلك الأخير (الرجل في الشارع) يمتلك بعضاً من تلك السلطة السامية على النساء، كما ذكر ميلتون رفعة آدم على حواء بقوله: (هو لله، وهي لله في آدم). إنَّ حق جميع الرجال في إطلاق الحكم على جمال أي امرأة، دون أن يحكم عليهم أحد، هو حقٌّ بعيد عن التمحيص، حيث ينظر إليه على أنّه منحةٌ سامية. لقد أصبحت ممارسة هذا الحق هامةً جداً في ثقافة الذكور. وعلى هذا النحو، فهي تُمارس يومياً، وبطريقة أكثر قساوةً، مستهلكةً حقوقاً أخرى للنساء فُقدت الآن للأبد، مع طرائق أخرى للسيطرة على تلك الحقوق.

وقد لاحظ كثيرٌ من الكُتّاب التشابه الميتافيزيقي بين طقوس الجمال وطقوس الأديان: لدرجة أنَّ المؤرخ جوان جاكوبس برومبرغ ذكر أنّه حتى أساليب أقدم كتب الحميات (ترددت فيها الإشارة إلى الأفكار المقدسة للإغراء والخطيئة) و(صراعات كاليفينية مدوية)؛ وتحدثت سوزان بوردو عن (النحول والروح)؛ وتعقبت المؤرخة روبرتا بولاك سير ذلك التأثير، وقد كتبت عن هيستيريا الوزن: (ديننا الجديد... لا يقدم أي خلاص، إنما فقط دورة متصاعدة باستمرار من الخطيئة والكفارات العابرة لتلك الخطايا).

(*) القرن العشرون.

(**) علم الأعراق.

ما لم يُعترف به حتى الآن هو أنَّ المقارنة مع الدين يجب ألا تكون على سبيل الاستعارة: فردُّ الفعل تجاه طقوس الجمال لا يعكس ببساطة الطوائف والأديان التقليدية، إنما يحل محلها وظيفياً. فهذه الطقوس تعيد ـ حرفياً ـ بناء الإيمان القديم بآخر جديد، تعتمد حرفياً على تقنيات تقليدية لإضفاء الحيرة والتحكم بالأفكار، وذلك لتغيير عقول النساء على نحوٍ جذري، مثل أي موجة إنجيلية سابقة.

إنَّ طقوس الجمال هي تجمع هائل لأديان وطوائف متنوعة. وبإبعاد الأديان، تصبح هذه الطقوس أكثر حيوية وتفاعلاً مما سواها مع الاحتياجات الروحية المتغيرة لرعاياها. تجمع فيها بعض القطع والفتات وكثيراً من أنظمة الاعتقاد مع بعضها وترميها عندما لا تعود تخدم مصلحتها. وكما في الأسطورة الأكبر، فإنَّ هيكلية دينها تتغير تلقائياً بمرونة لمواجهة مختلف التحديات التي تفرضها عليها استقلالية النساء.

إنَّ الصورة الرمزية لطقوس الجمال وطريقتها تشابه فطرياً كاثوليكية العصور الوسطى. فالنفوذ الذي تدعيه على حياة النساء هو نفسه البابوية في شكلها المطلق. ويمتد تأثيرها على المرأة المعاصرة أبعد كثيراً من الروح الفردية ـ كما كان تأثير الكنائس في القرون الوسطى على جميع أنحاء العالم المسيحي ـ لصياغة فلسفة العصر وسياسته وجنسه واقتصاده قامت الكنيسة بصياغة وإعطاء معنى، ليس فقط للحياة التعبدية، وإنما لجميع أحداث المجتمع، دون أن يحمل هذا المعنى أي انقسام بين المعنى العلماني والمعنى الديني؛ بالمقابل تسود هذه الطقوس حياة المرأة المعاصرة سيادة شاملة. وكما في كنيسة العصور الوسطى، يُعتقد بأنَّ هذه الطقوس تقوم على عقيدة واضحة، وضوح صخرة الفاتيكان Rock of the Vatican، وهي باختصار: هنالك شيء يدعى الجمال، وهو أمرٌ مقدس، وعلى النساء السعي لتحقيقه. وكلا المؤسستين غنية، تعيش على العشور(*)؛ لا تغفر الهرطقة ولا الانحرافات دون توبة. يتعلم أتباع كلا الكنيستين تعاليمهما من المهد. وتحتاج كلتاهما إيماناً مطلقاً من أتباعهما، وذلك لتحافظا على نفسهما.

(*) العشور: أشبه بالزكاة عند المسلمين.

وفوق هذا الأساس لكاثوليكية القرون الوسطى، قامت طقوس الجمال بجمع عدة عناصر جديدة، وهي: اللوثرية، والتي تكون فيها عارضات الأزياء هنَّ طبقة النخبة، والباقي طبقة الملعونات؛ والتكيفُ الأسقفي مع مطالب النزعة الاستهلاكية، وهذا يماثل أنَّه يمكن للمرأة أن تطمح للجنة بقيامها بالأعمال الجيدة (المربحة لصناعة الجمال)؛ وحدود الطهارة في اليهودية الأرثوذوكسية، وذلك يماثل التفسير المضني والدقيق لمئات القوانين، مع تعليقاتها على ما يأكلن وما يلبسن وما يفعلن بأجسامهن، ومتى يقمن بذلك؛ وحجر الأساس في أسرار إليوسيس في حفل الموت والبعث. وفوق كل هذا، فقد تُبنّيت بإيمانٍ شديد تقنيات التلقين القصوى لحركات الثقافة الحديثة. وتساعد حركات التلاعب النفسي الصريحة(*) التي يقومون بها على كسب المتحولين دينياً في عصرٍ لا يأبه بالمهام العفوية للإيمان.

تستطيع طقوس الجمال عزل النساء جيداً، ويساعد على ذلك أنَّه ليس من المعترف به علناً حتى الآن أنَّ معتنقاتها مسجونات في شيء أكثر خطورة من مجرد موضة، وأكثر انتشاراً اجتماعياً من التشويه الخاص للصورة الذاتية. حقيقةً، لم توصف الطقوس بعد من حيث ما تمثله في الواقع، حيث إنَّها: تحولٌ أصوليٌّ جديد للغرب العلماني، قمعي ومذهبي كأي نظير شرقي له. إضافة إلى ذلك، فبتحمل النساء للحداثة المفرطة التي لم يعترفن بها إلا مؤخراً، هنالك قوة تقوم بتحميلهن كامل ثقلها، هذه القوة هي في الواقع حالة من التنويم المغناطيسي الجماعي داخل الرؤية الكونية للعصور الوسطى، فلها نفس المبادئ. وفي الوقت نفسه، لا أحد يذكر تلك الكاتدرائية العظيمة التي يعشن تحت ظلالها. وعندما تشير إليها نساء أخريات ـ منتقدات لذواتهن بضعف ـ لا يفعلن ذلك إلا كوصفٍ لهلوسة تراها جميع النساء، بدلاً من وصفها كحقيقة ملموسة لا يعترف بها أحد.

وجهت الطقوس عقول النساء للتفكير في مسار الحركة النسائية، ذلك أنَّ القمع يمقت الفراغ؛ لقد أعادت تلك الطقوس للنساء ما فقدنه عندما انتشر الإلحاد في الغرب. في الجيل السابق، خففت الأعراف الجنسية المتغيرة من المحظورات الدينية على السلوك الجنسي للإناث؛ حيث إنَّ تراجع حضور الكنيسة في فترة ما بعد الحرب، وانهيار نمط العائلة التقليدية، خففا من قدرة الدين على

(*) ستمر في فصلٍ لاحق.

فرض الأخلاقيات على المرأة. وفي تلك الحالة من الفراغ اللحظي الخطير للسلطة الدينية، ظهر خطر ضمني من منح المرأة السلطة على التقاليد النسائية المجتمعية التصالحية التي بحثتها كارول جيليغان في كتابها **بصوتٍ مختلف** *In a Different Voice*. استصلاح السلطة الأخلاقية ذاك قد يقود النساء بقوة للقيام بتغيرات اجتماعية دائمة على طول الخط، ولديهنَّ القدرة على تسمية هذه التغيرات إرادة الله. فقد تحل الشفقة محل التسلسل الهرمي، وقد يدمر الاحترام النسائي التقليدي لحياة الإنسان الاقتصاد القائم على النزعة العسكرية، وسوق العمل القائم على استخدام الناس كموارد مستهلكة. يمكن للنساء أن يُعِدن تشكيل الحياة الجنسية للبشر كدليل على قدسية الجسد، بدلاً من خطيئته، وقد يُلغى الاعتقاد القديم المفيد الذي يساوي الأنوثة مع النجس. ولاستباق كل هذا، تولت طقوس الجمال مؤخراً مهمةً لم تعد السلطة الدينية التقليدية تحكمها بثقة، من خلال غرسها في النساء قوةً ضابطة داخلية، وغالباً ما يكون الدين الجديد أفضل من الأقدم في إبقاء النساء منضبطات.

ثم انتشر ذلك الدين الجديد بسرعة من خلال الاستفادة من شعور النساء المرحلي بفقدان غاية أخلاقية، وقام بإعادة تشكيل الأدوار الاجتماعية السابقة لهن ولكن من الناحية الجسدية، والتي حصل فيها تقدير (المرأة الجيدة)، والتي كانت في الماضي: المرأة العفيفة المنكرة لذاتها، سواء أكانت أماً أم بنتاً أم زوجة. فأعيد بناء المهام القديمة المدافعة عن الصلاحية (الملائمة) والتميز بين الاحتشام والخلاعة وفي ربع القرن الماضي، ومع تخلي المجتمع عموماً عن القيود الأخلاقية الدينية التقليدية، شُددت القواعد الأخلاقية القديمة على جسد المرأة، القواعد التي تقلص نطاقها، أكثر من أي وقت مضى، ولكن دون تغيير وظيفي لها.

رحبت نساء كثيرات بهذا القيد المطمئن على عدة مستويات. تنتشر الأديان الجديدة عادةً مع الفوضى الاجتماعية، وتضع النساء القواعد في عالم دمر الحقائق القديمة، وأعاد لهنَّ هذا الدين الإحساس بالأهمية الاجتماعية، والترابط النسائي، والبنية الأخلاقية المطمئنة التي فقدت في الدين القديم. فبينما يكافئ المجال العام التنافسي الرذيلة، ويجب على النساء التكيف مع هذا لتحقيق النجاح، فإنَّ طقوس الجمال تمنح المرأة العاملة طريقةً لإدخال نظام أخلاقيٍّ خاصٍّ غير مؤذٍ في دور تتخذه، دور تكون فيه التردّدات النمطية القديمةً (العادات القديمة) الكثيرة مُخرّبة

لحياتها المهنية. غالباً ما تُعزل النساء عن بعضهن عندما يتعلق الأمر بالحياة المهنية العلمانية، لكن عند الحديث عن النساء المتدينات، تجدهن يتشاركن رابطةً مريحة مع بعضهنَّ.

لم يعد المجتمع ككل يلقي أهمية دينية على عذرية المرأة أو العفة الزوجية، إنما يطلب منهنَّ فقط الاعتراف بخطاياهن أو الالتزام بالطعام الحلال ويُعيد تدمير قاعدة المرأة (الجيدة)، وقبل حصولها على السلطة والقوة الحقيقية، حُرمت من السياق القديم الذي منحت فيه بهارج الأهمية والثناء. كان يقال عن المرأة التقية إنَّها امرأة (جيدة) (على الرغم من أنها كانت (جيدة) فقط ما دامت تقية). ولكن في العصر العلماني الذي كان موازياً للحركة النسائية، وعلى الرغم من أن النساء لم يعدن يسمعن كل يومِ أحدٍ بأنهن ملعونات، إلا أنهن نادراً ما يسمعن أنهنَّ (قديسات)؛ حيث كانت مريم (مباركة... في النساء) وسمعت أنَّ المرأة المثالية اليهودية (ثمنها يفوق اللآلئ)، وكل النساء المعاصرات يأملن سماع أنّهن يبدون مقدسات.

كما تجذب طقوس الجمال النساء عن طريق تلبية عطشهن الحالي للألوان والشِّعر. وبشق الأسرار المقدسة للجمال طريقها إلى الفضاء العام للذكور تتألق أكثر من أي وقت مضى، ذلك أنَّ الفضاء الذكوري غالباً ما يكون مملاً وميتاً عاطفياً. وبينما تغرق النساء بمطالبات بوقتٍ خاصٌ بهن، تمنحهن المنتجات الطقوسية ذريعة للحصول على بعض الوقت الخاص؛ وفي أفضل الأحوال تعيد للنساء طعم الغموض والشهوانية لتعويضهنَّ عن الأيام التي يقضينها في ضوء العمل القاسي.

كانت النساء يستعددن لاستقبال الطقوس من خلال علاقتهنَّ التاريخية بالكنيسة. فمنذ الثورة الصناعية، خصص (المجال المنفصل) الذي نفيت إليه النساء التقوى بالنساء على وجه الخصوص. وهذا بدوره كان مبرراً لفصل نساء الطبقة الوسطى عن الحياة العامة: فبما أن النساء يُصنفن على أنهن (الجنس الطاهر)، فيمكن إجبارهن على الابتعاد عن صخب الحياة العامة، حيث يجب أن ينشغلن بالحفاظ على هذه الطهارة. وبنفس الطريقة، تصنف النساء اليوم على أنهن الجنس (الجميل)، ما يسبب نفيهنَّ في انشغالٍ مفيد مماثل بذريعة حماية هذا (الجمال).

من ناحية أخرى، لم يمنح تأنيث الدين في مرحلة ما بعد الثورة الصناعية المرأة سلطةً دينية. (التطهيريون(*)... يعبدون إلهاً بطريركياً، على الرغم من أنَّ... النساء يفُقنَ الرجال عدداً في كنائس نيو إنغلاند)، وهو ما ذكرته المؤرخة نانسي كوت Nancy Cott في كتابها **روابط الأنوثة** *The Bonds of Womanhood* منبهةً إلى أنه في حين كان النمو الأكبر في القرن التاسع عشر نسائياً، بقيت هرمية الكنيسة (ذكورية بصرامة). ويشتد تأنيث الدين جنباً إلى جنب مع علمنة العالم الذكوري. (إنَّ كُلَّ توسع شهدته المؤسسة الدينية البروتستانتية في أمريكا من بعد الحرب الأهلية الأمريكية كان توسعاً غذّته النساء أكثر من الرجال)، ويوافق جوان جاكوبس برومبرغ على ذلك. لم يُعترف بالنساء بعد ككهنة وحاخامات حتى هذا الجيل. وحتى وقت قريب، كان يقبل تدريبهنَّ دون السماح بطرح تساؤلات حول تفسيرات رجال الدين لما يريد الله من النساء فعله. ومنذ الثورة الصناعية، لم تقتصر أدوارهنَّ على الطاعة الدينية فحسب، إنما شملت أيضاً الدعم الخاضع لأنشطة الكنيسة، بما في ذلك المحافظة على العبادات الشخصية المخصصة بالقس المقيم أو الكاهن، وفقاً لما ذكرته آن دوغلاس Ann Douglas في كتابها **تأنيث الثقافة الأمريكية** *The Feminization of American Culture.* باختصار، للنساء تعاليم مختصرة للغاية في مشاركتهن في السلطة الدينية، وتعاليم واسعة جداً في الخضوع لها؛ وفي حين نادراً ما يتولين إدارة منافعها، إلا أنّهن يقدّمن غالباً بضاعتهن المزجاة من المشاركة.

عملت التقوى الأنثوية الفيكتورية عمل الحاجة المزدوجة نفسها للطقوس: فمن وجهة نظر المجتمع الذي يهيمن عليه الذكور، أبقت تلك التقوى الطاقات المتعلمة المترفة من نساء الطبقة الوسطى سليمة ؛ بل وأبعدتهن أيضاً عن التمرد. ومن وجهة نظر أولئك النساء، أعطى ذلك معنى لحياتهن غير المنتجة اقتصادياً. لاحظت عالمة الاقتصاد البريطانية هارييت مارتينو Harriet Martineau من مراقبتها لنساء الطبقة الوسطى الأمريكية أنهن (اتبعن الدين كشغل يشغلهن)، ذلك أنهن كن مقيدات عن ممارستهن كامل سلطتهن الأخلاقية والفكرية والجسدية بطرائق أخرى غير ذلك. كتبت نانسي كوت: (كانت تعكس مورفولوجية التحول الديني الخضوع والانقياد الذاتي المتوقعين عند المرأة، ذلك أنَّ هذا التحول كان يقدم ضمانةً مرضية جداً للداخلات في الدين). ويعمل نفس المتنفس المغري بالطريقة نفسها.

(*) التطهيريون: أو البيورتانيون، هم أتباع مذهب مسيحي بروتستانتي يسمى التطهيرية.

ترك التحيز ضد المرأة في التقاليد اليهودية المسيحية أرضية خصبة لنمو الدين الجديد. وكراهيته للمرأة تعني أنَّه على النساء تعطيل التفكير النقدي أكثر من الرجال، وذلك إن كُنَّ مؤمنات. وكمكافأة على الرضوخ الفكري للمرأة، واتهامها بالخطيئة والذنب الجنسي(*)، وعدم حصولها على الفداء إلا من خلال الخضوع إلى وسيط ذكر، فقد أعطى هذا الدين المتنامي ميراثاً لسعادة المرأة.

ما هو بالضبط هذا الإيمان الصعب المتطلب الذي تُلقن فيه النساء؟

بنية الدين الجديد

الخلق

تعد قصة الخلق في اليهودية المسيحية قلبَ الدين الناشئ. ففي الآيات الثلاث (تكوين ٢: ٢١ ـ ٢٣)، والتي تبدأ بـ (فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه...)، إنَّها المرأة، إنها جماعة المؤمنين التي تتلاعب بها طقوس الجمال. تستقي المرأة الغربية من تلك الآيات الإحساس بأن جسدها من الدرجة الثانية، أنَّه فكرة ثانوية: فبينما خلق الله آدم من طين، على صورته الخاصة، كانت حواء ضلعاً مستهلكاً. لقد نفخ الله الحياة مباشرة في آدم، ملهماً جسده القدسية؛ لكن جسد حواء بعيد بمرحلتين عن يد الخالق، فاستغل البعض هذه الحقيقة في جعل طقوس الجمال تجذب النساءَ، قبل أن تتلاعب بهن.

يذكر سفر التكوين سبب أنَّ النساء هنَّ في الغالب من يحتجن عرض أجسادهن على أي ذكر يرغب في التحديق. لا تظن كثيرٌ من النساء أنهن جميلات حتى يفزن بختم القبول الرسمي، ختم تملكه أجساد الرجال مسبقاً في ثقافتنا، وذلك لمجرد أن الكتاب المقدس يقول إنهم يشبهون أباهم. يجب شراء هذا الختم أو الفوز به من قبل بعض الرجال: جراحٌ أو مصور أو حَكَمٌ. تميل النساء إلى الشعور بالقلق حيال الكمال الجسدي بطريقة نادراً ما يفعلها الرجال، لأن سفر التكوين يقول إنَّ جميع الرجال خلقوا كاملين جسدياً، في حين بدأت المرأة كقطعة لحمٍ خامدة؛ كمادةٍ خامٍ طيعةٍ غير مُشَكَّلة ولا مخولة، لقد ولدت بعيدةً عن الكمالِ.

(*) المترجم: أيضاً فكرة الذنب الجنسي للمرأة في المسيحية، ويُشرح لاحقاً.

قال يسوع للرجال: (فكونوا أنتم كاملين، كما أنَّ أباكم الذي في السماء كامل). كونوا مثاليين، كما أن أباكم الذي في السماء مثالي. وقد وعدت إليزابيث آردن Elizabeth Arden النساء بـ: (الماضي قد غفر، والحاضر قد تحسن، والمستقبل مثالي)، وذلك انطلاقاً من اعتبار أنَّ بولينا بوريزكوفا Paulina Poriskova عارضة مثالية. يلتهب تعطش النساء لـ (المثالية) من خلال الاعتقاد السائد بأن أجسادهنَّ أقل شأناً من الرجال، بأنَّها مادة من الدرجة الثانية، تشيخ بسرعة أكبر. وتؤكد خبيرة التجميل سالي ويلسون Sally Wilson: (يتقدم الرجال بالعمر على منحى أفضل بالطبع). وقد كتب أوسكار وايلد Oscar Wilde في كتابه **محاضرة حول الفن** *Lecture on Art:* (أقصد بقولي من الرتبة الثانية، ذلك الذي تنخفض قيمته باستمرار). وبالطبع، فإن الرجال لا يتحسن جسدهم بالتقدم بالعمر، إنما ما يتحسن لديهم هو مكانتهم الاجتماعية. إننا نسيء الفهم بهذه الطريقة، نظراً لأن أعيننا مدربة على رؤية الوقت كخلل في وجوه النساء، بينما نراه كسمةٍ في شخصية الرجال. أما لو كانت الوظيفة الرئيسية للرجل هي التزين، وكان ينظر للبلوغ الذكري على أنَّه ذروة قيمة الذكور، فإنَّ الرجل (المتميز) في منتصف العمر سيبدو حينها معيباً بشكل مروع.

إنَّ جسد الأنثى المولود كامرأة والمصنف من الدرجة الثانية بحاجةٍ دائماً للإكمال، بحاجة إلى طرائق من صنع الرجل لجعله مثالياً. تعرض طقوس الجمال إشعال جسد الأنثى في فرن الجمال لتطهيره من خَبَثه، لإعطائه (تحلله) من ذلك الذنب. فنفس الوعد الذي تقدمه المسيحية عن الموت، تقدمه الطقوس عن الألم: أنَّه بعد الموت سيبعث المؤمن على الجانب الآخر، بجسدٍ من نور، مطهراً من الوصمة الأنثوية الفانية. في الجنة في المسيحية، يتم تطهير الفرد من الجسد: (لا يوجد ذكر وأنثى). وفي الطقوس، تُطهر النساء أنفسهن من وصمة جنسهن. فالقبح الجديد للهيئة الأنثوية هو أشبه بالقبح القديم لشخص الأنثى. غالباً ما تغضب النساء من دوافع الكره الذاتي الذي نشعر بأنَّه قديمٌ للغاية. ولكن برؤية كيف تستند الطقوس إلى قصة الخلق، يمكننا أن نغفر لأنفسنا: وهو عبء الحكاية التي كانت تُعلم النساء فيها على مدار ٣٥٠٠ سنة من أين أتين؟ ومِمَ صُنعنَ؟ ولن يمكن إغفال هذا العبء خلال عقدين من الزمن.

من ناحية أخرى، بما أنَّ الرجال يصنعون آلهة على صورتهم الخاصة، فهم يشعرون أن أجسادهم هي في جوهرها حسنةٌ كلياً. تظهر الدراسات أنه في حين أن النساء يشوهن أجسادهن بطريقة غير واقعية وسلبية، فإن الرجال يشوهونها بطريقة غير واقعية لكنَّها إيجابية. إن الإرث الغربي لدين قائم على مفهوم أنَّ الرجل يشبه الله يعني أن شعور النساء بالخطيئة في أجسادهنَّ هو بندٌ من بنود الإيمان، وليس بالضرورة أن يعكس الواقع. وفي حين أن رجلاً واحداً فقط من بين كل عشرة رجال (غير راضٍ بشدة) عن جسده، فإنَّ ثلثَ النساء (غير راضيات بشدة) عن أجسادهن. وعلى الرغم من زيادة الوزن لدى الجنسين بنسب متساوية (قرابة الثلث)، إلا أنَّ ٩٥ بالمئة من المسجلين في برامج إنقاص الوزن هم من النساء. تعتقد النساء أن لديهن مشكلة خطيرة عندما يزيد وزنهن خمسة عشر رطلاً فوق المعدل المتوسط، بينما لا يشعر الرجال بالقلق حتى يصلوا إلى خمسة وثلاثين رطلاً فوقه. لكن هذه الأرقام لا تثبت أن المرأة هي جنس شرير المظهر، مقارنةً بعرق الرجال الإلهي. وإن كان من الممكن قول شيءٍ حيال هذا، فإنَّ النساء أشبه بالمثالية الثقافية من الرجال، ذلك أنهن يحاولن بجد أكبر الوصول إليها. كل ما تعكسه هذه الأرقام هو التقليد اليهودي المسيحي: أن اللحم الزائد عند المرأة هو دليل على خطأ وضعه الله فيها، في حين أنَّ الرجال السمان هم آلهة سمان، وإنَّ الخصائص السكانية الفعلية لنسب السمنة غير ذات صلة لأن هذا الدين لا يدور حول من هو السمين، الذكر أم الأنثى، إنما يدور حول من جسده هو غير الصحيح.

تعيّن الطقوس جراح التجميل قسيساً في الفن، وبأنه خالق أكثر خبرة من جسد الأم أو (الطبيعة الأم)، التي ولدت المرأة أول مرة، ولادةً غير مناسبة. من الأدبيات الجراحية يبدو أن كثيراً من الأطباء يتشاركون في وجهة النظر هذه، ومن الأمثلة على ذلك: كان الشعار الخاص بمؤتمر تجميل الأنف في فندق والدورف Waldorf هو وجه أنثى متصدع منحوت من الحجر. ويصف الدكتور محمد فهدي، في مجلة مهنية لجراحي التجميل، اللحم الأنثوي بأنه (طين أو لحوم). وقد تحدثت صحيفة نيويورك تايمز عن ندوة عن الجمال كانت تحت رعاية أكاديمية نيويورك للفنون والأكاديمية الأمريكية للجراحة التجميلية. وفي مقال آخر في صحيفة نيويورك تايمز (بعنوان (الكأس المقدسة للمظهر الجيد))، اعترف الدكتور رونالد أ. فراجين Ronald A. Fragen أنه من الأفضل التمرن على وجوه الطين أولاً لأنه (يمكنك حينها تقويم أخطائك). وكتب الدكتور توماس د. ريس، في كتابه أكثر

من مجرد وجه جميل: كيف يمكن للجراحة التجميلية تحسين مظهرك وحياتك *More Than Just a Pretty Face: How Cosmetic Surgery Can Improve Your Looks and Your Life*: (حتى أعظم الفنانين في كل العصور كانوا يقومون في بعض الأحيان بإعادة العمل على جزء من لوحاتهم). يعد جراح التجميل الآن رمزاً إلهياً للجنس عند النساء، يدّعي لنفسه العبادة التي كانت تقدمها المرأة للإله في القرن التاسع عشر.

الخطيئة الأصلية

س: عمري فقط ٢١، هل أحتاج إلى استخدام نظام Niôsome المضاد للشيخوخة؟

ج: نعم، بالتأكيد. قد بدأت بالفعل أسباب الشيخوخة لديكِ، على الرغم من أن علاماتها قد لا تكون مرئية بعد.

س: عمري أكثر من ٤٥ سنة، هل فات الأوان على البدء في استخدام نظام Niôsome المضاد للشيخوخة؟

ج: لا، ليس هنالك ما يسمى بفوات الأوان على ذلك.

لا تعيد طقوس الجمال تعريف الخطيئة الأصلية على أنها خطيئة فانية، إنما على أنها خطيئة ملازمة للأنثى. فقبل رد الفعل الذي حصل، كانت الفتيات والمسنات يعفين من المشاركة في العبادة، وبالتالي كُنَّ خارج صفوف المستهلكات المحتملات. لكن تعيد الطقوس صياغة الخطيئة الأصلية بطريقة لا تستطيع من خلالها أي فتاة صغيرة أن تشعر أنه من السابق لأوانه أن تقلق بشأن ظهور وصمة القبح النسائية (العمر أو السمنة) غير المرئية بعد، الملازمة لها منذ الولادة، في انتظار أن تظهر. ولا يمكن أيضاً للمرأة المسنة تجاهل تلك الطقوس. فنجد أنَّ كريمات البشرة وكتب الحميات الغذائية تستخدم لغة حكاية الابن الضال(*) لتهييج مبدئها الأخلاقي، وملخصها على الرغم من حياة الخطيئة التي تعيشها، إلا أنها لم تتخلَّ أبداً عنها ولم يفت الأوان أبداً على التوبة. إذا لم يكن الوقت مبكراً جداً أو

(*) قصة مسيحية عن ابن ضل ثم تاب.

متأخراً جداً على إهمال الطقوس، فلا فائدة حينها من حياةٍ للمرأة تعيش فيها دون شعورٍ بالذنب، وإصابة نساء أخريات بسلوكها المتكس.

ومن الأمثلة على هذه الحيلة اللاهوتية هو الجدول (العلمي) لمختبرات كلينيك التجميلية Clinique، والذي يدرج هذه الفئات تحت عنوان (خطوط الوجه)، وهي: كثيرة جداً، كثيرة، قليلة، قليلة جداً. لا توجد فئة (لا يوجد خطوط). لا يمكن تصور وجهها خالياً من العيوب؛ بكونها امرأة، لا بد أن في وجهها بعض التلف، حتى لو كانت فتاةً مراهقة.

يوازي تأثير المبيعات لهذه الحالة (في دين الجمال) المذهب المسيحي. فكما لا يمكن الاعتماد على العابد الذي لا يشعر بالذنب لدعم الكنيسة، لا يمكن الاعتماد على المرأة التي لا تشعر بالتلف على إنفاق المال من أجل (إصلاح) نفسها. الخطيئة الأصلية هي مصدر الذنب. يشكل الذنب والتضحية المترتبة عليه الحركة المركزية للاقتصاد الديني الجديد أيضاً. تنجح الإعلانات التي تستهدف الرجال عن طريق الإطراء على هيئتهم، بينما تعمل الإعلانات عن هذه المتجات الطقوسية (الإعلانات التي تستهدف النساء عموماً) بجعل النساء يشعرن بالذنب قدر الإمكان: فالمسؤولية الأخلاقية الوحيدة عن الإصابة بالشيخوخة أو سوء الشكل تقع على عاتقها، حسبما يقال لها. فمما جاء في بعض هذه الإعلانات: (وحتى أكثر التعبيرات البريئة ـ بما في ذلك التحديق والغمز والابتسامة ـ تسبب خسائر) (إعلان لشركة كلارينس Clarins). (بدءاً من عام ١٩٥٦، لم يعد هنالك أي عذر للبشرة الجافة) (ريفلون Revlon). (هل تضحكين، تبكين، تعبسين، تقلقين، تتكلمين؟) (كلارينس). (أليس من الواضح ما يجب عليكِ فعله لبشرتك الآن؟) (تيرمي دي ساتورنيا Terme di Saturnia). (أوقفي تلف بشرتك) (إليزابيث آردن Elizabeth Arden). (إنَّ حصولك على صدرٍ أمثل يعود إليكِ) (كلارينس). (تحكمي بملامحك الخاصة بك) (كلارينس).

الجنس في الغذاء

وقد ذكر كُتّاب آخرون هذا التوازي أيضاً، حيث سأل كيم تشيرنين Kim Chernin في كتابه الهوس *The Obsession*: (إذاً هل من الممكن أننا نشعر اليوم بالقلق من تناول الطعام والوزن الزائد كما كانت تشعر جداتنا وطبيباتهن بالقلق

حيال الحياة الجنسية للمرأة؟). ولكن ما تُرِك دون تتبع هو المصدر السامي لهذه المخاوف ووظيفتها الحقيقية: تقمع الثقافة الحديثة الشهية الغذائية عند النساء، كما كانت الثقافة الفيكتورية ـ عن طريق الأطباء ـ تقمع الشهوة الجنسية عند النساء، وذلك: من أعلى هيكل السلطة إلى أسفله، ولغرض سياسي. عندما فقد النشاط الجنسي الأنثوي عقوباته المفيدة، ألقت طقوس الجمال مشاعر الخوف، والذنب، والعار؛ ذلك أنّه دائماً ما تُلقن النساء بأن عليهن تتبع المتعة دائماً.

جعلتنا الخطيئة الأصلية مذنبات من الناحية الجنسية. ولكن عندما انضمت الثورة الجنسية إلى النزعة الاستهلاكية لتوليد إمدادٍ جديدٍ من النساء المتوفرات على الصعيد الجنسي، كان هناك حاجة إلى نقلٍ فعلي لذنب الأنوثة في الحال. تبدل طقوس الجمال بكل تحريمٍ يهودي ـ مسيحي للشهية الجنسية آخر موازياً للشهية الفموية[*]. كامل السيناريو الغذائي عن الاشتهاء والإغراء والاستسلام والرعب (الظاهر)، والجهود اليائسة لتطهير (الدليل) من الجسم، والاحتقار الكبير للنفس، كلُّ ذلك يمكن تصويره كما هو تقريباً، دون تغيير، كما كان يُصور واقع الانفلات الجنسي لمعظم الفتيات العازبات قبل أن يصبح الإجهاض ومنع الحمل قانونياً، وقبل خسارة ممارسة الجنس قبل الزواج وصمة العار التي كانت تلحق بها؛ وهكذا كانت الحال قبل جيلٍ مضى.

في الكنيسة، على الرغم من أنَّ الرجال كانوا يستمتعون بالشهوة الجنسية، كانت النساء تنبذها على أنّها تجسيد شرير لهن. وبالمثل، على الرغم من أن الرجال لديهم شهية للطعام ويصابون بالسمنة، فإنَّ شهية النساء للطعام هي تجسيدٌ اجتماعي للعار.

تقول روزاليند مايلز Rosalind Miles: (محرمات الحيض[**]،... تعني أنَّ النساء كنّ في أوقات سابقة يوصمن بالعار ويعزلن ويُعطلن ويحرمن من حياتهن الاجتماعية لربع حياتهن ما بعد البلوغ (أسبوع من كل أربعة أسابيع)). جعلوا من الدورة الشهرية للنساء سبباً في تصنيفها بأنها غير نظيفة، كريهة جنسياً خلال (أيامها السيئة)، لا منطقية وغير صالحة للمناصب العامة. وبالمثل أيضاً، تشعر

(*) شهية تناول ما يحلو لها من الطعام.
(**) ما يعرف بـ «حظر الحيض».

النساء الآن بالنقص والإقصاء خلال مرحلة (أيام السمنة) من دورة وزنهن، والتي تخدم نفس الغرض من خلال وصف النساء (حتى لأنفسهن) بأنهنَّ قاصرات أخلاقياً، وملوثات، وليس لهن قيمة من الناحية الجنسية. وبينما كانت تعزل حرمة الطمث النساءَ عن الحياة العامة، فإنَّ نساء اليوم هنَّ من يخفين أنفسهن. ففي الديانة اليهودية الأرثوذكسية، تمنع المرأة في النده niddah(*) من تناول الطعام مع عائلتها، ويقوم دنس الإصابة بالسمنة بنفس الفعل.

مهدت قوانين الدنس الجنسي على العموم الطريقَ أمام محرمات الدنس الفموي. كانت النساء عفيفات جنسياً طاعةً للإله؛ أما الآن فهنَّ عفيفات غذائياً طاعةً لإله الجمال. كان الجنس في الزواج من أجل الإنجاب مقبولاً، في حين أن الجنس في الزواج من أجل المتعة كان خطيئة؛ وتقوم المرأة اليوم بنفس التمييز بين تناول الطعام للحفاظ على الحياة وتناوله من أجل المتعة. لقد أصبح المعيار المزدوج الذي منح الرجال الرخصة الجنسية دون النساء معياراً مزدوجاً مشابهاً يمنح الرجال رخصةً كبرى لتناول الطعام. كانت الفتاة غير العفيفة جنسياً (ساقطة)، والنساء اليوم (تُسقطهن) حميتهن الغذائية. كانت النساء (يَخُنَّ) أزواجهن، بينما الآن (يَخُنَّ) حمياتهن. فالمرأة التي تأكل شيئاً (محرماً) هي (فاسقة)؛ تقول: (هذه الليلة فقط)، (لقد شغفني حباً) فتصبح (كل ما يجب أن أفعله هو النظر إلى واحدٍ فقط). وتقول عارضة استخدمتها شركة Jell-O لحلوى الجيلاتين في إعلانها: (أنا فتاة، لا أستطيع أن أقول لا)، وهذا ما (يجعلك سعيدةً بقولك نعم). وذكرت مقرمشات Wheat Thin: (ليس من المفترض أن تكرهي نفسك في الصباح). واستبدلت بالسبحة المخصصة للذكر عدادَ السعرات الحرارية. تقول النساء: (تُظهر علامات التشقق الجلدي خطاياي). ففي حين كان يسمح لها بالمشاركة في القداس إذا قدمت كفارة كاملة وصادقة، تُمنح الآن الفرصة لعمل إجراءٍ معين (إذا كانت قد خضعت بإخلاصٍ لحمية غذائية مقرونة بممارسة الرياضة). إنَّ حالة شحومها هي قلق المجتمع، بعد أن كان قلق المجتمع هو حالة غشاء البكارة في الماضي: فجملة (دعونا نصلي من أجل أختنا) أصبحت (سنشجعك جميعاً على خسارتها).

(*) النده هي دنس الطمث في اليهودية.

الجمال هو جنة أو حالة من النعيم، والجلد أو عدد الخلايا الشحمية هي الروح، أما القبح فهو الجحيم. جاء في إعلان فقدان الوزن لمنتجع Annandale Health Hydro: (الجنة! أنا في الجنة). إنه (لا يشبه أي مكان آخر على وجه الأرض... فيه علاجات تجميل تجعلك تشعرين بأن لديك أجنحة... كيف تصلين إلى الجنة؟ فقط كوني صالحة، وخذي القسيمة). عندما تكون الحلوى (إغراءً)، فإن منتجات Alba ذات السبعين حريرة هي (الخلاص). وقد نُشرت مقالة في مجلة نيو وومن *New Woman* فصَّلَت عدد السعرات الحرارية في الآيس كريم بعنوان (عبادة الصنداي)(*).

المرأة التي تُخاطب هنا ليست في الجنة ولا في الجحيم. هي ليست سامية لكونها بارعة الجمال، ولا ساقطة لأنها قبيحة جداً. هي ليست من النخبة أبداً، لكن يمكن أن تنقذ نفسها من خلال الأعمال الصالحة. ومنتجات الجمال هي وسيطها: الشافي، أو الملاك أو الدليل الروحي.

إنها تتبع دورة التجاوز والتكفير عن ذلك التجاوز، إنَّه الثلاثاء البدين(**) وصوم الجسد Lent(***)، تكفيرٌ عن نوبات العصيان في منتصف الشتاء مع قرارات السنة الجديدة. وكما يذكر تيرمي دي ساتورنيا Terme di Saturnia، في (المرحلة الحرجة) تلك يمكن تقييم العابد. وباستخدام لغة يوم الغفران، يمكن ولمدة عشرة أيام أن يتوب العبد توبةً نصوحاً، وبعدها يُغلق كتاب الحياة لبقية العام. ويذكر أحد إعلانات التجميل أن (ما تفعله في الأيام العشرة القادمة سيحدد ما تبدو عليه بشرتك لبقية العام). (لحظة الحقيقة) مثل يوم الحساب، تزن التائب بميزان. ويذكر الإنجيل الجديد أنَّ (هذا المقياس لا يكذب). ويقال أيضاً للمرأة: (ستظهر كل لقمة طعام في وركيك)، (سيكشف جلدك ما أكلتِ). وبهذه التحذيرات، تتعلم (الخوف من القدير الذي لا يخفى عليه شيء).

(*) الصنداي نوع من الآيس كريم.

(**) Mardi Gras أو الثلاثاء البدين: وهو طقس ديني سنوي يأكل فيه الناس كثيراً من السعرات الحرارية، ثم يصومون بعده لأيام.

(***) فترة صوم تأتي بعد الثلاثاء البدين مباشرةً.

ما تأثير هذا الشعور بالمراقبة المستمرة على النساء؟ تصف إلين شوالتر Elaine Showalter في كتابها **أمراض الإناث: المرأة والجنون والثقافة الإنكليزية، ١٨٣٠ ـ ١٩٨٠** (*The Female Malady: Women, Madness and English Culture, 1830-1980*) كيف تُستخدم المراقبة في المستشفيات العقلية الحديثة من أجل الحفاظ على إمكانية علاج المرضى النساء، فكتبت: (في المصحات العقلية... تُشجع المرأة وتُقنع وتعلم أن تصبح مراقِبة، (أن تراقب نفسها بأن تصبح مراقَبَة)، وأن تجعل من نفسها شيئاً جذاباً يكون محط الأنظار). تكتب إلين شوالتر أن المكياج يُحتفظ به في العلبة، بما فيه من (قلم أحمر الشفاه) و(علبة من مسحوق وردي). وتخلص إلى: (أنه ليس من المستغرب أنه في القصة النسائية [عند مرضى الفصام] تكون روح الغطرسة... التي تسخر وتحكم وتقود وتتحكم... ذكورية دائماً تقريباً؛ حيث يقدم الرجل نقداً سريعاً للمظهر والأداء، الأمر الذي ترعرعت عليه المرأة كجزء من تيار وعيها). تستخدم المراقبة المستمرة ضد السجناء السياسيين لأسباب مشابهة: للانتهاك القسري للخصوصية والتجريد من الكرامة وكسر المقاومة.

هذا الاستخدام الطقسي للمراقبة المستمرة هو مثالٌ حيوي على الدوافع الحقيقية وراء الأسطورة: نحافة المرأة وشبابها ليسا في حد ذاتهما موازين للتقوى في هذه الثقافة. لا يهتم المجتمع حقاً بمظهر النساء في حد ذاته. ما يهم حقاً هو الرغبة المستمرة عند النساء بالسماح للآخرين بإخبارهنَّ بما يستطعن عمله وما لا يستطعن بعبارة أخرى، تجري مراقبة النساء، لكن ليس للتأكد بأنَّهن (سَيَكُنَّ صالحات)، إنما للتأكد من أنهنَّ يعرفن بأنَّهن مراقبات.

هذا الإله هو الأخ الأكبر. كتبت معلمة التدريب جين فوندا: (الانضباط تحرر)، يغفل الناس عن النتائج: فالحرب سلام، والعمل حرية. وتتمسك العديد من النساء بنظرة الأخ الأكبر، ومن الأمثلة على ذلك: تسمح شركة Weight Watchers للنساء بالدفع مقابل الحصول على مراقبة مشتركة لأوزانهن؛ تخبرهن مجلاتهن بـ: (ضعي دائماً مساحيق التجميل، حتى إذا كنتِ تريدين فقط أن تأخذي الكلب في نزهة صغيرة، لا يمكنك توقع من قد تقابلينه). قال يسوع: (اِسْهَرُوا إِذاً، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ، أَمَسَاءً، أَمْ نِصْفَ اللَّيْلِ، أَمْ صِيَاحَ الدِّيكِ، أَمْ صَبَاحاً). وذكر كتاب **جميلة بطريقة إيجابية** *Positively Beautiful*: (قفي عارية أمام مرآة بطولك، وانظري لنفسك من الأمام والخلف والجانبين. أزيلي الغشاوة

عن عينيك، وواجهي حقيقة الوضع)، (هل يتدلى لحمك ويبدو بارزاً؟ هل ترين انتفاخات؟ هل فخذاك سميكان جداً؟ هل بطنك بارزٌ إلى الأمام؟)، هذا فحص يحافظ على روحك.

ذكرت مذكرات الروح النسائية للقرن التاسع عشر كل إدراك وكل تقلبٍ أخلاقي لهن، ويجتمع هذا بكلمة واحدة، أن (خلاص أرواحنا النفيسة لا يمكن أن يحدث باستقلالٍ عن أفعالنا). تقنيات تعديل السلوك التي اخترعها عالم النفس ريتشارد ستيوارت عام ١٩٦٧ (وهو العام الذي خرجت فيه السيطرة على ما يسمى بـ: صيف الحب Summer of Love) كان لها سجل لنساء (متى وأين وماذا، وفي ظل أي ظروف) كُنَّ يأكلن، مما أثقل كاهل النساء اللواتي يقمن بضبطٍ ذاتي دقيق (في أوقاتٍ محددة بدقة) سعياً لخلاص أجسادهن.

غالباً ما تتبع دورة التطهير الفصول: إنَّ النساء اللواتي يشعرن بأنَّ لديهن (شيئاً يخفينه) يخشين قدوم الصيف، يكنَّ قلقات من قدوم الطقس الحار والتعرية الكاملة قبل أن يصُمن ويدخلن أنفسهن في حالة من الاستعداد البريء. وبالمثل كانت المسيحيات في العصور الوسطى يخشين قدوم الموت وأرواحهن لا تزال مسودة بالخطيئة. تستخدم المجلات صيغة آباء الكنيسة لجسد الأنثى المخفي، هو ضريح أبيض، سطحٌ صافٍ يخفي الكراهية: (من السهل إخفاء الكثير من الخطايا تحت الموضات الشتوية). فقط بالتكفير عن الخطايا يمكن للعبد (أن يجرؤ على كشف كل شيء)، أن يكون مثل ملائكة شركة الواقيات الشمسية Bain de Soleil، اللواتي (ليس لديهن أي حرجٍ من التعري). تحاكي دورة إنقاص الوزن دورة عيد الفصح: يؤدي التفحص الذاتي إلى إهانة الذات، مما يؤدي بعد ذلك إلى الابتهاج.

في محور الوفاة والبعث، تدخل النساء ما يسميه علماء الأنثروبولوجيا بـ (المرحلة الحدية)، وهي حالة (بَيْنَ بَيْن betwixt and between)، هي حالة تقول عنها خبيرة الطوائف ويللا أبيل Willa Appel: (يبقى المترهبن(*) لا شيء، إلى أن يصبح شيئاً جديداً)؛ أي تُعلق الهوية القديمة حتى يمكن افتراض الهوية الجديدة. تحول سحري، محاط بتأثيرات خاصة تحفز حقاً (لا مجازاً) حالة تبدل حساسة: ظلام، وموسيقى خفيفة، وتعصيب للعينين. غالباً ما تخضع للمس وتُغسَّل

(*) المترهبن: الداخل حديثاً في المسيحية.

مع الانغماس في المنبهات الحسية مثل العطور أو تغيرات في درجة الحرارة. وبالمقابل، ففي المنتجعات الصحية وصالونات التجميل، تخلع النساء ملابس الشارع التي يرتدينها، ويلبسن أثواباً متطابقة، بيضاء أو ملونة، وتُعلق حالتهن السابقة بخلعهن لمجوهراتهن. يسلمن أنفسهن للمسة المدلكة أو خبيرة التجميل. توضع قطع قماشية على أعينهن، وتغطي السوائل المعطرة وجوههن. مياه منتجع الباب الذهبي لها تأثير مياه منتجع لورد. تأتي اللحظة الحدية في التغيير بعد إزالة المكياج القديم، ولكن قبل وضع المكياج الجديد؛ الأمر مشابه في العمليات الجراحية، فعند إعداد المريض للعملية، وبعد إلباسه ثوب المستشفى الخاص، يقومون بتخديره. وفي إعلان لشركة لانكوم Lancôme، تستلقي امرأة على ظهرها في إضاءة كئيبة، وتبدو وكأنها ميتة، بينما تنزل يد غامضة تومئ للمسيح لتلمس وجهها.

في عمق التيه، غالباً ما يخضع المنتسب حديثاً لطائفةٍ ما إلى اختبار النقش، أو اختبار التحمل: سيكون هناك ألم أو جوع شديد أو نزف حقيقي أو رمزي. عند هذه النقطة، توخز المرأة بالإبر التي تنبعث منها صدمات كهربائية أو ربما قد تجرح، أو تُحرق بالحمض، أو يُقلع شعرها من جذوره، أو تُفرغ معدتها. تنتهي الفترة الحدية بانغماسٍ آخر في سائل يذكّر المرأة بمياه البعث: يكون في كثيرٍ من الأحيان دماً، كما هي الحال في (دم الحمل) المسيحي، أو دم الثور عند عباد أوزوريس. هذه هي مرحلة الصلب في الضريح، والمسيحي تحت ماء المعمودية، والمريضة التي تنزف تحت التخدير(*)، وعاشقة المنتجعات تحت الأغطية أو البخار أو الحمامات العشبية.

في النهاية يأتي النصر والحياة الجديدة: الموت في صحراء الجيل القديم الملوث هو فداء لولادة مولود جديد، مولود قد يدخل أرض الميعاد. يفكر الشخص المعمّد باسم آخر، بوضع جديد في المجتمع. وتحتفل المرأة المغيرة لجسمها حديثاً أو الحاصلة على جسم مثالي أو النحيفة أو المرأة ذات (الوجه الجديد) بعد تحويره جراحياً، بهويتها الجديدة وتعود إلى المضي فيما تأمل أن يكون وضعاً أفضل. قيل لها أن تتحضر للعودة الجديدة بأن تشتري بعض الملابس،

(*) إشارة هنا للتي تخضع لعملية جراحية تجميلية.

أن تحصل على قصة شعر مختلفة، أن ترتدي بعض الحلي، لكن بما يناسب شخصيتها الجديدة. تُقدم هذه النصيحة كحافزٍ لإنقاص الوزن أو التمويه لعملية جراحية، هذه النصيحة هي سحر بدائي.

يتفوق الدين الجديد على باقي الأديان، ذلك أنَّ الفداء لا يدوم. إن الخطاب (المحفز) في صناعة الحميات الغذائية يخفي ما هو واضح: أكثر ما تكره تلك الصناعة حصوله هو أن تصبح المرأة نحيفة إلى الأبد. ٩٨ بالمئة من المنتظِمات بالحميات الغذائية يستعدن الوزن الذي فقدنه. يقول برومبرغ Brumberg: (إن صناعة الحميات هي لذة رجال الأعمال، لأن سوقها متجدد ذاتياً، ومتوسع جوهرياً. واستناداً إلى الفشل الناتج... يبدو أن الاهتمام باستراتيجيات النظام الغذائي وتقنياته ومنتجاته غير محدود). وينطبق الأمر ذاته على صناعة محاربة الشيخوخة، التي من شأنها أن تدمّر منتجاً فعالاً إن وجد حقاً (أو تدمّر حصول احترامٍ عالمي للذات). لحسن الحظ، وفيما يخص الصناعة، فحتى المرضى الذين يخضعون لعمليات تجميل جراحية، سيستمر عندهم التقدم في العمر بمعدل ١٠٠ بالمئة. ستختفي (الأنا الجديدة) عندما أقوم بحمام المساء. يجب أن تبدأ الدورة مجدداً من البداية، لأن العيش في البعد الزماني والاضطرار إلى تناول الطعام للعيش هي ذنوب نقترفها ضد إله الجمال، وكلاهما بالطبع لا مفر منه.

بعدما تتكيف النساء تماماً مع قيود الصناعات، يتغير مقدار الوزن أو العمر الذي يحدد النعيم متجهاً نحو الأسوأ شيئاً فشيئاً: فتخسر العارضات عشرة أرطال أخرى، ويقلل الجراحون في المرة الأولى من العمر (الوقائي) للوجه بمقدار عقدٍ آخر. بالنسبة إلى الصناعات، فإن السيناريو الوحيد الأسوأ من فوز النساء في هذه اللعبة المخادعة هو أن يفقدن الاهتمام باللعب بها على الإطلاق. لكنَّ الدورة التعاقبية لحلقة التطهير تمنع هذا. نادراً ما تُمنح المرأة فرصة للتفكير قبل أن تتحمل عبء تلك الدورة مرة أخرى، وتزداد الرحلة صعوبةً في كل مرة.

تذكرة الموت

إنَّ الغرض من طقوس الجمال هو جعل النساء سقيمات بدرجة مميتة. قبل خمسمئة عام، كان الرجال ينظرون إلى حياتهم فيما يتعلق بالموت بالطريقة نفسها التي يُطلب من النساء اليوم أن يتخيلن فيها فترة حياتهن التي يكن فيها جميلات:

حيث إنَّ المسيحية في القرون الوسطى، لكونها محاطة بالوفيات المفاجئة غير المفسرة، جعلت الإدراك المستمر للوفاة عند المتعبد هوساً مستمراً مدى الحياة. شددت أخطار الولادة من وعي النساء بالموت، كما يتجلى ذلك على لسان امرأة في المخاض، في المزمور ١١٦ من سفر المزامير: (اكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ الْمَوْتِ. أَصَابَتْنِي شَدَائِدُ الْهَاوِيَةِ. كَابَدْتُ ضِيقاً وَحُزْناً... آهِ يَا رَبُّ، نَجِّ نَفْسِي!). كانت هذه الحالة حالةً مَرَضية عامةً فيما سبق، ثم أصبحت نسائيةً في القرن التاسع عشر. خفف التقدم العلمي من إحساس الرجال بالوفيات، بينما في العصر الصناعي كان شبح الموت عند المخاض غالباً ما يجبر النساء على التفكير في حالة أرواحهن. ولكن بعد أن خفَّضَ التعقيم من معدل وفيات الأمهات بعد الولادة، وبمجرد أن أصبحت النساء يُقيَّمنَ على أساس الجمال وليس الأمومة، تم توجيه هذا الانشغال بالفقد إلى مخاوف حول وفاة (الجمال) لديها. لذلك لا يزال هنالك الكثير من النساء يشعرن بأنهنَّ محاطات بقوى غير مفهومة قد تقوم بضربتها في أي وقت، مدمرة ما تعده المرأة الحياةَ نفسها. عندما تظهر امرأة في التلفاز، تتحدث عن عملٍ جراحي فاشل خضعت له، وتدير ظهرها نحو الكاميرا، وتقول: (لقد أُخذ جمالي، بطرفة عين، لقد اختفى كلياً)، فهي تعرب عن شعورها بالاعتزال العاجز، الذي يعود إلى الطريقة التي كانت تستجيب بها المجتمعات الصناعية للكوارث الطبيعية.

لفهم القوة الأساسية لهذا الدين، يلزمك أن تعلم أنَّ الرجال يموتون مرة واحدة، وأن المرأة تموت مرتين. المرأة تموت بموت جمالها، قبل موت جسدها.

إنَّ المرأة اليوم وهي في أوج ازدهار جمالها تبقي حيزاً دائماً من فكرها مشغولاً بانخفاض هذا الجمال أو فقده. كان الوعي بالموت في العصور الوسطى أن (كُلّ جَسَدٍ عُشْبٌ)(*). وأبقت تذكرة الموت الرجال موالين اقتصادياً للكنيسة، والتي يمكن أن تمنحهم (حياةً جديدة) تفوق فترة حياتهم الطبيعية. وإنَّ حث النساء على التفكير باستمرار بهشاشة الجمال وزواله، هو وسيلة لمحاولة إبقائنا خاضعات، وذلك من خلال الحفاظ على حالة من القدرية فينا، والتي لم تكن جزءاً من تفكير الرجال الغربيين منذ عصر النهضة.

(*) من سفر إشعياء. والمقصود أنه سيـــبس عاجلاً أو آجلاً.

تعني خطيئة حواء أنَّ النساء هُنَّ المسؤولات عن خسارة النعيم(*) أعيد تعريف (النعيم) في عصر النهضة كمصطلح علماني، واستخدم لوصف وجوه وأجساد النساء (الفاتنات).

تَعِد كريمات البشرة ((الزيت المقدس) للدين الجديد) النساء في الإعلانات بـ (التألق). تستخدم كثير من الأديان استعارة نورانية للألوهية، مثلاً: وجه موسى عندما نزل من جبل سيناء كان يشع كالشمس. وأحاط علم الأيقونات في العصور الوسطى صور القديسين بهالات نورانية. تعرض صناعة الزيت المقدس للنساء نور النعيم ذاك، ببيعه لهن في أنابيب وزجاجات، وذلك لاستعادة أجسادهن بعدما أصبحت الآن باقي الطوائف التي جعلت للعذرية والأمومة أهمية عاجزةً عن تقديم تلك الأهمية لتحيط به جسد النساء بنور مقدس، لتحيط الجسد الذي خضعت جنسانيته للآخرين.

في الحقيقة النور هو القضية بعينها، هو أمر مركزي للطريقة الفطرية في رؤية الجمال عند كثيرٍ من النساء والرجال، إن لم يكن عند جميعهم. هذه الطريقة بالنظر إلى الأمور هي ما تسعى أسطورة الجمال جاهدةً إلى كبتها. وعندما يحاول المرء وصف هذا النوع من النور سيتشوش، وسرعان ما يستبعده على أنّه نوع عاطفي وتصوفي. أعتقد أن مصدر الإنكار ليس أنّنا لا نرى هذه الظاهرة؛ بل مصدره أنّنا نراها بوضوح شديد، وأنَّ هذه العلنية في ذكرها تهدد بعض المسلمات الأساسية في منظومتنا الاجتماعية. إنَّ هذا هو أقوى الأدلة على أنَّ الأشخاص ليسوا أشياءَ: فالناس يُشعون (نوراً) لكن الأشياء لا تفعل ذلك. وتقبلك لحقيقة هذا يمثل تحدياً للنظام الاجتماعي الذي يعمل عن طريق تعيين بعض الأشخاص على أنّهم أشياء أكثر من غيرهم، وأنَّ النساء عموماً أشياء أكثر من كونهنَّ أناساً، مقارنة مع الرجال.

لا يمكن تصوير هذا النور جيداً بآلات التصوير، ولا يمكن قياسه على مقياس من ١ إلى ١٠، ولا يمكن أيضاً تحديد كميته في تقارير المخابر. لكن يدرك معظم الناس أنَّ الإشعاع يمكن أن ينبعث من الوجوه والأجسام، ما يجعلها جميلةً للغاية.

(*) المترجم: في الرواية المسيحية.

يرى البعض أنَّ هذه النورانية لا يمكن فصلها عن الحب والعلاقة الحميمية، ولا يمكن إدراكها بحاسة البصر فقط، إنما بمجموع الحركة والدفء والألفة. بينما يراها البعض في جنسانية الجسم؛ وهنالك آخرون أيضاً يرونها في الضعف، أو في الذكاء. يصيب هذا النور المرء غالباً عند رؤية وجه شخص ما يروي قصة، أو عند الاستماع باهتمام لشخص آخر. لاحظ الكثيرون كيف أنَّ فعل الخلق يبدو وكأنه ينير الناس، ولاحظوا كيف يحيط ذلك النور بمعظم الأطفال؛ أولئك الذين لم يُقل لهم بعد بأنَّهم ليسوا جميلين. نحن كثيراً ما نتذكر أمهاتنا كنساء جميلات، وذلك ببساطة فقط لأنَّهن يشععن نوراً في أعيننا. ويمكن استخلاص وصفٍ عامٍ لهذا، وهو ربما عندما يظهر الشعور بالكمال، وربما الثقة. ويبدو أنَّه لرؤية النور عليك البحث عنه. تسميه قصيدة ماي سارتون May Sarton: (النور الساطع الذي يشع من المحبوب). ربما هنالك لكل شخص تسمية مختلفة، وكلٌّ يفهمه بطريقة مختلفة. لكن يعرف معظم الناس أنَّه موجود لأجلهم. الفكرة هي أنَّك رأيته من قبل (نسختك الخاصة من هذا النور)، وربما تكون قد انبهرت أو تحمست أو انجذبت له حينها. ولكن كل ذلك لا يحتسب في أسطورة الجمال.

يحد المجتمع بشدة من أوصاف هذا النور، وذلك لمنعه من التأثير على الواقع الاجتماعي. يقال إنَّه ينبعث من المرأة لكن فقط ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ عند تقديم جسدها للرجل، أو للأطفال، فيقال: (العروس المتألقة) و(الأم المتألقة). بينما تقريباً لا يقال أبداً للرجل المستقيم إنَّه مشع أو مبهر أو نوراني. تعرض طقوس الجمال على النساء أن تبيعهنَّ محاكاةً لذلك النور الذي هو ملكنا مسبقاً، النعمة المركزية التي حرم علينا أن نقول إنَّنا نراها.

وللقيام بذلك تطلب تلك الطقوس من النساء التفاوض على عالم ثلاثي الأبعاد بقواعد ثنائية الأبعاد. تعلم النساء أنَّ صور الأزياء والموضة مضاءة باحترافية لتحاكي هذا التألق البارع. لكن بما أننا كنساء مدربات على النظر لأنفسنا كمحاكيات رخيصات لصور الأزياء والموضة، بدلاً من النظر لتلك الصور كمحاكاة رخيصة للنساء، فنحن نحث أنفسنا على دراسة طرائق مختلفة لجعل معالمنا تنير كما لو أنَّها صور تشوبها الحركة، فنعمل كمصور وخبير أزياء ومصمم إضاءة لأنفسنا، وتعامل وجوهنا مثل قطع المتحف، وتضاء باحترافية بأضواء ساطعة

وأضواء خافتة، وتأثيرات ضوئية وصبغات شركة Frost n'Glow ومنتجات شركات Light Powder وIridescence وIridience.

لكن لهذه الأنوار الصناعية قواعد يجب اتباعها. فمثلاً يجب ألا تستخدم النساء الكبيرات نسبياً مؤثرات الصقيع التجميلية. وما هو الضوء الذي ستكون المرأة تحته عندما تُشاهد؟ أهو ضوء المكتب أم ضوء النهار أم ضوء الشموع؟ للمرايا النسائية أضواء مدمجة فيها، فإذا حصل والتقطت لنا صورة في ضبط إضاءة غير متوقع، فستكون الحقيقة معرضة للظهور، وإنَّ صورةً مثل تلك تحت إضاءة خاطئة تصبح لا شيء. يعمل ذلك الضغط حول التأثيرات الخاصة على جعل النساء مدمنات نفسياً على الإضاءة في الأماكن المغلقة المتحضرة، وهو المكان التقليدي للأنثى؛ وذلك لإبقائنا خائفات من العفوية والارتجال. يهدف الوعي الذاتي للجمال إلى التحلق في مستوى البشرة، وذلك لمنع النساء من الابتعاد عنه إلى داخل ذواتهن، إلى المركز الجنسي، أو بعيداً إلى الفضاء الكبير للمجال العام. هو يهدف لضمان ألا نلمح أنفسنا في ضوء جديد تماماً.

تدفع الممارسات الأخرى النساء إلى الأماكن المغلقة؛ فحالما تستخدم المرأة الريتين أ (Retin A) المقشر فعليها الابتعاد عن أشعة الشمس للأبد، وتتطلب الجراحة التجميلية أن تبقى المرأة في الأماكن المغلقة بعيداً عن أشعة الشمس لفترات تتراوح من ٦ أسابيع حتى ٦ أشهر. فمثلاً سبب اكتشاف (الشيخوخة المبكرة للجلد بفعل أشعة الشمس) رهاباً من الشمس، منفصلاً كلياً عن مخاطر سرطان الجلد. وبما أنه من الصحيح أنَّ طبقة الأوزون ضعيفة، فإنَّ عقلية رهاب الشمس هذه تعمل على قطع الرابطة بين المرأة والطبيعة، محولةً الطبيعة إلى عدوٍّ مخيف للرؤية التي يملكها التقليد الذكوري. لو لم تكن التقاليد النسائية تحت الحصار، لكانت طبقة الأوزون المتأذية ستخرج النساء إلى حواجز بيئية لحمايتهنّ. تحفز أسطورة الجمال مخاوف النساء من أن يظهرن أكبر سناً، وذلك بهدف أن توجهنا في الاتجاه المعاكس: أي إلى الأماكن المغلقة مرة أخرى، وهو موضع المجال المنفصل لنا والغموض الأنثوي(*)؛ المكان المناسب للنساء في كل ثقافة كان غالباً ما يضطهدنا.

(*) الغموض الأنثوي: كتابٌ يتحدث عن التعاسة الشديدة التي أصابت النساء في الفترة من خمسينيات وحتى ستينيات القرن التاسع عشر. وذكرت الكاتبة أن سبب هذه التعاسة هو اقتصار دور النساء على أن يكنّ ربات منزل.

وسواء في الأماكن المغلقة أو خارجها، يجب أن تبقي المرأة جمالها متألقاً؛ ذلك أنّه من الصعب جداً على الرجال أن يروها في الحالة العادية. فهي تتلألأ كمحاولة لجذب الانتباه، والذي يعطى من ناحية أخرى على مضض. تجذب الأضواء اللافتة العين نتيجة لمنعكس أساسي قوي: لعلك تلاحظ أنَّ عيون الأطفال غير مكتملة النمو تتبع الأجسام البراقة. وهي الطريقة الوحيدة التي يسمح فيها للنساء بالصراخ لجذب الانتباه. من ناحية أخرى، فإنَّ الرجال المتألقين إما يكونون من ذوي المكانة الوضيعة، أو ليسوا رجالاً حقيقيين (سنٌّ ذهبي، أو مجوهرات مبهرجة، أو متزلجٌ على الجليد، أو عازف البيانو ليبيراسي). أما الرجال الحقيقيون فليسوا لامعين. يجب ألا تُشتت سطوح أجسامهم الانتباه عما يقولونه. لكن المرأة يجب أن تكون لامعة في كل حالٍ. عرضت ديل سبيندر Dale Spender في كتابها **لغة من صنع الرجل** *Man Made Language* أنّه في النقاشات بين الرجال والنساء فإنَّ الرجال هم من يقومون بأغلب المقاطعات في الحديث، وذلك بنسبة كبيرة جداً، مقارنةً مع النساء، كما أنَّ الرجال لا يعطون إلا انتباهاً متقطعاً لما تقوله المرأة. ولذلك يجب أن ترافق الأضواء الساطعة والألوان المبهرجة حديث النساء، بغرض التغلب على فترة الانتباه التي تجول في عقل الرجل عندما تتحدث المرأة. ما تبدو عليه المرأة يعد مهماً، بينما ما تقوله ليس مهماً.

طائفة الخوف من العمر

بغرض بيع خطي إنتاج طقوسيين غير حقيقيين (النور البديل والنحافة المؤقتة) تقوم طقوس الجمال بمهارة بتبني تقنيات طائفية معيارية لغرسها في نفوس النساء. عُرض المشهد التالي في التلفاز في الولايات المتحدة: قائدة بارزة ترتدي ملابس بيضاء تخاطب جمهوراً، ووجهها يضيء. تصغي النساء باهتمام شديد: يجب أخذ ثلاث خطوات للعزلة التامة. وتقول لهن: (أعطِ نفسك هذا الوقت... ركزي، اشعري به بحق)، (اتبعي الخطوات بتدين). وتشهد النساء: (لم أكن مؤمنة في البداية أيضاً، لكن انظرن إليّ الآن)، (لم أرد الالتزام به. لقد جربت كل شيء، ولم أكن أصدق بأنَّ هنالك شيئاً يمكنه فعل هذا فِيَّ، لم يمر عليَّ شيء مثل هذا من قبل، لقد غير حياتي). تركز الكاميرا على وجوههن. وفي النهاية، ترتدي جميعهن اللون الأبيض، ويتجمعن حول القائدة بأعينٍ مشرقة. وتعود الكاميرا تدريجياً نحو

صوت التراتيل. ويتبين أنَّ مصدر السر المشترك لهن هو مستحضر مغذٍّ للجلد مستخلص من الكولاجين، بسعر ٣٩,٩٥$ لمدة شهر.

لا تعزز التحولات في هذا الفيديو إلا الفعل الطائفي الأساسي في المتاجر، حيث إنَّ ٥٠ بالمئة من مبيعات الزيت المقدس تحصل في (نقاط الشراء). إنَّ هذا المخطط هو عبارة عن دينٍ صافٍ، منظمٍ بعناية.

تدخل امرأة المتجر، تبدو بشرية جداً دون شك، يتمايل شعرها مع الرياح ووجهها واضح. وللوصول إلى طاولة مستحضرات التجميل عليها عبور موشور من المرايا مشوه بتعمد، مع أضواءٍ وروائح، تجتمع جميعها لتعطيها (فرط الإحساس) الذي يستخدمه خبيرو التنويم والطوائف لتحفيز الاستهواء.

على كلا الجانبين يوجد صفوف من الملائكة (وهم سيرافيم seraphim وكروبيم cherubim) وتظهر الوجوه (المثالية) للعارضات. وخلفهن، وبعد الطاولة التي رتب عليها السحر الذي سيسمح لها بالعبور، خلف كل ذلك يقف الملاك الحارس الذي يخرج ضوءٌ من أسفله. امرأة المبيعات بشرية، وهي تعرف هذا، لكنها (مثالية) مثل الملائكة المحيطين بها، وترى تلك المرأة من خلال كل ذلك أن وجهها (معيب)، تدير ظهرها وتنكس على نفسها. بسبب تشتتها في جنة المركز التجاري هذا، الجنة التي من صنع الإنسان، لا تستطيع التركيز على ما يجعل كلاً من الملائكة الحية والصورية تبدو (مثالية): كلاهما مطلي جداً بالطلاء. لا يحمل الطلاء سوى علاقة بسيطة بالعالم الخارجي، كما يوضح مظهر الموضة في العالم الخارجي. ويتحلل العالم البشري في ذاكرتها بسبب العار المرافق لشعورها بأنَّها غير منتمية لهذا المكان المليء بالأشياء السماوية. ولكن تُخطئ المتسوقة، وتتوق إلى العبور.

تُدرب بائعات المواد التجميلية على تقنيات مشابهة لتلك التي يستخدمها احترافيو التبشير بالطوائف واحترافيو التنويم.

تقترب نساء المبيعات جداً من وجه المتسوقة، وذلك ظاهرياً لتطبيق المواد على بشرتها، لكنه في الحقيقة أقرب مما يحتجنَ للقيام بذلك؛ فهن يحافظن على بعض الثرثرة تجعلهنّ يركزنَ على العيوب، على التجاعيد والانتفاخات تحت عين الزبونة. وبالمثل، فإنَّ المبشرين بالطوائف مدربون أيضاً على الوقوف بقربٍ شديد

من الأشخاص المحتمل أن يتجاوبوا معهم، و(يحدقون بثبات في أعينهم... يبدو أَنَّهم يبحثون عن نقاط الضعف في الناس). ثم ترى المرأة نفسها مقتنعة بالذنوب والأخطاء التي تجعلها في خطر: (ماذا تستخدمين لوجهك؟)، (عمرك فقط ٢٣، وانظري لهذه الخطوط التي ظهرت)، (حسناً، إذا كنتِ سعيدة بهذه البثور)، (أنتِ تدمرين البشرة الرقيقة تحت عينيك)، (إذا لم تتوقفي عن فعل ما تفعلينه، فخلال عشر سنوات سيصبح وجهك كله كتلةً من التجاعيد). ووصفت عضو أخرى من أعضاء الطائفة ممن قابلت أبل هذه العملية: (لقد كان الأمر كله عن التعبير عن الثقة، عن الحفاظ على اتصالٍ مباشر وقوي، بحيث تكون الأمور دائماً تحت السيطرة الكاملة... عليك أن تستغلي الشعور بأنَّ كل أولئك النساء ليس لديهنَّ فكرة عن الأمان الحقيقي، ليس لديهنَّ فكرة عما سيحدث في المستقبل، وكذلك عن خوفهن من استمرار إعادة الأخطاء القديمة).

من المحتمل أن تستسلم المتسوقة، وتقبل بمنتجات Lancôme على أنَّها منقذها الخاص. ولكن حالما تصل إلى الشارع، فإنَّ هذه الأنابيب والزجاجات باهظة الثمن تفقد رونقها على الفور. وأولئك الذين فروا من طائفتهم، يشعرون بعد ذلك أَنَّهم خرجوا من شيء لا يذكرون عنه إلا القليل.

يجب الآن على الإعلانات المطبوعة أن تصل إلى عضو الطائفة المحتمل بذكاء أكثر. لعقدين من الزمن كانت تلك الإعلانات تستخدم لغةً غامضة، بنفس الطريقة التي كانت الكاثوليكية تستخدم فيها كلمات السر اللاتينية واليهودية العبرية والماسونية: باعتبارها شعارات رفيعة المستوى تمنح القوة السحرية لمنشئيها. بالنسبة إلى الشخص العادي إنَّه هراء من العلم والعلم الزائف. ومن الأمثلة عليها: (Phytolyastil) المستخدم للتشققات، و(Phytophyline) المستخدم لالتهاب الهلل، والمنتج البتيدي (Plurisome) و(SEI Complex) وببتيدات الأنسجة LMP النشطة حيوياً (La Prairie)؛ و(العناصر المسترطبة والسيراميدات الطبيعية) (Chanel)؛ (مزيج متناغم فريد من منتجات شركة Bio-Dermia)؛ (ومنتجات Complex # 3) و(ريتيكولين (بروتين يوجد في الأنسجة الضامة) وعديدات سكريد مخاطية) في منتج (Aloegen)؛ و(تروبوكولاجين وحمض الهيالورونيك) في منتج (Charles of the Ritz)؛ ومنتج (Incellate) لشركة (Terme di Saturnia)؛ (الشحميات السفنغولية

السكرية) (GSL, Glycel)؛ (النيوزومات والصغرورات الحيوية والبروكتينول) لشركة (Shiseido).

كتبت روزاليند ميلز Rosalind Miles: (إنَّ المجتمعات الغربية في القرون الأولى للألفية الثانية وجدت جميعها أساليبها الخاصة لضمان أنَّ (التعليم الجديد) لن يخترق الطبقة الدونية العظيمة لجنس النساء). لدينا تاريخ طويل من الاستثناء الثقافي يسبق تخويفنا الحالي من استخدام هذا الحشد من اللغة ذات الموثوقية الزائفة.

لقد نجحت الإعلانات في استخدام هذه اللغة الفارغة المرعبة لستر حقيقة أنَّ كريمات البشرة لا تقوم بأي شيء فعلياً صناعة الزيت المقدس هي عبارة عن مغالق كانت ولمدة ٤٠ سنة تبيع النساء لا شيء على الإطلاق. طبقاً لما أعلنه جيرالد مِك نايت Gerald McKnight فإنَّ الصناعة (ليست أكثر من كونها خدعة هائلة... شكلاً مقنَّعاً جميلاً للسرقة التجارية: مع هامش ربح يفوق ٥٠ بالمئة، وعائدات تبلغ ٢٠ مليار دولار حول العالم). وفي عام ١٩٨٨ نمت عائدات العناية بالبشرة لتصل إلى ٣ مليار في الولايات المتحدة لوحدها، و٣٣٧ مليون جنيه بريطاني في المملكة المتحدة، و٨,٩ ترليون ليرة في إيطاليا، و٦٩,٢ مليون خولده (عملة هولندا القديمة) في هولندا، وذلك مقارنةً مع ١٨,٣ مليون عام ١٩٧٨.

لأربعين سنة كانت هذه الصناعة تطلق ادعاءات كاذبة. وقبل عام ١٩٨٧ أصدرت إدارة الغذاء والدواء مرتين اعتراضات بسيطة. في العقدين الماضيين (في الستينيات والسبعينيات) ذهب صناع الزيت المقدس إلى أبعد من ذلك بفعلٍ أسوأ من الفاحشة، مدعين تأخيرهم الشيخوخة (بمنتج Revlon Anti-Aging Firmagel) ومعالجة الجلد (منتج Night Repair) وإعادة هيكلة الخلية (منتج Cellular Recovery Complex ومنتج G. M. Collin Intensive Cellular Regeneration وElancyl Restructurant). وعندما صادفت النساء قوة العمل المحوسبة في الثمانينيات، بدأت الإعلانات بتجاهل الزهور الرقيقة في المنتجات التي تبيع (الأمل في الزجاجات) وتبنت تصوراً جديداً للتقنيات والرسومات والإحصائيات المزيفة، لتتوافق مع سلطة الرقاقات في ذلك الزمن. عززت (الاختراقات) التكنولوجية التخيلية شعور النساء بأنَّ مؤشر الجمال كان يخرج عن نطاق السيطرة، وأنَّ مزاعمها تذكر بسرعة أكبر من أن يستطيع الدماغ البشري أن ينظمها أو يتحقق منها.

وانضم فرط المعلومات هذا لتقنيات جديدة مثل الصباغة بالفرشاة الهوائية والمعالجة الفوتوغرافية لإعطاء النساء شعوراً بأنَّ التفحص نفسه أصبح فوق مستوى البشر. عين الكاميرا ـ كعين الله ـ اكتسبت حكماً مجهرياً، يفوق ما تستطيعه عين الإنسان، فتكبر (العيوب) التي لا يستطيع الإنسان كشفها: في أوائل الثمانينيات قال موريس هيرستين Morris Herstein من مختبرات البحوث المصلية الحيوية Laboratoires Serobiologiques، والذي وصف نفسه بأنَّه (عالِمٌ زائف): (لقد كنا حينها قادرين على رؤية وقياس الأشياء التي كان من المستحيل رؤيتها قبل ذلك. وحصل ذلك عند توفر تكنولوجيا برنامج الفضاء، وذلك عندما سُمح لنا باستخدام تقنيات التحليل المعقدة لديهم، وتقدمات التقنية الحيوية، والتي سمحت لنا برؤية الأشياء على المستوى الجزيئي. أما قبل ذلك فكان علينا أن نتلمس ونشعر). ما يقوله هيرستين إنَّه بقياس وتفحص الأنسجة غير المرئية للعين المجردة نستطيع تجاوز ما يمكن معرفته بـ (الشعور واللمس)، فقد تحول الكفاح للجمال للتركيز الدقيق جداً، ما حول الكفاح نفسه إلى كفاحٍ غيبي. لقد طلب من النساء التصديق بأنَّ إزالة الخطوط الخفيفة جداً لتصبح غير موجودة عند إمعان النظر أصبح الآن ضرورة أخلاقية منطقية.

وانهارت في النهاية الصلة الضعيفة بين ما ادعى الزيت المقدس بأنَّه سيقوم به، وما قام به بالفعل. ولم تعد تعني شيئاً. (الأرقام لا معنى لها حتى تتوحد جميع الاختبارات والتصنيفات)، وذلك حسب ما نقلت مجلة نسائية عن المتحدث باسم الصناعة الدكتور غروف Dr. Grove، مضيفاً أنَّه (يجب على المستهلكات الدائمات تذكر أنَّ ما قد تراه الآلة قد لا تراه العين المجردة).

إذا كان (العدو) غير مرئي، فإنَّ (الحاجز) غير مرئي، و(التأثيرات التآكلية) غير مرئية، ونتائج الزيت المقدس (قد لا تكون مرئية بالعين المجردة). نحن في بُعدِ الإيمان المطلق، حيث تظهر (الأدلة البيانية) (تحسناً مرئياً) في عددٍ من النساء الجميلات كالملائكة، اللواتي بعد العلاج سوف يحلِّقن من الفرح. في منتصف الثمانينيات، بدأ الخيال الدرامي لحرب الزيت المقدس ضد الشيخوخة بالظهور على مستوى إيماني محض، مخترعاً عيوباً نفسية، ليبيع علاجات نفسية لها. ومن ذلك المنطلق، فإنَّ سمات وجوه النساء وأجسادهن التي من الممكن أن تجعلهن غير سعيدات، قد تكون على نحوٍ متزايد سمات غير مرئية لأحد. لقد نقلت

المرأة ـ وحيدة أكثر من أي وقتٍ مضى ـ إلى ما وراء ما يقبله المنطق. يجب على المثالية الآن أن تصل إلى أبعد مما يراه الفنان، وأن تنجو على المستوى المجهري.

وحتى إنَّ هنالك الكثير من المطلعين على الصناعة اعترفوا بأنَّ الكريمات لا تعمل. وطبقاً لبودي ويدبربورن Buddy Wedderburn، وهي عالمة كيمياء حيوية في شركة Unilever: (تأثير فرك الكولاجين على الجلد مهمل... لا أعلم بوجود أي شيء يدخل في تلك المناطق من الجلد، وبالتأكيد ليس ثمة من شيء يمكنه إيقاف التجاعيد). وتقول أنيتا روديك Anita Roddick من سلسلة العناية بالجمال ذا بودي شوب The Body Shop: (ليس ثمة من تطبيق، ولا أي تطبيق موضعي، يمكنه إزالة معالم الحزن أو التوتر أو الخطوط العريضة من على الوجه...، ليس ثمة من شيء يمكنه أن يجعلك أصغر، لا شيء على الإطلاق). تضيف أنثيا ديزني Anthea Disney المحررة في المجلة النسائية Self: (نعرف جميعاً بأنّه لا يوجد شيء سيجعلك تبدين أصغر سناً). وكما استنتج سام سوغياما (Sam Sugiyama) المدير المساعد لشركة شيسيدو Shiseido: (إذا كنت ترغبين بتجنب التقدم بالعمر فعليك بالعيش في الفضاء. ليس هنالك من طريقة أخرى لتجنب الإصابة بالتجاعيد بعد ولادتك).

ساعدت روح الزمالة المهنية على إبقاء الطبيعة المزيفة لادعاءات الصناعة مستقرة إلى حدٍّ ما، إلى أن حطمها أخيراً الأستاذ البروفسور ألبرت كليغمان Albert Kligman من جامعة بنسلفانيا، والذي يجب وضع وشايته بزملائه التي طرحها في سياقها: هو المطور للريتين أ (Retin A)، وهي المادة الوحيدة التي يبدو أنّها تقوم بشيءٍ ما بالفعل، بما في ذلك تعريض الجلد للالتهاب، وعدم تحمل الشمس، والتقشر الشديد المستمر. كتب بصرامة لزملائه: (في الصناعة اليوم، لا بد من التزييف بدل المديح... فالقمع الذي قد تمارسه إدارة الغذاء والدواء FDA وكذلك المستهلك أمرٌ لا مفر منه، كما أنّه يضر بالمصداقية). وذهب إلى أبعد من هذا في بعض المقابلات، فقال: (عندما يبدؤون بإطلاق ادعاءات بمكافحة الشيخوخة، ادعاءات حول الأشياء التي لها تأثيرات حيوية عميقة، عندها يجب أن يتوقفوا. إنّه هراءٌ محض... يتجاوز حدود المنطق والحقيقة). ويقول إنَّ المنتجات الجديدة (ببساطة لا تستطيع أن تعمل كما يقول مصنعوها، لأنّه من المستحيل عملياً لها أن تخترق كفايةً في الجلد لتقوم بأي اختلاف مستمر على التجاعيد، والأمر ذاته

ينطبق على إزالة الخطوط أو التجاعيد، أو الوقاية الدائمة من تقدم الخلايا بالعمر). الأمل بأن يصل أي شيء إلى مثل هذه التأثيرات المزعومة يعادل (الصفر في الواقع).

يعترف ألبرت كليغمان بـ: (أخبرني بعض زملائي أنَّ (النساء غبيات جداً! كيف يشترين كل هذه الدهون والأشياء؟! حتى المرأة المثقفة التي درست في جامعات رادكليف وكامبريدج وأكسفورد والسوربورن! ماذا يخطر بالهن؟ لمَ يذهبن للمتاجر ويدفعن ٢٥٠$ لهذا الهراء؟)).

النساء (غبيات جداً) لأنَّ المؤسسة ومراقبيها يشتركون في ضبط صناعة مستحضرات التجميل، على أساس أننا (غبيات جداً) وسنبقى كذلك. لكن بدأ (قمع) هذه الصناعة أخيراً في الولايات المتحدة عام ١٩٨٧، إلا أنَّه لم يكن نتيجة الاهتمام بالنساء المستهلكات اللواتي يُحتال عليهن بـ ٢٠ مليار دولار سنوياً؛ فقد كانت القشة الأولى التي حاولت قصم ظهر البعير عندما قام الطبيب كريستيان بيرنارد Christiaan Barnard بنشر مستحضر Glycel (يقول عنه الدكتور ألبرت كليغمان: (مزيف، مغشوش بالكامل)).

أثارت شهرة الدكتور وادعاءاته المفرطة للغاية عن منتجه الحسد في بقية أرجاء الصناعة (يقول ستانلي كوهلينبيرغ Stanley Kohlenberg من شركة Sanofi Beauty Products: (كانت تلك المرة الأولى في التاريخ التي يمكننا أن نتذكر فيها طبيباً يضع اسمه على خط إنتاج تجميلي)). طبقاً لأحد مصادر جيرالد مِك نايت: (أخبر أحدهم إدارة الغذاء والدواء أنَّه إذا لم يعملوا على سحب المنتج من الرفوف، فإنَّ الصناعة ستنظر للأمر كما لو أنَّ اسم إدارة الغذاء والدواء قد تلطخ في الوحل). فقامت إدارة الغذاء والدواء بملاحقة هذه الصناعة ككل (لأنَّنا جميعاً كنا نقوم بالأمر ذاته، كنا نطلق ادعاءات طائشة). طلبت الوكالة ٢٣ مديراً تنفيذياً لشركات تجميل، وذلك لسؤالهم عن (الادعاءات التي أطلقوها بشكل صارخ في المجلات والأفلام وكل مجال آخر ممكن من مجالات الدعاية... ذلك بأنَّهم أضافوا إلى منتجاتهم مصطلحات مثل مكافحة الشيخوخة (السحرية) ومكونات المعاوضة الخلوية). طلبت إدارة الغذاء والدواء (السحب المباشر للادعاءات، أو الخضوع لفحصها كأدوية). وقد كتب لهم مدير إدارة الغذاء والدواء دانيال ل. مايكلز Daniel L. Michaels: (نحن لسنا على اطلاع على أي دليل علمي مهم

يوضح أمان هذه المواد وفعاليتها، كما أنّنا لسنا على اطلاع إذا ما كانت هذه الأدوية تعد عموماً آمنة وفعالة لاستخداماتها المقصودة). بكلمة أخرى قالت الوكالة إنّه إذا كانت المواد تقوم بما تدعونه فهي أدوية ويجب فحصها، أما إذا لم تكن كذلك فأنتم تطلقون ادعاءات كاذبة.

أشار موريس هيرستين إلى أنَّ (إدارة الغذاء والدواء فقط تقول: (انظر نحن نهتم بما تقوله، وليس بما تفعله). إنّها مشكلة اصطلاحية، مشكلة في المرجع، مسألة مفردات). لا يبدو رئيس الوكالة عدائياً، لقد ذكرت ديبورا بلومنتال Deborah Blumenthal في لقاء مع صحيفة نيويورك تايمز *The New York Times* عام ١٩٨٨: (نحن لا نحاول معاقبة أي أحد). لقد ظننت أنَّ المنتجات ستبقى كما هي، وما سيتغير فقط هو (الطبيعة السريالية) لتلك الادعاءات. وبعد ثلاث سنوات عادت تلك الادعاءات (السريالية) للظهور.

فكر في فداحة الأمر: لمدة عشرين عاماً قدمت الزيوت المقدسة ادعاءات (علمية)، باستخدام مخططات وأرقام مزيفة، عن حصول (تحسن مثبت) و(اختلاف مرئي)، والتي لم تخضع لأي تحقق خارجي حول صحتها. أما خارج الولايات المتحدة، فاستمر نفس المصنعين بإطلاق هذه الادعاءات الكاذبة. ففي المملكة المتحدة، تجاهلت جميع إعلانات الزيت المقدس تقريباً قواعد الإعلان البريطانية والتي حذرت من (احتواء أي ادعاء على كلمة تجديد الشباب، والذي يمنع أو يؤخر أو يعكس التغيرات الفيزيولوجية، والحالات المنتكسة الناجمة عن أو المرتبطة بالتقدم بالعمر). وفي النهاية قامت وزارة الصناعة والتجارة البريطانية بتتبع الادعاء عام ١٩٨٩ (حيث قال طبيب الجلدية البريطاني Ronald Marks: (إنَّ كثيراً من هذه المنتجات هي عبارة عن مستحضرات تجميلية ذات ضجة خاوية)). لكن لم تلتزم وزارة الصناعة والتجارة في النهاية بالوقت والموارد. في كلا البلدين لم يحصل حراك شعبي للضغط على الصناعة لإصدار تراجع أو اعتذار للنساء، ولم تحتوِ حتى تغطية التغير في اللوائح على إمكانية حصول النساء المستهلكات اللواتي خدعن لسنوات على تعويضٍ مالي.

هل يعد من المبالغ به أخذ مثل هذا الخداع على محمل الجد؟ أليست علاقة النساء بالزيوت المقدسة علاقةً تافهة (اعتبار المآسي وفرط المشاعر في إيماننا على أنّها غير ضارة، بل محببة لنا) بتفاهة انعكاسها في الخطاب الشعبي؟

النساء فقيرات، أفقر من الرجال. ما هو المهم حيال الـ ٢٠ مليار دولار(*) في السنة؟ ببساطة، ستشتري لنا بتفاهة مطلقة كل عام ما يقارب ٣ أضعاف كمية الرعاية اليومية التي تقدمها الحكومة الأمريكية، أو ٢٠٠٠ عيادة خاصة بصحة المرأة، أو ٧٥,٠٠٠ مهرجان فني أو أدبي أو موسيقي أو فيلم حول النساء، أو ٥٠ جامعة للمرأة، أو مليون عامل دعم منزلي من ذوي الأجور المرتفعة لمساعدة العجزة، أو مليون عامل رعاية منزلية، أو رعاية أطفال من ذوي الأجر المرتفع، أو ٣٣,٠٠٠ مأوى للنساء اللواتي يتعرضن للعنف، أو ملياري أنبوبة من أنابيب الكريم المانعة للحمل، أو ٢٠٠,٠٠٠ شاحنة لنقل آمن للنساء أثناء الليل، أو ٤٠٠,٠٠٠ منحة جامعية مدفوعة المصاريف كاملة للفتيات الشابات اللواتي لا يستطعن تحمل مصاريف الدراسة، أو ٢٠ مليون تذكرة طيران حول العالم، أو ٢٠٠ مليون وجبة عشاء فاخرة (٤ نجوم) كبيرة في أرقى مطاعم فرنسا، أو ٤٠ مليون حقيبة من شامبانيا شركة فيفو كليكوت. النساء فقيرات، والفقراء يحتاجون إلى الكماليات. بالطبع يجب أن تكون المرأة حرة بشراء ما ترغب فيه، لكن إذا كنا سننفق أموالنا التي شقينا في الحصول عليها على بعض الكماليات، فيجب أن تقدم هذه الكماليات ما تَعِد بأنّها ستقدمه، وليس ببساطة أن تمتص أموالنا بقذارة. لم يأخذ أحد هذه الخدعة على محمل الجد، ذلك أنَّ البديل لها هو الخطر المجتمعي الحقيقي، وهو: ستقبل أولئك النساء شيخوختهن، ثم سيحترمنها، ثم سيستمتعن بها. يعد تبديد أموال النساء خطراً محدوداً بحدود معروفة، لكن الضرر الذي يسببه هذا الاحتيال على النساء من خلال جعلهن يعشن في رهبةٍ هو خطر لا يمكن تحديده.

قام (القمع) الذي طبقته إدارة الغذاء والدواء بمحو فرصة تغير الظروف الفاسدة للسماح للمرأة بحب علامات تقدمها بالسن؛ فتحولت لغة الإعلانات ببراعة وعلى الفور إلى مستوى الإكراه العاطفي. قد عملت أبحاث سوقية على كل كلمة في تلك الإعلانات، فكانت هذه القصائد النثرية للاحتياجات الخاصة للنساء ومخاوفهن أكثر إقناعاً حتى من الأكاذيب العلمية السابقة. يعتمد نجاح نظام اعتقادي على مدى فهم القادة الدينيين للحالة العاطفية لأهدافهم. بدأت إعلانات الزيت المقدس بأخذ الحالة العاطفية لجمهورها بدقة شديدة.

(*) الأرقام من عام ١٩٩٠، وبالتالي فقيمتها الآن أكبر بكثير.

وعند تحليل تلك الإعلانات نرى أن النساء يتعرضن لضغط شديد، فالكثير منهن ـ وعلى الرغم من ثقتهن العالية ـ يشعرن سراً بالاستهداف والإرهاق وعدم الأمان. في السيناريو الجديد تُهاجِم أخطارٌ غير مرئية ضحية غير محمية من النساء، فمما ذكر في إعلانات الشركات الجمل التالية:

(محمية من... المهيجات البيئية... وقاء... ضد العناصر المؤذية.. الكريم الواقي). (شركة إليزابيذ آردن)، (حاجز غير مرئي بينك وبين المهيجات البيئية... درعٌ غير مرئي). (شركة إيستي لاودر Estée Lauder)، (حام... يضيف دفاعاً... مستحضر Protectinol(*)، مزيج فعال من المكونات الحَامية... لمواجهة الاعتداءات المستمرة... البيئة اليوم أكثر تلوثاً... التعب، التوتر... الاعتداءات البيئية وتغيرات نمط الحياة). (شركة كلارينس)، (مواجهة التوتر والشدة المصاحبة لنمط الحياة اليومية). (شركة ألماي Almay)، (كل يوم... تخضعين لظروف بيئية مؤلمة، والتي لها ـ مع الجهد والتعب ـ تأثير ضار على بشرتك، وتخرب توازنه الطبيعي). (شركة روك RoC)، (يعزز... الدفاعات الطبيعية... لمواجهة التوتر البيئي في النهار... حاجز حامٍ ضد المواد المعتدية الخارجية). (شركة تشارلز أوف ذا ريتز Charles of the Ritz)، (محمية من المهيجات البيئية.. وقاء... ضد العناصر المؤذية). (شركة إيستي لاودر)، (لتعرضك للاعتداء من التعرض للأشعة البنفسجية والتقدم بالعمر... حاجز حامٍ ضد الاعتداءات الكيميائية والفيزيائية للبيئة... دفاعات جسمك الطبيعية... في وقتها. اكتشفي دفاعك الأمثل). (شركة كليتيلي Clientèle)، (الخلايا... تتوسف كتجمعات، تاركةً جيوباً ضعيفة... متعرضة لبيئتك اليومية... والأنوار المشعة، والمكاتب مرتفعة الحرارة... تسبب تجعدات... وهي عدو غير مرئي... ٧٠ بالمئة من النساء يواجهن تأثيرات تآكلية غير مرئية). (أورينس Orience)، (تهجم عليك عناصر خارجية... مواد عدائية خارجية). (أوركيديا Orchidea)، (الدفاع الجلدي... حواجز مزيلة للتحسس... تزيل تأثير المهيجات البيئية... قبل أن تسبب ضررها ليوم آخر، تحمي البشرة.. وتخفف من سنوات التأثير السلبي). (شركة إيستي لاودر Estée Lauder)، (البشرة معرضة للهجوم يومياً في هذه الحياة... حاجز أساسي... يساعدها على الدفاع عن نفسها). (شركة لوريال L'Oréal).

(*) مشتق من كلمة حماية.

ما هذا السيناريو الذي تتقبله النساء بشدة؟ إنَّه سيناريو يتحدث عن الجزء غير المعلن من حياة المرأة العاملة الناجحة: إنَّه عن العنف الجنسي، والتحرشات التي تحصل في الشارع، والاعتداءات في أمكنة العمل. إنَّ كل كلمة في تلك الإعلانات تحرك بقوة شعوراً منطقياً من مشاعر الخوف عند النساء. ليس لأن لها علاقة بالتقدم بالعمر، أو بصفات المنتج. ليس الأمر فقط أنَّ النساء جديدات في المجال العام. بل لأنه مليء بالمخاطر غير المرئية.

تتعرض النساء بالفعل للهجوم كل يوم من (معتدين غير مرئيين): أظهرت الدراسات مراراً وتكراراً أنَّه على الأقل امرأة واحدة من كل ست نساء قد تعرضت للاغتصاب، وحتى ٤٤ بالمئة من النساء تعرضن لمحاولة اغتصاب لدينا بالفعل (جيوب من الضعف) (كما في الإعلان) معرضة للاعتداء، وهي المهبل عند النساء. المدى الذي يمكن لفيروس الإيدز أن يصيب به النساء لا يزال غير معروف، نحن نحتاج بالفعل لحواجز حامية، نحتاج إلى واقيات ذكرية، وواقيات نسائية في الولايات المتحدة، ٢١ بالمئة من النساء المتزوجات ذكرن تعرضهن لسوء معاملة جسدية من أزواجهن. هنالك مليون ونصف امرأة تتعرض للاعتداء من شريكها كل سنة. تستجيب النساء للتخيلات التي تتحدث عن الحماية من الاعتداء، ذلك أنَّنا نتعرض بالفعل للاعتداء.

تتجمع جميع النساء تقريباً فيما يخص العمل في عشرين تصنيفاً من التصنيفات الدنيا؛ لدينا بالفعل (عدو غير مرئي)، ألا وهو التمييز المؤسساتي. الاعتداء بالألفاظ الجنسية في شوارع المدينة أشبه بـ مادة كاشطة يومية، تتعرض النساء بالفعل لـ (توترات بيئية). تسجل النساء أقل من الرجال في اختبارات قياس احترام الذات. نحتاج بالفعل إلى التغلب على سنوات من التأثيرات السلبية؛ تأثيرات كراهية الذات الشخصية. وتقريباً اثنتان من كل ٣ حالات زواج في الولايات المتحدة تنتهي بالطلاق، والتي ينخفض فيها مستوى المعيشة عند الأنثى بمقدار ٧٣ بالمئة، بينما يرتفع عند الذكر بمقدار ٤٢ بالمئة؛ النساء بالفعل (غير محميات). أكثر من ٨ ملايين امرأة أمريكية ترعى طفلاً واحداً على الأقل لوحدها، ومن بينهن ٥ ملايين فقط يحصلن على دعم رعاية لأطفالهن، و٤٧ بالمئة منهن فقط يحصلن على المبلغ الكامل، بينما ٣٧ بالمئة يحصلن على أقل من النصف، و٢٨ بالمئة لا يحصلن على شيء. تتعرض النساء بالفعل (للتآكل) من قبل

(تغيرات الحياة اليومية). كان متوسط دخل المرأة الأمريكية عام ١٩٨٣ ٦,٣٢٠$، بينما يزيد راتب الرجل على ضعف راتبها. ما بين ثلثي وثلاثة أرباع النساء يتعرضن للتحرش الجنسي في العمل. نحن بالفعل نواجه (مخرشات بيئية). إنَّ فرط العمل وانخفاض الأجور يتركنا بالفعل (متوترات) تحت (إنارة مشعة) في (مكاتب مرتفعة الحرارة). تجني المرأة ٠,٥٩ـ٠,٦٦$ مقابل كل دولار يجنيه الرجل. يمكننا شراء الزيت المقدس المسمى Equalizer. يعرض منتج Vaseline Intensive Care أن يقدم (أخيراً... علاجاً مساوياً... العلاج الذي تستحقه المرأة). فقط ٥ بالمئة من كبار المديرين هم نساء. وقد قامت شركة جونسن بصنع مستحضر تحت مسمى الهدف Purpose. فَشلَ بيان تعديل المساواة في الحقوق من الوصول إلى الكونغرس الأمريكي؛ مما يدل على أنَّ النساء يحتجنَ بالفعل إلى وقاء. ويحتجنَ بالفعل إلى دفاعٍ أفضل.

تَعِد الزيوت المقدسة بالحماية التي لم تَعُد تحصل عليها المرأة من الرجل، ولم تَعُد تحصل عليها من القانون. وتقوم بذلك على مستوى الأحلام فقط. فهي تعرض أن تكون حجاباً أو حزام العفة، أو زوجاً أو بدلة مضادة للأشعة، اعتماداً على الخوف المثار، وذلك لإبقاء المرأة آمنة في العالم الذكوري الكاشط، والذي دخله الكثيرون بمثل هذا التفوق.

ينطبق جزء من هذه المحاكاة على التناقض الذي تشعر به المرأة حيال أدوارها الجديدة المرهقة، أو بالأحرى حيال دخولها نظاماً تمييزياً، والذي تتلقى فيه النساء اللوم لتعرضهنَّ لتوترٍ شديد في هذا العالم المتحيز جنسياً. لدى الكثيرات مشاعر مختلطة حول تكلفة (النجاح) المحدد ذكورياً، وضياع الوقت بعيداً عن الأطفال. هذه هي (مدرسة ما بعد النسوية) للعناية بالبشرة.

([يخفف] التوتر... التوتر السطحي). (Almay)، (التركيز على الجلد المتوتر... ينتصر في مواجهة الشدائد... لقد حُلت المشكلة الجلدية للقرن العشرين). (Elizabeth Arden)، (التوتر والشدة). (Bio-therm)، (هل يؤثر النجاح على وجهك تأثيرات سلبية؟ ...يعرضك نمط حياتك إلى صخبٍ شديد وكثيرٍ من التوتر... الاعتداءات الحقيقية على الجلد (تلك التي لم تكن تدركها أمهاتنا)). (Orlane)، (استناداً إلى حقائق حياتية، فإنَّ ما يحدث لك سيحدث لبشرتك... بالنسبة إلى المرأة التي يتطلب نمط حياتها متطلبات كبيرة). (Matrix)، (الحياة المزدحمة

والصاخبة للمرأة المعاصرة تعني أنّها للأسف لا تعتني بأقدامها). (G. M. Collin)، (عندما تتصرف بشرتك بغرابة). (Origins).

تضاعف معدل الطلاق في الولايات المتحدة تقريباً بين عامي ١٩٧٠ و١٩٨١. ومنذ عام ١٩٦٠ تضاعف معدل الطلاق في جميع بلدان أوروبا تقريباً، ووصل إلى ثلاثة أضعاف في هولندا، وإلى خمسة أضعاف في المملكة المتحدة، و١٠ أضعاف في باربادوس (دولة في الكاريبي)، أما في بنغلاديش والمكسيك فقد تطلقت (أو انفصلت) ١٠ بالمئة من النساء، وامرأة من كل خمس نساء في كولومبيا، وواحدة من كل ثلاث في إندونيسيا حصل لهنَّ الأمر ذاته. يعطينا مستحضر الجل العلاجي Eyezone لشركة إليزابيث آردن Elizabeth Arden الحلقة الأخيرة من تاريخ النساء في أنبوبته: (تتدهور البنى الداعمة الحيوية بين [الخلايا]، تاركةً البشرة ضعيفة ومستهدفة). تحميها مناعتها من (الأشعة التي تضعف وتدمر البنى الداعمة للجلد). يُظهر الجلد غير المعالج (نقصاً كبيراً في التماسك). لقد تحطمت أنظمة الدعم التقليدية للنساء (العائلة والدعم المالي من الرجل، وحتى المجموعات النسائية للحركة النسوية الثانية). تساعد مختبرات كلينيك التجميلية في (دعم البشرة المحتاجة. وإنّه لسبب وجيه). أما في نمط خيال الإنقاذ، فإنَّ النساء العازبات أو المجاهدات اللواتي يقرأن عن الصغرورات (أحد المنتجات) التي تنتجها شركة إستي لاودر (ينجذبن كمغانط شديدة الطاقة إلى الخلايا السطحية التي تحتاج المساعدة جداً، لتعزيزها وإصلاحها وإعادة بنائها). إنَّ (أنظمة الدعم) تلك يمكن الآن (إصلاحها وبناؤها) بـ (الفعل الديناميكي) الذي يمكن أن تحصل عليه المرأة من الصيدليات، وذلك عندما تخذلنا الأسرة الأولية (المكونة من الأبوين والأطفال) والهيئة التشريعية.

ستتغير كلمات الرموز الإعلانية بتغير مخاوف النساء في اللاوعي. لكن إذا رغبت النساء في الخروج من نظام الاعتقاد باهظ الثمن المرتب لإجبارنا من خلال تلك الرسائل، فسنقرأ إعلاناً جديداً للزيت المقدس ما فيه لا يتحدث عن المنتج نفسه، إنما يكون صورةً مثيرةً دقيقةً جداً للشياطين المخفية في عصرنا.

تقرأ الإعلانات احتياجات النساء بطريقة شخصيةٍ جداً أيضاً. يعرف مصمموها أنَّ النساء يشعرن أحياناً بالحاجة للتراجع والرعاية. وفي طقوس الجمال، تُسحب

المرأة من الحاضر مع تشجيعها على استعادة الماضي. تدعى الطوائف التي تصور الماضي بصورة مثالية حركاتٍ إحيائية؛ وتعد النازية مثالاً عليها.

في عقيدة العمر والوزن، يكون لدى النساء مسبقاً ذكريات من جنة عدن (الحديقة السرية لشامبو تيموتي)، وفقدانها. وتلك الذكريات هي: عندما كانت النساء طفلات صغيرات، كانت بشرتهن لا تشوبها شائبة، وكُنَّ يطعمن أطايب الطعام، بالكمية التي يرغبن فيها. الكلمتان اللتان تتكرر متغيراتهما كثيراً، واللتان لا يكاد يخلو إعلان منهما، هما (إحياء) و(مغذٍّ). ففي إعلان شركة ألماي (يعطيكِ حياة جديدة)، أما شركة روك فـ(يحيي)، ولـ Au raseva (يحيي)، يدع المرأة (تولد من جديد). استخدمت شركة كلارينس كلمة (يحيي) ٩ مرات في منشور واحد. يمكنك أن (تولدي من جديد) في إعلان لشركة إليزابيث آردن، أما شركة غورلاين Guerlain فتعطيك مستحضر Revitenol المشتق اسمه من كلمة (إحياء). هاتان الكلمتان تتكرران بطريقة تنويمية ضمن الإعلان الواحد. تكررت كلمة (التجديد) ٢٨ مرة في صفحة واحدة في دعاية للزيت المقدس Millennium (الألفية). الألفية التي يبشر بها بالمجيء الثاني للمسيح، هي عندما يحيا الميت مجدداً، وتعود النساء إلى شبابهنَّ، عندما تقول الطقوس إنَّ معظمهنَّ على قيد الحياة.

يعلم المعلنون أنَّ النساء يعانين أيضاً من سوء التغذية، جسدياً وعاطفياً. نكبح جوعنا الشديد؛ لنعترف أنَّها نقطة ضعف عندنا. لكن يظهر العوز الغذائي الذي يعترينا في دعاية الزيت المقدس التي تذكر الحلويات والشراء المحرَّمَين علينا، عسل الأرض المقدسة، وحليب الأم مريم. ومن تلك المنتجات:

Milk'n Honee, Milk Plus 6, Estée Lauder Re-Nutriv, Wheat Germ n' Honey, Max Factor 2000 Calorie Mascara, Skin Food, Creme, Mousse, Caviare. فترى أنَّها تحوي كلمات لها علاقة بالطعام الذي تحبه النساء.

تُطعم المرأة بشرتها السامية التي لا تستطيع الحصول عليها دون ارتكاب ذنب أو حصول تعارضٍ بين أيٍّ من الفموين. في مقال لصحيفة نيويورك تايمز تحت عنوان (غذاءٌ للفكر)، كتبت ليندا ويلز أنَّ (المكونات الأخيرة للعناية بالبشرة... أشبه بقائمة مأكولات في مطعم براق)، فتراها تدرج بيض طائر السمان والعسل والموز وزيت الزيتون والفول السوداني والكافيار وبطارخ سمك الحفش وثمرة

زهرة الآلام. تسمح المرأة الجائعة لنفسها أن تحصل فقط خارجياً على ما ترغب فيه داخلياً.

عام ١٩٩٠، وفي مسح أجرته شركة Virginia Slims ڤيرجينيا سليمز (ماركة أمريكية للسجائر) على ٣٠٠٠ امرأة، تبين أنَّ نصف أولئك النساء يشعرن بأنَّ (الرجال مهتمون فقط بإشباع حاجاتهم الجنسية). أكبر (تغذية مكثفة) تَعِد بها الكريمات تكون التغذية المسائية، فيذكر الإعلان: (عندما تكون بشرتك قادرة على امتصاص المزيد من المغذيات. وهو الوقت المناسب لرعايتها... [بـ] مغذيات خاصة) (Almay Intensive Nourishing Complex). وقت المساء هو عندما تشعر مثل أولئك النساء بعمق بالحاجة لراعٍ يرعاهن. تطعم النساء بشرتهن كطريقة لإطعام أنفسهن الحب المحرومات هنَّ منه.

تظهر هذه الإعلانات بطريقة تحث النساء على إسقاط هذه المنتجات على الشكل الذي يرغبنه في علاقتهنَّ مع الرجال. أظهر كتاب **تقرير هايت** *Hite Report* الأول[*] أنَّ المرأة ترغب في المزيد من الود. هنالك نوع من التصوف المسيحي، شهواني وحميمي، يظهر فيه المسيح كحبيب يقدم للمتصوف اتحاداً صافياً رومنسياً. كان المسيح العريس الدعامة الخيالية للنساء. إنَّ هذه النسخة التجميلية من الدين ودية. هو يعلم بالضبط ما تحتاجه المتضرعة. والزيوت تعطي (هدوءاً) و(سكينة) و(راحة)، وهي تقدم (بلسماً) ـ مثل بلسم جلعاد[**] ـ للنفس أو للبشرة (الحساسة) و(المتهيجة). انطلاقاً من الإعلانات، ترغب النساء في المزيد من الرعاية والاهتمام مما يحصلن عليه في الحقيقة من الرجال. ((لا يعطونكِ أبداً أي اهتمام شخصي) مختبرات كلينيك)، إضافة إلى إمتاع جنسي أفضل، وكرم أكثر. بينما الزيوت (تنزلق بسلاسة، مثل الحرير). يفعل الجني في الزجاجة ما يُقَصِّر الرجال الحقيقيون بفعله بوضوح: سيتلمسها بلطف، ويلتزم بها إلى الأبد، ويتعاطف معها ويعتني بها، ويفعل لها ما تفعله النساء للرجال. يأتي على شكل قلم شفاه (يمكنك الحصول على علاقة أطول معه)، وهو يقدم (عناية أكثر؛ عناية مطلقة). (وقد أطلقت شركات على مستحضراتها هذه الأسماء للتأثير على النساء: (More Care. Pure Care) (كريمات للعناية الكاملة)، (عناية خاصة)

(*) كتاب تقرير هايت *Hite Report*: كتاب يتحدث عن الحياة الجنسية النسائية، كتبه هايت.

(**) بلسم جلعاد: ويعرف ببلسم مكة، وهو عطر نادر يستخدم طبياً، ذُكر في الإنجيل.

(اسم مستحضر Special Care)، (عناية مكثفة Intensive Care) (لشركة جونسون آند جونسون)، (رعاية الحب) (مستحضر Loving Care لشركة كلايرول Clairol)، و(عناية طبيعية) (مستحضر Natural Care، لشركة كلارينس). المنتج على معرفة جيدة بوتيرتها الجنسية، ويتخذ (المنهج الناعم الرقيق)، مقدماً (نوع الحب) الذي (تتعطش له) النساء. يأخذ ذنب الجنس: أما هي ف (يمكن أن ترجع الأمر إلى مشاعر طبيعية بحتة). هو (المستحضر) يعاني طويلاً، وهو عبارة عن شامبو شفقة (شامبو تحت اسم Empathy) ومنظف لطيف (تحت مسمى Kind) وصابون الرعاية (تحت اسم Caress soap) وملطف وفير (Plenitude). على نحوٍ سحري، لم تعد احتياجات النساء الجنسية مصدراً للنزاع: (لم تعد اللحظات الحساسة لبشرتك بحاجة لأن تكون مشكلة عندك بعد الآن... تحتاجين عناية حساسة لها كلها... هي العضو الأكثر تعقيداً في الجسم). ومستحضرات أخرى تقدم (تزليقاً فاخراً) من أجل (ضمان أقصى قدرٍ من الاختراق) ول (تلبية احتياجاتك مباشرةً... Special Care (عناية خاصة)... متى وأين تحتاجينه). (يذكر في صلوات القداس: (أعلم ما الأشياء الجيدة التي أحتاج إليها)). في النهاية، فإنَّ الحياة الجنسية للأنثى شبيهة بذلك: (تحتاجين أحياناً إلى القليل من البراعة، وفي بعض الأحيان تحتاجين إلى الكثير منها).

وفي حالات مزاجية أخرى تتوق بعض النساء توقاً شديداً للخضوع مرة أخرى لسلطة كانت قد اختفت، للإله. تحتاج الأنثى إلى (ترويض)، إلى دليل صارم يدربها على احتواء فوضى نبضاتها الطبيعية؛ إنَّها تقدم يداً ذكورية لإخضاعها، فعلى الرغم من أنَّها يد رحيمة ولطيفة، إلا أنَّها حازمة. إنها تحتاج (لتحكم أفضل بالمشاكل الجلدية)، كما لو أنَّها كانت طفلة تعاني من مشكلة: (يجب عدم معاملة الجلد المسن مطلقاً كما لو أنَّه جلد طفل). يقال لها دللي البشرة: (اقشريها، واغمريها، وقومي بذلك بقوة قدر الإمكان) (مختبرات كلينيك). يمكنها شراء تأثير (مصحح وواقٍ) (شركة إيستي لاودر)، وهو مصطلح خاص بسجن الأحداث: (جلدك متراخٍ؟ كوني حازمة مع وجهك) (كلارينس).

تستجيب النساء للمواد التي تكتسب بريقها من التضحية من خلال التضحية بأنفسهن. المادة التي دخل الموت من خلالها يجب أن تفعل فعل المعجزات. في المنتجع السويدي La Prairie يجري أسبوعياً (التضحية) بأجنة خراف مجهضة

حديثاً، من أجل (خلاياها الحية الطازجة). (يتحدث أحد العملاء عنها على أنّها (تجربة روحية)). تعد المشيمة مكوناً مشتركاً في كريمات الوجه، وكذلك أنزيمات الخنزير المعدية؛ حيث تعالج الخلايا الجنينية للثدييات فيها، فتقدم أوركيديا (مستخلصاً ثديياً). في بريطانيا العظمى وفرنسا وكندا، وطبقاً لجيرالد مِك نايت، تُباع خلايا الأنسجة الجنينية البشرية لمصنعي الكريمات الجلدية، ويستشهد بحالات لنساء حوامل في بلدان فقيرة، يقنعن بإجهاض أولادهن، بعد فترة حمل قد تصل إلى ٧ أشهر، وذلك لقاء ٢٠٠ دولار فقط، ويكون هذا لصالح تجارة سرية تتعامل بالأنسجة الجنينية التجميلية. في رومانيا في القرن السابع عشر، كانت الكونتيسة تذبح عذارى الفلاحات حتى تتمكن من الاستحمام بدمائهن لتبقى شابة. فمصاصو الدماء لا يهرمون أبداً.

تأتي الفعالية السحرية من التضحية المالية أيضاً. أخبر مصدر يعمل لدى Helena Rubinstein وVogue جيرالد مِك نايت أن (المكونات الفعلية تُكلف ١٠ بالمئة أو أقل من السعر الذي تدفعه [النساء] للمنتج)، وتتابع قائلة: إنَّ (التكلفة الضخمة جداً) ما هي إلا كلفة الإعلان و(البحث). يتضح أنَّ التكلفة غير الحقيقية هي في الواقع جزء من عوامل جذب الزيت المقدس للنساء: في مقال آخر لليندا ويلز في صحيفة ذا نيويورك تايمز، تحت عنوان (الأسعار: بعيدة عن الرقابة)، ذُكر فيه أنَّ شركة إيستي لاودر رفعت أسعارها بغرض (البريستيج). ويقول مدير شركة Revlon: (أسعار المنتجات في كافة مجالات هذه الصناعة مبالغ بها)، (السعر لا يزال في ارتفاع... وتعتقد بعض الشركات أنَّ هذا الاتجاه قد بلغ ذروته، بينما يقوم آخرون برفع أسعارهم أكثر لتعانق عنان السماء). تجعل الأسعار العالية النساءَ يشترين الزيوت المقدسة. يتساءل مِك نايت: (في حال قلّت التكلفة بدرجة كبيرة... هل ستشعرن بالرضا عند شراء هذه الأشياء؟ هذا هو الجانب من العمل الذي يربك علماء النفس والاجتماع على حدٍّ سواء). كما قدم جدولاً يثبت أنَّ منتجاً بسعر ٧,٥$ يتكون من مواد تساوي ٠,٧٥$ فقط. إنَّ بيع شيء عديم القيمة بأسعار خيالية يقلل من النفقات.

لا يجب أن يكون سعي النساء (المحير) نحو التكلفة العالية محيراً. إنَّ المكونات المستخدمة أمرٌ ثانوي؛ بل وحتى فعاليتها أمرٌ ثانوي. فلا دهن الخروف حقيقي، ولا المشتقات البترولية الموضوعة في قدر التحضير مهمة، بقدر ما إنَّه من

غير المهم معرفة من رسم الرسومات على كفن تورينو. وبخلاف التكلفة العالية لألوان الوجه (المكياج)، والتي على الأقل تقوم بما عليها القيام به، فإنَّ كل ما تسببه التكلفة العالية للزيت المقدس هو تخفيف الشعور بالذنب، بالإجبار على التضحية. بهذه الطريقة فإنَّ صناعة القرون الوسطى لصكوك العفو والغفران قد عادت من جديد، لكن على شكل صناعة الزيت المقدس.

تكمن قيمة الغفران بمقدار تكلفتها للتائب. يقع معناها النفسي الأولي بمقدار ما يرغب التائب في التضحية به من أجل المغفرة. ويهدد الباعة أيضاً المرأة باللعنات إذا لم تدفع. وليس جحيم القبح هو ما تخشاه، إنما تناسي الذنب. فإذا ما أصيبت بالشيخوخة من دون استخدام الكريمات، فسيقال لها إنَّها هي من جلبت هذا لنفسها، بسبب عدم استعدادها لتقديم التضحية المالية المناسبة. أما إذا اشترت الكريمات وأصيبت بالشيخوخة (وهذا سيحصل بكل الأحوال) فعلى الأقل ستعلم كم دفعت لدرء هذا الذنب. شراء مستحضر بـ ١٠٠$ هو دليل بيِّن أنَّها حاولت. لقد حاولت بالفعل. الخوف من الذنب هو القوة الدافعة هنا، وليس الخوف من التقدم في السن.

طائفة الخوف من الدهون

كثير من النساء اللواتي يفزعن من التقدم بالسن وزيادة الوزن (الطائفتان الأكثر نمواً في هذا الدين) عليهن القيام بالكثير حيال الرهاب غير المنطقي الآسر لعقولهن، بقدر ما عليهن القيام بشيء حيال (المشكلة) ذاتها. تستخدم سمة الخوف من التقدم في السن لطقوس الجمال طرائق طائفية باستخدام اليد الخفية. لكنَّ سمة الخوف من الدهون تغير في الواقع الطريقة التي يعمل بها الدماغ أساساً. تخضع المرأة المنشغلة جداً بهذا إلى أشكال تقليدية راسخة للسيطرة على الفكر.

قد يكون الهوس بالوزن في الحقيقة تافهاً إذا انضمت المرأة لتلك الطائفة طواعيةً، ويمكنها التخلص منه متى ما أرادت. لكن عقلية التحكم بالوزن مخيفة، لأنَّها تعتمد على تقنيات تجعل متّبِعة هذه الطائفة مدمنةً على التفكير بها، مشتتةً ذهنها عن الواقع. النساء اللواتي يقررن في البداية البدء باتباع نمط التفكير السائد في هذه الطائفة سرعان ما يجدن أنفسهن غير قادرات على التوقف. وهنالك أسباب جسدية ونفسية لهذا.

نشأت طائفة التحكم بالوزن كظاهرة أمريكية. وقد انتشرت إلى أوروبا الغربية والعالم الثالث، شأنها شأن الطوائف التي استخدمت أمريكا كمقرٍّ لها، مثل المورمونية، وكنيسة التوحيد.

ازدهرت هذه الطائفة ـ مع كثير من الطوائف الأخرى ـ في الاضطرابات والسطحية التي تمثل المشهد الأمريكي.

معظم الطوائف في أمريكا هي من جيل الألفية، وهي تدور حول الصراع بين القديس والذنب. يركز النشاط في تلك الطوائف على استعدادات تطهير النفس. أما السلوكيات الشائعة فهي النشوة وجنون العظمة والهيستيريا وحب التملك.

تتشكل الطوائف تحت نفس الشروط التي حددت تاريخ المرأة الحديث: ثورة فعالة يتبعها انسحاب منفعل. وعند إحباط نشاطها، يقوم النشطاء بالتقوقع. كتبت ويلا أبل: الناس الذين يتبعون طوائف الألفية هم مجموعة من الأشخاص كان (لديهم توقعات شهدت تغيراً مفاجئاً)، ويشعرون (بالإحباط والحيرة)، ويحاولون (إعادة إنشاء واقع جديد لتأسيس هوية شخصية في حالات فقدت فيها رؤية العالم القديم معناها). العبادة الألفية جذابة للأشخاص المهمشين، الذين (ليس لديهم صوت سياسي، والذين يفتقرون للتنظيم الفعال، والذين ليس لديهم تحت تصرفهم وسائل منتظمة مؤسساتية للإصلاح). تعرض الطوائف (طقوس عبور في مجتمع فشلت فيه المؤسسات التقليدية على ما يبدو).

هذه هي قصة حياة المرأة اليوم، على الرغم من أنَّ الكثيرات اكتسبن سلطةً خلال العقدين السابقين، إلا أنَّ تلك السلطة لم تتمركز حول أجسادهن الأنثوية، كما كانت طقوس العبور النسائية السابقة. لا تزال النساء يفتقرن للمنظمات والمؤسسات والصوت الجماعي(*). وإنَّ أي امرأة عاملة في المناطق الحضرية ستراها تتلو دعاء (إحباطٍ وحيرة) وتوقعات متغيرة. تقطن النساء واقعاً منتجاً للطوائف؛ كل ما يتطلبه الأمر هو طائفة. وإنَّ لاهوت التحكم بالوزن يلبي الحاجة: فهو يشترك مع باقي الطوائف الناجحة الأخرى بثلاث لبنات بناء، وهي:

(*) هكذا كانت الحال عند إصدار الكتاب عام ١٩٩٠.

الطوائف التي تتبع الهيكلية الاستبدادية: يتبع متبعو الحميات (حمياتٍ غذائية) لا يحيدون عنها. يصلى في القداس الكاثوليكي الروماني بالآية: (اجْعَلْ يَا رَبُّ حَارِساً لِفَمِي. احْفَظْ بَابَ شَفَتَيَّ) (سفر المزامير ١٤١:٣). إنَّ النغمة المتبعة في كتب الحميات وسماتها نغمةٌ عقائدية، لا لبس فيها، يوجه فيها (الخبراء) المساعي، ودائماً يعرفون الأفضل.

الطوائف التي تدعو (للزهد بالعالم): يتخلى متبعو الحميات عن متعة الطعام. يتجنبون تماماً تناول الطعام في الخارج، فيقيدون بذلك حياتهم الاجتماعية، مما يضطرهم للانسحاب من المواقف التي من الممكن أن يواجهوا فيها إغراءات الطعام. يتخلى المصابون بالقهم (بفقدان الشهية للطعام) عن معظم الملذات الدنيوية (الأفلام والحلي والنكت)، وذلك كامتدادٍ لزهدهم بالطعام.

الطوائف التي يعتقد أتباعها أَنَّهم وحدهم (من وهب الحقيقة): تتجاهل النساء المهووسات بالوزن الثناء، لأَنَّهن يشعرن بأَنَّهن الوحيدات اللواتي يعرفن حقاً كم من البغيض إخفاء الجسم عن الأنظار. المصابات بالقهم في هذه الحالة متأكدات من أَنَّهن شرعن في مهمة لا يستطيع أحدٌ فهمها بمجرد النظر إليهن. يمكن أن يحبس إنكار الذات المرأة في تنازل نقديٍ وحاد أمام النساء الأخريات الأقل تقوى.

إنَّ الهدف الذي يسعى إليه تفكير الجمال ـ حول الوزن أو العمر ـ هو فكرٌ نسائي راسخ. يحث أتباع الطائفة على قطع جميع العلاقات مع الماضي، فمن الجمل المشهورة عندهن: (لقد دمرت جميع الصور التي أبدو فيها سمينة)؛ (إنَّها أنا جديدة!).

إنَّ الدورة المتكررة من التنبيه الطفيف هي الطريقة التي تُنبه بها عقول النساء فيما يتعلق بالطعام. من المعلوم أَنَّ هذه اليقظة تجعل المرأة تشعر بالجنون قليلاً. ما لم يدرك بعد هو كيف تجعل النساء بالفعل مجنونات قليلاً. عندما تجد النساء أنهن لا يستطعن التوقف عن التفكير بالطعام، فنحن لسنا عصبيات، إنما نحن على إدراك كاملٍ بذواتنا: هذا الشكل من التكرار المفروض على أي شخص تحت الضغط مسبقاً، يغير في الواقع طريقة عمل الدماغ. يوجد المرتلون في بعض الطوائف في (حالة من التنويم). وفي مثل هذه الحالة هم فريسة للنبضات العدوانية أو التدميرية الذاتية. تحصل نفس حالة شبه فقدان الوعي بالطريقة التي توجه النساء بها للتفكير بالطعام والشحوم. يمكن لنفس المشاعر غير المنطقية أن

تخيفنا. توجه النساء بحيث يشعرن بأنَّ العدوان والتدمير الذاتي يأتيان من الداخل، أو أنَّهما غير حقيقيين. لكن هذه شتلة جنون حقيقية رسمية مزروعة من الخارج، وليس من الداخل.

عندما تُشاهد امرأة يظهر عليها هذا النوع من التفكير في الصباح، تقوم بتقديم ما يشبه صلاةً مبالغاً بها، ترنيماً محدداً بكلمات سحرية منومة. مثلاً: تمضغ المرأة الطعام اثنين وثلاثين مرة، وتشرب ١٠ كؤوس من الماء في اليوم، وتضع الشوكة مرةً بين كل لقمتين. (تخيلي الأمر كإمساك قطعة من عشر سنتات بين أردافك... قومي بذلك كلما تسنى لك؛ شاهدي التلفاز، اجلسي في مكتبك، قودي سيارتك، قفي في دور الانتظار في المصرف). هي تحث على لي عضلات أعضائها عندما تنتظر المصعد، على إطباق فمها بينما تعلق الغسيل. تعويذة الترنيم هي عبارة عن قيامها بالحساب المستمر طوال اليوم للسعرات الحرارية التي تناولتها والتي صرفتها. أصبحت ترنيمة السعرات الحرارية ـ بهمهمة منخفضة ـ عادةً في عقول كثيرٍ من النساء، لدرجة أنَّ ممارسات أغاني هاري كريشنا(*) لمدة ٧ ساعات في اليوم تُعد أمراً بسيطاً بالنسبة إليهن. وكما ترانيم السعرات الحرارية، تُعاد التعويذة بنفس المسار الموسيقي للعقل، بينما ينشغل الباقون بأنشطة أخرى.

تُعلم عبادة الوزن العابدَ التأمل. هنالك حمية (الوعاء الواحد)، حيث تجلس المرأة في زاوية هادئة ممسكةً وعاءً مليئاً بالطعام، وتركز على ما ترغب في تناوله، ولمَ ترغب فيه. توجه النساء إلى إمساك ومداعبة وتناول برتقالة واحدة لمدة ٢٠ دقيقة، ويطلبون منها أن تركز عقلها على معدتها، وذلك لتتأكد بأنَّ (الشهية) التي تشعر بها هي حقاً عبارة عن شعور بـ (التضور جوعاً). تفكر الأنثى بالطعام طوال الوقت، ذلك أنَّ الطائفة تصر بمهارة أنَّ عليهن القيام بذلك. إذا كانت المرأة سمينة بدرجة تضر بصحتها، فمن المرجح جداً أن يكون ذلك بسبب الطائفة، أكثر من كون ذلك حصل على الرغم من كونها في هذه الطائفة.

الطقوس الجماعية كثيرة. ففي فصول التمارين الهوائية (الإيروبيكس)، تُعطي المحاكاة الروبوتية للحركة المفرطة النساءَ نشوةً غير مؤذية. ويمارس الرقص الوثاب ذاته في طائفة هاري كريشنا، ولنفس التأثير. هنالك طقوس ـ وصفتها

(*) طائفة صوفية في الهندوسية، تتميز بكثيرٍ من الإنشاد والرقص.

Kim Chernin كيم تشيرنين ـ لمجموعة مخاطر الإسراف في تناول الطعام المتبوع بالإسهال المتعمد بالأدوية، وهي شائعة في الحرم الجامعي، وطقوس احتقار النفس عندما تتصفح النساء المجلات معاً، مرددات الصيغة الشهيرة: (أنا أكرهها، إنَّها نحيفة للغاية)، (أنت نحيفة للغاية)، (أوه، حقاً، أنا؟ ما الذي تتحدثين عنه؟).

وتحدث السيكودراما عندما تواجه المرأة السلطة. وذلك يحدث عندما تطلب قائدة مجموعة شركة ويت ووتشرز(*) من إحدى التابعات علانيةً: (تعالي الآن، أخبرينا ماذا أكلت بالفعل). وقد يحصل هذا بطريقة الإكراه من أحد أفراد عائلة المرأة نفسها، مثل: الزوج الذي يخبر زوجته أنَّه خجل من أن يُشاهد وهو برفقتها، أو الأم التي تشتري لابنتها تنورةً من أحد المحلات الشهيرة مقابل كل رطل تفقده من وزنها.

تحصل اعترافات رسمية في مجموعات الحمية، والتي تتميز بخلايا طقوسية واسعة الانتشار ورسمية للغاية. فقد سجلت في شركة ويت ووتشرز ٨ ملايين امرأة أمريكية(**)؛ وفي كل أسبوع يعقد عبر الولايات المتحدة ١٢,٠٠٠ فصل، يُنشر ويعزز فيها السلوك الطائفي. في هولندا، يقدم ٢٠٠ موظف ٤٥٠ مساقاً سنوياً لـ ١٨,٠٠٠ عضو، مقابل ١٧ خولده (وحدة نقد هولندية سابقة) أسبوعياً. لقد انتشرت في أنحاء العالم، مع ٣٧ مليون عضو يدخلون ٢٤ خلية عالمية خلال السنوات الـ ٢٥ الماضية.

إنَّ تقنيات تغيير العقل الست التي ناقشناها آنفاً مستخدمة أيضاً لدى كنيسة التوحيد والمؤسسات والسينتولوجيا (العِلمولوجيا) واللايف سبرينغ(***) وباقي الطوائف الأخرى. وتُفعل في سياق مجموعات الضغط، وذلك لإحداث نوعٍ من التكيف الذي يفكك الفرد. تقوم طائفة الوزن على إمدادٍ لا ينضب لمجموعات الضغط، ويكون وضعها أفضل من باقي الطوائف، ذلك أنَّ مجموعة الضغط تتضخم بالضغط المؤسسي والضغط الثقافي. فمثلاً تمتلك كنيسة التوحيد

(*) شركة إلكترونية لمراقبة الوزن.
(**) تذكير: الأرقام من تاريخ نشر الكتاب، ومحتمل الآن أن تكون أكبر بكثير.
(***) ربيع الحياة، والتي تأسست عام ١٩٧٤.

صحيفة واشنطن تايمز فقط، بينما توفر طائفة الوزن عائدات لمعظم وسائط إعلام النساء الأخرى.

تشرح ويلا أبل أنَّ الحاجة لنظام هي حاجة فيزيولوجية إضافة إلى كونها حاجةً فكرية. وتصف نمط تجارب الحرمان وأبحاث الشعور بالحرمان، لتشرح ما يحدث لمتّبِعات الطائفة أثناء تلقين التعاليم. ولكونهن غير قادرات على فهم عدائية المدخلات الحسية الجديدة المشحونة للغاية من ناحية، ولكونهن محرومات من المحفزات الرئيسية من ناحية أخرى، يصبحن مشوشات، وأقل قدرة على متابعة التفكير العقلاني، ومن السهل إقناعهن والتأثير عليهن؛ ويكُن قادرات حينها على الترحيب بسيناريو (يتقابل فيه الخير والشر في معركة نهائية). ينضم وابل مواد الجمال الإباحية إلى الاضطرابات الاجتماعية الأخيرة لتشكيل بيئة مشوشة فوضوية جديدة تماماً، ومنه الإنكار الذاتي للطعام الذي تعاني منه معظم النساء، والذي هو شكل من أشكال الحرمان الحسي. لذا فالتقية والفاسقة ترادفها هنا النحيفة والسمينة، ما يخيف روح المرأة.

تصور طوائف الألفية عالماً خارجياً خطراً شريراً. تميل الناجيات فيه ـ مثل الجميلات ـ لأن يكنّ متشابهات، بلا صفات شخصية. يقود الشعور بفقد السيطرة المؤمنات إلى طقوس التطهير، بينما ينتظرن اليوم العظيم. وغالباً ما يحتجن أن يخلصن أنفسهن، فمثلاً: طائفة الأمريكيين الأصليين(*)، وراقصو الأشباح(**)، يتراقصون في انهيار، كما لو أنَّهم ينتظرون يوم الحساب. وطقوس الرشاقة البدنية للنساء تُنهِكهن أيضاً. إنَّ العالم ما بعد الألفية هو جنة لها نفس درجة الغموض؛ تكتب أبل عن متبعات طوائف الألفية: (عندما أخسر هذا الوزن...) (كان من المفترض أنَّ مجرد امتلاك القوة التي أنكرناها لفترة طويلة سيجلب السعادة).

مثل أولئك النساء اللواتي يخضعن لطقوس الجمال، ودعاة المسيحية أيضاً (يرفضون تلك الأجزاء من أنفسهم التي تهدد هويتهم الجديدة). فالطوائف التقليدية ـ وطقوسها ـ (تعرض آمالاً وهوياتٍ جديدة رائعةً أيضاً). يمتلك الناس الضعفاء أمام الطوائف ارتباطاً ضعيفاً بالهوية، والذي يجب تعزيزه من خلال (أن

(*) من الهنود الحمر.
(**) حركة دينية تضم شعائر سكان أمريكا الأصليين، الهنود الحمر.

تصبح شخصاً آخر بكل الطرائق الممكنة). قلة من النساء لديهن ارتباطٌ قوي بالهوية الجسدية، وتحفزهن أسطورة الجمال على رؤية قناع (جميل) على أنّه القناع المفضل لوجوههن وأجسادهن. وإنَّ التبعية والحاجة لقبول الآخرين لهن هي أيضاً من المحددات. الأفراد الأمثلون لغسل أدمغتهم هم أناس (ليس لديهم... تنظيم أو مهنة يعرفون بها على نحوٍ متأصل). لكنَّهم يشعرون بالشفقة تجاه (أولئك الخاضعين للعالم)، تجاه الأقل حظّاً، والأكثر استغلالاً. يبدو من هذه المؤشرات أنَّ النساء الأكثر ضعفاً أمام رسائل تغيير العقل هن النساء العاملات في أواخر القرن العشرين، المكافحات لتحقيق مكانةٍ لأنفسهن في عالمٍ مضطرب.

إنَّ قراءة مؤلفات كنيسة التوحيد لمدة أسبوع يشبه جداً ما تقرؤه في مجلة نسائية. فكما ذكرت أبل ذلك:

يبدأ ظهور تأثير الجهود المبذولة لمحاولة تعلم الاستجابة المطلوبة منك لتحصيل القبول بالترافق مع الحرمان من النمو وقلة التغذية والنشاط المستمر الذي لا يسمح بالراحة أو التفكر. يفقد الضيوف قدراتهم النقدية، فنتيجة لكونهم منهكين ومتعبين عاطفياً، يجدون أنّه من الأسهل أن يخضعوا، أن يبقوا صامتين، وألّا يثيروا حالاتٍ من الغضب ورفض المجموعة لهم من خلال طرح الأسئلة والتعبير عن الشكوك حول الرؤية العالمية التي طُلب منهم اعتناقها.

هذا انعكاس دقيق لكثير من التجارب النسائية اليوم. حالما تصبح المرأة من أتباع طائفة الوزن، فلن تكون وحيدة. الأدب الذي يظهره الناس كمسألة طبيعية لأجسام الرجال، لا ينطبق على أجسام النساء: تتمتع النساء بقليل من الخصوصية الجسدية. فكل تغير أو تقلب في الوزن يُلاحظ ويحاكم ويناقش علنياً.

إنَّ التخطيط الصارم في الطوائف ـ كما في عقل المرأة التي تمارس التمارين الرياضية، أو تقتر على نفسها بالطعام ـ يلغي لمتبعه حرية الاختيار: فأي وقت فراغ سيبقى لمتبع الطائفة إذا كان مرهقاً جداً باستخدامه بالتفكير. لقد تبدلت أنماط التغذية بحيث تخفض من المقاومة الفكرية والعاطفية. وتكتب أبل: الأمر أشبه بالشعور المرافق للّحظة التي تستطيع بها لبس جينز بقياس ٨، (فإنَّ لحظات (التجارب ذات الأهمية) هي مكافآت واضحة على كل العمل الشاق والتضحية بالنفس).

إنَّ الضغط الطائفي القوي الذي تتعرض له متّبِعة حميةٍ ما هو ما تدعوه كنيسة التوحيد بـ (قصف الحب): ستتعرض لوابل من الرضى من أي شخصٍ حولها إذا (التزمت بالبرنامج). يحمل قصف الحب تهديداً ضمنياً: أنَّه سيتوقف. تكافئ الطوائف خضوع أتباعها بتقديم الحب. ولكن يزداد الفوز بالحب صعوبةً شيئاً فشيئاً، فقد أصبح السلوك المطلوب انقيادياً أكثر من أي وقتٍ مضى.

عند درجة محددة في اتباع طائفة (الجمال) يتحول اتباع حمية غذائية إلى قهم(*) أو إلى اضطرابات تناول الطعام القهري أو إلى شره. المكافأة والعقاب هما نقطة ارتكاز الحياة الطائفية؛ فوفقاً لأبل: (يتربص الشيطان الآن لنا في كل زاوية، منتظراً كل لحظة غفلة... ليغري المرأة ضد القداسة). ترى النساء المتعلقات بالطعام الإغراءَ في كل مكان حولهن. وحيث إنَّ شهية النساء للطعام تعد شهيةً شيطانية، فإنَّ أتباع الطائفة قد وقعوا في فخٍّ ليس له من مهرب. وكتبت أبل: ((من خلال قيام الطائفة بنسبة بعض الرغبات والأفكار للشيطان (رغبات وأفكار يعدها بقية المجتمع طبيعية وبشرية) فإنَّها تضع متّبعاتها في ارتباط عاطفي فكريٍّ لا خلاص منه... مجبراتٍ على رفض كل تلك المشاعر (الأنانية) في (أنفسهن)... وبالوقت نفسه لا مفر من تطفلها). أي، لتبقي على قيد الحياة، عليك أن ترضي شدة جوعك، إلا أنَّ (التوتر المستمر الناتج عن رفض هذه الجوانب الفطرية مرهقٌ للغاية. إنَّ بشرية المتحولة لهذه الطائفة تدفعها لتصبح عضواً في المجموعة، لكنَّ تلك الطبيعة البشرية تجعل (خلاصها في خطر)). تقول إحدى الأعضاء السابقات: (ليس هنالك مستوى من القبول يمكنك الوصول إليه... مستوى يكون كل شيء فيه مثالياً بحده الأقصى. يا إلهي، إذا توجهتَ لأي أمرٍ يصبح مثالياً بحده الأقصى. يخبرونك أن تجلسي هناك وتتأملي وأنتِ جالسة على المرحاض. وتشعرين بهذا الذنب الهائل لعدم كونك قادرةً على التركيز على المثالية القصوى كل الوقت). تتعلم النساء أنَّ حجم الجسم والطعام مثاليان تماماً، يتعلمن التأمل بذلك بطرائق تكون في بعض الأحيان مهينةً.

(*) القهم: فقدان الشهية للطعام.

الطوائف التي اتخذت من أمريكا مقراً لها (أحالت حالة الانقياد والركون والجوع الروحي والرغبة في النظام) الموجودة عند أتباعها إلى (نموذج عملٍ مربحٍ متخصص في رأس المال السريع). وهذا صحيح أيضاً في طائفة الوزن.

كي ينجح إلغاء البرمجة لأفكار الهاربة من الطائفة يجب أن تظن بأن ما مرت به (حقيقي وقوي). مع التأكيد على أنَّ الجنون مصدره خارجي. تلك الطريقة منطقية بالنسبة إلى الهاربات المحتملات من هذه الطائفة أيضاً. لا تستطيع المرأة العالقة في الطائفة أن تلغي برمجتها منها، إلا أن تصل إلى حالة ترى فيها أنَّ الجنون يزرع فيها من الخارج، وأنَّه يؤثر على عقلها من خلال حيل المساعدة النفسية البالية من الدرجة الثالثة. إذا استطاعت النساء اللواتي يَتُقْنَ للهرب التصديق بأنَّهن كنَّ يخضعن لتلقينٍ ديني يستخدم تقنياتٍ مُثبتة لغسل الدماغ، فيمكننا ـ نحن النساء ـ حينها الشعور ببعض الشفقة على أنفسنا بدلاً من كره الذات؛ يمكننا البدء برؤية أين وكيف تغيرت أدمغتنا.

التأثير الاجتماعي للدين الجديد

العاقبة الدولية لتلقين النساء ـ اللواتي حصلن على حق الاقتراع مؤخراً ـ تعاليمَ طقوس الجمال هي خضوعهن مرة أخرى للتركين السياسي. العناصر الثلاثة التي استخدمتها الطقوس (المخمصة، والخوف من المستقبل الفوضوي، والمديونية) استخدمها في شتى أنحاء العالم بعض القادة السياسيين الذين رغبوا في إبقاء السكان المضطهدين خاضعين وهادئين.

تحافظ طقوس الجمال على هذا التركين عند النساء من خلال مسلمتها اليومية حول الإرجاء الأبدي للمكافأة.

يقول دين الجمال: إنَّ جمال المرأة ليس لها (لجميع الرجال في العالم). هي مذنبة بالتجاوز إذا دنست هذا الجمال بمواد غير جيدة، مثل الأطعمة الغنية بالسعرات الحرارية، والمستحضرات رخيصة الثمن. إنَّها تشعر بأنَّ ما هو جميل في جسمها لا ينتمي لها، إنما لله. لكنَّ القبيح فيه ينتمي لها فقط، هو دليل على ذنبٍ اقترفته، ما يجعلها تستحق أي سوء معاملة تواجهه. يجب أن تلمس بشرتها بوقار، ذلك أنَّ (جمال) وجه الشباب الناعم الذي لديها منحةٌ من الله. لكنها قد تلوي أو

تضرب أو تكهرب فخذيها الأنثويين، اللذين يشكلان دليلاً على الطرائق المسرفة التي اتبعتها.

يمنع هذا النساء من العيش في أجسادهن بالكامل، ويبقينا ـ نحن النساء ـ منتظراتٍ كمالاً مثالياً لن نصل إليه أبداً. من المفترض أن يمنعنا هذا من الشعور بالراحة في هذا الجسد، أو في الوقت الحاضر، هذان المكانان (الجسد، والوقت الحاضر) الخطران جنسياً وسياسياً على المرأة؛ وقد هدأ الحداد على الماضي، والخوف من المستقبل.

يعد الإرجاء حجر الأساس للأديان: يتحمل العابد أي ظلم أو اضطهاد أو سوء معاملة (أي المخمصة التي تشعر بها الأنثى في دين الجمال) يصيبه، لأنَّه ستكون هنالك فطيرة في السماء تنتظره عندما يموت. لطالما كانت الأديان الإرجائية منطقةً نسائية، حيث تبقيهن مشغولات في حياة مختلفة عن الحياة الحقيقية، وتمُدُّهن بنسخ مصغرة من القوة تاركات قوتهن الحقيقية. شجعت الدولة النساء على الخوض في هذه النشاطات، بدءاً من أسرار أليوسيس(*) في روما القديمة التي تطغى عليها النساء، وعبادة مريم في القرون الوسطى، إلى طقوس الجمال اليوم.

قبل رد الفعل تجاه الجمال، كان لهذه الحالة من الإرجاء ـ من كونك دائماً متجهزة ـ على الأقل بعض التوجهات البشرية: لقد كانت المرأة مستعدة دائماً لينظر إليها الرجل المنقذ. كان الزواج هو الإكمال لها؛ وبعد ذلك تسعى لحالة مجتمعية بحيث يكون لها زوج وأولاد. على الرغم من القمع، إلا أنَّ الهدف من التأهب ذاك كان من الممكن الفوز به في هذه الحياة وذلك الجسم.

يتضاعف عدد النساء اللائي يعني هذا الإرجاء بالنسبة إليهن أنَّه لا يمكن الحصول على التحرر في هذه الحياة. الدين الجديد في بعض النواحي أكثر ظلمة من الدين القديم. كانت المؤمنات السابقات يعلمن أنَّ الموت يجلب الراحة وتحقيق المراد، أما اليوم في دين الجمال فمن المحرم تخيل الحرية في هذه الحياة أو في الحياة الأخرى. حياتنا هي اختبار لا ينتهي، فسحةٌ من الإغراء والتجربة التي يجب أن نناضل فيها إلى الأبد: (بمجرد أن تفقدي بعض الوزن، فعليك تَقَبُّل

(*) مراسم عبادة.

حقيقة أنّه عليك مراقبة وزنك مدى الحياة). تعلمنا أنَّ هذه الحياة هي مجموعة من الأحزان. هي تعطي الحياة نفسها معنًى ناقصاً مختلفاً: المرأة التي تموت وهي الأنحف بين أقرانها والأقل تجاعيد تفوز.

كانت الوصيفات الحكيمات في العهد الجديد يحتفظن بزيت مصابيحهن للعريس، لكن السيئات يحرقن زيتهن لأنفسهن. تُحث النساء على الشعور أنّه يجب أن تخزن سعادتها من أجل الجمال؛ فتخشى فاقدات الشهية فقدان هامش الإرضاء المحفوظ عندهن في الفجوة التي حققنها تحت المستوى الطبيعي للوزن. وتدخر النساء منتجات التجميل المسروقة والمال والطعام والمكافآت. يطلب منّا أن نصدق أنّه في أي لحظة سيُنادى علينا لنحاسب، ونُطلب لنلقى في الظلام الخارجي: في سن الشيخوخة والوحدة وانعدام وجود الحب في حياتنا.

وصف كريستوفر لاشش في كتابه **ثقافة النرجسية** *The Culture of Narcissism* كيف أنَّ اليأس من المستقبل يقود الناس إلى التركيز على الشباب. تعلم الطقوس النساء أن يخفن من مستقبلهن، من رغباتهن. إنَّ عيش المرأة في خوفٍ من جسدها ومن حياتها ليس حياةً على الإطلاق. تنتشر العصبية الناتجة عن الخوف من الحياة في كل مكان. فتُشاهد في النساء اللواتي سيتخذن عشيقاً، ويذهبن إلى نيبال (دولة في جبال الهملايا) ويتعلمن القفز بالمظلات ويسبحن عاريات ويطالبن بعلاوة (عندما يخسرن هذا الوزن)؛ لكن في الحاضر الأبدي سَيحافظن على تعهدهن بالعفة وإنكار الذات. وتُشاهد في المرأة التي لا يمكن أن تستمتع مطلقاً بتناول وجبة طعام، التي لا تشعر أبداً بأنّها نحيفة كفاية، أو أن المناسبة خاصة كفاية، لتسقط دفاعها وتستمتع باللحظة. وتُشاهد في المرأة التي لديها رعب كبير من التجاعيد، لدرجة أنَّ الخطوط حول عينيها تشع بالزيت المقدس دائماً، سواء كان ذلك في حفلة، أو حتى أثناء الجماع. يجب أن تنتظر المرأة للأبد وصول ملاكها المخلص، العريس الذي سيكرم جهدها ويعوضها عن التكلفة التي دفعتها؛ الذي سيسمح لنا وجوده بأن نقطن ونستخدم أجسامنا ووجوهنا (المحمية). النفقات مرتفعة للغاية، بحيث لا تسمح لنا بإشعال الفتيل وحرق زيت المصباح الخاص بنا حتى آخر قطرة والعيش تحت ضوئنا الخاص في وقتنا الخاص.

عندما تغرس طقوس الجمال هذه الاضطرابات العصبية التي تبعث الخوف من الحياة في المرأة المعاصرة، تقوم بشل المنافع المترتبة على حرياتها الجديدة، حيث إنَّه لا ينفع النساء كثيراً أن يمتلكن العالم كله فقط لإخافة أنفسهن.

الهوامش

Pray Your Weight Away!: Roberta Pollack Seid, *Never Too Thin* (New York: Prentice Hall, 1989), p. 107.

Tradition: See Carol Gilligan, *In a Different Voice: Psychological Theory and Women's Development* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1982).

Blessed…among women: Roman Catholic missal.

Price beyond rubies: Proverbs 3:10–31.

Women outnumbered men: Nancy F. Cott, *The Bonds of Womanhood: Woman's Sphere in New England, 1780–1835* (New Haven: Yale University Press, 1977), p. 126.

Ministers: See Ann Douglas, *The Feminization of American Culture* (New York: Knopf, 1977).

Harriet Martineau: Cott, op. cit., p. 138.

Morphology: Ibid., p. 139.

Creation story: Genesis, 2:21–23.

Be ye…perfect: Matthew 5:48.

Wilson: Quoted in Gerald McKnight, *The Skin Game: The International Beauty Business Brutally Exposed* (London: Sidgwick & Jackson, 1989), p. 158.

Second Class: Oscar Wilde, *Lecture on Art*, cited in Richard Ellman, *Oscar Wilde* (London: H. Hamilton, 1987).

Neither male nor female: Galatians 3:28.

Men…distort theirs positively: Daniel Goleman, "Science Times," *The New York Times*, March 15, 1989, citing April Fallon and Paul Rozin, "Sex Differences in Perceptors of Body Size," *Journal of Abnormal Psychology*, vol. 4 (1983). See also John K. Collins et al., "Body Percept Change in Obese Females After Weight Loss Reduction Therapy," *Journal of Clinical Psychology*, vol. 39 (1983): *All* of sixty-eight eighteen-to-sixty-five-yearold women judged themselves to be fatter than they actually were.

Strongly dissatisfied: "Staying Forever Young," *San Francisco Chronicle*, October 12, 1988.

Most weight-loss enrollment female: See Eva Szekely, *Never Too Thin* (Toronto: The Women's Press, 1988).

Convention: "Views on Beauty: When Artists Meet Surgeons," *The New York Times*, June 20, 1988.

Fragen: Ronald Fragen, "The Holy Grail of Good Looks," *The New York Times*, June 29, 1988.

Rees: Dr. Thomas D. Rees with Sylvia Simmons, *More Than Just a Pretty Face: How Cosmetic Surgery Can Improve Your Looks and Your Life* (Boston: Little, Brown, 1987), p. 63.

Niôsome: Advertisement for Niôsome Système Anti-Age.

Kim Chernin: See *The Obsession: Reflections on the Tyranny of Slenderness* (New York: Harper & Row, 1981), p. 39.

Menstruation taboos: Rosalind Miles, *The Women's History of the World* (London: Grafton Books, 1988), pp. 108–109.

Surveillance: Elaine Showalter, *The Female Malady: Women, Madness and English Culture, 1830–1980* (New York: Pantheon Books, 1985), p. 212.

Watch ye therefore: Mark 13:35.

Stand naked: Alexandra Cruikshank et al., *Positively Beautiful: Everywoman's Guide to Face, Figure and Fitness* (Sydney and London: Bay Books, 1988), p. 25.

Souls: Cott, op. cit., p. 136.

Richard Stuart: Seid, op. cit., pp. 169–170.

The snares of death: Psalm 116.

Men cut off women: Dale Spender, *Man Made Language* (London and New York: Routledge and Kegan Paul, 1985). See also Laura Shapiro, "Guns and Dolls," *Newsweek*, May 28, 1990, and Edward B. Fiske, "Even at a Former Women's College, Men Are Taken More Seriously, A Researcher Finds," *The New York Times*, April 11, 1990.

Cult converters and hypnotists: Willa Appel, *Cults in America: Programmed for Paradise* (New York: Holt, Rinehart & Winston, 1983).

Stare fixedly: All quotes from cult members are from Appel, ibid.

Massive con: McKnight, op. cit., p. 20.

Herstein: Ibid., pp. 24–25.

Industry insiders: Quoted in ibid., p. 74.

Roddick: Quoted in ibid., pp. 55–56.

Disney: Quoted in ibid., p. 17.

Sugiyama: Quoted in ibid., p. 4.

Kligman: Ibid., p. 39.

FDA: Ibid., pp. 17–29.

To punish anyone: Deborah Blumenthal, "Softer Sell in Ads for Beauty Products," *The New York Times*, April 23, 1988, p. 56.

Rejuvenation: British Code of Advertising, Section C.I 5.3.

Day care: Felicity Barringer, "Census Report Shows a Rise in Child Care and Its Costs," *The New York Times*, August 16, 1990.

Women *are* under attack...44 percent: See Diana E. H. Russell, *Rape: The Victim's Perspective* (New York: Stein & Day, 1975).

21 percent...abused: Angela Browne, *When Battered Women Kill* (New York: Free Press, 1987), pp. 4–5.

One British woman in seven raped: Ruth E. Hall, *Ask Any Woman: A London Inquiry into Rape and Assault* (Bristol, U.K.: Falling Wall Press, 1985).

Standard of living declines: Lenore Weitzman, "Social and Economic Consequences of Property, Alimony and Child Support Awards," *University of California Los Angeles Law Review*, vol. 28 (1982), pp. 1118–1251.

Child support: See Ruth Sidel, *Women and Children Last: The Plight of Poor Women in Affluent America* (New York: Penguin Books, 1987), p. 104.

Median income: Ibid., p. 18.

Harassment: See Catharine A. MacKinnon, *Sexual Harassment of Working Women: A Case of Sex Discrimination* (New Haven: Yale University Press, 1979); also Rosemarie Tong,

Women, Sex and the Law (Totowa, N.J.: Rowman and Littlefield, 1984).

Women make...: Sidel, op. cit., p. 17.

Divorce rate: Debbie Taylor et al., *Women: A World Report* (Oxford: Oxford University Press, 1985), p. 13.

Food: Linda Wells, "Food for Thought," *The New York Times Magazine*, July 30, 1989.

La Prairie: Anthea Gerrie, "Inject a Little Fun into Your Marriage," "Male and Femail," *Mail on Sunday*, 1988.

Fetal tissue: McKnight, op. cit., p. 84.

Prices: Quoted in Linda Wells, "Prices: Out of Sight," *The New York Times Magazine*, July 16, 1989.

Cost of product: Quoted in McKnight, op. cit., p. 66.

Cults: Appel, op. cit., pp. 113–137. See also Chernin, op. cit., pp. 35–36, on cults.

Set a watch: Based on Psalm 141:3.

Weight Watchers: WW international statistics, Dutch *Viva*, September 1989.

Appel, op. cit., p. 1–21.

Ibid., p. 31.

Ibid., p. 50.

Ibid., p. 59.

Ibid., p. 61.

Ibid., p. 64.

Ibid., p. 133.

Ibid., p. 72.

Lasch: See Christopher Lasch, *The Culture of Narcissism: American Life in an Age of Diminishing Expectations* (New York: Warner Books, 1979).

الجنس

إنَّ الذنب الديني (في الديانة المسيحية، حيث تُعد النشوة الجنسية للمرأة مع زوجها ذنباً) يكبح النشاط الجنسي للأنثى. وقد وجد الباحث في الجنس ألفريد كينسي Alfred Kinsey ـ على حد تعبير المحلل السياسي ديبي تايلور Debbie Taylor ـ أنَّ (المعتقدات الدينية لها تأثير ضئيل، أو عديمة التأثير، على المتعة الجنسية للرجل، لكنها قد تعمل على إحباط متعة الأنثى بقوة، تماماً كما تفعل سكين الختان(*)، مما يدمر بالذنب والعار أي متعة تشعر بها المرأة). سعت الأديان الأبوية الأقدم ـ بدءاً من استئصال البظر المصري والدرع والعود المهبلي الخيزراني السوداني إلى حزام العفة الألماني ـ للسيطرة على ـ كما تتهم روزاليند مايلز Rosalind Miles ـ (جميع النساء، عن طريق استخدام أسلوب يمنعهن من اتخاذ قرارٍ واعٍ للتعامل مع (مشكلة) جنسانية(**) المرأة، وذلك بتدميرها كلياً). وقد اتبع دين الجمال الجديد هذا التقليد أيضاً.

من الناحية العملية فإنَّ الأعضاء الجنسية للمرأة هي ما خشيته الأديان الأقدم، بكونها (المهبل النهم). فالمرأة قادرة على الشعور بالرعشة الجنسية عدة مرات، والحصول على رعشة مستمرة ورعشة جنسية بظرية حادة وقوية جداً، ورعشة جنسية تؤجج العواطف من الجماع، ورعشة جنسية تنتج عن المداعبة، ومع كل الاختلافات اللانهائية لكل تلك الاستجابات، يظهر أنَّ طاقة الأنثى في المتعة الجنسية لا تنضب من الناحية النظرية.

(*) المقصود هنا الختان الفرعوني، حيث يقطع جزء كبير من الأعضاء الخارجية، بخلاف الإسلامي.
(**) الجنسانية: النشاط الجنسي أو الحياة الجنسية.

لكن لا تظهر الطاقة الجنسية الهائلة للمرأة في تجربتها الجنسية الحالية، فقد كانت أرقام الأبحاث تظهر على الدوام أنَّ الثورة الجنسية تركت كثيراً من النساء محصورات بعيداتٍ عن قدرتهن الكاملة على الشعور بالمتعة. وفي الواقع ضربت أسطورة الجمال النساء فوراً بـ ـ وكرد فعل معاكس ضد ـ الموجة الثانية وثورتها الجنسية، وذلك لتقوم بكبتٍ واسع للجنسانية الحقيقية للمرأة. وبُعيد الإفراج عن جنسانية المرأة بعد انتشار وسائل منع الحمل وتقنين الإجهاض وموت المعايير الجنسية المزدوجة، بُعيد هذا قيدت الجنسانية مرة أخرى باستخدام القوى الاجتماعية لمواد الجمال الإباحية، والسادومازوخية(*) في الجمال، والتي ألقت بالذنب والعار على عاتق تجربة المرأة للجنس.

إنَّ من يصوغ الرغبة الجنسية هو المجتمع. فحتى الحيوانات عليها أن تتعلم نشاطها الجنسي. يعتقد علماء الأنثروبولوجيا الآن أنَّ النشاط الجنسي أمرٌ يتحصل بالتعلم، وليس غرائزياً، ليؤدي لسلوك تناسلي ناجح: فالقرود التي ربيت في المعمل غير كفؤ في ممارسة الجنس، والبشر عليهم أيضاً أن يتعلموا من خلال التوجيهات الخارجية كيفية ممارسة الجنس. أعادت التوجيهات الخارجية لمواد الجمال الإباحية والسادومازوخية تشكيل النشاط الجنسي للمرأة بشكل يمكن التحكم فيه أكثر مما لو ترك دون تحرير.

تبدو المواد الإباحية للجمال كالتالي: تظهر نساء عاريات في المجلات والإعلانات بوضعيات مثيرة. حتى في دعايات العطر والملابس الداخلية والأحذية تكون المرأة بوضعية مثيرة. في تلك الصور عندما يكون الوجه مرئياً لا تبدو عليه أية تعابير إنما يظهر في نوبة من النشوة فقط. تفهم القارئة من تلك الصور أنَّها يجب أن تبدو مثل المرأة في الصورة لتشعر بما تشعر به تلك المرأة.

أما السادومازوخية للجمال فهي مختلفة: ففي إعلان لعطر، يظهر رجل مفتول العضلات تتدلى من على كتفيه امرأة عارية لا تبدو الحياة عليها. وفي إعلان لعطورات لشركة أخرى تتدلى امرأة شقراء ترتدي جلداً أسود رأساً على

(*) السادومازوخية: السادية والمازوخية. وهما توجهان نفسيان منحرفان، فالمصاب بالسادية يتلذذ بتعذيب شريكه وإذلاله، والمصاب بالمازوخية يتلذذ بالإذلال الذي يتعرض له. وفي هذا الكتاب الرجل هو المصاب بالسادية والمرأة بالمازوخية.

عقب، وتصرخ، معصماها مكبلان بسلاسل، أما فمها فمغلق. وفي إعلان لأشرطة إحدى الشركات تطفو روبوت أنثى بجسم مثير متلاعب ولكنه مصنوع من الفولاذ، مع كشف الأعضاء التناسلية، وكاحلين مكبلين، ووجهٍ عبارة عن قناعٍ من المعدن فيه شقوق للعيون والفم. وفي إعلان لمنتجات شركة للعناية بالبشرة، تجلس أنثى وتتوسل، معصماها مقيدان معاً بحزامٍ من الجلد، وذلك الحزام مربوطٌ بكلبها، والذي يجلس بنفس الوضعية ويتوسلّ أيضاً. وفي إعلان أمريكي لسجائر يمسك رجلان امرأة، ويسحبان أخرى من شعرها؛ كلا المرأتين تصرخ. وفي دعاية أخرى لنفس الشركة يقوم رجل بخفض رأس امرأة رغماً عنها، أما عيناها فمملوءتان بالرعب. وفي إعلان لسيارات Saab، يُسلط الضوء على أفخاذ عارضة مع تعليق: (لا تقلق. إنه قبيح في الأسفل). وفي تصميم للأزياء في صحيفة ذا أوبسرفر *The Observer* (لندن)، يظهر خمسة رجال يرتدون ملابس سوداء، يهددون عارضة ـ وجهها تعلوه الصدمة ـ باستخدام مقصات وقضبان معدنية ساخنة. وفي مجلات *Tatler* و*Harper's and Queen* تظهر (سلسلة اغتصاب مصممة (نساء مختطفات مضروبات ومقيدات، لكن يظهرن بمنظرٍ نظيف، ومصورات بطريقة احترافية)). وفي مخطط كريس فون فانغينهيم Chris von Wangenheim لمجلة *Vogue*، تُهاجم كلاب من سلالة دوبرمان بينشر عارضة. وتعرض شركة Geoffrey Beene صنادلها المعدنية مقابل خلفية من مستلزماتٍ تستعمل في السادومازوخية. تتعلم المرأة من هذه الصور أنَّها مهما كانت حازمة في العالم، فإنَّ خضوعها السرّي للسيطرة هو ما يجعلها مرغوبة.

تطورت تلك الصور أعلاه على مر التاريخ: يتبع النشاط الجنسي الموضة، والتي تتبع السياسة. في حقبة قوّة الورد 'Flower Power'(*) في الستينيات، أصبح الحب حديث الساعة ككلمة دارجة، وشاع التعبير عنه بالجنس؛ حيث كان العبث والشهوانية والهرج هو الشائع. كان الرجال يطيلون شعورهم، ويزينون أجسادهم، مما سلط الضوء على الجانب النسوي الذي يمكن أن يستكشفوه، لأنَّ النساء لم يكنّ يفكرن بعد بحريتهن. وعلى الرغم من أنَّهم أفردوا متعاً للنساء، إلا أنَّ الأمر كان لا يزال متعةً ذكورية.

(*) شعار استخدم في الستينيات وبداية السبعينيات كرمز للمقاومة العفوية وايديولوجية عدم العنف، والتي تتميز بملابس بألوان زاهية، وأحياناً وضع الورود على الرأس.

وحتى منتصف الستينيات كانت المواد الإباحية لا تزال تجربة ذكورية بامتياز؛ ذلك أنَّ اتصال النساء معها كان مقتصراً على أغلفة مجلات الرجال التي تباع على أكشاك الرصيف. لكن في السبعينيات دخلت مواد الجمال الإباحية مجال الثقافة النسائية. وبزيادة حرية المرأة زادت حرية الإباحية. ظهرت مجلة إباحية مشهورة حالياً لأول مرة عام ١٩٥٨، وبدأ تسويق حبوب منع الحمل في الولايات المتحدة عام ١٩٦٠، وصودق على وصفها في بريطانيا عام ١٩٦١، وأصبح مرسوم الإجهاض البريطاني قانوناً عام ١٩٦٧، وخففت قوانين الرقابة في الولايات المتحدة من شدتها عام ١٩٦٩، وفي عام ١٩٧٣ حصلت نساء أمريكا على حق الإجهاض القانوني كنتيجة لحكم المحكمة العليا الأمريكية لقضية رو وويد Roe v. Wade(*)، بينما حصلت معظم النساء الأوروبيات على حق الإجهاض عام ١٩٧٥.

في السبعينيات وصلت النساء إلى مواقع في السلطة. وبدخولهن قوى العمل وانطلاق الحركات النسائية، أصبحت طبيعة ما ترغب فيه المرأة قضية هامة وخطراً محدقاً. تجاهلت الثقافة الشعبية النمط الجنسي النسوي في الستينيات، لأنَّ المرأة إن كانت نشيطة جنسياً بتلك الطريقة (أي مرحة ومثيرة جنسياً ومبتهجة، دون عنف ولا خجل، ودون خوفٍ من العواقب) فقد تسبب انهياراً كاملاً لمؤسسات تتهاوى بجنونٍ كافٍ منذ أن غيّرت المرأة أدوارها العامة فقط.

وفي العقد الذي أصبحت فيه النساء سياسيات فيما يتعلق بالمواضيع النسائية، أعادت الثقافة الشعبية عرض الجنس الودي الحميم على أنّه ممل. أصبحت السرية مثيرةً للشهوة الجنسية في ذلك الوقت، وتمثلت بـ: ممارسة الجنس مع أي شخصٍ غريب دون وجود عواطف مسبقة ولمرة واحدة فقط، بغرض ممارسة الجنس فقط. إذا كانت المرأة ستحصل على حرية جنسية وعلى مقدار من السلطة الدنيوية، فمن الأفضل أن تتعلم أن تنكح كما ينكح الرجال. جعل الاندفاع الدموي للذروة المصطنعة عديم الروح من موسيقى الديسكو الموسيقى المثالية للحصول على شخص غريب. ظهرت الصور العارية للنساء المزينات بالجلد لمصور مشهور في مجلة فوغ *Vogue*، وبيعت صور الفتيات الصغيرات العاريات لنفس المصور في المكتبات. تم تجريد الجسد الأنثوي (المثالي)، وعرضه بالكامل. أعطى

(*) قضية جين رو وهنري ويد والتي انتهت بتشريع الإجهاض.

ذلك المرأة ـ للمرة الأولى في التاريخ ـ التفاصيل الصورية للكمال لتقارن نفسها بها، وقدم ذلك تجربة نسائية جديدة، بالتفحص الدقيق والحريص للجسم على اعتباره مرتبطاً بشكل معقد بالمتعة الجنسية عند النساء. وبعد ذلك بوقتٍ وجيز تمثل (الكمال) على شكل (درع جنسي) للمرأة، وما جعله إنجازاً أكثر إلحاحاً في الثمانينيات كثرة الحديث عن الإيدز، مما أوحى للنساء بأنَّ الجمال اللابشري فقط هو ما يقود الرجل للمخاطرة بحياته من أجل الجنس.

أعمق من الجلد

وفي صورة مشابهة في الثمانينيات، بدأت أعراف مواد التصوير الفوتوغرافي الإباحي عالية المستوى (مثل مجلة بلاي بوي) تتقبل عموماً بيع منتجات للنساء. وذلك جعل التفكير بالجمال الذي تبعه مختلفاً تماماً عن كل ما سبق؛ فشكلت رؤية وجه توحي تعابيره بالرعشة الجنسية منتجاً هاماً له إقبال، وإن كانت تعابير ذلك الوجه مزيفة: ففي غياب باقي الصور الجنسية، كان كثير من النساء يعتقدن بأنَّ عليهن الحصول على ذلك الوجه وذلك الجسم ليصلن إلى تلك النشوة.

دخلت أعراف أخرى ثقافةَ المرأة، وعلى وجه الخصوص بندان من تلك الأعراف، هما المواد الإباحية اللينة والصلبة: أحدها يجسد جسم المرأة (فقط)، أما الآخر فيمارس العنف ضده. يستند قانون الدعارة جزئياً على أنّه يمكنك تجنب ما يهينك. لكنّ المصطلحات المستخدمة عادةً في مناقشة المواد الإباحية لا يمكنها التعامل كفايةً مع هذه المسألة. لا تتناول مناقشات الدعارة أو العري أو المعايير الاجتماعية الضرر الذي يلحق بالمرأة بسبب هذا التطور (الطريقة التي ينضم بها (الجمال) إلى أعراف المواد الإباحية في الإعلانات وتصوير الموضة والتلفاز وحتى القصص المصورة التي تؤثر على النساء والأطفال). للرجال الحرية في الدخول إلى مكتبةٍ للبالغين، أما النساء والأطفال فلا يمكنهم تجنب العنف الجنسي، أو تصوير الجمال الإباحي الذي يتبعهم إلى المنزل نتيجة تلك المواد.

(الجرأة) الجنسية ليست هي المسألة. يمكننا تداولها بكثرة لو كانت تعني الصدق والشفافية. لو كان هنالك طيف كامل لصور مثيرة جنسياً لنساء حقيقيات غير مجبرات مع رجال حقيقيين لكن في سياقات الثقة الجنسية فيما بينهم، فإنَّ مواد الجمال الإباحية يمكن نظرياً ألا تؤذي أحداً. ويعتمد المدافعون عن

التصوير الإباحي في عرض موقفهم على فكرة حريّة الرأي، مستخدمين التصوير الإباحي كلغة للتعبير. وباستخدام حجتهم نفسها، يظهر أمر مفاجئ حول عرض أجساد النساء: يخضع العرض لرقابة شديدة. ولأنّنا نرى نسخاً كثيرةً للعذراء الحديدية العارية، يطلب منا أن نصدق أنَّ ثقافتنا تدعم عرض الحياة الجنسية للمرأة. في الحقيقة، هي لا تبين شيئاً على الإطلاق. هي تراقب عرض أجساد النساء، بحيث تكون فقط النسخ الرسمية مرئية. وبدلاً من رؤية صور عن رغبة النساء أو تلبّي رغبة النساء، نرى نماذجَ لدمى عرض ملابس لكنها حية، جعلت تتلوى وتتجهم، مقيّدات ويشعرن بعدم الارتياح تحت الأضواء الحارة، مجموعات فنية احترافية لا تكشف سوى القليل عن الحياة الجنسية للمرأة. في الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ـ التي لا تملك تقاليد معينة حول العري العام ـ نادراً ما ترى النساء (تقريباً لا ترى مطلقاً خارج السياق التنافسي) ما تبدو عليه النساء العاريات؛ فنرى فقط منتجات بشرية متطابقة تقوم على أجساد النساء على نحوٍ غير مضبوط.

إنَّ مواد الجمال الإباحية والسادومازوخية ليست صريحة، إنما مخادعة، فهي تدعي أنَّ (جمال) المرأة هو ما يمثل جنسانيتها، وهذا قلبٌ للحقائق؛ فتدعي بأنَّ النساء يحببن أن يكنّ مُجبرات ويُغتصبن، وأنَّ العنف الجنسي والاغتصاب أنيق ورائع وجميل.

في منتصف السبعينيات، بدأ مشهد موسيقى بنك روك punk-rock(*) بتمجيد السادية والمازوخية، فتظهر فتيات في المرحلة الثانوية يضعن المشابك الدبوسية في آذانهن، ويرسمن كدمات زرقاء على شفاههن، ويمزقن ملابسهن بطريقة توحي بأنّهن خضن معركةً جنسية. وفي نهاية العقد انتقلت السادومازوخية من كونها موضة الشارع لتصبح موضة رفيعة، في شكل جلد أسود مرصع، وأصفاد لليدين، ومسامير. تبنت عارضات موضة مواد العنف الإباحية الوجه العبوس الغاضب للمرأة المعتدى عليها، وأصبحت الأنماط الجنسية التقليدية(**) (الحب واللاعنف) تبدو كأنّها قديمة قد عفا عليها الزمن.

(*) نوع قديم من الموسيقى يظهر فيه العنف كثيراً.

(**) نمط فانيلا، وهو الجنس الطبيعي اللطيف الخالي من ممارسات السادية والمازوخية.

في الثمانينيات عندما كان كثير من النساء يتخرجن بدرجات مهنية عالية، كان الغضب ضد النساء يؤثر حتى على ما يبث في الإذاعات. لقد رأينا طفرةً هائلة في صور العنف الجنسية، تكون فيها المرأة هي المعتدى عليها. وفي عام ١٩٧٩ حدد جاك سوليفان Jack Sullivan في مقالٍ له في **نيويورك تايمز** (نوعاً شائعاً من الأفلام الجنسية التي تحاول توليد الإثارة من خلال مراكمة جثث النساء). طبقاً لجين كابوتي Jane Caputi، والتي تسمي الفترة المعاصرة عصر جريمة الجنس، أصبحت الصور السينمائية التي تقوم على معتدين جنسيين شائعة في أواخر السبعينيات والثمانينيات. أتقن ذلك العقد لقطة (الشخص الأول) أو (الكاميرا الشخصية) التي تشجع على التقليد الكامل للقاتل أو المغتصب. وفي عام ١٩٨١ قام الناقدان السينمائيان الأمريكيان جين سيكل Gene Siskel وروجر إيبرت Roger Ebert بالتنديد بأفلام (نساء في خطر) على أنّها رد فعل ضد النسوية؛ وبعد بضع سنوات أشادا بأحد الأفلام بأنّه يتيح (لنا) حقاً معرفة (كيف تبدو الإساءة للنساء). صورت الكتب المصورة السرية لشركة Zap في السبعينيات الاعتداء على الأطفال واغتصابهم تحت تهديد السلاح، وبحلول عام ١٩٨٩ أطلقت صحيفة **نيويورك تايمز** قصة تصور السادومازوخية الجديدة في كتب الأطفال المصورة، وبدأت الكتب المصورة البريطانية Viz بإذلال النساء جنسياً في القصص المصوّرة (**الفاسقات السمان** *Fat Slags*). لم تعد حينها ممارسة الجنس مكتفيةً بالجنس دون أن يرافقه عنف. في عالم يحيط به كلٌّ من الذنب والخوف الغاضب عند كلا الجنسين للشعور بأنَّ النساء يخرجن عن السيطرة، سرعان ما فقد الجمهور اهتمامه بالعري المعتاد غير المصاحب بالإيذاء. وبعرض تلك الصور لارتباطٍ أكثر إلزاماً يسترعي انتباه الرجال (ويسترعي انتباه النساء في النهاية) فقد قامت تلك الصور ـ المظهرة للقلق من حرب الجنس ـ بإعادة ترسيخ عدم تكافؤ القوة الذي تساءلت عنه التغيرات الاجتماعية الأخيرة: سيطرة الذكور وخضوع النساء. أصبح العري النسائي يتعدى المعايير البشرية؛ (مثالي) فوق ما هو مألوف، بشكل غريب مثل تمثال من البلاستيك، وغالباً ما يتعرض للإذلال أو العنف.

استحوذت هذه الانتفاضة لصور العنف الجنسية طاقتها من غضب الرجل وذنب المرأة بوصول المرأة إلى السلطة. وبينما كانت النساء الجميلات في الخمسينيات يتزوجن أو يُغرّر بهنّ الرجال، فإنَّ الجمال في ثقافة اليوم يتعرض للاغتصاب. وحتى إذا لم نَسْعَ وراء المواد الإباحية، فغالباً ما سنرى اغتصاباً

في الوقت الذي يجب أن نرى فيه ممارسةً للجنس. ولأنّ معظم النساء يقمعن إدراكهن لهذا، بغرض استمرارهن بالاستمتاع، فقد يتطلب الأمر تركيزاً لتذكره. طبقاً لدراسة نقابة ممثلي الشاشة Screen Actors Guild عام ١٩٨٩ (السنة التي شكلت فيها الأدوار الرئيسية النسائية ١٤ بالمئة من مجموع الأدوار الرئيسية عموماً)، كان هنالك عدد متزايد من الأدوار النسائية تصور نساءً يتعرضن للاغتصاب، أو على أنهن بغايا. في فرنسا يشاهد متابعو التلفاز ١٥ حالة إغتصاب في الأسبوع. وكان لذلك تأثير مختلف على المتابعين مقارنةً مع مشاهدة جرائم القتل مثلاً (فمن غير المحتمل أن يقوم شخصٌ من كل ٤ أشخاص بجريمة قتل). لكن ـ وكما ذكرنا ـ حتى لو تجنبت المرأة المواد الإباحية، فإنَّها ومن خلال مشاهدتها للتوجه العام لمسرحيات الثقافة العامة والأفلام والتلفاز، ستتعلم الأعراف السائدة حول تعرضها المهدد للاغتصاب بالتفصيل وعن قرب.

قيل لنا إنَّ إسقاط تخيلات الاغتصاب على الثقافة أمرٌ حميد، بل حتى مفيد، عندما يتجاهلها المعلقون عبر ما هجته كاثرين آي ماكينون Catharine MacKinnon بأنَّه (نموذج هيدروليكي لجنسانية الرجل (تدعه ينفس عما بداخله).(نحن معنيون بفهم أنَّ الرجال مهتمون بمثل تلك التخيلات على نحوٍ غير مؤذٍ؛ والنساء مهتمات بها على نحوٍ غير مؤذٍ أيضاً (على الرغم من أنَّ كثيراً من النساء قد تخطر لهن تخيلات اغتصاب دون وجود سبب نفسي لذلك غير تلك الصور الجنسية التي يشاهدنها). لكن ما يحدث الآن هو أنَّ الرجال والنساء الذين لا يدفعهم تاريخهم الجنسي النفسي الخاص إلى اشتهاء العنف الجنسي، يتعلمون من مثل هذه المشاهد أن يهتموا بهذا النوع من الجنس. بمعنًى آخر، فإنَّ ثقافتنا تصوّر الجنس على أنّه عملية اغتصاب، ولذلك فإنَّ الرجال والنساء سيصبحون مهتمين به.

السادومازوخية ومواد الجمال الإباحية

يعتمد التوزيع الحالي للسلطة على طوفان من الصور الجنسية العدائية والعنيفة، لكن بسبب التهديد الذي تتلقاه النخبة في هيكل السلطة عبر صور الإثارة التبادلية(*) أو المظهرة للرغبة النسائية، يبدو أنَّها أصبحت تدرك ذلك التهديد بما يكفي لتقوم بشيء حياله. يظهر غرس الجمال الإباحي والسادومازوخية للجمال

(*) أي الصور التي تُظهر استمتاع كلٌ من الذكر والأنثى.

في كل تشريعات الدعارة. صحيح أنّا ذكرنا أنَّ لغة أجساد النساء العارية ووجوه النساء تخضع للرقابة، وتُطبق الرقابة أيضاً على أي نوعٍ يمكن نشره من صور ومعلومات جنسية، إلا أنَّ العنف الجنسي ضد المرأة لا يعد دعارة، بينما الفضول الجنسي عند النساء هو كذلك. يفسر القانون البريطاني والكندي الفحش بأنَّه وجود قضيبٍ منتصب، وليس فرج امرأة أو ثدييها. وكتبت سوزان ج. كول Susan G. Cole في كتاب **أزمة المواد الإباحية والجنس** *Pornography and the Sex Crisis* أنَّ الانتصاب (وفقاً للأعراف الأمريكية... ليس نوعاً من الصور يمكن للموزع أن يضعها على أكشاك الصحف بجانب جريدة تايم مثلاً). وقد تحفظ ماسترز وجونسون(*) على نتائج دراساتهما عندما سئلا في مجلة إباحية عن متوسط حجم القضيب الذكري: (رفضا الإجابة رفضاً قاطعاً)، خوفاً من أن يكون لذلك (تأثير سلبي على قُراء **بلاي بوي**) وأن (يحمل كلّ شخص بيده مسطرة قياس).

كانت هذه النسخة من الرقابة تنظم ما يُنشر في العقود الزمنية نفسها التي شهدت نمواً لا مثيل له لصناعة المواد الإباحية: في السويد، حيث كان يُدافع عن بيع مواد العنف الإباحية المتحيزة جنسياً استناداً إلى حرية التعبير، حصل أمرٌ مناقض، فـ (عندما أظهرت مجلة صورة رجلٍ عارٍ في صفحة مزدوجة فيها، سارعت [السلطات] إلى سحبها من الأكشاك خلال ساعات قليلة). ومنعت المجلة النسائية *Spare Rib* في إيرلندا لأنَّها أظهرت للنساء كيف يفحصن أثداءهن. بينما سحبت مؤسسة هيلينا روبينستاين في الولايات المتحدة دعمها لمؤتمر برنارد النسائي لأنَّ مجلة **الحرم الجامعي** النسائية عرضت صوراً (جريئة) لنساء. ومنعت عدة معارض فنية العرض التعاوني لجودي شيكاغو Judy Chicago **حفلة العشاء** *The Dinner Party* بسبب تصويره للأعضاء التناسلية لبطلات تاريخيات. تعرضت المؤسسة الوطنية الأمريكية للعلوم الإنسانية The U.S. National Endowment للهجوم من الكونغرس لدعمها معرضاً يظهر أعضاءً جنسية ذكرية كبيرة الحجم للغاية. بينما لم يعتبر مشروع شرطة أونتاريو P صور النساء العاريات المقيدات الممتلئات بالكدمات والنزيف والمخصصة للأغراض الجنسية فُحشاً، ذلك أنَّ تلك الصور لا تظهر قضيباً منتصباً، لكن مُنع فيلم نسائي كندي بسبب وجود مقطع من خمس

(*) ماسترز وجونسون فريق بحثي قدم بحوثاً مهمة في طبيعة الاستجابة الجنسية لدى الإنسان، يعمل عليها وليام ماسترز وزوجته فيرجينيا جونسون.

ثوانٍ لقضيب منتصب يوضع عليه واقٍ ذكري. في أنفاق نيويورك، صادرت شرطة العاصمة الملصقات المحاربة للإيدز، والتي أظهرت للناس غير المثقفين كيفية وضع الواقي الذكري على قضيبهم المنتصب؛ وتركوا الإعلانات المجاورة لفيلم Penthouse ـ والذي عرضته هيئة النقل في نيويورك ـ كما هو. وحتى لو أغفلنا قضية ما تقوم به صور العنف الجنسية، يبقى واضحاً أنَّ هنالك معياراً مزدوجاً مطبقاً رسمياً لعري الرجال والنساء في الثقافة السائدة، والتي تعزز عدم المساواة في السلطة.

إنَّ ممارسة عرض الأثداء ـ على سبيل المثال ـ في سياقات يكون فيها من غير المقبول عرض الأعضاء الذكرية يمكن وصفه بأنه يحتكم لمعيارٍ تافه، على أنَّ الأثداء ليست (بقدر عري) قضيب الرجل أو مهبل المرأة، وفكرة تعرية النصف العلوي من الرجل بطريقة مشابهة قابلة للطرح والنقاش، ذلك أنَّ الرجال ليس لديهم أجزاء من جسدهم يمكن مقارنتها بالأثداء. لكن إذا فكرنا كيف أنَّ أعضاء المرأة التناسلية مخفية، بخلاف أعضاء الرجل، وكيف أنَّ أثداء النساء مكشوفات، بخلاف أثداء الرجل، فيمكننا رؤية الأمر بطريقة مختلفة: يمكن مقارنة الأثداء عند المرأة بقضيب الرجل على أنَّها (الجزء البارز) المستهدف من الجسد، لذلك فإنَّ قبول عرض الأثداء مع عدم تقبل عرض القضيب يظهر أنَّ أجساد النساء مستهدفة، بينما أجساد الرجال محمية(*). دائماً تقريباً ما يعبر التعري غير المتساوي في الثقافات عن علاقات القوة (المتعري هو الضعيف): فمثلاً في السجون الحديثة يجرد السجناء الذكور من الملابس أمام حراس السجن، وفي الجنوب ما قبل الحرب الأهلية [الأمريكية] يظهر كثير من العبيد الذكور السود الشباب عراة عندما يخدمون سادتهم البيض المرتدين لملابسهم. العيش في ثقافة تكون فيها النساء عاريات في العادة، بينما يرتدي فيها الرجال ملابسهم، يرسخ لعدم المساواة بطرائق مختلفة دائماً. لذلك فحتى إذا وافقنا أنَّ الصور الجنسية هي في الواقع لغة، فمن الواضح أنَّها لغة عُدّلت بشدة مسبقاً لحماية ثقة الرجل الجنسية (والثقة الاجتماعية للرجل أيضاً)، بينما تقوّض ثقة المرأة.

(*) بعرض الجزء الجنسي البارز من جسد المرأة، لكن التشديد على إخفائه عند الرجل.

كيف تعمل؟

تؤسس هذه الصور إلى العزلة بين الجنسين من خلال التدخل في حياتنا التخيلية. كتبت ديبي تايلور Debbie Taylor في كتابها **النساء: تقرير عالمي** *Women: A World Report*: (إنَّ المواد الإباحية قوية للغاية، وتمتزج بسلاسة مع الإعلانات عن المنتجات... حيث إنَّ كثيراً من النساء يجدن خيالاتهن الخاصة وصورهن محرفة أيضاً). وتشير أيضاً إلى: (بينما التخيلات الرومنسية فنادراً ما تكون جريئة، وتميل إلى التلاشي... عندما تتلامس شفاه عاشقين للمرة الأولى). يُعرض نفس التهرب الجنسي تقريباً في جميع العروض الدرامية للثقافة السائدة، والتي تذكر فيها قصة حب. لذلك من النادر أن ترى جرأة جنسية في سياق الحب والحميمية على الشاشة، حيث يبدو أنَّ ثقافتنا تعامل الحياة الجنسية اللطيفة كما لو أنَّها شاذة أو فاسدة، بينما ترسخ للجنس العنيف أو الإذلالي على أنَّه صحيح وصحي. تقول تايلور: (إنَّ ذلك يترك في المرحلة الجنسية) في عقول الرجال والنساء (صوراً إباحية وصوراً فارغة حرةً لتأخذ دور البطولة. والممثلان الرئيسيان في هذه المرحلة هما السادي (والذي يقوم به الرجل) والمازوخي (والذي تقوم به الأنثى)).

وحتى وقتٍ قريب كان الخيال الجنسي يعج بصور تلميحية فعلياً أو بأحاسيس مؤججة للعواطف، والتخيلات الخاصة تؤخذ عادةً من الإشارات المتوفرة في العالم الواقعي، هو حلم ينبثق حيث تطفو الصور عديمة الأهمية عليه، فتصوغه المخيلة. وعلى هذه الإشارات، وصور آثار العنف على الأجسام، يكبر الأطفال حتى يصبحوا بالغين، ويدخلوا أيضاً الحياة الجنسية لهم، ويقابلوا المعشوق وجهاً لوجه. إنَّ الرجال والنساء المحظوظين قادرون على إبقاء الطريق واضحاً لذلك الحلم، فيملؤونه بما شاهدوه من مشاهد وصور بتقدمهم بالسن، والتي نشأت باستخدام اختلاط أجسادهم بأجسادٍ أخرى؛ لقد اختاروا عشيقاً، بسبب رائحة معطف، أو طريقة مشي، أو شكل شفاه، أو لانتمائه لصورة في داخلهم، تتردد بمرور الوقت، عميقاً حتى العظام، تحفز خيال الطفولة والمراهقة المبكرة. خيالات الرجل المحظوظ خالية من الروبوتات، وخيالات المرأة المحظوظة خالية من الحيوانات المفترسة؛ فيصلون لسن البلوغ دون وجود عنف في خيالاتهم.

تصبح حماية الحياة التخيلية للمرء أصعب يوماً بعد يوم، وذلك للشباب على وجه الخصوص. يحشو وابل الجمال خيالات المرأة بأشباح (جميلة) عارية تدعي ملكيتها لهذا الخيال، محولةً مساحة خاصة خافتة في ذلك الخيال إلى مجموعة أفلام يعرض فيها غرباء مشهورون أنفسهم، غرباء لا علاقة لها بهم. الغرض من أسطورة الجمال للثمانينيات كان حشو الباطن الجنسي للرجال والنساء بالعنف، واضعاً عذراء حديدية معتدى عليها بأناقة في قلب ظلام الجميع، ومدمراً الأرضية الخصبة لمخيلة الأطفال برؤى حارقة جداً، لجعل مخيلاتهم عقيمة. في الوقت الحالي تربح الأسطورة حملتها ضد شخصيتنا الجنسية الخاصة، وذلك بسبب معظم الصور الشخصية المنتشرة، والتي تستمد قوتها التعاونية من طفولتنا المبكرة، من مراهقتنا الخرقاء، من حبنا الأول. هي تؤكد أنَّ الرجال والنساء ـ المحررين للتو لإيجاد بعضهم ـ من المؤكد أنهم سيفتقدون تلك الصور أثناء سعيهم.

تركز النقاشات المعتادة حول المواد الإباحية على الرجال وعلى تأثيرها على موقفهم الجنسي تجاه النساء. لكن التأثير الموازي لمواد الجمال الإباحية على النساء له نفس الأهمية، إن لم يكن أكبر: ماذا تفعل تلك الصور بالمواقف الجنسية للنساء تجاه أنفسهن؟ إذا كانت المواد الإباحية السائدة الناعمة غير المحتوية على العنف تظهر أنَّها تجعل الرجال أقل تصديقاً لضحايا الاغتصاب، وإذا كان التأثير المزيل للحساسية الناتج عنها يستمر لفترة طويلة، وإذا كانت أفلام العنف الجنسي تجعل من الرجال يسخرون تدريجياً من شدة العنف الذي يرونه تجاه النساء، وأخيراً إذا كان ينظر إلى العنف فقط تجاه النساء على أنَّه مثير، أفليس من المرجح أنَّ الصور الموازية التي تستهدف النساء تقوم بالأمر ذاته على النساء في علاقتهن مع أنفسهن؟ تُظهر الأدلة أنَّها تفعل ذلك بالفعل. اكتشفت ويندي ستوك Wendy Stock أنَّ مشاهدة صور الاغتصاب زادت من الإثارة الجنسية لدى النساء تجاه الاغتصاب، وزادت من خيالات الاغتصاب لديهن (على الرغم من أنَّها لم تقنع أحداً أنَّ النساء يحببن القوة أثناء ممارسة الجنس). ووجدت كارول كرافكا Carol Krafka أنَّ أفراد عينة دراستها من النساء يصبحنَ (أقل انزعاجاً من العنف [ضد النساء] كلما رأين تلك الصور، وأنَّهن يقللن من تصنيفها كعنيفة شيئاً فشيئاً) كلما عرضت عليهن.

في دراسة على النساء في الولايات المتحدة وجد الدكتور هاريتون E. Hariton أنَّ ٤٩ بالمئة من العينة لديهن تخيلات جنسية خاضعة. وتُتخذ القرارات القانونية بناءً على انتشار ثقافة خيالات الاغتصاب: ففي عام ١٩٨٩ رُفضت دعوى مدنية بريطانية رفعتها امرأة اغتصبها أخصائي العلاج الطبيعي، لأنَّه أشار إلى أنَّها تخيلت الاغتصاب، وأنَّ مثل هذه التخيلات شائعة بين النساء. تعيد صور العنف الجنسية أيضاً إعادة تعريف فكرة الجنس في القانون: فعندما قامت فتاة أخرى برفع دعاوى اغتصاب ضد ضابط شرطة، حكم بأنَّ الكدمات والرضوض التي تملأ جسمها، وسحجات هراوته الظاهرة على حلقها، متسقة مع حصول (صراع عاطفي) بالتراضي.

ويستمر النقاش حول إذا ما كانت المواد الإباحية التقليدية تجعل الرجال عنيفين تجاه النساء أو لا. لكن مواد الجمال الإباحية تجعل بوضوح النساء عنيفات تجاه أنفسهن. وتحيط بنا الأدلة على ذلك من كل مكان. هنا يقوم الجراح بشد جلد ثدي متراخ، وهناك يضغط جرّاح بكل وزنه على صدر امرأة لتفكيك كتل السيليكون بيديه العاريتين. توجد جثث تمشي على الأرض. توجد نساء يتقيّأن دماً.

معركة جنسية: المنفعة والفتنة

لمَ كل هذا الفيضان من الصور الآن؟ إنَّها لم تنتج ببساطة كردٍ فعل تسويقي على الرغبات الفطرية المتأصلة الموجودة مسبقاً عند الناس. إنما أُنتجت أيضاً ـ وعلى نحوٍ أساسي ـ لوضع أجندة جنسية، وتوليد نسخٍ لرغباتهم الخاصة. كتبت المؤرخة سوزان ج. كول أنَّ طريقة توليد القيم الاجتماعية هي بجعلها مثيرة. ظهرت الصور التي تحول النساء إلى أشياء، أو تجعل من المثير إهانة المرأة لموازنة الثقة بالنفس التي ظهرت مؤخراً عند النساء. لقد كان مرحباً بها وضرورية، لأنَّ الجنسين اقتربا كثيراً لدرجة مهددة ومخيفة؛ فعملوا على إبقاء الرجال والنساء منفصلين عندما ضعفت قيود الدين والقانون والاقتصاد جداً لاستمرار عملها في إدامة الحرب الجنسية.

قبل الحركة النسائية تقوض الحب بين الجنسين بسبب الاعتماد الاقتصادي للنساء على الرجال. أما الحب الموهوب بحرية بين شخصين يريان نفسيهما متساويين مع بعضهما فقد كان طفل الحركة النسائية، واحتمالاً تاريخياً حديثاً

للغاية، وبالتالي كان هشاً جداً، كما أنّه يُعَدُّ عَدُوّاً لبعض أقوى الاهتمامات في هذا المجتمع.

إذا كان على معظم الرجال والنساء تشكيل روابط متساوية مسالمة وجنسية فيما بينهم، مع احترام المبدأ الأنثوي بقدر احترام المبدأ الذكوري دون زيادة ولا نقصان (تساوي الجنسين، دون علو الذكور على الإناث)، فإنَّ النتيجة ستكون أكثر راديكالية من أسوأ كوابيس المؤسسات، الكوابيس التي تدور حول (تحول) إلى اعتناق الشذوذ. فالانحراف الكبير لتغاير الجنس باتجاه نشوء العطف والاحترام المتبادل بينهما قد يعني مشكلة حقيقية في الوضع الراهن، ذلك أن متغايري الجنس(*) هم الأكثرية الجنسية الأقوى. قد تواجه حينها هيكلية القوة تحولاً هائلاً في الولاءات: فكل علاقة تنشأ بين رجلٍ وامرأة قد يصاحبها التزام مضاعف بتحويل المجتمع إلى مجتمع يستند علناً إلى ما كان يعد تقليدياً قيماً نسائية، مما يدل بوضوح على سعي كلا الجنسين لعالم خالٍ من هيمنة الذكور. ستُذاع الأخبار السارة في الشوارع: ستتمتع المرأة الحرة بمزيد من المرح؛ والأسوأ (بالنسبة إلى المؤسسات التي يسيطر عليها الذكور) أنَّ الأمر سينطبق على الرجال الأحرار أيضاً.

تعترف المؤسسات التي يسيطر عليها الرجال ـ ولاسيما مصالح الشركات ـ بالمخاطر التي تلحق بهم من نجاة الحب. تُعد النساء اللواتي يحببن أنفسهن خطراً مهدداً؛ لكن الرجال الذين يحبون النساء الحقيقيات هم خطر أكبر. وأثبتت النساء اللواتي كسرن الأدوار المتحيزة جنسياً (التي كانت مخصصة للذكور، كمناصب السلطة) القدرة على إدارة هذا الأمر، لكن تلك النسبة القليلة من النساء اللواتي يتمتعن بالسلطة يعاد تدريبهن على أنّهن رجال. إلا أنّه مع ظهور عدد كبير من الرجال يميلون إلى الحب العاطفي الجنسي تجاه النساء الحقيقيات، فإنَّ المال والسلطة الجادين قد يلجآن إلى توحيد القوى مع المعارضة. مثل هذا الحب قد يكون ثورة سياسية أكثر راديكاليةً من الثورة الروسية، ويزعزع استقرار ميزان القوى العالمية أكثر مما حصل في نهاية العصر النووي. قد يكون سقوطاً للحضارة التي نعرفها الآن، الحضارة التي يهيمن فيها الرجال، وبالنسبة إلى الحب بين الجنسين فإنه بداية البداية.

(*) متغاير الجنس: المستقيم جنسياً، غير الشاذ ولا السحاقية.

مما سبق فالصور التي تختزل مفهوم الجنس في (الجمال)، وتختزل مفهوم الجمال في شيء لابشري، أو تخضع المرأة لتعذيب مثير جنسياً، كلها مرحبٌ بها سياسياً واجتماعياً من الناحية الاقتصادية، ذلك أنّها تخرب الفخر الجنسي الأنثوي وتضمن أنَّ الرجال والنساء من غير المرجح أن يشكلوا قضيةً مشتركة ضد النظام الاجتماعي الذي يتغذى على الخصومة المتبادلة بينهم، على نسخ الانفصال للشعور بالوحدة.

أشارت بابارا إهرنريتش وإليزابيث هيس وغلوريا يعقوب في كتاب إعادة صناعة الحب Re-Making Love إلى أنَّ التسويق الجديد للمنتجات الجنسية يتطلب استهلاكاً جنسياً سريعاً. وتنطبق تلك النقطة لما بعد سوق الملحقات الجنسية على الاقتصاد الكلي للاستهلاك. أسوأ ما يحصل لمؤشر المستهلك هو أن يقوم الرجال والنساء بمعرفة كيف يحبّ بعضُهم بعضاً: تعتمد صناعة مبيعات التجزئة البالغة ١,٥ ترليون دولار على التباعد الجنسي بين الرجال والنساء، ويغذيها الاستياء الجنسي. فلا تبيع الإعلانات الجنس، فذلك قد يؤدي إلى نتائج عكسية إذا سبب هذا حب الرجال والنساء لبعضهم وإقبال بعضهم على بعض بامتنان؛ إنما تبيع السخط الجنسي.

على الرغم من أنَّ نجاة الكوكب تعتمد على موازنة قيم المرأة مع تلك التي للرجل، إلا أنَّ ثقافة المستهلك(*) تعتمد على الحفاظ على خط متقطع من التواصل بين الجنسين، وتشجع على عدم الوصول إلى أمان جنسي بينهما. تمثل شركتا هارلي ديفيدسون(**) وكيسنرت(***) الذكورة والأنوثة. بالتالي فإنَّ الرضا الجنسي يرخي القبضة الخانقة للمادية، حيث إنَّ رموز المكانة الاجتماعية لم تعد تبدو جنسية بعد الآن، إنما أصبحت غير ذات صلة بالأمر. فالشهوة للمنتجات تضعف عند اشتداد الشهوة الجنسية والعاطفية. إنَّ السعر الذي ندفعه مقابل الازدهار المتعمد للسوق هو رغبات قلوبنا. تُبقي أسطورة الجمال فجوة من الخيالات بين الرجال والنساء. تلك الفجوة مصنوعة من المرايا، فلا يوجد قانون

(*) نظرية ثقافة المستهلك هي مدرسة فكرية تسويقية تهتم بدراسة اختيارات الاستهلاك والتصرفات من وجهة النظر الاجتماعية والثقافية.

(**) شركة دراجات الهارلي النارية.

(***) شركة للأدوات الكهربائية المنزلية.

طبيعي يدعمها. وهي تبقينا ننفق كميات كبيرة من المال وتجعلنا نبحث بتشتت حولنا، لكنَّ دخانها وانعكاسها يعترضان حريتنا بأن نكون أنفسنا جنسياً.

أفضل ما يدعم ثقافة المستهلك هو الأسواق التي تتكون من نسخ جنسية، من رجال يرغبون في جمادات (أشياء)، ونساءٍ يرغبن في أن يكنّ جمادات. وهذا الجماد المرغوب فيه متغير باستمرار، وغير مفيدٍ بعد الاستخدام، ويحدده السوق. الجماد الجميل لمستهلك المواد الإباحية يتغير تلقائياً كل حين، وذلك لضمان أن عدداً قليلاً جداً من الرجال سيشكل رابطة مع امرأة واحدة لسنوات، أو لمدى الحياة، وكذلك لضمان تنامي عدم رضا النساء عن أنفسهن بدلاً من أن ينقص عدم الرضا هذا بمرور الوقت. علاقات غير مستقرة عاطفياً، ومعدلات طلاق مرتفعة، وعدد كبير من الناس يُرمون في السوق الجنسية، كل ذلك جيد للعمل في الاقتصاد الاستهلاكي. تهدف مواد الجمال الإباحية إلى جعل الجنس الحديث وحشياً ومملاً، وسطحياً جداً، غير مثير لكلٍّ من الرجل والمرأة.

لكن حتى المصالح الأكثر قوة من مؤشر المستهلك تعتمد على التفرقة بين الجنسين، وتتعرض للتهديد جراء حبهما لبعضهما. يُدعم الجيش بثلث موازنة حكومة الولايات المتحدة تقريباً؛ تعتمد القوى العسكرية على الرجال الذين اختاروا الارتباط ببعضهم على الارتباط بامرأة وأطفال، فالرجال الذين يحبون نساءً سيحولون ولاءهم مرة أخرى إلى الأسرة والمجتمع، والذي يحتاج خروج رجالٍ منها إلى وقتٍ طويلٍ للغاية. لا يرغب الآباء والعشاق الحقيقيون في تصديق الدعاية المعيارية للتجنيد العسكري: بأنَّ زوجاتهم وأبناءهم سيستفيدون من موتهم البطولي. الأمهات يشعرن بشعور الأمهات تجاه أبنائهن؛ لكن الأمر مختلف تجاه الأب والزوج، فإذا كان حب الرجل للمرأة وأطفاله يقوده إلى تحديد نفسه أولاً كأب وكحبيب، فإنَّ دعاية الحرب ستتهاوى: سيكون العدو حينها أباً وزوجاً أيضاً. هذه النسبة من الاقتصاد هي في خطرٍ من وجود الحب بين الجنسين. وجود السلام والثقة بين الرجال والنساء العاشقين لبعضهم سيكون سيئاً لاقتصاد الاستهلاك وهيكلية السلطة كسوء السلام على الأرض بالنسبة إلى الصناعة العسكرية.

يهدد الحب الذي يساوي بين الجنسين بإحداث تغييرات سياسية: حياة الإثارة الجنسية القائمة على التبادل السلمي المشترك ـ بدلاً من الهيمنة والألم ـ تُعلم أصحابها مباشرةً أن يشكلوا لهذا التبادل امتداداً إلى ما بعد غرفة النوم. من

عواقب حب المرأة لنفسها هو اقتناعها بقيمتها الاجتماعية. سيكون حبها لجسدها غير مشروط، وهو أساس تحديد هوية الأنثى. إذا أحبت الأنثى جسدها، فلن تتضايق مما تفعله بقية النساء بأجسادهن من تزين؛ إذا أحبت أنوثتها، فستدافع عن حقوقها. من الحق ما يقال عن المرأة: النساء نهمات. نحن جشعات في الواقع. يجب السيطرة على شهيتنا إذا أردنا بقاء الأمور في نصابها. إذا كان العالم ملكنا أيضاً، إذا آمنا أنّنا نستطيع أن نفلت من العقاب، فسنطلب المزيد من الحب، والمزيد من الجنس، والمزيد من المال، والمزيد من الالتزام تجاه الأطفال، والمزيد من الطعام، والمزيد من الرعاية. سيتوسع نطاق هذه المطالب الجسدية والعاطفية والجنسية لتشمل مطالب اجتماعية، مثل: تخصيص أموال لرعاية المسنين، والإجازة الوالدية ورعاية الأطفال، وما إلى ذلك. ستكون قوة رغبة النساء قوية للغاية، لدرجة أن المجتمع سيتعين عليه حقاً أن يحسب حساب ما ترغب فيه المرأة، سواء في السرير أو في العالم عموماً.

يعتمد الاقتصاد أيضاً على هيكلية العمل الذكورية التي تنكر العائلة. ينظم الرجال النشاط الجنسي لبعضهم ويمنعون أنفسهم من جعل الحب الجنسي والعائلة جزءاً مركزياً في حياتهم؛ بينما تعرف النساء أنفسهن على أنهن ناجحات وفقاً لقدرتهن على المحافظة على علاقة حب جنسية. إذا اجتمع كثيرٌ من الرجال والنساء على قضية مشتركة، فإنَّ تعريف النجاح لتلك القضية سيتوجه نحو الرجال، محرراً إياهم من الصخب المرافق لرجولتهم التنافسية. ومواد الجمال الإباحية مفيدة في منع ذلك في النهاية: عندما تستهدف الرجال، فإنَّ تأثيرها يتضمن إبقاءهم بعيدين عن إيجاد السلام في الحب الجنسي. إنَّ الوهم العابر للعارضات المتزينات بارعات الجمال (والذي يتراجع أمام الرجل دائماً) يبقي الرجل مضطرباً في مساعيه، غير قادر على التركيز على جمال المرأة المعروفة له والمميزة والمألوفة لديه، التي تعطيه الأوراق كل صباح.

تجمد الأسطورة الثورة الجنسية لتجلب لنا حباً جنسياً متكرراً مراوغاً، مع فاتورته الاقتصادية باهظة الثمن. كان القرن التاسع عشر يقيد الحب بين الجنسين باستخدام الزواج المدبّر؛ أما اليوم فإنَّ الشباب عالي الأداء المتحضرين يحددون مصيرهم الجنسي بناءً على خدمات المواعدة، ورغبتهم الجنسية: وجدت إحدى الدراسات أنَّ كثيراً من الأزواج الشباب المترفين يشتركون بإصابتهم بعجز جنسي.

أبقى القرن السابق الرجال والنساء منفصلين في قوالب جندرية(*) ثابتة لكلا الجنسين، وهم يُعزلون الآن عن بعضهم من خلال صور نمطية جسدية متينة. في سوق الزواج الفيكتوري، كان الرجال يحكمون ويختارون، وفي رهانات سوق الجمال يحكم الرجال ويختارون أيضاً. عرفت النساء أنَّه من الصعب حب السجان عندما لم يكن لديهن حقوق شرعية. لكن ليس من الأسهل أن تحب القاضي أيضاً. تمثل مواد الجمال الإباحية قوة محافظة على استمرار الحروب بين الجنسين لإرساء الاستقرار في مؤسسات مجتمع معرض للتهديد من جراء اندلاع الحب بين الجنسين.

دروس الأشياء(**)

من الواضح أنَّ مشاهد الاغتصاب المثيرة جنسياً تؤجج الحرب الجنسية. لكن ماذا عن مواد الجمال الإباحية غير المحتوية على العنف؟ يتضح الضرر في الطريقة التي تعمل بها هذه الصور على قمع النشاط الجنسي للمرأة، وتقليل التقدير الجنسي الذاتي عندها، وذلك من خلال قولبة ممارسة الجنس كما لو أنَّها مقيدة بحزام العفة، والمفتاح الوحيد لذلك الحزام هو (الجمال). ومنذ أن بدأت الأسطورة باستخدام جنسانية النساء لتقوم بعملها السياسي، وذلك من خلال إقرانها بصور (الجمال) في حصار من التكرار، امتلكت قبضة أقوى على النساء أكثر من أي وقتٍ مضى. وبجعل ممارسة الجنس رهينة بـ (الجمال) لم تعد الأسطورة أمراً سطحياً فحسب، بل انطلقت إلى الجوهر.

قد تتعرض الحياة الجنسية للمرأة الغربية للخطر بسبب الأسطورة. أظهرت دراسة كينزي عام ١٩٥٣ أنَّه فقط بين ٧٠ حتى ٧٧ بالمئة من النساء وصلن للرعشة الجنسية مسبقاً، سواء بالاستمناء أو الجماع. لا يواكب الرضا الجنسي للنساء التقدم المزعوم لـ (الثورة الجنسية): وأظهرت أرقام شيري هايت Shere Hite عام ١٩٧٦ أنَّه فقط ٣٠ بالمئة من النساء يصلن للرعشة الجنسية بانتظام

(*) الجندر: يقصد به كيف يتعامل المرء مع المجتمع من الناحية الجنسية، فقد يكون ذكراً لكن يحب أن يتعامل معه المجتمع كأنثى، فتوصف هويته الجندرية بأنه أنثى، وقد يكون العكس، إضافة إلى احتمالات أخرى كثيرة، مثل المائل للذكر والأنثى.

(**) دروس الأشياء، أو Object Lessons: هي سلسلة من المقالات (مجموعة في كتاب) تتكلم عن الحياة المخفية لمختلف الأشياء العادية، من الفئران حتى الأعاصير.

من الجماع دون إثارة البظر باليد، و١٩ بالمئة أخرى بعد إثارة البظر، و٢٩ بالمئة منهن لا يصلن إلى الرعشة الجنسية أثناء الجماع، و١٥ بالمئة لا يستمنين أبداً، و١١,٦ بالمئة لم يصلن إلى الرعشة الجنسية مطلقاً. وأظهر بحث هيلين كابلان Helen Kaplan لعام ١٩٧٤ أنَّ ٨ ـ ١٠ بالمئة من النساء لم يشعرن مسبقاً بالرعشة الجنسية في حياتهن، والأمر نفسه بالنسبة إلى ٤٥ بالمئة أثناء الجماع، إنما فقط باستخدام إثارة البظر. فقط ٣٠ بالمئة من النساء في دراسة سيمور فيشر Seymour Fischer عام ١٩٧٣ كن يصلن للرعشة الجنسية بانتظام أثناء الجماع.

أظهرت الثمانينيات تغيراً طفيفاً مفاجئاً: بحلول عام ١٩٨٠ وجدت ويندي فولكنر Wendy Faulkner أنَّ ٤٠ بالمئة فقط من النساء البريطانيات كن يقمن بالاستمناء بعمر الأربعين، مقابل ٩٠ بالمئة من الرجال. وفي دراسة عام ١٩٨١ فقط ٤٧ بالمئة من النساء الدنماركيات كن يقمن بالاستمناء حتى الوصول إلى الرعشة الجنسية. في دراسة جرت في المملكة المتحدة عام ١٩٨٩ على ١٠,٠٠٠ امرأة مطلقة، تبين أنَّ ٣٦ بالمئة (نادراً) أو (أبداً) ما جربن الرعشة الجنسية أثناء الجماع، و(معظمهن اعترفن بأنَّهن كنَّ يزيفن شعورهن بها لإسعاد أزواجهن). قد تتعرض الحياة الجنسية للنساء الغربيات للخطر بسبب الأسطورة، بينما النساء الشرقيات حتى المختونات منهن يحصلن على متعة أكبر: وعلى العكس من ذلك، وبشكل لا يصدق، أظهرت دراسة كبيرة شملت ٤,٠٢٤ امرأة سودانية مختونة أنَّ ٨٨ بالمئة منهن يصلن للرعشة الجنسية.

على الرغم من أنَّ الجماع يجب حتماً ألا يكون الفعل الأساسي الذي تدور حوله متعة المرأة، إلا أنَّه من المشروع السؤال: لمَ الجماع والاستمناء (كمصدرين للمتعة من بين مصادر أخرى كثيرة) لا يعطيان للمرأة الآن سوى القليل من المتعة؟! النساء الغربيات المحبات للجنس الآخر لا يحصلن على المتعة من أجسادهن ولا من أجساد الرجال الذين يستحقونهن أو القادرين على إعطائهن إياها. هل من الممكن وجود شيء خاطئ بالطريقة التي عُلمنا بها كيف يحصل الجماع بين الرجل والمرأة، وشيء خاطئ بالطريقة التي يقال فيها للمرأة أن تجرب جسدها؟ يمكن لأسطورة الجمال أن تفسر الكثير من هذا الاستياء.

ترغب الأسطورة في ثني النساء عن رؤية أنفسهن صراحةً جميلات جنسياً. الضرر الذي تسببه مواد الجمال الإباحية على النساء لا يتجلى ضرره بالسرعة التي

يتجلى فيها الضرر الذي يعزى عادةً للمواد الإباحية: إنَّ نفس المرأة التي تكره رؤية امرأة أخرى معلقةً على خطاف الجزار، وتستطيع أن تبدي اعتراضها على ذلك، ستشعر بالارتباك إذا حاولت التعبير عن عدم ارتياحها تجاه مواد الجمال الإباحية (الناعمة)(*).

هذا الخوف من المواد الإباحية التي يتورع المرء عن ذكرها هو فزع هادئ يمتد أيضاً في المجال السياسي. يمكن أن يوجد داخل نسويات (حرية التعبير) اللائي يعارضن الحركات المحاربة للمواد الإباحية، وداخل النساء اللائي لا يتابعن النقاش النسوي، وداخل النساء اللائي لا يقلدن النساء (السيئات) في المواد الإباحية الناعمة أو القاسية، داخل النساء المتدينات والعلمانيات، داخل المومسات والعذارى، داخل السحاقيات والمستقيمات. لا يجب أن تقتنع النساء اللائي يتعرضن للأذى بوجود صلة بين المواد الإباحية (الحقيقية) والعنف الجنسي؛ لكنهنَّ لا يستطعن مناقشة هذا الأذى دون خجل. نقول للمرأة التي لا تستطيع أن تجد في رؤيتها الكونية اعتراضاً معقولاً على صور النساء العاريات (الجميلات) اللائي لا يصبن بوضوح بأي أذى: ما الذي يمكن أن يفسر الأذية التي تشعرين بها داخلك؟

إنَّ صمتها نفسه يأتي من الأسطورة: إذا شعرت النساء بأنَّهن قبيحات، فهو خطؤهن، وليس لديهن حق راسخ بالشعور بأنَّهن جميلات جنسياً. يجب ألا تعترف المرأة بذلك إذا كانت تعترض على مواد الجمال الإباحية، لأن تلك المواد حينها تؤذي حياتها الجنسية أذيةً عميقة، بجعلها تشعر بأنَّها كريهة جنسياً. سواء كنت ذكراً أم أنثى، نحن جميعاً بحاجة إلى أن نشعر بأننا جميلون لننفتح على التواصل الجنسي: (جميل) بمعنى أنَّه مرحبٌ به، ومرغوب فيه، وثمين. المحرومون من ذلك هم أشخاص شيّئوا(**) أنفسهم، أو شيئوا الآخر لحماية أنفسهم.

تحدثت ذات مرة مع طالبات شابات عن المواد الإباحية الناعمة التي اشتركت فيها غرفة الجامعة المشتركة. كان كل شيء خاطئاً. لقد ذكرت السياسات والرمزية والحيز الثقافي الذكوري والإقصاء الاجتماعي والتسليع. استمعت إحدى

(*) تقصد الكاتبة بـ «الناعمة» غير المظهرة للعنف بين الجنسين.

(**) التشيُّؤ: مصطلح يعني النظر للشخص على أنه شيء جماد.

الشابات باهتمام لفترة من الوقت، ولكن دون أدنى وميض استجابة في عينيها، ثم قالت في النهاية: (سأدعمك على الرغم من أنه ليس لدي أي فكرة عما تتحدثين عنه. كل ما أعرفه أنَّهم جعلوني أشعر بالسوء تجاه نفسي).

تقترب أغلفة المجلات الناعمة من نفسية المرأة من خلال عرضها نسخاً من العارضات المألوفات لها في حياتها التخيلية، والمكونة من صور الأفلام والتلفاز والمجلات النسائية. وعلى عكس عاهرات المواد الإباحية القاسية (الغريبات)، واللاتي يكون (جمالهن) عادياً أو أقل من عادي، فإنَّ أولئك العارضات يشكلن درساً لها في الجمال: إنَّهن عارضاتها العاريات. يقول آل غولدستين Al Goldstein (ناشر في مجلة *Screw*): (إن هيفنر رومانسي، يدخل الجمال في كل شيء، بينما فتياته هن فتيات الباب الجانبي(*). فتياتي هن عاهرات الباب الجانبي، لديهن بثور وعلامات تمدد ومطبوعات رخيصة غير ملونة). إذا كان هذان هما الخياران الوحيدان للتمثيل الجنسي المتوفران للنساء، فلا عجب من أنهن يبحثن عن الجمال حتى الموت.

تعطي عارضات المواد (الرومانسية) للمرأة إيحاءً منوماً بجسم مثالي لتحاكيه تماماً تحت وجهها المحمي المألوف؛ يمكن تصور الشفرين الصغيرين والحلمات المحمرة تحت دانتيل(**) عارضات مكمّلات Sunday، اللائي يمكن تخيل خواصرهن اللامعة وبطونهن الخفيفة تحت تصميمات الموضة التي يرتدينها. فتقارن المستهلكة تعريها بالتعري التجاري هذا. قد تشعر بالإذلال الشديد، أو بانعدام الرغبة، أو قد تشعر بحسٍّ (مساوٍ) نرجسي، مشحونٍ بالمواد الإباحية، لكنه في النهاية معادٍ للشهوة الجنسية، ذلك أنَّ المرأة التي (تتفق) مع ما يظهر في الإباحية لا تفوز؛ يُسمح لها ببساطة أن تشبه العذراء الحديدية بجسمها. وفي الواقع من الممكن أنَّ تكون المرأة (الجميلة) أكثر عرضة لتدخلات المواد الإباحية في حياتها التخيلية، حيث قد (ترى) نفسها في تلك المواد، بخلاف النساء غير الجميلات.

(*) فتيات الباب الجانبي: مسلسل يعرف أيضاً بـ فتيات قصر بلاي بوي، وهو مسلسل من إنتاج شركة بلاي بوي.

(**) الدانتيل أو الشبيك هو قماش مخرم دون إطار أو حدود.

قد لا تحب امرأة ما مجلة بلاي بوي، والسبب حينها يعود لأنَّ النواة الجنسية لديها لا تقتل بسهولة. على الرغم من أنَّها تكون قد أحالت صورتها الشخصية مسبقاً لأشكال أخرى من الاستغلال، وفي آخر معاقل المقاومة لديها، فإنَّ هذا (الجوهر الجنسي) سيقاتل بضراوة ولمدة طويلة. قد تستاء من إحدى المجلات الإباحية لأنَّها تستاء من الشعور بأنَّها قبيحة أثناء ممارسة الجنس، أو ـ إن كانت (جميلة) ـ فلأن المواد الإباحية تبرز جسدها وتقلل من أهميته. هي تمنع فيها شيئاً تحتاجه للعيش، وتعطيها انعداماً مطلقاً بالشهوة: بسبب النظرة الجنسية الناقدة للذات. تبحث مقالة أليس والكر Alice Walker بعنوان (التمزق Coming Apart) الضرر الحاصل: حيث تقارن نفسها بما تراه في الصور الإباحية لعشيقها، فيقرر بطلها (بحماقة) أنَّها ليست جميلة.

تقول ((بيتي) في مجموعة للخيالات الجنسية النسائية: أنا أتخيل) أنَّني (أتحول إلى امرأة فاتنة وجميلة للغاية، في الحقيقة أعرف أنني عادية إلى حدٍّ ما... أغلق عيناي ويبدو أنني أشاهد تلك المرأة الجميلة الأخرى ـ التي هي أنا ـ من مكان آخر، من خارج نفسي. أستطيع رؤيتها بوضوح تام، لدرجة أنني أريد الصراخ لتشجيعها...: (استمتعي بذلك، أنت تستحقين هذا). الأمر المضحك في هذا أنَّ تلك المرأة الأخرى ليست أنا). وكتبت (مونيكا): (فجأة لم أعد أنا. لم يعد جسمي... هو نفسه هذا الجسم السمين المضحك، لم أكن أنا... لقد كانت أختي الجميلة... كل ذلك الوقت لم أكن أنا، لقد كانت تحصل كل تلك الأمور لهذين الشخصين الجميلين في مخيلتي). تلك الأصوات ((لم تكن أنا)، (فجأة لم أعد أنا)، (تلك المرأة الجميلة الأخرى)) أصواتٌ مؤلمة. وخلال عشرين سنة فقط، مرّرت الأسطورة صوراً تفصل النساء عن أجسادهن أثناء ممارسة الجماع.

عندما تناقش النساء هذا الموضوع، يملن إلى الأمام، ويضعف صوتهن. هنَّ يبحن بسرهن المريع. يقلن مثلاً: المشكلة في ثديي، وركي، أعاني من شكل فخذي، أنا أكره معدتي. إنَّ هذا ليس كرهاً بسبب الجمال، إنما هو عارٌ جنسي عميق. تختلف أجزاء الجسم، لكن ما تتحدث عنه كل امرأة عند وصفها هو اقتناعها بأنَّ هذا الجزء من جسدها هو أكثر ما تدور حوله مواد الجمال الإباحية. الأثداء والأفخاذ والأرداف والبطون، أهم أجزاء الجسم الجنسية عند المرأة، والتي تصبح (بشاعتها) عندها هاجساً. تلك هي الأجزاء التي تتعرض للضرب في أغلب

الأحيان من قبل الرجال المعتدين، الأجزاء التي غالباً ما يشوهها سفاحو الجنس، الأجزاء التي يقوم جراحو التجميل بإجراء العمليات عليها في أغلب الأحيان، الأجزاء التي تحمل وترعى الأطفال، وتغذي الشهوة الجنسية. لقد نجحت ثقافة كره النساء بجعل النساء يكرهن ما يكرهه كارهو النساء.

كتبت جيرمين غرير Greer: (سيدتي، أحبي أعضاءك). وأظهرت أرقام تقرير هايت أنَّ امرأة من كل سبع نساء تقريباً يعتقدن أنَّ أعضاءهن (قبيحة)، ونفس العدد يعتقدن أنَّ رائحتهن (كريهة). سيدتي، إنَّ حبك لجسدك هو رسالة أكثر إلحاحاً للجيل التالي: ثلث النساء (غير راضيات أبداً) عن أجسادهن، ما يؤدي بهن إلى الشعور بـ (قلق اجتماعي أكبر، وتقديرٍ أقل للذات، وعجز جنسي). تقدر الدكتورة مارسيا جيرماين هتشينسون Marcia Germaine Hutchinson نسبة النساء اللائي لا يحببن أجسادهن بـ ٦٥ بالمئة، وأنَّ تدني تقدير الذات ذاك يؤدي بالمرأة إلى أن تهرب خجلةً من العلاقة الحميمية الجسدية. تدني تقدير الذات وانحطاط الحياة الجنسية عند المرأة هما ثقب أسود نفسي تسحب به مواد الجمال الإباحية سلامة المرأة الجسدية.

يمكن أن يتنقل الثقب الأسود لكره الذات بين أعضاء جسدها: فيمكن أن يتلاشى هوسها بثدييها، ويحل محله اشمئزاز بمظهر فخذيها. تقرأ كثير من النساء مؤشر الجمال بخوفٍ شديد، ذلك أنَّه غالباً ما يقدم مناحي جديدة وغير متوقعة للاشمئزاز بأجسادهن.

كيف ظهر هذا التعريف الكارثي للحياة الجنسية؟ يساء فهم (الجمال) والجنس على حدٍ سواء باعتبارهما حقيقةً متعاقبة لا مفر منها، والتشابك الكاذب بين الاثنين يضاعف ظن الناس أنَّه لتنعم المرأة بحياة جنسية لا بد أن تكون (جميلة). وذلك بالطبع ليس صحيحاً على الإطلاق. تتغير تعاريف كل من (الجميلة) و(الجنسية) باستمرار لخدمة النظام الاجتماعي، والعلاقة بين الاثنين هي بدعة حديثة. عندما احتاج المجتمع وجود العفة عند النساء، منحت العذرية والإخلاص النساءَ الجمال (أكدت الأصولية الدينية فيليس شلافلي Phyllis Schlafly مؤخراً أن الجنس خارج إطار الزواج قد دمر جمال المرأة)، وانعدمت جنسانيتها: أظهر بيتر جاي Peter Gay أنَّه كان يُعتقد بأنَّ النساء في العصر الفيكتوري (مخدرات جنسياً)، واقتبست ويندي فولكنر قناعة كُتَّاب العصر الفيكتوري بأنَّ نساء الطبقة

المتوسطة كُن (جامدات بالأساس). وفقط مؤخراً، والآن بعد أن تحسنت الخدمة في المجتمع بمجموعة من النساء المتوفرات جنسياً، والآمنات جنسياً أيضاً، أعيد تعريف (الجمال) على أنّه الجنس. لمَ؟ لأنَّ (الجمال) يتطلب عملاً شاقاً، وقلةٌ من النساء يولدن به، وليس مجانياً، وذلك بخلاف جنسانية المرأة، الفطرية عند جميع النساء.

إنَّ الاختلاف بين (الجمال) والجنس في إنتاج مثل هذه الصور يتردد صداه في ذاكرتي: لي صديقة تعمل عارضة، في الخامسة عشرة من عمرها، أرتني مطبوعات من أول تصوير أجرته لملابس داخلية، وكان ذلك الإعلان لفرع كبير من متاجر سن داي Sunday. بالكاد استطعت تمييزها: شعر ساشا الأسود، الحريري المنسدل، أصبح شعثاً جعداً. في تلك الصور كان ثدياها المرتفعان يلمع عليهما حرير أسود دراقي اللون. كانت المرأة التي تظاهرت ساشا بأنّها أصبحت هي في الصورة تجلس على وركيها، في سرير جميل غير مرتب، فشراشف السرير كانت مطوية مثل زهرة ملفوف عصفت بها الريح. بينما سريرها ـ الذي جلسنا عليه ننظر إلى المطبوعات ـ كان سريراً مفرداً، محشواً وقاسياً، ومغطّى بقماشٍ قطني رمادي. وفوقنا كانت مسرحيات شكسبير بطبعات المدارس الثانوية بصفحاتها ذوات الزوايا المثنية، إضافة إلى كتابها في علم الأحياء، وآلة حاسبة؛ لم يكن هنالك شيء من سلاسل اللؤلؤ تلك وأساور المجوهرات وأزهار الدلبوث ذات الأسدية(*) الظاهرة. وذلك كُله قد قوس ظهرها للخلف، مبرزاً الجانب السفلي من ثدييها. قلت لها: (ظهرك المسكين)، وأنا أفكر بصفائح كتفها المتوترة. أصيبت ساشا بالجنف. كان عليها ارتداء دعامة مصنوعة من المعدن والرغوة المتصلبة. كانت الدعامة تظهر خارج الجرح (الشفق البرتقالي المعقد الذي كنا نحدق به). في الصور كانت شفتا ساشا اللامعتان تبدوان كما لو أنّها غمست يدها في محلول كاشط. كانت عيناها نصف مغلقتين، وقد أُخفيت ساشا فيهما. بينما في الواقع كانت ساشا عذراء، مثلي أنا.

إذا نظرنا إلى الوراء، أستطيع أن أتخيل كيف كانت ستبدو الصورة في عطلة نهاية الأسبوع تلك: كانت ستنفجر في حياة خاصة بها، تظهر بين أعمدة

(*) السداة (مفرد أسدية) هي عضو التذكير في الزهرة.

النصوص. كانت ستحدق بها ألف امرأة بالغة، يعلمن أسراراً لم نكن لنتخيلها نحن الاثنتين. كُن ليخلعن ملابسهن وينظفن أسنانهن. كُن سيدرن أمام المرايا تحت أضواء صاخبة، وستدور فوق رؤوسهن تلك الصورة المنيرة اللامعة لجسد ساشا في السماء المظلمة. كُن سيطفئن الأضواء سريعاً، ويذهبن إلى أسِرَّتهن الواسعة الدافئة النابضة بالحياة، نادمات على ذلك الاستعراض.

العلاقة بين مواد الجمال الإباحية والجنس ليست علاقة طبيعية. من المسلم به أنَّ الرغبة برؤية عدد لانهائي من النساء بارعات الجمال هي رغبة ذكورية فطرياً، حيث ينظر إلى هذا الأمر على أنَّه تسامٍ للفسق الفطري عند الرجال. تؤكد مواد الجمال الإباحية على أنَّ الرجال يحتاجون تلك المواد الإباحية لأنَّهم يتهيجون بصرياً، بينما النساء لسن كذلك. يتهيج الرجال بصرياً برؤية أجساد النساء، وهم أقل تهيجاً بشخصيات النساء. هذا التباين في التربية الجنسية يحافظ على قوة الرجال في الأسطورة: هم ينظرون إلى أجساد النساء، يقيمونها، وينتقلون لغيرها؛ بينما لا يُنظر إلى أجسادهم، ولا تُقيم، ولا يُنتقل بعد ذلك لغيرها. لا يوجد هنالك (صخرة تدعى الجندر (الجنس)) مسؤولة عن ذلك.

يروي التباين في أسطورة الجمال للرجال والنساء أكاذيب عن أجسادهم، وذلك لإبقائهم منفصلين جنسياً. تنكر سلسلة الأكاذيب الجسدية للأسطورة ما تعرف امرأة متغايرة الجنس أنه صحيح عن أجساد الرجال. يفترض بالنساء أن يكنّ جنس (البشرة الناعمة)، لكن تعرف النساء أنَّ الهالة حول حلمة الرجال ناعمة للغاية، وأنَّ هنالك مواضع في جسده تكون فيها بشرته أنعم من أي مكان في جسد المرأة. النساء هن الجنس (الحسّاس)؛ لكن ليس هنالك من جزء في جسد المرأة حسّاسٌ جداً بقدر الثديين. يجب على النساء دائماً ارتداء قمصانهن مهما كان الطقس، ذلك أن حلماتهن تثير الشهوة الجنسية. لكن حلمات الرجال تثير الشهوة الجنسية أيضاً، ومع ذلك فإنَّ هذا لا يدفعهم لتغطيتها عندما ترتفع الحرارة فوق ٨٠ فهرنهايت (٢٦,٦٧ مئوية). النساء (قبيحات) عند إصابتهن بعلامات التمدد، أما الرجال فلديهم تلك العلامات على امتداد الوركين، والتي في الغالب لا ينتبهون لها أساساً. يجب أن يكون ثديا المرأة متناظرين بطريقة مثالية، أما الأعضاء الجنسية للرجل فهي حتماً ليست كذلك. هنالك أدب كامل يتحدث عن

الاشمئزاز القديم من طعم جسد المرأة ومعالمه؛ بينما طعم أجساد الرجال كريه، وتبدو مخيفة، لكن النساء تحبها بكل الأحوال.

رافقت الطفرة الحاصلة في الصور التي تحول المرأة إلى أدوات جنسية الثورةَ الجنسية، لا لتلائم تخيلات الرجال إنما لتدافع عنهم ضد مخاوفهم. عندما سألت الروائية مارغريت آتوود Margaret Atwood نساءً عن أكثر ما يخفنه من الرجال، أجبن: (نخاف أن يقتلونا). وعندما سألت الرجال نفس السؤال عن النساء أجابوا: (نخاف أن يضحكن علينا). عندما يتحكم الرجل بالحياة الجنسية للمرأة، فهو في أمان من التقييم الجنسي. فمثلاً ذكرت روزاليند ماليز أنَّ امرأة يابانية من القرن الثامن كانت قد عُلِّمت (أن تقول دائماً عن عضوه إنَّه ضخم ورائع وأكبر من أي شيء آخر... وأن تضيف: (تعال افعل، يا لدهشتي!). وبضع شكاوى أخرى على نفس الطراز). وذكرت امرأة أخرى من القرن السادس عشر شكاوى أقل حدة، فقالت: (لقد قبَّلها عجوز، وقد كانت تلك القبلة كما لو أنَّ دودة البزاق تمشي على وجهها الساحر). في التجارب الجنسية مع النساء، يخاطر الرجال بسماع ما تسمعه النساء كل يوم: أنَّ هنالك معايير جنسية يجب أن يقارنوا بها. إنَّ خوفهم مبالغ به: حتى مع الحرية الجنسية، تحتفظ النساء بقواعد آداب صارمة؛ فتوجههن مجلة نسائية بـ: (لا تذكري حجم [عضوه] على الملأ أبداً... ولا تدعيه مطلقاً يعلم بوجود شخصٍ آخر يعرف، وإلا سيتراجع ويختفي، وهذه النصائح تساعدك جداً). يقر ذلك الاقتباس بأنَّ تلك المقارنة الجنسية الحرجة تُعدُّ مثبطاً قوياً للرغبة الجنسية عند تطبيقها على الرجال؛ ولكن لم ندرك بعد أنَّ لها نفس التأثير تماماً على النساء، أو أنّنا لا نهتم، أو أنّنا نرى من منطلقٍ ما أنَّ هذا التأثير مرغوب فيه ومناسب.

من غير المرجح أن تقوم النساء بإسماع الرجل عندما يحكمن على مظهره وطوله وصلابة عضلاته وتقنياته الجنسية وحجم عضوه وهيئته الشخصية وذوقه في الملابس، ونحن ـ النساء ـ نتحدث بالفعل عن كل هذا. الحقيقة هي أنَّ النساء قادرات على رؤية الرجل تماماً كما يرى الرجل المرأة، كمواضيع للتقييم الجنسي والجمالي، والنساء أيضاً قادرات بسهولة على اختيار (المثالية) الذكورية من بين كثير من الصفات؛ ولو استطعن الحصول على جمالٍ ذكوري كأمرٍ إضافي، فلن يقلن لا. لكن ماذا في ذلك؟ بالنظر إلى كل هذا، فإنَّ النساء يقررن ـ إلى حدٍّ كبير ـ اعتبار الرجال كائنات بشرية أساساً.

ربما من السهل تدريب النساء على رؤية الرجال كأدوات جنسية أساساً. فلو كان الأمر معاكساً، لو أنَّ الفتيات لم يمر عليهن مطلقاً عنف جنسي، لو كانت نافذة الفتاة الوحيدة على الحياة الجنسية للذكر عبارة عن سيل من الصور الرخيصة سهلة التوفر المضاءة ببراعة لأولاد أكبر منها بقليل، في نهاية سن مراهقتهم، يبتسمون بشكل مشجع ويظهرون أعضاءهم المنتصبة وردية اللون، فستطيل النظر إليهم، ثم تستمني، وكبالغة (ستحتاج) لمواد جمال إباحية قائمة على صور أجساد الرجال. ولو عرضت هذه القضبان المنتصبة للفتيات على أنَّها قابلة للتهيج هوائياً، لا تنحرف يمنةً ولا يسرة، وطعمها بطعم القرفة أو التوت البري، لم ينبت عليها شعر عشوائي، ودائماً مستعدة؛ لو عرضت مع قياساتها وأطوالها ومحيط يبلغ ربع إنش؛ لو بدا أنَّها متوفرة لهن دون وجود مشاكل مزعجة في شخصية صاحبها؛ لو بدا شعور السعادة الجميل المصاحب لها هو السبب الوحيد في وجودها؛ لو حصل كل هذا فمن المرجح أنَّ الشاب سيصل إلى سرير الفتاة ـ على الأقل ـ بقلب منهزم.

لكن مجدداً، ماذا في ذلك؟ كونك مدربة لا يعني أنَّه لا يستطيع المرء رفض التدريب. من المحتمل أن يكون خوف الرجال من النظر إليهم كأشياء بالطريقة التي ينظرون فيها للنساء لا أساس له من الصحة: إذا أُعطي كلا الجنسين الخيار برؤية الآخر كمزيج من كائن بشري وأداة جنسية، فكلاهما سيدرك أنَّ كمال هذا الحق يكمن في استبعاد كلا المصطلحين. لكنَّ المخاوف التي لا أساس لها بين الجنسين هي التي تعمل لصالح أسطورة الجمال.

لقد شُجعت الصور التي تركز حصرياً على جسد الأنثى في بيئة لم يعد يستطيع الرجال فيها التحكم بالجنس، إنما كان عليهم وللمرة الأولى أن يفوزوا به. والنساء اللواتي كُن منشغلات بأن يكن مرغوبات، كُنَّ أقل توجهاً للتعبير عن والسعي لما يرغبن فيه لأنفسهن.

كيفية قمع جنسانية المرأة

كتبت جيرمين غرير أنَّ النساء سيصبحن محررات عندما يمتلكن تعريفاً إيجابياً لجنسانية المرأة. قد يجعل مثل هذا التعريف مواد الجمال الإباحية عديمة التأثير تماماً على النساء. وعلى الرغم من مضي جيلٍ كامل، لا تزال النساء يفتقدن

ذلك التعريف. لا تحدد جنسانية المرأة الآن بطريقة سلبية فحسب، بل تُبنى بطريقة سلبية. النساء عرضة لتقبل تدخل أسطورة الجمال في حياتهن الجنسية، لأنَّ تربيتهن الجنسية مبنية لضمان ذلك التعرض. جنسانية المرأة منعكسة من الداخل إلى الخارج منذ ولادتها، لذا يمكن أن يقوم (الجمال) بعمله، مبقياً أعين الأنثى دانية على جسدها، ملقيةً نظرة عابرة فقط للتحقق من انعكاس ذلك في أعين الرجال.

تُزرع هذه الإثارة الخارجية عند النساء من خلال ثلاثة ضغوط صناعية على الحياة الجنسية لهن: الأول هو أنَّ الفتيات الصغيرات لا يعتني بهن آباؤهن عن كثب. والثاني هو التأثير الثقافي القوي الذي يخرج النساء من أجسادهن للنظر إلى النساء فقط كأدوات جنسية. والثالث هو انتشار العنف الجنسي الذي يمنع جنسانية المرأة من النمو طبيعياً، ويجعل جسد الرجل يبدو خطيراً.

١ ـ رعاية الأمهات دون الآباء للبنات: تؤثر العذراء الحديدية العارية على النساء بقوة، لأنَّ معظم النساء يعتني بهن في الطفولة نساء. يبدأ الجسم الأنثوي والثديان الأنثويان كمحور للرغبة عند الفتيات الرضّع، مع غيابهما في جسد الرجل. وبنمو الفتيات، تُبقي الأسطورة التركيز الجنسي على الجسد الأنثوي، لكن الإعجاب غير المشبع عند النساء متغايرات الجنس ـ وبخلاف الانجذاب لجسد المرأة الذي يشعر به الرجال المستقيمون والنساء السحاقيات ـ غالباً ما يتلوث بالحسد والعداء والأسى على النعيم المفقود. تسبب هذه الحالة عند النساء إدماناً لأعين الرجال، فيفرض ما تسميه الشاعرة أدريان ريتش Adrienne Rich (تغاير الجنس القسري)، أي يمنع النساء من رؤية باقي النساء كمصدر للمتعة الجنسية، إنما تقتصر المتعة الجنسية على الجنس المغاير. وتحت هذه الأسطورة، فإنَّ جمال أجساد النساء يسبب ألماً للنساء الأخريات، مما يؤدي لما سمته كيم تشيرنين Kim Chernin: (هوسٌ قاسٍ بجسم المرأة). هذه العلاقة المحبطة (والتي تعطي النساء المستقيمات متعةً مربكةً قلقةً عند النظر إلى جسد امرأة أخرى) تترك النساء في ألم منافسة مستمرة باستمرار الحياة، وهو في الواقع بقايا سامة للحب الأصلي.

٢ ـ التأثير الثقافي المرسخ لكون جسد المرأة أداة جنسية: يبدأ الانقلاب الثقافي لجنسانية المرأة باكراً، فيبدأ بخطيئة الاستمناء. ينبثق هذا الشرف الجنسي من الأنانية السامية للطفولة، والتي ينشأ منها العطاء الجنسي ككرم بدل كونه

خضوعاً. لكن يخضع الاستمناء عند النساء أيضاً للرقابة الثقافية. إنَّ تلك الرغبة الفردية المبكرة هي إحدى الذكريات النادرة التي يمكن أن تُذكر المرأة بأنَّها جنسانية بالكامل قبل ظهور (الجمال) في الصورة، ويمكن أيضاً أن يكون ذلك بعد وعقب أسطورة الجمال بكثير؛ ولا يشترط هنا أن يعتمد الشعور الجنسي على أن يكون هنالك من ينظر لها.

يأخذ الرجال هذا الموضوع كأمر مفروغ منه في أنفسهم: نرى أنه (بما يتوافق مع الثقافة) فإن جنسانية الرجال هي ببساطة موجودة. ليس عليهم أن يكتسبوها بمظهرهم. نرى أنَّ رغبة الرجل تسبق اتصاله بالمرأة. تلك الرغبة لا تكمن خامدة منتظرة أن تثب في كائن فقط استجابةً لإرادة المرأة. تظهر الرغبة الذكورية الفردية في جميع مجالات الثقافة، من الرفيعة إلى المنحطة، من فيليب روث Philip Roth وأندريه جيد André Gide وكارل شابيرو Karl Shapiro وجيمس جويس James Joyce إلى النكت البذيئة dirty jokes التي تُقال إلى جماهير مختلطة. نحن جميعاً لدينا كثيرٌ من المعلومات عن الرغبة الجنسية للمراهقين الشباب. لكنَّ مشاهد الصحوة الجنسية للشابات في أنفسهن لا توجد إلا في محاكاة ساخرة للتلصص الذكوري. من الصعب ـ في الفراغ الثقافي ـ تخيل كيف تبدو الرغبة الفردية للمرأة. تُصور أجساد النساء على أنَّها تغليف جذاب لصندوق فارغ؛ أعضاؤنا الجنسية ليست مصدر إثارة للنساء، وأجساد النساء ليست مصدر إثارة للنساء، أجساد النساء ليست مصدر إثارة لنساءٍ أخريات، استمناء المرأة لا يُثار من أجل النساء. كل امرأة عليها أن تتعلم بنفسها ـ دون أي مصدر ـ كيف تشعر بأنها جنسية (على الرغم من أنَّها تتعلم على الدوام كيف تبدو جنسية). لا تُعطى المرأة أي شيء مضاد للثقافة المنتشرة لتعطشها للتطلع إلى الخارج، ولا توجد أوصاف تصف ذلك الحضور الفضولي المبهم لأحاسيسها التناسلية، أو للطريقة التي تثري بها هذه الأحاسيس باستمرار معرفة جسدها. فبتركها في الظلام، لا يبقى لديها سوى خيار واضح: يجب عليها أن تمتص خيالات الثقافة السائدة على أنَّها خيالاتها هي.

الأطفال بعمر العاشرة في السبعينيات، المتحمسون للحديث عن الجنس الممكن استحضاره في صوت المرأة، كانوا يتناوبون في المخيمات على القراءة جهاراً لنسخٍ مقرصنة من قصص جنسية. شاعت قصتان، إحداهما هي تلقين للمازوخية، والأخرى تتحدث عن المساومة الجنسية التجارية الخالية من العواطف.

كانت الفتيات الصغيرات ـ نتيجة افتقارهن لأي شيء أفضل من ذلك ـ يتعلمن مما يصل إلى أيديهن. لم يكُنَّ يفتقرن للحقائق، إنما يفتقرن لثقافة جنسية إيجابية: للروايات والأشعار، للأفلام والنكات، لموسيقى الروك آند رول، والتي لم تكن تُكتب لتُباع إنما بغرض الاستكشاف والتواصل والاحتفال، كما تُكتب أفضل ثقافة شهوانية للذكور. فبالنسبة إلى تربية الفتيات، ليس هنالك إلا نموذجان، إما امرأة مقيدة على حائط، فمها مفتوح كحرف O، أو امرأة ذات منطق تجاري مناسب، وحذاء نسائي مستوٍ تَعُد مالها.

لدى الصِّبية ثقافة جنسية قد شُكلت لهم مسبقاً، فهم يغنون ويتمايلون ويحركون أيديهم كما لو أنهم يعزفون غيتاراً (رقصة الغيتار الهوائي) وأيديهم أمام المنطقة الأربية groins من جسمهم: (سُكَّرٌ بُنيٌّ، مم! كيف أصبح مذاقك جيداً هكذا؟ آه... تماماً كما ينبغي على فتاةٍ صغيرة)، (تساءلت الفتيات الصغيرات (ينبغي علينا؟) (مثل السكر البني؟)) بالمقابل، فبالنسبة إلى تجربة الفتيات الخاصة، فإنَّ حواسهن تخبرهن بالكثير (الرائحة الواخزة لعَرَق الصِّبية في أروقة المدرسة، وظهور السواد على سواعدهم، ونبرة الصوت التي أصبحت أشبه بصوت التروس، والترهل الذي يشد قماش الدنيم denim على الفخذ، وطعم مشروب شركة راحة الجنوب Southern Comfort على ألسنة أنصاف المتعلمين هؤلاء، وسجائر لوكي ستريكز منزوعة الفلتر المسروقة من خزانة الملابس، وبقايا اللحية المتآكلة والحرق الريحي(*))، لقد لاحظت الفتيات ذلك كله، لقد رأينه؛ لكن ليس لديهن القوة الكافية ليتفوهن به. الحقيقة أنَّ طرح مثل هذه الصور يثير الإحراج عند كلٍّ من القاص والمستمع، ما يشهد على أننا غير معتادات على اعتبار الفتيات الصغيرات في ثقافتنا أشخاصاً يمرون بصحوة جنسية. إنَّ الجمال الغريب لأجسام الرجال ـ على الرغم من أنَّ الفتيات يجدنه في كتاب فيدروس *Phaedrus* أو رواية صورة دوريان غراي(**) *Dorian Gray* ـ غير مُتطرَّق إليه في ثقافة مخصصة لهم؛ لا يجدن وصفاً لسحر أجسام الرجال وجاذبيتها بصوت امرأة، ولا يمر عليهن وصفٌ لانجذابهم لحبيباتهم في أي مكان على الإطلاق.

(*) الحرق الريحي: تخريش يظهر على الجلد بعد الخروج في جو شديد البرودة.

(**) يتمتع دوريان غراي بجمال لا يقاوم، ومكانة اجتماعية مرموقة.

انحرفت طاقة الفتيات الجنسية (أُحبط تقييمهن للشبان المراهقين وباقي الفتيات) عائدةً على الفتيات، وبقين صامتات، وعاد بحثهن عن التحديقات الجائعة لأجسامهن. تحولت أسئلة: من أرغب فيه؟ لمَ؟ ما الذي سأفعله حيال ذلك؟ إلى: هل أستحق نفسي؟ لمَ؟.. لمَ لا؟ ما الذي يمكنني فعله حيال ذلك؟

الكتب والأفلام التي يرونها تستطلع من وجهة نظر الصبي أول لمسة له لفخذ فتاة، أو لمحة لثدييها. تجلس الفتيات يستمعن ويتشربن فكرة أنَّ أثداءهن المألوفة لديهن كما لو أنَّها ليست جزءاً من أجسادهن، يضعن أفخاذهن على بعضها تلقائياً، يتعلمن كيف يغادرن أجسادهن، ويشاهدنها من الخارج. وبما أن أجسادهن تُرى من نافذة الغرابة والرغبة، فلا عجب أنَّ ما يجب أن يكون مألوفاً وأن يرى كقطعة واحدة، يصبح بعيداً ومتجزئاً إلى أجزاء. ما تتعلمه الفتيات ليس الرغبة بالآخر، إنما الرغبة بأن تكون مرغوبة. تتعلم الفتيات مشاهدة جنسهن مع الصبية، وذلك يشغل المساحة التي كان من المفترض تكريسها لاستكشاف ما يرغبن فيه، ويقرأن ويكتبن عنه، يبحثن عنه ويحصلن عليه. يقبع الجنس أسيراً لدى الجمال، وتُنقش مصطلحات فدائه في عقول الفتيات باكراً وعميقاً بأدوات أجمل من تلك التي يعرف معلنو أو مصورو الإباحية كيفية استخدامها: الأدب والشعر والرسم والأفلام.

يؤدي هذا المنظور الخارجي لحياتهنّ الجنسية إلى تشويش ينبع من قلب الأسطورة. تخلط النساء بين المظهر الجنسي وأن ينظر إليهن بطريقة جنسية (كلايرول... إنَّه المظهر الذي ترغبين)؛ تخلط الكثيرات بين أن يشعرن بالإثارة الجنسية وأن يشعر من يراها بالإثارة الجنسية (شفرات حلاقة جيليت... الطريقة التي تريد المرأة أن تشعر بها)؛ تخلط الكثيرات بين أن ترغب وأن تكون مرغوبة. أخبرتني امرأة: (كانت أولى ذكرياتي الجنسية عندما حلقت ساقاي للمرة الأولى، فعندما مررت يدي على جلدي الناعم، شعرت حينها كيف سيكون شعور شخص آخر عندما يمرر يده عليه). تقول النساء عندما يخسرن الوزن إنَّهن (يشعرن بأنَّهن أكثر جنسية)؛ لكن النهايات العصبية في البظر والحلمات لا تتضاعف بخسارة الوزن. تخبرني النساء أنَّهن يغرن من الرجال الذين يحصلون على الكثير من المتعة من جسد الأنثى، لدرجة أن يتخيلن أنفسهن داخل جسد الرجل الكامن داخل أجسادهن، وبذلك يحصلن على تفويض بتجربة تلك الرغبة.

هل من الممكن حينها أنَّ البطء الشهير للمرأة في الوصول للإثارة الجنسية مقارنةً مع الرجال، إضافة إلى حياة الخيالات المعقدة والافتقار للمتعة التي يخبر الكثيرون عنها أثناء الجماع، هل من الممكن أن يكون كل هذا له علاقة بهذا الإنكار الثقافي للصور الجنسية التي ترسخ نظرة الأنثى تلك، الحظر الثقافي ضد رؤية أجساد الرجال كأدوات للمتعة؟ هل يمكن أن يتعلق بتحريم عرض الجماع كفرصة للمرأة المستقيمة لتسعى وتمسك وتتذوق وتستهلك الجسد الذكوري لإرضاء نفسها، بقدر ما يسعى الذكر إلى جسدها ويمسكه ويتذوقه ويستهلكه؟

يبعد هذا الانقلاب لجنسانية المرأة النساءَ عن امتلاك زمام السيطرة على تجربتهن الجنسية الخاصة. تتمثل إحدى المشكلات المتعلقة بالصور الجنسية اللينة الموجهة إلى الشباب الذكور في أنَّ النساء المصورات لا يستجبن في الواقع جنسياً لأي شيء؛ يكبر الشباب الذكور مدربين على الاستثارة من مجرد صور لا تعلمهم شيئاً عن رغبات النساء. ولا تُعلم الفتيات أيضاً إثارة الرغبات الأنثوية. يميل كلٌّ من الرجال والنساء حينها إلى الاستثارة من جسد المرأة فحسب وتلبية رغبات الرجل. يعني ذلك أنَّ النساء حساسات بشكل مفرط لرغبة الرجل في الاستثارة بهن، والرجال لا يبالون أبداً تقريباً بإحساس الرغبة عند النساء بأنفسهن. إنَّ سلسلة التفاعل التي يعتمد فيها شعور المرأة الجنسي على شعور الرجل الجنسي مسؤولة عن الظاهرة التي وصفتها كارول كاسيل Carol Cassell في كتاب **الانجراف: لِمَ تخلط المرأة بين الحب والجنس؟** *Swept Away: Why Women Confuse Love and Sex*. لأنَّ كثيراً من النساء يحتجن أن يشعرن بـ (الانجراف) قبل أن يتمكنّ من تجربة الرغبة، فقط ٤٨ بالمئة منهن يستخدمن مانعات الحمل بانتظام. في الولايات المتحدة ٤٨,٧ بالمئة من عمليات الإجهاض تنتج عن الجماع غير المحمي. لو كانت الحياة الجنسية للمرأة ذات قيمة عالية مع اهتمام بالرعاية بحيث يمكن أن تحمي نفسها دون خوف من الشعور بالدونية الجنسية، لكانت أصبحت نصف مآسي الإجهاض التي تحدث الآن شيئاً من الماضي. ومع ظهور وباء الإيدز، فإنَّ النساء اللاتي يخضعن لظاهرة (الانجراف) لا يخاطرن بالحمل فقط، بل بالموت أيضاً.

انتشار العنف الجنسي: يتعلق التفسير الأخير لنشاط المرأة الجنسي المنحرف والتناقض الحاصل في الجماع بتجربتها المعيشية للإجبار الجنسي. يجب أن

تُفهم القوة المقترحة في صورة العذراء الحديدية المعتدى عليها في سياق العنف الجنسي الفعلي ضد النساء.

طبقاً لمسح أجرته ديانا راسل عام ١٩٨٣ على ٩٣٠ امرأة في سان فرانسيسكو، فإنَّ ٤٤ بالمئة من النساء نجون من الاغتصاب أو محاولة اغتصاب (المُعَرَّفَيْن حسب مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI)، و٨٨ بالمئة منهن عرفن المعتدي. وفي دراسة هولندية جرت على ١,٠٥٤ امرأة مثقفة من الطبقة الوسطى، بأعمار تتراوح بين ٢٠ و٤٠، ١٥,٦ بالمئة منهن اعتدى عليهن جنسياً أحد الأقارب، و٢٤,٤ بالمئة اعتدى عليهن جنسياً عندما كُن صغاراً أشخاصٌ غرباء، و٣٢,٢ بالمئة أُجبرن على تجارب جنسية قبل أن يبلغن الـ ١٦. وفي دراسة أخرى على ٤,٧٠٠ امرأة هولندية، ٢٠,٨ بالمئة منهن مررن بتجربة عنف من زوج أو عشيق، ونصفهن تكررت عليهن أفعال العنف هذه، و١ من كل ٢٥ امرأة عانت من عنف شديد للغاية أدى بها إلى ضرر دائم. شهدت هولندا زيادة في حالات الاغتصاب المبلغ عنها لأكثر من الثلث بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٨. وفي السويد، كان هنالك زيادة بنسبة ٧٠ بالمئة من أنباء العنف ضد المرأة بين عامي ١٩٨١ و١٩٨٨، وزيادة مقدارها ٥٠ بالمئة من حالات الاغتصاب المبلغ عنها. أما في كندا، ففتاة من كل ٤ فتيات تمر بتجربتها الجنسية الأولى تحت ظل الإكراه، وذلك على يد أحد أفراد العائلة أو شخص قريب من العائلة. ووجدت دراسة جرت عام ١٩٨١ على ١,٢٣٦ امرأة من نساء لندن أنَّ امرأة من كل ٦ نساء تعرضت للاغتصاب، وامرأة من كل ٥ نساء قاومت محاولة اغتصاب؛ وجرت دراسات أخرى عام ١٩٨٥ وعام ١٩٨٩ خلصت إلى نفس النِّسَب.

إنَّ خوض امرأة تجربة عنف مع عشيقها هو أمرٌ وبائي. جرت دراسة عام ١٩٨٠ على ٢,٠٠٠ زوج في الولايات المتحدة وجدت أنَّ نسبة حالات الاعتداء بينهم كانت ٢٨ بالمئة، وسجلت نسبة ١٦ بالمئة لحالات تعرض للعنف في العام الفائت. ثلث العنف كان خطيراً: لَكْمٌ أو رَكْلٌ أو ضَرْبٌ بشيء ما أو اعتداء بسكين أو بمسدس. وفي استطلاع متابعة جرى عام ١٩٨٥، كانت النسبة المئوية نفسها. وأظهر استطلاع هاريس بول(*) أنَّ العنف موجود في ٢١ بالمئة من العلاقات، ما

(*) أحد أطول الاستطلاعات التي جرت لمعرفة رأي الناس.

يتوافق مع عينة ديانا راسل العشوائية لعام ١٩٨٢، والتي أظهرت نسبة ٢١ بالمئة أيضاً. وعند الاعتداء تكون المرأة هي من يتأذى في ٩٤ حتى ٩٥ بالمئة من الحالات. هنالك على الأقل مليون ونصف مليون امرأة أمريكية تتعرض للاعتداء على يد شريكها كل سنة. ربع جرائم العنف في الولايات المتحدة تكون على شكل اعتداء على الزوجة. حاول الباحثون في بيتسبرغ إيجاد مجموعة شاهدة(*) للنساء اللاتي لا يتعرضن للضرب، إلا أنَّ ٣٤ بالمئة من المجموعة الشاهدة ذكرن تعرضهن لاعتداء على يد شركائهن. تتعرض امرأة من كل ١٠ نساء كنديات للضرب من زوجها، وامرأة من كل ٨ تتعرض للاعتداء على يد الشخص الذي تعيش معه. ويحسب للضرب محاولة واحدة من كل ٤ محاولات انتحارية تقوم بها النساء من اللواتي دخلن غرف الطوارئ في مستشفيات العاصمة في الولايات المتحدة. وفي دراسة أجراها المعهد الوطني للصحة العقلية، ٢١ بالمئة من النساء اللواتي خضعن لجراحة طوارئ كن قد تعرضن للضرب، ونصف النساء المتأذيات اللواتي دخلن غرف الطوارئ كُن قد تعرضن للضرب، ونصف حالات الاغتصاب للنساء فوق سن الثلاثين كانت جزءاً من متلازمة الضرب. أكد معهد وورد ووتش عام ١٩٨٩ أنَّ العنف ضد النساء هو الجريمة الأكثر شيوعاً حول العالم.

بالطبع يربط الاعتداء الجنسي على الأطفال بين الجنس والقوة في وقتٍ باكر من الطفولة عند ربع إلى ثُلث الإناث. وجدت كينزي في مسح أجرته عام ١٩٥٣ أنَّ ربع الإناث تقريباً تعرضن للاغتصاب أو محاولة اغتصاب من رجال بالغين عندما كُنَّ في سن الطفولة. ووجد المسح الذي قامت به ديانا راسل عام ١٩٨٧ أنَّ ٣٨ بالمئة من النساء تعرضن للاعتداء الجنسي من قريبٍ بالغ أو من أحد المعارف أو من شخص غريب قبل بلوغهن سن ١٨؛ ٢٨ بالمئة تعرضن لاعتداء شديد قبل عمر ١٤ و١٢ على يد أحد أفراد العائلة. وقد وجد بود لويس Bud Lewis، مدير استطلاع أجرته جريدة لوس أنجلوس تايمز *Los Angeles Times* عام ١٩٨٥، في مسحه العشوائي على ٢,٦٢٧ رجلاً وامرأة من كل الولايات أنَّ ٢٢ بالمئة من أفراد العينة تعرضوا للإيذاء الجنسي عندما كانوا أطفالاً، أما من النساء فقط فكانت النسبة ٢٧ بالمئة. ثم سأل ١,٢٦٠ رجلاً إذا قاموا ولو لمرة واحدة بالاعتداء على طفل، فاعترف رجل من كل ١٠ رجال أنَّه فعل ذلك. تشير الأبحاث التي أجريت

(*) المجموعة الشاهدة: هي المجموعة التي تُستخدم للمقارنة مع مجموعة عينة الدراسة.

في جميع أنحاء العالم ـ في دول متنوعة مثل أستراليا والولايات المتحدة والهند والمنطقة المحتلة من فلسطين ـ إلى أن واحدة من كل أربع أسر يحصل فيها زنا محارم؛ وفي ٨٠ إلى٩٠ بالمئة من تلك الحالات تتعرض الفتيات للاعتداء على يد قريب ذكر، وعادةً ما يكون هو الأب. وجدت كينزي حصول زنا محارم في ٢٤ بالمئة من العوائل الأمريكية، وهو رقم يتسق مع الأرقام في أستراليا والمملكة المتحدة. وقد كان ثلثا الضحايا الإسرائيليات أصغر من ١٠ سنوات، وربع الضحايا في الولايات المتحدة كُنَّ أصغر من ٥ سنوات. تشير ديبي تايلور بعد توسيع البيانات لباقي أنحاء العالم أنَّ هنالك ما يقارب ١٠٠ مليون فتاة (ربما تتعرض للاغتصاب على يد رجل بالغ (عادةً الآباء) غالباً، يوماً بعد يوم، أسبوعاً بعد أسبوع، سنةً بعد سنة).

إنَّ الأرقام مروعة؛ إذاً هل الظن بأنَّ أسطورة الجمال هي عرض لصور عنف جنسية للنساء، وصور الكمال التي تطلب من النساء العنف ضد أنفسهن، في بيئة تربط مسبقاً الجنس بالعنف بطريقةٍ ما في وقتٍ ما في حياة معظم النساء. هل من الممكن أن تؤدي الأذية التي تتعرض لها النساء بهن للرغبة في إيذاء أنفسهن؟ أظهرت دراسة أجرتها مجلة راديانس *Radiance* أنَّ ٥٠ بالمئة من المصابات بالقهم في عيادة واحدة تعرضن للاعتداء الجنسي. وقد استكشفت الجَرّاحة التجميلية إليزابيث مورغان Elizabeth Morgan العلاقة بين زنا المحارم والرغبة بإجراء جراحة تجميلية بعد اعتراف كثيرٍ من مريضاتها أنّهن كُن ضحايا اعتداء جنسي في الطفولة: (لقد توصلت إلى أنَّ كثيراً منهن رغبن في محو ذكرياتهن حول الطفلات اللواتي كُنَّ يشبهنهن عندما تعرضن للاعتداء). تظهر الدراسات السريرية للناجيات من زنا المحارم أنَّ لديهن مخاوف بأنَّ (متعتهن الجنسية تحيط بها نوايا خبيثة... تعتقد معظمهن أنّهن هنَّ من ارتكب خطأً ما، وأنّه يجب معاقبتهن، وأنّه إذا لم يحقق أحدٌ العدالة، فسيقمن بتحقيقها بأنفسهن).

إنَّ رد الفعل الأكثر شيوعاً للناجيات من الاغتصاب هو الشعور بعدم القيمة، ثم يكرهن أجسادهن، ويترافق هذا غالباً مع اضطرابات في تناول الطعام (عادةً اضطراب تناول الطعام القهري أو القهم، وذلك لضمان أنّهن سيصبحن (بأمان) سمينات جداً أو نحيفات جداً) وانسحاب جنسي. إذا كان الاعتداء الجنسي

الفعلي له هذا التأثير نتيجة حب المرأة الجسدي لذاتها، فهل يمكن لصور الاعتداء الجنسي والصور التي تنتهك خصوصية المرأة الجنسية أن يكون لها نفس الضرر؟

لهذا الجو تأثير أكثر انتشاراً (انتشار العنف الجنسي والطريقة التي يرتبط فيها بجمال المرأة)، وهو أنَّ النساء (ربما على وجه الخصوص الشابات اللواتي نشأن على رؤية مثل صور العنف تلك) يخفن ولا يثقن بجمالهن، ويشعرن بالتناقض حول التعبير الجسدي (بالملبس أو الحركة أو الزينة) لشخصيتهن الجنسية. واليوم، وربما أكثر من أي وقت مضى، عندما ترتدي شابة لباساً مثيراً بطريقة استفزازية، فهي تقوم بذلك لتشعر بأنَّها تشارك في شيء خطير.

الحياة الجنسية للشباب: هل تغيرت كلياً؟

يبدو أن التعرض للعنف الأنيق وتشييء الصور الجنسية قد أضر الشباب بالفعل. لم يقترب منظرو الشبق(*) من إدراك تأثير مواد الجمال الإباحية على الشباب. تفصل كل من غلوريا ستاينم Gloria Steinem وسوزان غريفين Susan Griffin المواد الإباحية عن الشبق؛ وهذا أمر منطقي إذ جاء الشبق في المرتبة الأولى في السيرة الذاتية النفسية الجنسية. وكما تعتقد بابارا إهرنريتش، فقد تكون تخيلات الاغتصاب ضئيلة عند أولئك الذين نشؤوا يتعلمون حياتهم الجنسية من البشر الآخرين. لكن الشباب اليوم لم يطلبوا حياةً جنسية تملؤها المتعة عن بعد، يحيط بها الخطر: إنما أُعطيت لهم. لأول مرة في التاريخ يكون الانطباع الجنسي الباكر للأطفال الناشئين غير ناتج عن كائن بشري حي، ولا خيالات شخصية، ومنذ طفرة المواد الإباحية في الستينيات بدأت الحياة الجنسية للأطفال بالتشكل استجابةً لأفكار ليست بشرية بعد الآن. ولم يحدث شيء مشابه أبداً في التاريخ؛ إنَّه يزيح مفاهيم فرويد. فلدى الأطفال والشباب والشابات اليوم هويتهم الجنسية التي تدور في أوراق وخيالات السيلولويد(**): من مجلة إباحية إلى الفيديوهات الموسيقية إلى جذع الأنثى العاري في المجلات النسائية، السمات مخفية والعينان مُطفأتان. لقد تطبعوا بجنسانية تنتج متطابقةً وعلى نطاق واسع، تنزع صفة البشرية عمداً وهي غير بشرية أساساً.

(*) الشبق: اشتداد الرغبة الجنسية.

(**) مادة تستخدم في صناعة أفلام الكاميرات القديمة.

هنالك شيء قبيح يبدو أنّه يحدث لجنسانية الشباب نتيجة ذلك: قد تنتصر الجهود المبذولة لإعادة الجنس في العنف قريباً. تسمي هيلدا بروك Hilde Bruch الشابات المولودات بعد عام ١٩٦٠ (أجيال القهم)(*). ومنذ تراخي قوانين الدعارة في الستينيات، نشأ الأولاد الذين ولدوا بعد عام ١٩٦٠ في جوٍّ من الصور الجنسية المتزايدة بالعنف والإذلال (الذي تحاول الشابات الانسحاب منه عن طريق فقدان الشهية)، وعلينا تمييز الشباب الذين ولدوا بعد عام ١٩٦٠ على أنّهم (أجيال المواد الإباحية).

تُقصف النساء بنوع من المرض الإشعاعي الناجم عن التعرض المفرط لصور الجمال الإباحية، والذي كان المصدر الوحيد الذي قدم لهن طرائق لتخيل الحياة الجنسية للنساء. لقد خرجن للعالم دون حماية جنسية: تجردن من الضمان القمعي لقيمتهن الجنسية الذي مُنح لهن بالعذرية أو بخاتم الألماس (كانت جنسانية المرأة تستحق شيئاً ملموساً قيماً في الأيام التي تعهد بها الرجل بالعمل طوال حياته ليحافظ على وصوله إلى تلك الجنسانية) ولم يُسلّحنَ بعد بشعور الفخر الجنسي الفطري. قبل عام ١٩٦٠، كانت تتعلق كلمات (الجيدة) و(السيئة) ـ من حيث تطبيقها على النساء ـ بـ (لا جنسية) و(جنسية). وبعد ظهور مواد الجمال الإباحية وشبه الثورة الجنسية، أصبحت كلمة (جيدة) تعني (جميلة (نحيفة)، أي جنسية)، وكلمة (سيئة) تعني (بشعة (سمينة)، أي لا جنسية).

في الماضي كانت النساء يشعرن بأنّهن ضعيفات، في الجنس خارج نطاق الزواج، إلى الحمل والإجهاض غير القانوني، والتخلي عنهن. أما شابات اليوم فيشعرن بأنّهن ضعيفات عرضة للمحاكمة؛ إذا وجهت لها كلمة قاسية (أو حتى اشتبهت أو توقعت ذلك)، فليست سمعتها هي التي ستعاني كثيراً، إنما استقرار كونها الأخلاقي. لم يمضِ وقت طويل حتى استكشفن الثورة الجنسية ونسبنها لأنفسهن. وقبل أن تبرد السلاسل القديمة، وبينما كانت الشابات لا يزلن يفركن كواحلهن لتنشيط الدورة الدموية فيها بعد تحررهن من تلك القيود، ويتخذن خطوات مبدئية إلى الأمام، فرضت صناعة الجمال عبئاً ثقيلاً على المزيد من الاستقصاءات، وعرضت عليهن مواد الجمال الإباحية عبودية المصمم.

(*) أجيال فقدان الشهية.

ربما يكون تعليم الشباب الممتد لثلاثين سنة بأن الجنس هو تشييء عصري أو سادومازوخية قد أنتج جيلاً يؤمن بصدق أنَّ الجنس عنيف، والعنف جنسي، ما دام العنف موجَّهاً ضد النساء. إذا آمنوا بذلك، فلن يكون هذا نتيجة أنهم مرضى نفسيون، إنما لأن هذا متمثل في الثقافة السائدة على أنَّه هو القاعدة.

يسمح ١٢ بالمئة من الآباء البريطانيين والأمريكيين لأطفالهم بمشاهدة أفلام العنف والأفلام الإباحية. لكن لا يتعين عليك مشاهدة أي نوعي الأفلام بعناية. ذكرت سوزان ج. كول أنَّ قناة الـ MTV (قناة فيديو الروك في الولايات المتحدة) (يظهر أنَّها تتفق مع المعايير الإباحية) (تبث قناة إباحية ببساطة اختياراتها على (هوت روكس Hot Rocks)). ومع تطور فيديوهات موسيقى الروك، يجلس كلا الجنسين في غرفة معاً يشاهدون سير الخيالات الرسمية للثقافة السائدة عما يفترض بهم عمله مع بعضهم، أو ـ في أغلب الأحيان ـ عما يفترض أن تبدو هي عليه بينما يفعل هو ما يفعله، بينما يشاهدها. هذه المادة ـ بخلاف نسختها التي تظهر في المجلات اللامعة ـ تحرك القلق الجنسي المحير عند الشابات فيما يتعلق بالجمال، لكن بطريقة جديدة؛ إذ إنَّها تضيف مراحل من التعليمات تتجاوز الفكرة البسيطة: والآن عليهن أخذ ملاحظات حول كيف يتحركن ويتعرين ويتجهمن ويعبسن ويتنفسن ويبكين أثناء اللقاء (الجنسي). وعند التحول من الصور إلى الفيديو، أصبح وعيهن الذاتي ثلاثي الأبعاد.

وكذلك يفعل شعورهن بأنهن مهددات على نحوٍ عصري. يصور قتلة الجنس على قناة إم تي في كأبطال ذكور: أغنية (متسكع في منتصف الليل) لـ (رولينج ستونز) هي أغنية شكر لقاتل متسلسل يُعرف بـ خانق مدينة بوسطن (سألصق سكيني أسفل حلقك)؛ بينما تغني ليزي أغنية (قاتل في المنزل Killer in the House) قاصدة مغتصباً (جاء فيها: (أنا أبحث عن شخصٍ ما... ربما أبحث عنك))؛ وتغني تريفور روبن Trevor Rubin أغنية (الممزق The Ripper). تحتوي فيديوهات موتلي كرو Motley Crue على نساء يظهرن كعبيدات جنس في قفص. وفي فيديو ريك جيمس Rick James يقوم ريك باغتصاب حبيبته. وفي أغنية مايكل جاكسون (الطريقة التي تجعلينني أشعر بها The Way You Make Me Feel) تطارد عصابة امرأة وحيدة. عرضت فرقة الروك دوران دوران Duran Duran شخصيات نسائية في سلاسل، ولاحظت سوزان ج. كول أنَّ أغنية (بنات في الفيلم Girls

on Film، تبدو فيها الفتيات كما لو أنّهن خرجن للتو من فيلم من التصنيف)(*). وفي عرض لأليس كوبر Alice Cooper ذكرت صحيفة **الغارديان** (دمية بحجم وشكل امرأة تستلقي على الأرض أمامه، مصفدة اليدين وترتدي شبكة صيد ممزقة وملابس ملاصقة للجسم، تبدو كأنّها قد تعرضت للاختناق حتى الموت بخرطوم بلاستيكي). وجاء في أغنية لفرقة الروك غنز آن روزز Guns 'n' Roses: (كنت أحبها، لكن كان عليّ قتلها). القيام بنقد تطرف موسيقى الروك يعرض الناقد لتهمة أنّه رجعيّ. لكن بالعودة إلى هذه الصور، فإنَّ موسيقى الروك هي الرجعية. إنَّ صور النساء المخنوقات وصور النساء في الأقفاص لا تتخطى الحدود، إنما هي كليشيهات سائدة للنظام الاجتماعي السائد. تفشل موسيقى الروك في الارتقاء إلى مستوى تقاليدها الهدامة عندما تثير نفس السادومازوخية القديمة المتأصلة بدلاً من اللعب بالأدوار الجندرية لجعلنا ننظر إليها من جديد.

لسوء الحظ، فإنَّ الأصالة الموسيقية ليست الشيء الوحيد المهدد بالضياع: تقوم قناة إم تي في بتحديد مؤشر الجمال للشابات اليوم. إذا كانت النساء الموصوفات في الثقافة الجماهيرية بأنهنّ (جميلات) ويعتدى عليهن، فإنَّ الاعتداء أصبح إشارة للرغبة. بالنسبة إلى الشباب يعرف (الجمال) بأنّه لا يقول لا أبداً، وأنّه ليس بشرياً على الإطلاق: توضح أرقام الاغتصاب بعد المواعيد الغرامية ما هي الدروس التي تلقيها تلك الثقافة.

عام ١٩٨٦، ذكر الباحث نيل مالاموث Neil Malamuth من جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس أنَّ ٣٠ بالمئة من طلبة الجامعات الذكور قالوا إنّهم قد يرتكبون جريمة الاغتصاب إذا كانوا متأكدين من أنهم سينجون بفعلتهم. وعندما غير الاستطلاع كلمة (اغتصاب) إلى (إجبار امرأة على ممارسة الجنس) وصلت النسبة إلى ٥٨ بالمئة. وكُلفت مجلة مِس *Ms* بدراسةٍ موّلها المعهد الوطني للصحة العقلية على ٦,١٠٠ طالبِ جامعي، ذكور وإناث، دُرس فيها ٣٢ حرماً جامعياً في أنحاء الولايات المتحدة. وفي السنة السابقة لهذا الاستقصاء، ارتكب ٢,٩٧١ طالباً جامعياً ذكراً ١٨٧ جريمة اغتصاب و١٥٧ محاولة اغتصاب و٣٢٧ فعلاً من أفعال الإكراه الجنسي و٨٥٤ محاولة تواصل جنسي غير مرغوبٍ فيها. وخلصت دراسة

(*) أعلى تصنيف لأفلام البالغين.

مجلة مِس إلى أنَّ (المشاهد في الأفلام والتلفاز التي تعكس العنف والقوة في العلاقات الجنسية ترتبط ارتباطاً مباشراً باغتصاب المعارف).

وفي دراسة استطلاعية أخرى لـ ١١٤ طالباً جامعياً ذكراً، ظهرت هذه الردود:

(أحب السيطرة على امرأة). ٩١,٣ بالمئة.

(أستمتع بجزء الإخضاع من عملية ممارسة الجنس). ٨٦,١ بالمئة.

(تبدو بعض النساء كما لو أنَّهن يطلبن أن يتعرضن للاغتصاب). ٨٣,٥ بالمئة.

(أشعر بالحماس عندما تعاني امرأة أثناء الجنس). ٦٣,٥ بالمئة.

(سيكون من المثير استخدام القوة لإخضاع امرأة). ٦١,٧ بالمئة.

في المسح الذي أجرته مجلة مس، طالِبٌ ذكرٌ من كل ١٢ طالباً جامعياً (٨ بالمئة من المستجيبين للدراسة) كان قد اغتصب أو حاول اغتصاب امرأة منذ عمر ١٤ (والفرق الوحيد الثابت بين هذه المجموعة وأولئك الذين لم يعتدوا مسبقاً على امرأة هو أنَّ الذين ارتكبوا جريمة الاغتصاب كانوا يقرؤون المواد الإباحية (بتكرار)). الباحثون في جامعتي إيموري وأوبرن في الولايات المتحدة وجدوا أنَّ ٣٠ بالمئة من الطلاب الجامعيين الذكور يصنِّفون وجوه النساء اللاتي يعانين من الضائقة العاطفية (الألم والخوف) على أنَّها وجوه جذابة جنسياً أكثر من الوجوه التي تُظهر المتعة؛ ومن بين أولئك ٦٠ بالمئة كانوا قد ارتكبوا أفعال اعتداء جنسية.

يزداد وضع المرأة سوءاً. في دراسة مجلة مِس: واحدة من كل ٤ مستجيبات للدراسة كُن قد مررن بتجربة اغتصاب أو محاولة اغتصاب حسب التعريف الرسمي الأمريكي. من بين ٣,١٨٧ امرأة شملهن الاستطلاع، كان هنالك ٣٢٨ مغتصبة، و٥٣٤ محاولة اغتصاب؛ ٨٣٧ امرأة تعرضت لإكراه جنسي، و٢,٠٢٤ عانَيْن من تواتر اتصال جنسي غير مرغوب فيه. يُظهِر الاغتصاب في إطار المواعدة حصول الخلط المتولد عند الشباب بين الجنس والعنف، أكثر مما يظهره الاغتصاب من شخصٍ غريب. من بين النساء اللاتي تعرضن للاغتصاب ٨٤ بالمئة عرفن المعتدي، و٥٧ بالمئة كُن قد اغتصبن أثناء المواعيد الغرامية. وبالتالي فإنَّ الاغتصاب في المواعيد الغرامية أكثر شيوعاً من اليد العسرى ومن إدمان الكحول ومن الأزمات القلبية. عام ١٩٨٢ وجدت دراسة لجامعة أوبرن أنَّ ٢٥ بالمئة من

طالبات الجامعات قد مررن لمرة واحدة على الأقل بتجربة اغتصاب؛ ٩٣ بالمئة منهن كانت من قريب. ومن بين الشباب في جامعة أوبرن ٦١ بالمئة كانوا قد أجبروا امرأة على اتصال جنسي ضد رغبتها. وأظهرت دراسة لجامعة سانت كلاود St. Cloud State University عام ١٩٨٢ أنَّ ٢٩ بالمئة من الطالبات قد تعرضن للاغتصاب. ٢٠ بالمئة من الطالبات في جامعة داكوتا الجنوبية تعرضن للاغتصاب أثناء موعد غرامي. وفي جامعة براون ١٦ بالمئة تعرضن للاغتصاب أثناء موعد غرامي. ١١ بالمئة من طلاب جامعة براون الذكور قالوا إنَّهم أجبروا نساءً على الجنس. وفي نفس السنة في جامعة أوبرن ١٥ بالمئة من الطلاب الجامعيين الذكور قالوا إنَّهم قد اغتصبوا امرأة في موعد غرامي.

احتمال اغتصاب امرأة من أحد المعارف أكبر بـ ٤ مرات من احتمال اغتصابها من شخصٍ غريب. يرى الشباب والشابات العنف الجنسي على أنَّه طبيعي: (أظهرت دراسة تلو الأخرى أنَّ النساء اللواتي تعرضن للاغتصاب من الرجال الذين يعرفنهم لم يُعَرِّفن تلك التجربة أساساً على أنَّها اغتصاب)؛ وفقط ٢٧ بالمئة من النساء في عينة دراسة مجلة مِس قُمن بذلك. هل عدم قدرتهن على تسمية ما حدث لهن (اغتصاب) يعني أنَّهن يتهربن من التأثيرات اللاحقة للاغتصاب؟ ٣٠ بالمئة من الشابات اللواتي تعرضن للاغتصاب ـ سواء سَمَّين ذلك اغتصاباً أم لا ـ فكرن بالانتحار بعد ذلك. سعت ٣١ بالمئة منهن للعلاج النفسي، وقالت ٨٢ بالمئة إنَّ تلك التجربة غيرتهن تغييراً دائماً. قالت ٤١ بالمئة من النساء اللائي تعرضن للاغتصاب إنَّهن يتوقعن تعرضهن للاغتصاب مرة أخرى. عرفت متلازمة ما بعد الصدمة على أنَّها اضطراب نفسي عام ١٩٨٠، وهي الآن تُعرف بشيوعها بين الناجين من الاغتصاب. النساء اللواتي لا يسمين اغتصابهن باسمه يبقين يعانين من نفس الاكتئاب وكره الذات ورغبات انتحارية بين الحين والآخر مقارنةً مع اللواتي يسمينه باسمه. من المرجح أن تؤثر تلك التجارب جنسياً على الشابات: ففي دراسة مجلة مِس ٤١ بالمئة من الشابات المغتصبات كُن عذارى؛ ٣٨ بالمئة كُن بين ١٤ و١٧ من العمر عند حصول الاعتداء. بالنسبة إلى كل من المغتصب والضحية في الدراسة، فقد كان العمر المتوسط ١٨,٥ سنة. ولدى الطالبات الجامعيات علاقات تتضمن العنف الجسدي: فبين ٢١ و٣٠ بالمئة منهن ذكرن تعرضهن للعنف من شريكهن في المواعدة.

وعند المراهقات الصغريات يتجه الأمر للأسوأ. ففي دراسة جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس على أطفال بعمر ١٤ حتى ١٨ سنة، كتب الباحثون: (يبدو أننا اكتشفنا بعض الدلائل المقلقة بأنَّ هنالك جيلاً جديداً يدخل عالم علاقات الكبار، يحمل على نحوٍ صادم أفكاراً بالية). أكثر من ٥٠ بالمئة من الأولاد، وتقريباً نصف البنات، كانوا يظنون أنّه لا مشكلة بالنسبة إلى الرجل أن يغتصب امرأة إذا كان مثاراً جنسياً تجاهها. وفي استطلاع حديث في تورنتو ذُكِر أنَّ الأطفال يتعلمون أنماط الهيمنة والخضوع في سن مبكرة: ذكر طفل من كل ٧ أطفال في الصف ١٣(*) أنّه كان يرفض كلمة «لا» كإجابة لما يَطلب، بينما فتاة من كل ٤ فتيات من نفس العمر ذكرت أنّها أجبرت جنسياً في إحدى المرات. ذكرت ٨٠ بالمئة من الفتيات المراهقات أنّهن قد انخرطن مسبقاً في علاقات عنف. وطبقاً لسوزان ج. كول: (على الرغم من الآمال بحصول نقيض هذا، إلا أنَّ المواد الإباحية والثقافة الجماهيرية يعملان على انهيار الحياة الجنسية بالاغتصاب، معززين أنماط هيمنة الذكور وخضوع النساء، فيصبح كثير من الشباب مؤمناً أنَّ هذا هو الجنس ببساطة. يعني هذا أنّه في المستقبل سيعتقد كثيرٌ من المغتصبين أنّهم يتصرفون ضمن معايير مقبولة اجتماعياً).

سبَّب التمثيل الثقافي لهذا التدهور اللامع حالة بين الشباب يغتصب فيها الصبية وتتعرض الفتيات فيها للاغتصاب على أنّه المسار الطبيعي للأمور. قد يكون الأولاد غير مدركين أنَّ ما يقومون به خاطئ؛ قد تُنشئ صور العنف الجنسية بحق جيلاً من الشباب يمكنهم اغتصاب أي امرأة حتى دون أن يعلموا هذا. عام ١٩٨٧ قُتلت شابة في حديقة سنترال بارك في نيويورك (جنيفر ليفين Jennifer Levin) بعد أن تعرضت لجنس سادومازوخي؛ وذكر زميل في الصف بجفاء لصديقٍ أنَّ هذا هو النوع الوحيد من الجنس الذي يعرف أنَّ الناس يمارسونه. وفي عام ١٩٨٩ اغتصب خمسة مراهقين في نيويورك عدّاءة شابة وضربوها بوحشية. كانت الجرائد مليئة بالأسئلة المذهلة: هل كان ذلك سباقاً؟ هل كان ذلك درساً؟ لم يلاحظ أحد أنّه في الثقافة المبطنة الخيالية التي رُبّي عليها الشباب كان ذلك طبيعياً.

(*) آخر صف في المرحلة الثانوية.

تظهر هذه الأرقام أنَّ التثقيف المفرط بشأن الإيدز كان ساذجاً تماماً. إذا كانت ربع الشابات خضعن للسيطرة في مرحلةٍ ما أثناء لقاء جنسي، فليس لديهن فرصة جيدة في حماية أنفسهن من المرض الفتاك. في حديثٍ عن العنف الجنسي في جامعة ييل، كان الموضوع الأكثر شيوعاً هو جريمة جديدة تم تجاهلها إلى حدٍّ كبير: عندما تشترط امرأة لقاءً جنسياً آمناً دون حصول اختراق جنسي، لكن يقوم الرجل بالقذف فيها ضد رغبتها. فحينها لن يحقق التثقيف بخصوص الإيدز الكثير حتى يتم تعليم الشباب عدم اغتصاب الشابات، وتعليمهم كيفية تحقيق الثقة والموافقة؛ وحتى تُدعم الشابات بالطريقة التي يحتجنها ليتمكّن من إعادة تحديد رغباتهن. فقط عندما يحصل هذا سيكون الجنس في عصر الإيدز خالياً من هالة الخوف التي يبدو أنه يحملها الآن كثيرٌ من طلاب الجامعات.

في أفلام الشباب وأدبهم الحديث يكون العنف الجنسي أو العزلة الجنسية هو السمة المميزة. في فيلم للمخرج ستيفن سودربرغ Steven Soderbergh لا يستطيع البطل أن يجامع امرأة حقيقية، إنما يقوم بالاستمناء بمشاهدته للاعترافات الجنسية للنساء المسجلة على شريط فيديو. وفي فيلم للكاتب بريت إيستون إيليس Bret Easton Ellis Less Than Zero يشاهد أطفال أغنياء يشعرون بالملل أفلاماً عن المخدرات الاستنشاقية (والخلفية السائدة في هذا الفيلم هي فتاة في مقتبل مراهقتها مقيدة على سرير تُغتصب مراراً وتكراراً). وفي فيلم للمؤلفة تاما جانوفيتس Tama Janowitz تظهر نساء كإماء جنسيات في مقابل السكن. ويسأل إعلان متاجر بلومينغديل Bloomingdale إذا كنتِ (أمةً لحبيبك)، وهو سؤال يستند إلى رواية بالمناسبة. وفي كتاب الشهوة *Lust* للكاتبة سوزان مينوت Susan Minot تقوم البطلة بوصف فسقها بأنه يجعلها تشعر (كشريحة من لحم عجل). وتسعى بطلة فيلم أَحِبَّني بِوُدٍّ لإذلالٍ جنسيٍّ عنيفٍ متزايد (غنت سينيد أوكونور Sinead O'Connor: (مثل الأوقات التي قمنا بها بالأمر بقسوة شديدة، كان هنالك دمٌ على الجدار)). يقتصر الحب الجنسي الرومانسي في ثقافة الشباب على علاقات الشواذ، يبدو الأمر كما لو أنه ـ في أجواء من صور الجنس المتغاير العنيف ـ ارتد الشباب إلى غرابة جنسية مملة مؤلمة تتجاوز صعوبة الحرب؛ أشبه بالحياة اليومية في مدينة مسلحة، لا يتحدث فيها المواطنون والجنود مع بعضهم.

من الواضح أنَّ هذا التصور سيئ للجنس. فهل هو جيد للحب؟

الجمال ضد الحب

تحت ظل الغموض الأنثوي، يبقى الرجال يجهلون تفاصيل الحياة الجنسية والولادة عند النساء. يبقى الآباء الجدد في غرف الانتظار في المستشفى. ويصرف النظر عن حماية نفسه من الأمراض التناسلية والزواج القسري(*)، فإنَّ الرجل يترك موضوع منع الحمل للمرأة. كان الحيض من المحرمات. أُبعدت مهام تدبير المنزل ورعاية الأطفال عن الرجل. كانت هذه التفاصيل جزءاً من مجال المرأة، كما أبعدت مهمة العمل وجلب المال عن المرأة، والتي فصلتها عن الرجل بخطٍّ لا يمكن تجاوزه. أن يصبح الرجل على اتصال بـ (أسرار الأنثى) في التكاثر والرعاية المنزلية كان يعني ـ على ما يبدو ـ أنَّه يضع نفسه تحت رحمة قوة سحرية تسبب إخصاءه: كان من المفترض جعل الرجال يُغمى عليهم أو يصبحون جبناء أو فقط يقومون بفوضى فظيعة. لذلك عندما سلَّم بابا المنهك بغضب طفلاً رضيعاً إلى ماما المعتدة بنفسها، كان يسلمها إشادةً بجهله وخبرتها. كانت على نحوٍ طبيعي أفضل منه معرفةً. إنَّ عبور خط الجنس يعرض الرجال للسخرية.

أما اليوم، يشعر كثير من الرجال بالحرية بأن يكونوا آباء حقيقيين. أولئك السعداء بما أعطتهم أبوتهم إياه يمكنهم النظر إلى الوراء، إلى هذا السيناريو، ورؤية كيف أنه استثناهم من شيء قيم للغاية. ولأنَّ التقدير القديم ترك العمل الشاق للنساء، بدا أنَّ السخرية تدور حولَّهن. لكن، ولأنَّ الملل والإزعاج المرافقَيْن لـ (أسرار النساء) لا ينفصلان عن المتعة، كانت السخرية حول الرجال أيضاً. ومنذ وقتٍ ليس ببعيد، كان تقسيم هذه المهمات يعد بيولوجياً وغير قابل للتغير. لكنه تغير الآن.

اليوم، تبدو (أسرار النساء) التي تحيط بالجمال في الناحية الجنسية (الجمال كحياة جنسية) حيوية وغير قابلة للتغير، وهي أيضاً محجوبة بتملقٍ يتلاعب بالنساء، بينما يبدو أنَّها تقدم للرجال معاملة جنسية أفضل، وهي تثقل كاهل النساء بالالتزامات بينما تبعد الرجال ـ تحت نفس الضغط ـ عن مصدر الفرح. يجب على الرجل اليوم مواجهة السخافة التي سيتعرض لها من باقي الرجال إذا انضم إلى

(*) الزواج القسري، والذي غالباً ما يحدث عقب ممارسة الجنس قبل الزواج مع حصول حمل.

شريكته متجاوزاً أسطورة الجمال. وفي تلك اللحظة، تكون السخرية عن كليهما. لكن يمكن تغيير ذلك أيضاً.

تشكل أسرار الجمال التي احتلت المساحة التي أخلاها الغموض الأنثوي المواضيع التي تراقبها النساء بأنفسهن. هنالك دراسة واحدة رئيسية على الأقل تثبت أنَّ الرجال يشعرون بالغضب تجاه أسطورة الجمال، كما تشعر النساء بالغضب تجاهها أيضاً. (انشغالها بمظهرها واهتمامها بوجهها وشعرها) يصنف من بين الصفات الأربع الأولى التي تغضب الرجال من النساء. هذه الأسرار هي ما لا يعرف الرجال كيفية مناقشته مع النساء اللواتي يحاولن أن يحببن دون أن يتعرضن للأذية. هُن يعدن ما كان ضائعاً تقريباً عندما تركت النساء وضعهن كإماء عند الرجال: الشك والعداء وعدم الفهم والانصياع والغضب.

لنقل إنَّ رجلاً يحب امرأة بالفعل؛ يراها حليفته، زميلته. لكنها تدخل هذا العالم الآخر وتصبح غامضة. لكن في بقعة الضوء الكريبتوني، والذي لا يراه هو أساساً، تسقط مريضة، خارج طبقته الاجتماعية، وتتحول إلى محظورةٍ من اللمس.

هو يعرفها بأنَّها واثقة من نفسها، لكنها تقف على مقياس الحمام وتغرق في اندفاعٍ من الإيذاء الذاتي. هو يعرفها بأنها ناضجة، ولكنها تأتي للمنزل بقصة شعر سيئةً، تنوح من الغضب الذي تخجل حتى من التعبير عنه. هو يعرفها بأنها رشيدة، لكنها تخرج دون جزمة شتوية لأنَّها أنفقت المال المخصص لنصف أسبوع على زيت معدني مغلف ببراعة. هو يعرفها بأنها تشاركه حبه للبلد، لكنها ترفض الذهاب معه إلى بعض الأماكن إلى أن تنتهي فترة صيام الربيع. لديها شخصية اجتماعية، لكنها ترفض بوقاحة قطعة من كعكة عيد ميلاد، وذلك فقط لتلتهم بقايا أي شيء على الإطلاق في ضوء بارد عند الفجر.

لا شيء مما سبق يمكنه أن يقول عنه إنه صحيح. لا يستطيع التحدث. كل ما يقوله سيؤذيها أكثر. فإذا أراحها بوصف هذه المسألة أنها تافهة، فهو لا يفهم. إنَّها ليست تافهة على الإطلاق. وإذا اتفق معها أنَّها مسألة جدية فعلاً، فالأمر أسوأ: هو إذاً لا يحبها، هو يظن بأنَّها سمينة وبشعة. إذا قال إنَّه يحبها كما هي، فالأمر أسوأ أيضاً: هو لا يظن إذاً بأنَّها جميلة. إذا أعلمها أنَّه يحبها لأنها جميلة، فهذا هو الأسوأ على الإطلاق، على الرغم من أنَّها لا تستطيع التحدث عن هذا مع

أي شخص. من المفترض أن يكون هذا هو أكثر ما ترغب فيه في العالم، لكنه يجعلها تشعر بالفقدان وأنها غير محبوبة ووحيدة.

هو يشهد شيئاً لا يمكنه مطلقاً فهمه. يحافظ غموض سلوكها على أمان منطقة من عدم الفهم في نظرته إلى حبيبته. فهو يحمي أرضاً محرمة على الرجال، منطقة غير صالحة لسكن الجنسين معاً، منطقة حيث يمكن فيها للرجل والمرأة أن يجرؤوا على الدعوة لوقف إطلاق النار.

ربما يستسلم. وربما تستمر معه العصبية أو التنازل. وما لم يتمتع بالسلطة التي يعطيها إياه هذا الشيء عليها، فقد يشعر بمللٍ شديد. فكذلك تكون المرأة إذا حُبس الرجل الذي أحبت في شيءٍ عديم القيمة تماماً، في مكانٍ حيث لا شيء تقوله يمكن أن يستوعبه.

حتى عندما يتمكن الرجل والمرأة من بناء تلك القلعة الرملية (العلاقة القائمة على المساواة) والسكن فيها فهذا هو المد غير المكترث؛ يضمن هذا بقاء علامة على المرأة تميزها بأنَّها ذات الشيء القديم، نصف طفلة ونصف همجية. يمكنه اختيار ما يريده. وهنا لا تزال الإهانات القديمة على الأقل سارية.

تقول مثلاً: (إنها جميلة، أليس كذلك؟)، فيرد: (إنها مقبولة)، ترد عليه: (هل تظن أنَّني بجمالها؟)، فيرد: (أنتِ رائعة)، ترد عليه (هل يجب أن أقص شعري مثلها؟)، يقول لها: (أنا أحبك كما أنت)، فتقول له بغضب: (ماذا تقصد؟). قامت الثقافة بضبط الأمر بحيث يستمر الرجل والمرأة بإيذاء وإهانة أحدهما الآخر حول هذه المسألة. لا يستطيع أيٌّ منهما الفوز ما دام هنالك تفاوتات في قوى الجمال. في حوار آخر، يقول الرجل شيئاً يعد رومنسياً جداً في ثقافة خالية من أسطورة الجمال، مثل: إنَّه يحبها عملياً لذاتها. لكن في ثقافة النساء، يجب أن ترمي المرأة هديته في وجهه: يفترض بهذا أن يكون أقل قيمة عنده من تصنيفها على أنَّها عمل فني من الدرجة الأولى. إذا اعتبر حبه لها (كما هي) أكثر إثارة من تصنيفها على أنها من فئة ٤ نجوم، فستشعر المرأة بالأمان وأنها مرغوبٌ فيها وليس هنالك ما يحل محلها؛ لكن حينها لن تحتاج لشراء الكثير من المنتجات. قد تحب حينها نفسها كثيراً، قد تحب باقي النساء كثيراً، قد ترفع صوتها معبرةً عما بداخلها.

لذلك ضبطت أسطورة الجمال الأمر على هذا النحو: التصنيف الرفيع لها كعمل فني هو أثمن تقدير تحب المرأة سماعه من عشيقها. إذا قُدِّر وجهها وجسدها لأنَّهما وجهها وجسدها فقط، فذلك يعني أنهما بلا قيمة تقريباً. إنَّه أمر مرتبٌ: تتنافس الأسطورة لجعل النساء يُهِنَّ الرجال من خلال تمحيص التقدير الصادق الذي يقوله الرجال لهن؛ يمكن أن يُهين الرجل المرأة بمجرد تقديرها تقديراً صادقاً. فقد يلوث هذا جملة: (أنت جميلة)، والتي تلي جملة (أحبك) في التعبير عن رابطة الاهتمام بين الرجل والمرأة. لا يستطيع الرجل المخاطرة بإخبار المرأة أنَّه يعشق النظر إليها دون المخاطرة بجعلها غير سعيدة. وإذا لم يقل لها أبداً، فمن المقدر عليها إذاً أن تكون غير سعيدة. وأكثر النساء (حظاً) على الإطلاق، والتي يقال لها إنها محبوبة لأنها (جميلة)، غالباً تتعذب لأنها تفتقر أمان أن تكون مرغوباً فيها لأنها تبدو مثلما تحب أن تكون.

هذه المشاحنات غير المجدية أعمق بكثير من مجرد إظهار أن النساء غير آمنات. ليس الحديث غير الآمن ما تهتم به المرأة، إنما (إذا كان لديها تقدير للذات) هو العدائية: لِمَاذا يكون عشيقها (لمجرد كونه ذكراً) في موضع يستطيع فيه الحكم عليها مقابل باقي النساء؟ لِماذا يجب أن تحتاج لمعرفة موقعها وتكره الحاجة لذلك، تكره معرفته؟ لمَ يجب أن يمتلك رده كل هذه القوة المبالغ بها؟ وهو يمتلكها بالفعل. هو لا يعلم بأنَّ ما يقوله سيؤثر على الطريقة التي تشعر بها عندما يقومون بالجماع مرة أخرى. هي غاضبة لعدة أسباب منطقية لا علاقة لها بمقاصد الرجل هذه خاصةً. ويذكرها التبادل بأنَّهما ـ على الرغم من النسيج الكامل للمساواة المنسوج بعناية ـ ليسا متساويين بهذه الطريقة التي من الحاسم فيها أن طرف خيطها الخارج من مكانه سيكشف البقية.

تماماً كما أنَّ (الجمال) لا يتعلق بالجنس، فهو لا يتعلق أيضاً بالحب. وكما أنَّ امتلاكه لا يمنح المرأة الحب، فإنّ أسطورة الجمال تدعي أنه يجب حصول هذا. لأنَّ (الجمال) معادٍ للحب للغاية، لدرجة أنَّ كثيراً من النساء الجميلات يسخرن من الرجال. كتب ويليام ييتس Yeats بلطف: (عزيزتي، فقط الله وحده يمكن أن يحبك لذاتك فقط/وليس لشعرك الذهبي). يقصد بهذا الاقتباس أن يكون أشبه إلى حدٍّ ما بآية مفرحة، لكنه مأساة ملحمية في ثلاثة أسطر؛ فهو يعني أنَّ المرأة الجميلة مستثناة إلى الأبد من المكافآت والمسؤوليات الخاصة بالحب

البشري، ذلك أنَّها لا تستطيع الثقة بأنَّ أي رجل سيحبها (لذاتها فقط). هنالك شكوك شيطانية تكمن في الأسطورة تجعل (الجمال) غير الشخصي شرطاً أساسياً للحب: أين يذهب الحب عندما يختفي الجمال؟ وإذا لم يحب المرأةَ أحدٌ (لذاتها فقط)، فمن سيحبها؟ عرف أودن Auden أن ما (ترعرع في عظام) كلٍّ من الرجال والنساء ليس التعطش (لحبٍّ عالمي/إنما لأن يكونوا محبوبين). (الحب) الذي تقدمه أسطورة الجمال عالمي: شقراء هذا العام مملوءة الشفاه، وحورية سمراء مصفرة شعثاء في هذا الموسم.

لكننا نتوق لأن نكون محبوبات بالطريقة التي نحن عليها، إذا كُنا محظوظات كالأطفال: نلمس كل إصبع قدم، ومع كل طرفٍ نراه نصرخ من البهجة، لأنه كان ملكنا وحدنا؛ شعورٌ لا يضاهى. وكبالغين نسعى للتحرر من مقاييس المقارنة هذه في حبٍّ رومنسي: ففي عيون المحب الحقيقي للمرء، حتى الرغبة الأصعب تصديقها، كلٌّ منا ستكون (أجمل امرأة)، لأنّنا سنرى ونعرف بأنفسنا بحق. ومع ذلك، تعطينا أسطورة الجمال المفهوم المعاكس، وهو: إذا كان هنالك مجموعة من السمات المحبوبة، فإنَّ هذه السمات قابلة للاستبدال. هذه العناصر التي تجعل كل امرأة فريدة من نوعها (عدم انتظام تقاسيم وجهها غير المتكررة، والندبات الناتجة عن الرضوح في الطفولة، والخطوط والأخاديد الناشئة من حياةٍ من التفكير والضحك والحزن والغضب) تستثنيها من تصنيفات الجمال الأسطوري، ومن الملاعب الساحرة للحب التي أُخبرنا عنها.

من خلال اضطرار المرأة (لتقديم) نفسها لحبيبها على أنَّها (جميلة)، فهي تبقى غير معروفةٍ تماماً. هي تترك سريره في الفجر لتلون وجهها، تترك ذراعيه لتركض حول خزانٍ محاط بأسلاك شائكة. هي تحتاج لمغازلة الغرباء لأن رغبته فيها لا يمكن أن تملأ الثقب الأسود فيها أو تعوضها عما ضحت به. يبقى الاثنان متوازنين على محور انعدام الثقة: وجهها وجسدها.

يُشدَّد على تطبيق ممارسات الجمال حتى يستمر الشعور بأنَّ العلاقات بين الرجال والنساء تقوم على الديكتاتورية، على الرغم من الحركة الاجتماعية تجاه المساواة. وضع متعة الأنثى أو الجنس أو الطعام أو التقدير الذاتي تحت الحكم الشخصي للرجل يحول الرجل إلى مُشرِّعٍ لسعادة المرأة، بدلاً من أن يكون

شريكها في ذلك. (الجمال) اليوم هو ما كانت عليه الرعشة الجنسية للمرأة سابقاً: شيء يُعطيه الرجال للنساء، وذلك إذا خضعن لدورهن الأنثوي وكُنّ محظوظات.

الرجال

بالنسبة إلى كثيرٍ من الرجال، الأسطورة هي دواء يعزلهم عن مخاطر معرفة الذات. إنَّ التفكير في قطعةٍ فنيةٍ مصنوعةٍ من امرأةٍ حيةٍ هو إحدى الطرائق التي يمكن أن يخدع بها الرجل نفسه بأنّه خالد. إذا كانت عينا المرأة مرآته، وتقدمت تلك المرآة بالعمر، فإنَّ الرجل المحدق يجب أن يرى أنّه يتقدم بالعمر أيضاً. وحينها فإنَّ مرآة جديدة أو مرآة خيالية مصنوعة من (الجمال) بدلاً من دمٍ ولحم يتحلّل، يمكنها إنقاذه من وعيه بتقدمه بالسن هذا. الاتصال قد يدمر الطبيعةَ المثاليةَ للمرآة. كتب جون كيتس Keats في (قصيدة الجرة الإغريقية Ode on a Grecian Urn) ما يلي: (لا يمكنها أن تتلاشى، وإن لم تنل منها غبطتك/ستحبك للأبد وتكون نزيهة). القواعد اللغوية الغامضة للجملة ـ التي تعطي ليالي من الأرق لأجيال تلميذات المدارس ـ تكرر وعوداً للنساء أنّهن سيحصلن على الحب فقط إذا هربن من الزمن. هل ستحبه إلى الأبد لأنها نزيهة إلى الأبد؟ الجانب المظلم الذي تسمعه الفتاة هو أنّها إذا لم تكن نزيهة إلى الأبد، فلن يحبها للأبد.

هل أسطورة الجمال جيدة للرجال؟ هي تؤذيهم بتعليمهم كيف يتجنبون حب النساء، هي تمنع الرجال من رؤية النساء بحق. وعلى عكس أيديولوجيتها المعلنة، فهي لا تحفز ولا ترضي الشوق الجنسي. فعند اقتراحها لصورةٍ بدل امرأة حقيقية، يكون لها تأثير مخدر، تنقص جميع الحواس باستثناء حاسة البصر، وحتى البصر يضعف.

قالت سيمون دي بوفوار إنّه ليس هنالك من رجل حرٌ بحق يحب امرأة بدينة. إذا كان ذلك صحيحاً، فما مدى حرية الرجال؟ يمكن للنساء أن يتخيّلن (لأن سائر الجملة عن النساء) الجفاف العاطفي الذي أصاب الرجال في تجربتهم تحت ظل الأسطورة إذا نظرن إلى عشاقهن مرة أخرى محاولات أن يتخيلن صديقاتهن وزميلاتهن ينتقدنهن في اختيار شريكهن (مهما يكن لديه من ذكاء أو قوة أو شهرة أو مظهرٍ جنسي أو غنى أو لطف) فقط لكونه لا يشبه منحوتة شاريوتيليز Charioteer للنحات براكسيتيليز Praxiteles.

تفهم النساء أنه يوجد نوعان متميزان من الاقتصاد: هنالك انجذاب جسدي، ثم هنالك (المثالية). عندما تنظر المرأة إلى الرجل، فقد تكره جسدياً فكرة طوله أو لونه أو شكله. لكن بعد أن تحبه وتعشقه، لن ترغب في أن يكون شكله مختلفاً أبداً: بالنسبة إلى العديد من النساء، يبدو الجسم أنه يزداد جمالاً وإثارةً بزيادة حبهن للشخص في ذلك الجسد. الجسم الحقيقي ورائحته والشعور الناتج عند رؤيته وصوته وحركته، جميعها تصبح مشحونة بالحرارة في الشخص المرغوب فيه الذي يحرك هذا الجسد. حتى إنَّ جيرترود ستاين Gertrude Stein قالت عن بيكاسو: (لم يكن هنالك من شيء خاصٌ جذاب فيه عند النظرة الأولى.. لكنَّ نوره، النار الداخلية التي يشعر بها المرء فيه، أعطته نوعاً من قوى الجذب المغناطيسية لم أكن قادرةً على مقاومتها). وعلى نفس المنوال يمكن أن تعجب المرأة برجل كعمل فني، لكنها تخسر الاهتمام الجنسي به إذا تبين أنَّه أحمق. الطريقة التي تنظر بها النساء إلى أجساد الرجال من الناحية الجنسية هي دليل على أنَّه يمكن للمرء النظر لشخصٍ ما بطريقة جنسية دون اختزاله أو اختزالها إلى مجموعةٍ من القطع.

ماذا يحصل للرجل الذي يكتسب امرأة جميلة، يكون (جمالها) هو هدفه الوحيد؟ إنَّه يخرب نفسه. لم يحصل على صديق ولا حليف ولا ثقةٍ متبادلة: هي تعرف تمام المعرفة لما اختيرت. وهو نجح في شراء ريبة متبادلة يعتريها عدم الأمان. لقد حصل على شيء، وهو: تقدير باقي الرجال الذين يجدون مثل هذا المكسب مذهلاً.

يحصل بعض الرجال على إشباعٍ جنسيٍّ من (الجمال) الموضوعي لامرأةٍ ما، تماماً كما تشعر بعض النساء بالمتعة الجنسية عند التفكير بقوة الرجل وماله. لكن غالباً ما تكون لمكانة عالية، لشكل من أشكال الافتخار، تستمد قوتها من الرجل الذي يتخيل بأنَّ رفاقه يتخيلونه يفعل ما يفعله أثناء فعله له. يشعر بعض الرجال بالإثارة الجنسية عندما يشم رائحة جلد فرش سيارة جديدة من شركة مرسيدس بينز. ليس الأمر أنَّ تلك الإثارة ليست حقيقية، إنما هي قائمة على معنى حدده رجالٌ آخرون لذلك الجلد. فهو ليس ارتباطاً جنسياً نفسياً عميقاً بذلك الجلد نفسه. هنالك حتماً استجابة ذكورية انعكاسية (وليست غريزية) للاقتصاد البارد

لأسطورة الجمال، لكن يمكن فصل هذا كلياً عن الانجذاب الجنسي، عن الحوار الدافئ للرغبة.

عندما تشتعل الرغبة الجنسية عند الرجال بالرموز الجنسية أكثر من النشاط الجنسي للمرأة نفسه، يصبحون عبدة أوثان. تعامل الوثنية الجزء كما لو أنَّه كُلٌّ؛ الرجال الذين يختارون عشيقة على أساس (جمالها) وحده يعاملون المرأة على أنَّها وثن؛ أي يعاملون جزءاً منها، صورتها البصرية (أو حتى بشرتها)، كما لو كان ذلك الجمال هو ذاته الجنسية. اقترح فرويد أنَّ الوثن هو تميمة ضد الفشل في الأداء.

تكمن قيمة المرأة كوثن في الطريقة التي يمنحها بها (جمالها) مكانة في عيون الرجال الآخرين. لذلك عندما يمارس الرجل الجنس مع امرأة اختارها لجمالها غير الشخصي وحده، يبدو الأمر بالنسبة إليه بأنَّ هناك الكثير من الأشخاص في الغرفة معه، وهي ليست من بينهم. هذه العلاقات مخيبة للآمال لأن كليهما يجب أن يعيش حياةً علنية للحصول على هذا التأكيد الثابت المشحون بتكرار للقيمة التبادلية المرتفعة للمرأة. لكن دائماً ما تعود العلاقات الجنسية إلى فضاءٍ خاص، حيث يرتكب الجمال، كإنسان ممل مثل أي امرأة أخرى، الخطأ العنيد المتمثل بأن تكون معروفة.

لا يستطيع بعض الرجال الآن الاستجابة لأي شيء سوى العذراء الحديدية. يقول أستاذ في الكتابة إنه في كل عام، عندما يخصص مقالاً عن صور وسائل الإعلام، تكتب الشابات عن تعبير عشيقهن عن خيبة أمله بأن النساء لا يشبهن اللواتي يظهرن في المواد الإباحية. إذا كان بعض الرجال (بحاجة) إلى مواد الجمال الإباحية (قام ألفريد بينيت Binet بتجارب بسيطة أثبتت أنه عندما يسبق عرض الصور الجنسية صورة جزمة، يحصل الرجل على استجابة جنسية لصورة الجزمة لوحدها) فذلك يرجع إلى أن بصمة استجابة التحفيز تحصل في أفضل الظروف المختبرية، وهي: الجهل الذي يحاول المجتمع الحفاظ عليه في الرجال حول الحياة الجنسية للإناث.

لذلك حتى النساء اللواتي يأخذن مواد الجمال الإباحية من الرجال ويحببنها ويحاولن، بل وحتى ينجحن، في أن يبدون مثل أولئك النساء في الصور يُحكم عليهن بخيبة الأمل. الرجال الذين يقرؤون تلك المواد الإباحية لا يفعلون ذلك لأنهم يريدون نساءً يبدون هكذا. جاذبية ما يحملونه هي أنها ليست امرأة، بل فراغاً

ثنائي الأبعاد على شكل امرأة. جاذبية المادة ليست هي الخيال بأنَّ تلك العارضة ستبعث للحياة، إنما بأنها تماماً لن يحدث لها ذلك أبداً. فبعثها إلى الحياة يفسد تلك الرؤية. لا يتعلق الأمر بالحياة.

الجمال المثاليُّ مثاليٌّ لأنه غير موجود: وهنا تكمن النقطة الفاصلة في الفجوة بين الرغبة والرضا. النساء لسن جميلات جمالاً كاملاً دون وجود مسافة تفصلهن عمن ينظر إليهن. ذلك الفراغ مربحٌ في ثقافة المستهلك. تتحرك أسطورة الجمال بالنسبة إلى الرجال كسراب، تكمن قوته في طبيعته دائمةِ الانحسار. وعندما تغلق هذه الفجوة، لا يحتضن الحبيب سوى خيبة أمله من الواقع.

تقوض الأسطورة في الواقع الانجذاب الجنسي. الانجذاب أشبه بحوار أو رقص أو توازن على سلك على ارتفاعٍ شاهق يعتمد على الصفات الفريدة والذكريات وأنماط الرغبة الخاصة للشخصينِ المعنيين؛ بينما (الجمال) عامٌّ. يتعلق الانجذاب بالتوافق الجنسي: شخصان يتخيلان كيف سيتفاعلان معاً.

(الجمال) مرئي فقط، لذا يكون أكثر واقعية في الفيلم أو على حجر مما قد يكون في الأبعاد الثلاثة الحية. البصر هو الإحساس الذي يحتكره المعلنون، والذي يمكنهم التلاعب به على نحوٍ أفضل بكثير مما يستطيع البشر الوصول إليه. ولكن مع الحواس الأخرى، يكون الإعلان في موقف ضعيف: حيث يمكن للبشر أن يشموا ويتذوقوا ويلمسوا ويصدروا أصواتاً أفضل بكثير من أحسن الإعلانات. لذلك، حتى يصبح الإنسان مستهلكاً موثوقاً غير آمنٍ على نفسه من الناحية الجنسية، يجب تدريبه بعيداً عن هذه الحواس الأخرى الأكثر إثارة. يحتاج المرء إلى وجود مسافة، حتى في غرفة النوم، للحصول على نظرة جيدة حقاً؛ بينما الحواس الأخرى أكثر إبهاجاً عن قرب. يترك (الجمال) الرائحة، والاستجابة الجسدية، والأصوات، والإيقاع، والكيمياء، والملمس، والملاءمة، لصالح صورة على وسادة.

شكل الجسم ووزنه وملمسه وإحساسه أمورٌ حاسمة لتحقيق المتعة، ومع هذا فإنَّ الجسم الجذاب لن يكون مطابقاً؛ ذلك أنَّ العذراء الحديدية هي إنتاج مستمر ضخم موحد المواصفات. ينمو عالم الانجذاب بصورة أكثر هدوءاً وبرودة، حيث يبدأ الجميع (النساء أولاً، والرجال قريباً) يصبحون متشابهين. يفقد الناس بعضهم بافتراض كثرة الأقنعة. لقد فُقدت الدلالات.

للأسف، فإن الإشارات التي تسمح للرجال والنساء بالعثور على شركائهم الذين يرضونهم أكثر من غيرهم يزاحمها انعدام الأمن الجنسي الذي بدأه التفكير الجمالي. لا يمكن للمرأة الواعية لذاتها الاسترخاء، وذلك للسماح لإثارتها الجنسية بالحضور. وإذا كانت جائعة فستكون متوترة. إذا (تجهزت)، فستكون في حالة تأهب لانعكاسها في عينيه. إذا شعرت بالخجل من جسدها، فستظل حركتها ثابتة. إذا لم تشعر بأنها مؤهلة للحصول على الاهتمام، فإنها لن تطالب المجال حولها بالتألق بها. إذا كان مجال رؤيته مغلقاً بـ (الجمال) (هو غلافٌ يتقلص باستمرار)، فهو ببساطة لن يرى حبه الحقيقي واقفاً أمامه مباشرة.

يعيد كريستيان لاكروا للنساء أنوثتهن، هذا ما جاء في عنوان إعلانٍ للموضة. لكن (الأنوثة) هي رمزٌ للإناث، بغض النظر عن أي شيء يبيعه المجتمع. إذا كانت (الأنوثة) تعني النشاط الجنسي للإناث وحبهنّ لتلك الجنسانية، فلن تفقدها المرأة أبداً ولا تحتاج إلى شرائها. حيثما نشعر بالسعادة، تكون جميع النساء يمتلكن أجساماً (جيدة). ليس من الضروري أن ننفق المال ونتضور جوعاً ونكافح وندرس لنصبح مثيرات للشهوة الجنسية؛ فلطالما كُنّا كذلك. نحتاج إلى ألّا نصدق أنّه علينا بطريقةٍ ما كسب رعايةٍ جنسيةٍ جيدة؛ نحن نستحقها دائماً.

الأنوثة جميلة، وكذلك الجنسانية المرافقة لها. لطالما شكت النساء بذلك بسرية. في تلك الجنسانية، المرأة جميلة جسدياً مسبقاً، رائعة، بدرجة تحبس الأنفاس.

يرى الكثير من الرجال الأمر بهذه الطريقة أيضاً. الرجل الذي يريد تعريف نفسه بأنه عاشق حقيقي للنساء يُعجب بما يظهر من ماضي المرأة على وجهها، قبل أن تراه، وبالمغامرات والتوترات التي خضع لها جسدها، وبالندبات الناتجة عن الرضوح، وبالتغييرات الناتجة عن الولادة، وبسماتها الشخصية المميزة، وبالنور في تعبيرها. إن عدد الرجال الذين ينظرون بالفعل بهذه الطريقة أكبر بكثير مما يريده منا المسيطرون على الثقافة الجماهيرية أن نصدقه، ذلك أن القصة التي يحتاجون سردها تنتهي بالأخلاقيات المعاكسة لهذا.

الكذبة الكبيرة هي فكرة تقول بأنّه إذا كانت الكذبة كبيرة كفاية فسيصدقها الناس. فكرة أن النساء البالغات ـ بمجموعتهن المتطورة الكاملة من الخصائص الجنسية ـ غير كافيات لتحفيز وإرضاء الرغبة الجنسية للذكور متغايري الجنس،

وأنَّ (الجمال) هو ما سيكملهن، هي الكذبة الكبيرة لأسطورة الجمال. كل ما حولنا يناقضه الرجال. الحقيقة هي أنَّ نسخة الأسطورة للنشاط الجنسي غير صحيحة بحكم التعريف: معظم الرجال المثارين بالنساء في هذه اللحظة، يغازلونهن، واقعون في حبهن، يحلمون بهن، متيمون بهن، أو يمارسون الجنس معهن. يقوم هؤلاء الرجال بذلك لنساء يبدون أنهنّ يشبهن أنفسهن تماماً.

قولبت الأسطورة النشاط الجنسي في رسومات كرتونية من خلال تمثيلها: في أحد الأطراف (المسمى (الذكر)، والمدعم بالمواد الإباحية التقليدية) هنالك السرية والتكرار والتجريد من البشرية، وفي الطرف الآخر (المسمى (الأنثى)) هنالك الرغبة الجنسية التي لا يمكن فصلها عنه، لكنها تشوب الحياة كلها، ولا تقتصر على الأعضاء التناسلية، إنما تتدفق على الجسم بكامله؛ إنها تشمل الشخصية والملمس والتحسس.

إنَّ هذه الأقطاب ليست بيولوجية. لا شك أن النساء الناشئات على الحرية يكُنّ أكثر تناسلية وأنانية بخصوص صحتهن ولديهن فضول شديد تجاه أجساد الرجال مما تسمح به الأنثى المتطرفة؛ وربما الرجال الناشئون على الحرية أكثر انخراطاً عاطفياً وهشاشةً ويعطون بصحةٍ جيدة وشهوانيون بكامل أجسادهم أكثر مما يسمح به الرجال المتطرفون. الجمال الجنسي هو جزء مساوٍ ينتمي إلى كلٍّ من الرجال والنساء، والقدرة على الإبهار لا تتعلق بجنسٍ بعينه. عندما ينظر الرجال والنساء لبعضهم متجاوزين أسطورة الجمال، فإنَّ ذلك سيجلب إثارة جنسية أعظم بين الجنسين، وصراحةً أعظم أيضاً. نحن لسنا غير مفهومين جنسياً لبعضنا كما يُراد بنا أن نصدق بحق.

الهوامش

Kinsey: Alfred Kinsey et al.: *Sexual Behavior in the Human Female* (Philadelphia: W. B. Saunders Co., 1953); cited in Debbie Taylor et al., *Women: A World Report* (Oxford: Oxford University Press, 1985), p. 62.

Destroying it: Rosalind Miles, *The Women's History of the World* (London: Paladin Grafton Books, 1988), p. 115.

Sex is learned: See Elaine Morgan, *The Descent of Woman* (New York: Bantam Books, 1972), pp. 76, 77. According to Morgan:

"You might imagine that copulation was such a basic and 'instinctive' process that it would be very little affected by learning and imitation...but as far as sex is concerned, you would be wrong, at least about primates. Harlow and Harlow's experiments in the 1950's proved beyond doubt that if a baby monkey is reared in isolation, unable either to experiment with coevals or to observe its elders copulating (which young primates do, with great curiosity and often at hamperingly close quarters, whenever they can), then, when it grows up, it hasn't got the faintest idea how to go about it, and if it is a male, it dies without issue."

Jack Sullivan: Quoted in Jane Caputi, *The Age of Sex Crime* (Bowling Green, Ohio: Bowling Green State University Popular Press, 1987), p. 63.

Siskel: Quoted ibid., p. 84. Life and art converged in the 1980s: In the novel *Confessions of a Lady Killer*, a sex killer stalks feminists; *Tightrope*, the hero fantasizes strangling a feminist rape-crisis counselor; in December 1989, a man shot fourteen young women in Canada, shouting, "I hate feminists."

France: "French Without Fears," *The Observer* (London), September 17, 1989, Screen Actors Guild: "Actresses Make Less Than Men, New Study Says," *San Francisco Chronicle*, August 2, 1990.

Next to *Time*: Susan G. Cole, *Pornography and the Sex Crisis* (Toronto: Amanita Enterprises, 1989), p. 37.

The authorities in Sweden: Anita Desai, "The Family—Norway," in Taylor et al., op. cit., p. 24.

Spare Rib censored: Caroline Harris and Jennifer Moore, "Altered Images," *Marxism Today*, November 1988, pp. 24–27.

Judy Chicago: Jonetta Rose Barras, "U.D.C.'s $1.6 Million Dinner," *The Washington Times*, July 18, 1990.

Canadian women's film was banned: Caputi, op. cit., p. 72.

Fantasy lives: Taylor et al., op. cit., p. 66.

Less likely to believe a rape victim: Neil M. Malamuth and Edward Donnerstein, eds., *Pornography and Sexual Aggression* (New York: Academic Press, 1984).

Desensitizing: Dolph Zillman and Jennings Bryant, "Pornography, Sexual Callousness and the Trivialization of Rape," *Journal of Communication*, vol. 32 (982), pp. 16–18.

Trivialize the severity: Donnerstein and Linz: "Pornography: Its Effect on Violence Against Women," in Malamuth and Donnerstein, eds., op. cit., pp. 115–138.

Violence alone: Edward Donnerstein and Leonard Berkowitz, "Victim Reactions in Aggressive Erotic Films as a Factor in Violence Against Women," *Personality and Social Psychology Bulletin*, vol. 41, (1981), pp. 710–724.

Wendy Stock, "The Effects of Pornography on Women," testimony for the Attorney General's Commission on Pornography, 1985.

Carol L. Krafka, "Sexually Explicit, Sexually Violent and Violent Media: Effects of Multiple Naturalistic Exposures and Debriefing on Female Viewers," doctoral thesis, University of Wisconsin, 1985.

Consumerism: Barbara Ehrenreich, Elizabeth Hess, and Gloria Jacobs, *Re-Making Love: The Feminization of Sex* (London: Fontana/Collins, 1986), p. 110.

Orgasm: For statistics on orgasm, see Shere Hite, *The Hite Report* (London: Pandora Press, 1989), pp. 225–270.

Kaplan: Helen Singer Kaplan, *The New Sex Therapy* (New York: Brunner/Mazel, 1974).

Seymour Fischer: See *Understanding the Female Orgasm* (New York: Bantam Books, 1973).

British women: Wendy Faulkner, "The Obsessive Orgasm: Science, Sex and Female Sexuality," in Lynda Birke et al., *Alice Through the Microscope* (London: Virago Press,

1980), p. 145. See also R. Chester and C. Walker, "Sexual Experience and Attitudes of British Women," in R. Chester and J. Peel, *Changing Patterns of Sexual Behaviour* (London:

Academic Press, 1979).

Danish women: K. Garde and I. Lunde, "Female Sexual Behaviour A Study of a Random Sample of Forty-Year-Old Women," *Maturita*, vol. 2 (1980).

Sudanese women: A. A. Shandall, "Circumcision and Infibulation of Females," Faculty of Medicine, University of Khartoum; cited in Taylor et al., op. cit., p. 61.

Foolishly decides: Alice Walker, "Coming Apart," in *You Can't Keep a Good Woman Down* (San Diego: Harcourt Brace Jovanovich, 1981), pp. 41–53.

I fantasize: Nancy Friday, *My Secret Garden: Women's Sexual Fantasies* (London: Quartet Books, 1985), p. 147.

Strongly dissatisfied: Dr. Thomas Cash, Diane Cash, and Jonathan Butters, "Mirror- Mirror on the Wall: Contrast Effects and Self-Evaluation of Physical Attractiveness," *Personality and Social Psychology Bulletin*, vol. 9 (3), September 1983.

Hutchinson: Jane E. Brody, "Personal Health," *The New York Times*, October 20, 1988.

The old man kissed her: Miles, op. cit., pp. 97, 141.

Swept away: see Carol Cassell, *Swept Away: Why Women Confuse Love and Sex* (New York: Simon & Schuster, 1984); for a sychoanalytic explanation of the overdetermination of the female body, see Dorothy Dinnerstein, *Sexual Arrangements and the Human Malaise*, (New York: Harper Colophon, 1977).

48.7 percent of U.S. abortions: "Paths to an Abortion Clinic: Seven Trails of Conflict and Pain," *The New York Times*, May 8, 1989.

1983 random survey: Report of the Los Angeles Commission on Assaults Against Women.

See Page Mellish, ed. "Statistics on Violence Against Women," *The Backlash Times*, 1989.

By her husband or ex-husband: Diana E. H. Russell, cited in Angela Browne, *When Battered Women Kill* (New York: Free Press, 1987), p. 100. For U.S. marital rape figures of one wife in ten, see David Finkelhor and Kersti Yllo, *License to Rape: Sexual Abuse of Wives* (New York: The Free Press, 1985). Menachem Amir's figures, now thought to be too low, showed rates of rape for black women to be 50 percent; for white women, 12 percent, or one in eight. See Menachem Amir, *Patterns in Forcible Rape* (Chicago: University of Chicago Press, 1971), p. 44. See also Diana E. H. Russell, *Rape in Marriage* (Bloomington: Indiana University Press, 1982), p. 66.

Dutch families: see *Geweld tegen vrouwen in heteroseksuele relaties* (Renee Romkers, 1989); *Sexueel misbruik van meisjes door verwanten* (Nel Draijer, 1988).

Sweden: Research by Gunilla Bjarsdal. Stockholm: Legenda Publishing Research, 1989.

For an international overview of the prevalence of marital rape, see Diana E. H. Russell, "Wife Rape in Other Countries," in *Rape in Marriage*, pp. 333–354.

Canada: Caputi, op. cit., p. 54.

England: R. Hall, S. James, and J. Kertesz, *The Rapist Who Pays the Rent* (Bristol, England: Falling Wall Press, 1981). Spousal rape was not a crime in Canada until 1983, in Scotland until 1982, and is not yet a crime in England or in many states in the United States.

London women: Ruth Hall, *Ask Any Woman: A London Inquiry into Rape and Sexual Assault* (Bristol, England: Falling Wall Press, 1981).

Epidemic: Mellish, op. cit. Also Lenore Walker, "The Battered Woman," *The Backlash Times*, 1979, p. 20. Walker estimates that as many as 50 percent of all women will be battered at some point in their lives.

Harris poll: See Browne, op. cit.

94–95 percent of cases: Ibid., p. 8.

Assault each year: Ibid., pp. 4–5.

One quarter of violent crime in United States: M. Barret and S. McIntosh, in Taylor et al., op cit.

Researchers in Pittsburgh: Browne, op. cit., pp. 4–5.

Canadian married women: Linda McLeod, *The Vicious Circle* (Ottawa: Canadian Advisory Council on the Status of Women, 1980), p. 21. One woman in Canada raped every 17 minutes: See Julie Brickman, "Incidence of Rape and Sexual Assault in Urban Canadian Population," *International Journal of Women's Studies*, vol. 7 (1984), pp. 195–206.

NIMH study: Browne, op. cit., p. 9.

Incest: Kinsey et al., op. cit., *Sexual Behavior in the Human Female*, cited in John Crewdson, *By Silence Betrayed: Sexual Abuse of Children in America* (Boston: Little, Brown, 1988), p. 25.

Diana Russell: Reported in ibid., p. 25.

Bud Lewis: Ibid., p. 28.

Worldwide research...year out: Taylor et al., op. cit.

Anorexics...sexually abused: Deanne Stone, "Challenging Conventional Thought," an interview with Doctors Susan and Wayne Wooley, *Radiance*, Summer 1989.

Elizabeth Morgan: Quoted in Joyce Egginton, "The Pain of Hiding Hilary," *The Observer*, November 5, 1989.

Sexual pleasure...not from a good place: Caputi, op. cit., p. 116.

Theorists...of pornography: See Susan Griffin, *Pornography and Silence* (London: The Women's Press, 1988); Susan G. Cole, *Pornography and the Sex Crisis* (Toronto: Amanita,

1989); Andrea Dworkin, *Pornography: Men Possessing Women* (New York: Putnam, 1981); Gloria Steinem, "Erotica vs. Pornography," in *Outrageous Acts and Everyday Rebellions* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1983), pp. 219–232; Susanne Kappeler, *The Pornography of Representation* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1986).

12 percent of British and American parents: "Striking Attitudes," *The Guardian*, November 15, 1989, citing *The British Social Attitudes Special International Report* by Roger Jowell, Sharon Witherspoon, and Lindsay Brook(London: Social and Community Planning Research, Gower, 1989).

MTV: Quoted in Caputi, op. cit, p. 39.

Alice Cooper: Adam Sweeting, "Blame It on Alice," *The Guardian*, December 1, 1989.

Ms. magazine: Robin Warshaw, *I Never Called It Rape: The* Ms. *Report on Recognizing, Fighting and Surviving Date and Acquaintance Rape* (New York: The Ms. Foundation for Education and Communication with Sarah Lazin Books, 1988), p. 83; research by Mary P. Koss, Kent State University, with the Center for Prevention and Control of Rape.

Relate directly to acquaintance rape: Ibid., p. 96.

"I like to dominate a woman": Survey was conducted by Virginia Green-linger, Williams College, and Donna Byrne, SUNY-Albany; cited in Warshaw, p. 93.

8 percent of college men had raped: Ibid., p. 84. The pornography that respondents read consisted of: *Playboy, Penthouse, Chic, Club, Forum, Gallery, Genesis, Oui* or *Hustler*.

58 percent of college males: John Briere and Neil M. Malamuth, "Self-Reported Likelihood of Sexually Aggressive Behavior Attitudinal versus Sexual Explanations," *Journal of Research in Personality*, Vol. 37 (1983), pp. 315–318.

30 percent rated faces showing distress more attractive: Alfred B. Heilbrun, Jr., Emory; Maura P. Loftus, Auburn University; cited in ibid., p. 97. See also: N. Malamuth, J. Heim, and S. Feshbach, "Sexual Responsiveness of College Students to Rape Depictions: Inhibitory and Disinhibitory Effects," *Social Psychology*, vol. 38 (1980), p. 399.

Among 3,187 women: Warshaw, op. cit, p. 83.

Heart attacks: Ibid., p. 11.

Auburn University: Ibid., pp. 13–14. Also at Auburn University, Professor Barry R. Burkhart found that 61 percent of male students said they had sexually touched a woman against her will.

Did not call it "rape": Ibid., pp. 3, 51, 64, 66, 117.

Violence from dating partner Browne, op. cit., p. 42.

Fourteen- to eighteen-year-olds: See study by Jacqueline Goodchild et al., cited in Warshaw, op. cit., p. 120.

A recent survey in Toronto: Caputi, op. cit., p. 119.

Preoccupation with face and hair: Daniel Goleman, "Science Times," *The New York Times*, March 15, 1989.

William Butler Yeats: "For Ann Gregory," in *The Collected Poems of W. B. Yeats* (London: MacMillan, 1965).

Mary Gordon: *Final Payments* (London: Black Swan, 1987).

Gertrude Stein: Quoted in Arianna Stassinopoulos, *Picasso: Creator and Destroyer* (New York: Simon & Schuster, 1988).

المخمصة

رأيت ألمع عقول جيلي يدمرها
الجنون، والمخمصة..

ألن غينسبرغ،
(العواء Howl).

هنالك مرض آخذٌ في الانتشار، يطوف على الأبكار من أبناء أمريكا الذكور، على أفضلهم وألمعهم، وبعد أن يمسهم يعرضون عن الطعام، تبرز عظامهم نتيجة انحسار اللحم من عليها، تغزو الظلال وجوههم، يمشون ببطء، بجهد العجائز، وترى لعاباً أبيض يسيل على شفاههم، لا يمكنهم ابتلاع الطعام إلا حبيباتٍ من الخبز، وقليلاً من الحليب منزوع الدسم. أصاب في البداية عشرات الأطفال، ثم المئات، ثم الآلاف، وحتى ـ في العائلات الأكثر ثراءً ـ ترى أنّه أصاب طفلاً من كل ٥ أطفال في الخامسة من عمره. يُنقل كثير منهم إلى المستشفى، ويموت الكثير.

يموت أولاد الحي اليهودي صغاراً، وقد تعايشت أمريكا مع هذا الأمر، لكن هؤلاء الصبية هم المميزون منهم، الذين يجب أن يقلدوا مقاليد العالم برفق: قائدٌ لفريق برينستون لكرة القدم، ومديرٌ لنادي بيركلي للحوار، ومحررٌ لجريدة هارفارد كريمسون *Harvard Crimson*. ثم ربع فريق دارتموث للرجبي يسقط مريضاً، ثم ثُلث الداخلين في جمعيات ييل السرية. يضيع على نحوٍ انتقائي الورثة والصفوة والمندوبون الجدد لمنتدى الأمة.

ينتشر هذا المرض الأمريكي شرقاً، يصيب الشباب الذكور في جامعة السوربون، في جمعيات إنس أوف كورت في لندن، وصل إلى إدارة مدينة لاهاي، في منحها الدراسية، في مكاتب صحيفة دي تست *Die Zeit*، وتراه في جامعات إدنبره وتوبنجن وسلامانكا. يزدادون نحولاً أكثر فأكثر، بالكاد يستطيعون الحديث بصوتٍ مرتفع، لقد فقدوا شهوتهم الجنسية، لم يعد باستطاعتهم تحمل أدنى جهد، حتى جهد الضحك أو النقاش. عندما تراهم يركضون أو يسبحون يبدون مروعين: الأرداف منهارة، وعظم العصعص بارز، والركبتان تطرقان ببعضهما، والأضلاع نافرة على الجلد كأنها رفوف. ولكن، ليس هنالك من سببٍ طبيٍّ لكل هذا.

يتغير المرض مرةً أخرى. أصبح من الجلي في كل أمريكا أنَّه مقابل كل هيكل عظمي مولود بصحة جيدة هنالك على الأقل ٣ شبان آخرين (يُؤمل لهم مستقبل باهر أيضاً) يقومون بشيء بنفس غرابة ذلك الوصف. فبمجرد أن يبتلع الواحد منهم شرائح اللحم ونبيذ الراين، يتوارى عن الأنظار، لدفع أصبعه في حلقه ليقيء كل ما تناوله من غذاء. يهيمون على وجوههم مجدداً في متاجر موريس، أو متاجر (٢١)، مرتجفين وشاحبين. وفي النهاية يرتّبون حيواتهم بحيث يمكنهم إمضاء ساعات كل يوم على نفس المنوال، تركز أدمغتهم المدربة تدريباً عالياً فقط على فتحتي العار: الفم والمرحاض؛ المرحاض والفم.

ولكن وفي هذه الأثناء ينتظرهم الكبار ليشغلوا مكانهم: المساعدون في جريدة النيويورك تايمز، المقاعد الشاغرة في البورصة، التدريب المهني مع القضاة الفيدراليين. خُطب تحتاج إلى كتابة، وبحوث يجب أن تجرى على الملخصات بين ضجة مطارق القضاة وطنين أجهزة الفاكس. ما الذي يحدث للشباب الناعم، في قصات الشعر الأشبه بالفرشاة تلك، وسراويل الكاكي؟ من المؤسف رؤية هذه الأشكال. في غداء العمل يخفون أقراص لحم العجل تحت أوراق الخس، يتناولون الأدوية المسهلة بسرية، يتقيؤون بعد ولائم الاحتفال بدخول الجامعة وبعد حفلات الباب الخلفي(*). تعج غرفة الرجال في أوستر بار Oyster Bar بذلك. واحد من كل خمسة طلاب في الجامعات تُذكر أسماؤهم بكل فخر.

(*) حفلات الباب الخلفي: حفلات تجري في فسحات عامة، يفتح فيها الناس الباب الخلفي لسيارتهم ليخرجوا ما يريدونه من صندوقها، ويجلسون عندها، ومنها سمّيت بهذا الاسم.

كيف سيكون رد فعل أمريكا على اتخاذ المخمصة أبناءها المفضلين أضاحيَ يُضحّى بهم بأعداد هائلة؟ كيف ستمنع أوروبا الغربية تصدير مثل هذا المرض؟ قد يتوقع المرء استجابةً عاجلة: تجتمع فرق عمل الأزمات في غرف استماع الكونغرس، وتجري اجتماعات غير مجدولة للخريجين، ويستأجر أفضل الخبراء، ويُنشر الأمر في مجلات الأخبار، في موجة من المقالات الافتتاحية في تلك المجلات، تلوم ذاك وتردّ اللوم عن ذاك، وتنشر النشرات والتحذيرات والأعراض والتحديثات؛ وباء قد أُعلن عنه بالخط الأحمر العريض. الأبناء المميزون هم المستقبل؛ لكنَّ المستقبل ينتحر.

بالطبع لا أخفيك أنَّ هذا يحدث الآن بالفعل، لكنَّ الفرق الوحيد هو الجنس. إنَّ المؤسسات التي تحمي وتروج لهذه الأمراض في سبات عن التأثيرات. وقد غط الضمير العام في النوم بسرعة. تموت الشابات بسبب الجمود المؤسساتي: ٤٠٠ دولار في الفصل هي المنحة الجامعية للمركز النسائي لتعليم (المساعدة الذاتية)، وخمسون لدفع تكلفة محادثة في فترة ما بعد الظهر مع الطبيب الزائر. لا يتجه العالم نحو النهاية، ذلك أنَّ الطفل العزيز من كل ٥ أطفال الذي (اختار) أن يموت ببطء ظهر أنه فتاة. وهي فقط تفعل تماماً ما يتوقع منها فعله في أحسن الأوقات.

ما يصل إلى عُشر شابات أمريكا، وخُمس الطالبات في الولايات المتحدة، أسيرات في معسكرات التجويع الفردية تلك. عندما يسقطن لا توجد لهن حفلات تأبين، لا يحصل تدخل عبر برامج التوعية، لا تُبعث رسالة رسمية من مدارسهن وجامعاتهن بأنَّ المجتمع يفضل أن تتناول الشابات الطعام وينتعشن بدلاً من أن يمرضن ويمتن. لا تُنزل الأعلام تنديداً بحقيقة أنّه في كل المسيرات الاحتفالية بالرداء الأسود هنالك طابور خامس من رؤوس الموت.

كان لدى فيرجينيا وولف في كتابها **غرفة تخص المرء وحده** *A Room of One's Own* رؤية مفادها أنَّ الشابات في يوم من الأيام ستتاح لهن إمكانية الوصول إلى المكتبات الغنية المحرمة عليهن في كليات الرجال، إلى مروجهم الغارقة، والرقاع التي يستخدمونها، والضوء الأحمر الداكن. لقد اعتقدت أن ذلك سوف يمنح الشابات حرية فكرية تبدو أحلى مما تخيلته: القسم المخطئ من طاقم عمل الشمامسة الذي أبعدها عن المكتبة لأنها كانت أنثى. لكن الآن، دفعت الشابات الموظفين الذين كانوا يعرقلون طريق وولف. بالمشي في باحات الكلية

العشبية التي لم تتمالك نفسها أن تكتب عنها، توقفن بسبب حاجزٍ غير مادي غير متوقع. أثبتت عقولهن قدرةً جيدة، لكنَّ أجسادهن تتدمر ذاتياً.

عندما كانت وولف تتخيل مستقبلاً للشابات في الجامعات، تداعت نبوءتها فقط بسبب السخرية الناقصة. ومن دون ذلك، يصعب على المرء أن يتصور الحل الحديث لمشكلة النساء المتمثل بمدارس البنين وكلياتهم الحديثة: لقد اعترفوا بعقولهن، وتركوا أجسادهن. علمت الشابات أنه لا يمكنهن العيش داخل تلك البوابات وداخل أجسادهن في الوقت ذاته.

تجند طائفة إنقاص الوزن النساء في سنٍّ مبكرة، وإنَّ اضطرابات الشهية هي إرث تلك الطائفة. إنَّ القهم العُصابي(*) والشره المرضي أمراض نسائية: من ٩٠ إلى ٩٥ بالمئة من مرضى القهم والشره المرضي هم من النساء. تضم أمريكا أكبر عدد من النساء اللائي وصلن إلى مجالات الذكور، لكنها بالمقابل تتصدر العالم أيضاً من حيث نسبة القهم عند النساء. أفادت المجلات النسائية أن هنالك ما يصل إلى مليون أمريكي مصاب بالقهم، لكن تنص جمعية القهم والشره المرضي الأمريكية على أنَّ القهم والشره المرضي يصيب مليون امرأة أمريكية كل عام. وأشارت إلى وجود ٣٠,٠٠٠ امرأةٍ أصبحن ممارسات للتقيؤ باستمرار.

لا توجد إحصاءات موثوقة حول معدلات الوفاة الناجمة عن القهم، ولكن المرض الذي يصيب ما بين ٥ و١٠ بالمئة من النساء الأمريكيات، ولديه واحدة من أعلى معدلات الوفيات الناتجة عن اضطراب نفسي، يستحق هذا النوع من الاستقصاءات الإعلامية المكرسة لخطورة الأوبئة القاتلة. وعلى الرغم من أنَّ هذا الوباء لم يُظهر القاتل على غلاف جريدة تيم، إلا أنَّه أظهره في أقسام (الأزياء). وحتى الآن، لا يوجد في معاهد الصحة الوطنية أي برنامج تعليمي أو وقائي من ذلك على الإطلاق. لذا يبدو أن السؤال الأساسي: (لماذا يجب على النساء الغربيات أن يتضورن جوعاً؟) هو أحد الأسئلة التي من الخطر طرحها، حتى بوجود هذه الأعداد الهائلة من القتلى.

(*) المترجم: القهم العصابي اضطراب نفسي يتسم بنقص شديد في تناول الطعام والخوف من زيادة الوزن.

جوان جاكوبس برومبرغ Joan Jacobs Brumberg في كتاب **فتيات صائمات: ظهور القهم العصبي كمرض عصري** *Fasting Girls: The Emergence of Anorexia Nervosa as a Modern Disease* تبيّن أنَّ عدد المصابات بالقهم هو ٥ إلى ١٠ بالمئة من جميع الفتيات والنساء الأمريكيات، وتعتقد أنه في الجامعات توجد فتاة من كل خمس فتيات مصابة بالقهم. ازداد عدد النساء المصابات بالمرض على نحوٍ كبيرٍ في جميع أنحاء العالم الغربي في الـ ٢٠ عاماً الفائتة. يقول الدكتور تشارلز أ. ميركوفسكي من مستشفى جرايسي سكوير في مدينة نيويورك، وهو اختصاصي في اضطرابات الشهية، إن ٢٠ بالمئة من النساء الجامعيات الأمريكيات يقمن بدورة من الشراهة والإسهال المتعمد بالأدوية. تشير كيم تشيرنين في كتابها **الذات الجائعة** *The Hungry Self* إلى أنَّ ما لا يقل عن نصف الإناث في جامعات الولايات المتحدة يعانين في وقتٍ ما من الشره المرضي أو القهم. وتتفق روبرتا بولاك سيد Roberta Pollack Seid في كتاب **ليست نحيلة جداً أبداً** *Never Too Thin* مع وجود نسبة ٥ إلى ١٠ بالمئة لفاقدات الشهية بين الشابات الأمريكيات، مضيفة أنَّ ما يصل إلى ستة أضعاف هذا الرقم في الجامعات مصاباتٌ بالنهم. إذا أخذنا الحدود العليا لتلك الأرقام، فهذا يعني أنّه من بين كل عشر شابات أمريكيات في الجامعة هنالك اثنتان مصابتان بالقهم وستٌّ مصابات بالشره المرضي، واثنتان فقط طبيعيات. إذاً بالنسبة إلى الشابات الأمريكيات من الطبقة المتوسطة أصبحت القاعدة هي أنهنَّ يعانين من شكلٍ ما من أشكال اضطرابات الشهية.

إنَّ هذا المرض مرضٌ قاتل. تفيد برمبرغ أن ما بين ٥ إلى ١٥ بالمئة من مرضى القهم في المستشفى يموتون أثناء العلاج، مما يجعل لهذا المرض أحد أعلى معدلات الوفيات الناتجة عن اضطراب نفسي. وتستشهد نيويورك تايمز بنفس معدل الوفيات. يقدر الباحث ل. ك. ج. هسو L.K.G. Hsu أنَّ معدل الوفيات يصل إلى ١٩ بالمئة. ما بين ٤٠ إلى ٥٠ بالمئة من المصابين بالقهم لا يتعافون تماماً أبداً، وهو معدل أسوأ من نسبة الشفاء من تأثيرات المخمصة لضحايا المجاعة الذين نُقلوا إلى هولندا التي مزقتها الحرب عامي ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥، والتي بلغت نسبة شفائهم ٦٦ بالمئة.

تشمل التأثيرات الطبية للقهم العصابي انخفاض حرارة الجسم، والوذمة، وانخفاض ضغط الدم، وبطء القلب (ضعف نبضات القلب)، وظهور الزغب (نادر

طبياً) (نمو شعر الجسم)، والعقم(*)، والموت. بينما تتضمن التأثيرات الطبية للشره المرضي التجفاف، واختلال التوازن الشاردي، وحصول نوبات، وعدم انتظام نظم القلب، والموت. عند الجمع بين الاثنين، يمكن أن يؤدي ذلك إلى تآكل الأسنان، وتآكل المريء، والفشل الكلوي، وتخلخل العظام، والموت. بدأت الأدبيات الطبية في الإبلاغ عن أن الرضع والأطفال الذين يعانون من سوء التغذية بسبب الأمهات المنشغلات بالوزن، يعانون من توقفٍ في النمو، وتأخرٍ في البلوغ، وفشلٍ في جعلهم بصحة جيدة.

وتنتشر هذه الأمراض إلى أمم صناعية أخرى: لدى المملكة المتحدة الآن ٣,٥ مليون مصاب بالقهم أو الشره المرضي (٩٥ بالمئة منهم من الإناث)، مع ٦٠٠٠ حالة جديدة كل عام. أظهرت دراسة واحدة أخرى على الفتيات البريطانيات المراهقات أنَّ ١ بالمئة منهنَّ مصابات الآن بالقهم. ووفقاً للصحافة النسائية، ما لا يقل عن ٥٠ بالمئة من النساء البريطانيات يعانين من اضطرابات الشهية. تقول هيلدا بروش Hilde Bruch إنه في الجيل الأخير، ذُكرت أعداد كبرى من المرضى في منشورات في روسيا وأستراليا والسويد وإيطاليا وكذلك بريطانيا العظمى والولايات المتحدة. تبلغ النسبة في السويد الآن من ١ إلى ٢ بالمئة من الفتيات المراهقات، مع نفس النسبة المئوية من الإناث اللائي تتجاوز أعمارهن ١٦ عاماً. النسبة في هولندا ١ إلى ٢ بالمئة. والأمر منتشر أيضاً عند مراهقي إيطاليا، حيث يعاني ١ بالمئة منهم من القهم أو الشره المرضي (٩٥ بالمئة منهم من الإناث)، بزيادة قدرها ٤٠٠ بالمئة خلال السنوات العشر الماضية. وهذه مجرد البداية لأوروبا الغربية واليابان، ذلك أن الأرقام مشابهة لأرقام الولايات المتحدة قبل عشر سنوات، وأن المعدل في ارتفاعٍ كبير، تماماً كما كانت الحال في أمريكا. إنَّ مريضة القهم نفسها أنحف الآن مما كانت عليه الأجيال السابقة من مرضى القهم. يتبع القهم النمط المألوف لحركة أسطورة الجمال: حيث بدأ كمرض في الطبقة الوسطى في الولايات المتحدة وانتشر شرقاً من الناحية الجغرافية وكذلك نزولاً في أسفل السلم الاجتماعي.

(*) <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC3192363/>.

تفيد بعض المجلات النسائية أن ٦٠ بالمئة من النساء الأمريكيات يعانين من مشكلة خطيرة في الأكل. ويبدو أن غالبية نساء الطبقة الوسطى في الولايات المتحدة يعانين من القهم أو الشره المرضي. ولكن إذا عُرِّف القهم على أنه خوف إلزامي من الطعام وإبقائه، فربما يمكن نعت معظم النساء الغربيات بأنّهن مصابات بالقهم النفسي، وذلك بعد عشرين عاماً من ردود الفعل العنيفة.

ماذا حدث؟ لماذا الآن؟ الفكرة الأولى الواضحة هي النحت التدريجي لجسم العذراء الحديدية على مدار قرنٍ من التحرير النسوي، وذلك كرد فعل على هذه الحركة. حتى خمسةٍ وسبعين عاماً خلت كُنا نرى في التقاليد الفنية للذكور في الغرب أنَّ السعة الطبيعية لجسد الأنثى هي رمز جمالها؛ كانت تمثيلات صور النساء العاريات تنشر الفسق بعرض الخصوبة الوافرة للنساء. لقد تأكد وجود اختلاف في توزيعات الدهون المثيرة جنسياً، وذلك باختلاف الموضة (البطون الكبيرة في القرن الخامس عشر حتى السابع عشر، والأكتاف والوجوه الممتلئة في أوائل القرن التاسع عشر، والأرداف والفخذان المتدلية بسخاء تدريجياً حتى العشرينيات). ولكن قبل أن يدخل تحرير المرأة المجال القانوني، لم يحدث أبداً هذا النفي المطلق للحالة الأنثوية، والتي تصورها مؤرخة الأزياء آنّ هولاندر Ann Hollander في كتابها (**الرؤية عبر الملابس** *Seeing Through Clothes*) أنّها من وجهة نظر الناس في أي عصر باستثناء عصرنا هي: (مظهر يدل على المرض، والفقر، ومظهر يدل على الإنهاك العصبي).

أصبحت الحمية الغذائية والنحول شواغل أنثوية عندما حصلت النساء الغربيات على حق التصويت قرابة عام ١٩٢٠. وبين عامي ١٩١٨ و١٩٢٥، كانت (السرعة التي استبدل بها الشكل الخطي الجديد للجسم الشكلَ المتعرج الأكثر رشاقة مذهلةً). في الخمسينيات التراجعية(*)، كان بالإمكان الاستمتاع بالامتلاء الطبيعي لجسد المرأة لفترة وجيزة، لأن عقولهن كانت مشغولة حينها في عزلة منزلية. ولكن عندما دخلت النساء بشكل جماعي في أجواء الذكور، كان يجب السيطرة على هذا السرور من خلال وسيلة اجتماعية عاجلة من شأنها أن تحبس أجساد النساء في سجون غير بيوتهن.

(*) التي بدأت فيها حالة تراجع حالة الجسد الأنثوي.

قبل جيلٍ مضى، كان الوزن المتوسط للعارضة أقل بنسبة ٨ بالمئة من وزن المرأة الأمريكية المتوسط، بينما وزنها اليوم أقل بنسبة ٢٣ بالمئة. ظهرت تويغي Twiggy في صفحات مجلة فوج *Vogue* عام ١٩٦٥، بالتزامن مع ظهور حبوب منع الحمل، لإلغاء تأثيراتها الأكثر جذرية. مَثَلها مَثَل العديد من رموز أسطورة الجمال، كانت ذات حدين، موحيةً للنساء أن يتحررن من قيود إنجاب أجيالٍ جديدة باكراً (حيث إنَّ العقل اللاواعي يرى الدهون الأنثوية جنسانية خصبة)، بينما تبعث الطمأنينة في نفوس الرجال باقتراحها إرساء ضَعف الإناث، ولا جنسانيتهن، وإصابتهن بالمخمصة. كان نحولها ـ المألوف الآن ـ صادماً في ذلك الوقت؛ حتى إنَّ مجلة فوغ قدمت العارضة بقلق: (تدعى (تويغي) بهذا الاسم(*) لأنها تبدو وكأن عاصفةً قويةً ستقسمها إلى قسمين وتضربها بالأرض... لدى تويغي قوامٌ هزيل، شغلت حتى العارضات الأخريات. تبدو ساقاها كما لو أنها لم تحصل على ما يكفي من الحليب عندما كانت طفلة، أما وجهها فيظهر عليه تعبير يوحي للمرء أن سكان لندن الآن يتعرضون لهجوم). تكشف لغة صحافة الموضة الأمر، بكلمات: تحت الرعاية، عرضة لتخضع لقوة ريح شديدة لا يمكنها مجاراتها، يعتريها تعبير يوحي بدهشة المحاصرين. ما هو أفضل رمز لطمأنة مؤسسة تواجه النساء اللواتي سرعان ما انطلقن بمسيرات بأعداد تصل إلى عشرات الآلاف وبقوة وصولاً إلى شركة فيفث أفينو؟

في السنوات العشرين التالية لبداية الموجة الثانية من الحركة النسائية، انخفض وزن لقب ملكة جمال الأمريكتين، وانخفض أيضاً الوزن الوسطي للعشيقات في مجلة إباحية من ١١ بالمئة دون الوزن الوسطي لعام ١٩٧٠ إلى ١٧ بالمئة خلال ٨ سنوات. تدعي العارضة أيمي ليو Aimee Liu في سيرتها الذاتية أنَّ كثيراً من العارضات مصابات بالقهم؛ هي نفسها استمرت كمصابة بالقهم. وبالنسبة إلى الراقصات، ٣٨ بالمئة منهن يُظهرن سلوكاً قهمياً. العارضة أو الراقصة أو الممثلة المتوسطة أنحف من ٩٥ بالمئة من النساء. اتخذت العذراء الحديدية شكلاً قريباً من الهيكل العظمي، وملمس عضلات الرجال بدل شكل النساء وملمسهن، وفيلق النخبة الصغيرة من النساء اللواتي اعتادت أجسادهن على مطابقة شكل العذراء الحديدية، كل أولئك النساء غالباً ما يصبن أنفسهن بالأمراض للقيام بذلك.

(*) Twig: تعني غُصين، وتدل على الهشاشة.

نتيجة لذلك، وحسب مسح أُجري عام ١٩٨٥، فإنَّ ٩٠ بالمئة من المستجيبات يعتقدن أنَّ وزنهن زائد كثيراً. في كل يوم، هنالك ٢٥ بالمئة من النساء يخضعن لحمية غذائية، و٥٠ بالمئة يكن قد أنهين حميتهن أو توقفن عنها أو بدأن بواحدة. كان يتولد كره الذات هذا بسرعة، بالتزامن مع الحركة النسائية: فبين عامي ١٩٦٦ و١٩٦٩ أظهرت دراستان أنَّ عدد الفتيات في المدارس الثانوية اللواتي كُن يعتقدن أنّهن بدينات جداً قد ارتفع من ٥٠ حتى ٨٠ بالمئة. وعلى الرغم من وجود وارثات لمكاسب الحركة النسائية، إلا أنَّ بناتهن ـ فيما يتعلق بهذه الضائقة ـ لسن في وضع أفضل: في دراسة حديثة على فَتيات المدارس الثانوية، كان ٥٣ بالمئة منهن غير راضيات عن أجسادهن في سن الثالثة عشرة؛ ترتفع النسبة إلى ٧٨ بالمئة بالنسبة إلى من في سن الثامنة عشرة وما فوق. وتعد طائفة المخمصة انتصاراً كبيراً قد تحقق على كفاح النساء من أجل المساواة إذا كان دليل مسح مجلة غلامور *Glamour* لعام ١٩٨٤ الذي شارك فيه ٣٣ ألف امرأة ممثلاً للواقع، حيث جاء فيه: ٧٥ بالمئة ممن تتراوح أعمارهن بين الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين يعتقدن أنهن سمينات، في حين أن ٢٥ بالمئة فقط كُن زائدات الوزن حسب التعريف الطبي (نفس النسبة المئوية للرجال)؛ وتعتقد ٤٥ بالمئة من النساء ناقصات الوزن بأنهن كُنَّ سمينات للغاية. ولكن الأكثر إثارة للحزن هي الطريقة التي تعمل بها الأسطورة على الآمال الأساسية للنهوض بالمرأة وإرضائها، حيث اختارت المجيبات في استطلاع مجلة غلامور فقدان عشرة إلى خمسة عشر رطلاً للنجاح في العمل أو في الحب كهدفٍ منشود لهن.

إذا كانت تلك الأرطال العشرة إلى الخمسة عشر ـ والتي أصبحت نقطة ارتكاز ـ ذات دلالة (فيما يتعلق بما تشعر به معظم النساء الغربيات حول أنفسهن)، فهي وسيط لما أسميه (حل الحجر الواحد One Stone Solution). وزن حجر واحد (هذا الحجر هو المقياس البريطاني لأربعة عشر رطلاً) هو ما يحول بين ٥٠ بالمئة من النساء غير مفرطات الوزن ويعتقدن بأنّهن كذلك، وبين كونهن مثاليات. حالما يُفقد ذلك الحجر الواحد (يفقد ذلك الوزن) يصبح وزن أولئك النساء أقل بكثير من الوزن الطبيعي، والذي يكن جميلات فيه أساساً إذا نظرنا إليهن بعينين غير مقيدتين بالعذراء الحديدية. لكن يستعيد الجسم نفسه بسرعة، وتبدأ دورة كسب وفقدان الوزن، مع العذاب المصاحب لها وخطر الإصابة بالأمراض، بأن تصبح ثابتة في وعي المرأة. إن دورات الفشل الحتمية، والتي يضمنها حل الصخرة

الواحدة، تسبب وتعزز باستمرار عُصابنا(*) العصري الفريد. هذا التحول الكبير في الوزن الذي منح للنساء (فقط عندما أصبحن أحراراً بدايةً في نسيانه) ما هو إلا إصدارات جديدة من تدني احترام الذات، وفقدان السيطرة، والعار الجنسي. إنه إنجاز أنيق حقاً لرغبة جماعية: فمن خلال إسقاط الوزن الرسمي ببساطة بمقدار حجر واحد دون المستوى الطبيعي لمعظم النساء، وإعادة تحديد شكل المرأة الأنثوي العادي بالتعريف بأنها به تكون (بدينة جداً)، اجتاحت موجة من الكراهية الذاتية نساء العالم الأول، علم نفس رجعي مثالي، صناعة كبرى قد ولدت. لقد واجهت بشجاعة الموجة الكبيرة التاريخية لنجاح النساء من خلال قناعة جماهيرية بفشل الإناث، فشل مُعرف على أنه ضمني في الأنوثة نفسها.

إن الدليل على أن حل الصخرة الواحدة حلٌّ سياسي يقبع فيما تشعر به النساء عندما يأكلن (أكثر من اللازم): ألا وهو الشعور بالذنب. لماذا يجب أن يكون الشعور بالذنب هو العاطفة الفعالة، وتكون الدهون عند النساء مشكلة أخلاقية توصف بكلمات مثل الجيدة والسيئة؟ إذا كان تركيز ثقافتنا على سمنة النساء أو نحافتهن يتعلق بالجنس، فستكون مسألة خاصة بين امرأة وعشيقها؛ أما إذا كان الأمر يتعلق بالصحة، فبين المرأة ونفسها. كان النقاش العام سيكون أكثر تركيزاً بشكل هستيري على دهون الذكور أكثر من الإناث، حيث إن الرجال (٤٠ بالمئة منهم) يعانون من زيادة في الوزن حسب التعريف الطبي، بنسبة أعلى من النساء (٣٢ بالمئة). وفرط الدهون أكثر خطورة على الرجال منه على النساء. في الواقع، (فإنَّ الأدلة التي تدعم الادعاء بأن السمنة تسبب تدني الصحة عند النساء ضعيفة(**)... بل وتشير نتائج الدراسات الحديثة إلى أن المرأة قد تعيش في الواقع حياةً أطول وتكون أكثر صحة عموماً إذا كان وزنها أعلى بـ ١٠ إلى ١٥ بالمئة من الأرقام المستخدمة في التأمين على الحياة مع امتناعها عن اتباع حمية غذائية)، حسبما صرحت به Radiance. عندما ترتبط الصحة السيئة بالدهون عند النساء، يكون ذلك بسبب اتباع حمية غذائية مزمنة والضغوط النفسية الناتجة عن كره الذات. واستندت الدراسات التي أجرتها معاهد الصحة الوطنية والتي ربطت

(*) العُصاب: نمط من الاضطرابات العصبية النفسية، والمقصود هنا اضطرابات الشهية.

(**) <https://www.niddk.nih.gov/health-information/weight-management/health-risks-overweight>
<https://www.yourfertility.org.au/everyone/weight>.

بين السمنة وأمراض القلب والسكتة الدماغية إلى عينة من الذكور. وعندما نُشرت دراسة تستند إلى عينة من الإناث أخيراً عام ١٩٩٠، أظهرت أن الوزن لم يؤدِّ إلا لاختلافٍ جزئي عند النساء، مقارنةً بأهميته عند الرجال. يستشهد فيلم المجاعة في الداخل The Famine Within بدراسة جرت في ١٦ دولة فشلت في ربط السمنة بالمرض. فالدهون النسائية ليست في حد ذاتها مرضية.

لكن الدهون عند النساء هي موضوع شغف المجتمع، وتشعر النساء بالذنب إزاء الدهون لديهن، لأنهن يدركن ضمنياً في ظل الأسطورة أن أجساد النساء ليست لهن، بل هي ملك المجتمع، وأنَّ النحافة ليست صفة جمالية خاصة، وأنَّ المخمصة التزام اجتماعي فرضه المجتمع. إنَّ التركيز الثقافي على النحول عند الإناث ليس هاجساً يتعلق بجمال الأنثى، إنما هو هاجس يتعلق بإذعانها. حسب جوديث رودين Judith Rodin (عالمة النفس في جامعة ييل) فإنَّ اتباع حمية غذائية أصبح للمرأة (هوساً معيارياً)، وهي لعبة شغف لا نهاية لها نظراً للتغطية الدولية التي تعدت المخاطر الصحية المرتبطة بالسمنة، واستخدام لغة عاطفية لا نشاهدها حتى في مناقشات الكحول أو تعاطي التبغ. تستغل الأمم الاهتمام القهري حول هذه الميلودراما(*) لأن النساء والرجال يدركون أنَّ الأمر لا يتعلق بالكوليسترول أو معدل ضربات القلب أو تعطيل خط إنتاج الملابس، إنما حول مقدار الحرية الاجتماعية التي ستفوز بها النساء أو يتنازلن عنها. إن التحليل الاختلاجي لوسائل الإعلام للملحمة اللانهائية للدهون النسائية والمعركة الناشبة لهزيمتها هو في الواقع عبارة عن نشرات للحرب الجنسية: حول ما تكسبه النساء أو يخسرنه، وبأي سرعة يحدث ذلك.

يجب أن ينظر إلى التحول الكبير في الوزن باعتباره أحد التطورات التاريخية الكبرى في هذا القرن، كحلٍّ مباشر للمخاطر التي تمثلها الحركة النسائية والحرية الاقتصادية والإنجابية. اتباع حمية غذائية هو المسكن السياسي الأكثر قوة في تاريخ المرأة. الشعب الغاضب داخلياً شعبٌ خاضع. أكد الباحثان إس. سي. وولي S.C. Wooley وأو. دبليو. وولي O.W. Wooley ما تعرفه معظم النساء جيداً، أنَّ الاهتمام بالوزن يؤدي إلى (انهيارٍ فعليٍّ لتقدير الذات والشعور بالتأثير). ووجد الباحثان ج.

(*) المشجاة.

بوليفي J. Polivy وسي. بي. هيرمان C.P. Herman أن (التقييد الشديد للسعرات الحرارية لفترات طويلة ودورية) يؤدي إلى شخصية لها سمات مميزة هي: (الانقياد والركون والقلق والعاطفية). (بعض الحميات تمنع المرأة من تناول كمية الطاقة التي يحتاجها الإنسان في حياته ولو لم تكن سمينة).

ما تريد الثقافة السائدة نشره في الشعور الشخصي بالذات عند النساء المحررات حديثاً هو في الواقع تلك الصفات، وليس النحول بحد ذاته، وذلك لإلغاء مخاطر تحررهن.

بدأ تقدم النساء بمنحهن الصفات المعاكسة (ارتفاع تقدير الذات، والشعور بالتأثير، والنشاط، والشجاعة، ووضوح العقل). لذلك فإنَّ (تقييد السعرات الحرارية لفترات طويلة ودورية) هو وسيلة لقلع أنياب هذه الثورة. لقد تلا التحول الكبير في الوزن وحل الصخرة الواحدة ولادة النسوية مجدداً، بحيث تصبح النساء اللائي وصلن إلى السلطة ضعيفات ومنشغلات ومصابات ـ بتقدم بالأمر ـ باضطرابات نفسية بطرائق مفيدة وبنسبٍ مذهلة. لفهم كيف تمكنت القساوة الهزيلة للعذراء الحديدية المدهشة من كبح تقدم النساء نحو المساواة، علينا أن نرى أنَّ ما هو على المحك فعلاً ليس الأزياء أو الجمال أو الجنس، إنما الصراع على الهيمنة السياسية التي أصبحت ـ من أجل النساء، اللائي لا يدركن في كثير من الأحيان القضايا الحقيقية الكامنة وراء مأزقنا ـ مشكلة حياة أو موت.

هنالك نظريات كثيرة لشرح القهم، والشره المرضي، والتنحيف المعاصر للإناث. فمثلاً تقترح آنَّ هولاندر أن التحول من فن الرسم الجامد إلى الصور المتحركة جعل النحافة توحي بالحركة والسرعة. بينما (ترى) سوزي أورباش Susie Orbach في كتاب **الدهون قضية نسائية** *Fat Is a Feminist Issue* سمنة المرأة كتصريح للأم حول الانفصال عنها والاعتماد على الذات؛ وترى في الأم (تناقضاً فظيعاً عند إطعام وتغذية) ابنتها. تقدم كيم تشيرنين في كتاب **الهوس** *The Obsession* قراءة تحليلية نفسية عن الخوف من الدهون على أساس الغضب الطفولي ضد الأم القوية، وترى الغذاء على أنَّه الثدي الأولي، تكتب تشيرنين عن (العالم الضائع) لوفرة الإناث الذي يجب أن نستعيده: (إذا فهمنا جوهر هوسنا بالجسم الأنثوي.... نستطيع فهم كيف أنه في حالة من الرعب والرهبة بين النساء قد يتحفز [رجل] لإظهار صور عصرية لـ [امرأة] تخبر النساء ضمنياً بأنهن غير

مقبولات... عندما يكن كبيرات الحجم). في كتاب **الذات الجائعة**، تفسر تشيرنين الشره المرضي على أنّه طقس ديني للعبور. وترى جوان جاكوبس برومبرغ أن الطعام لغة رمزية، وأنَّ القهم يمثل بكاءً ناتجاً عن الارتباك في عالم يشتمل على الكثير من الخيارات، وأنَّ (الشهية إنما هي صوت): (الشابات اللاتي يبحثن عن مصطلح يستطعن استخدامه للبوح بأشياء عن أنفسهن، أولئك الشابات يركزن على الطعام وعلى أنماط تناول الطعام). يربط رودولف بيل Rudolph Bell في كتابه **القهم المقدس** *Holy Anorexia* هذا المرض بالاندفاع الديني لراهبات العصور الوسطى، اللواتي يرين المخمصة كوسيلة للتطهير.

نظريات مثل هذه كانت أداة التنوير ضمن سياقٍ خاص، لكنها لا تصل إلى حدٍّ بعيد بما فيه الكفاية. لا تأكل النساء أو يتضورن جوعاً فقط في سلسلة من العلاقات الخاصة، إنما ضمن نظام اجتماعي عام له مصلحة مادية في مشاكلهن في تناول الطعام. الرجال الأفراد لا (ينشرون صوراً عصرية) (في الواقع، يظل البحث يثبت أنهم يشعرون بالحرارة تجاه الأشكال الحقيقية للمرأة وغير متأثرين بالعذراء الحديدية)؛ إنما الشركات متعددة الجنسيات هي من يفعل ذلك. أكدت النظريات العديدة حول أزمات الغذاء عند النساء على علم النفس الخاص أن يهمل السياسة العامة، وأن ينظر في أشكال النساء لمعرفة كيف يعبرن عن صراع بخصوص مجتمعهن، بدلاً من النظر كيف يستفيد مجتمعهن من الصراع المختلَق مع أشكال النساء. وكذلك ركزت العديد من النظريات الأخرى على رد فعل المرأة تجاه المثالية النحيلة، لكنها لم تؤكد أن المثالية النحيلة استباقية، ضربةٌ وقائية.

نحن بحاجة إلى إعادة النظر في جميع المصطلحات مرة أخرى في ضوء جدول الأعمال العام. أولاً ما هو الطعام؟ بالتأكيد، في سياق الأسرة الحميمة، الطعام هو الحب والذاكرة واللغة. ولكن في المجال العام، الطعام هو المكانة والشرف.

يعد الطعام الرمز البدائي للقيمة الاجتماعية؛ فعندما يقَدِّرُ المجتمع شخصاً يغذيه جيداً. يوحي الصحن الممتلئ (القطعة الأفضل) بـ: نعتقد أنك تستحق هذا القدر من موارد القبيلة. تبالغ النساء الساموات(*) ـ اللواتي يمتلكن تقديراً

(*) نساء دولة ساموا.

ذاتياً كبيراً لأنفسهن ـ في مقدار ما يأكلن أيام العيد. يتعلق توزيع الطعام صراحةً بتحديد علاقات القوة، ويدور تقاسمه حول تعزيز المساواة الاجتماعية: عندما يتقاسم الرجال الخبز، أو يشربون نخب الملكة، أو يذبحون لبعضهم عجلاً سميناً، يصبحون سواسية، ومن ثم حلفاء. كلمة companion (رفيق) أتت من كلمتين لاتينيتين تعنيان (مع) و(الخبز)، أي أولئك الذين يتقاسمون الخبز معاً.

ولكن في ظل أسطورة الجمال، والآن بعد أن أصبح تناول النساء الطعام قضية عامة، فإنَّ حصصنا من الطعام تشهد على شعورنا بالدونية الاجتماعية وتعززها. إذا لم تستطع النساء تناول نفس مقدار الطعام الذي يتناوله الرجل، فلن نتمكن من تجربة مكانة مساوية في المجتمع. فما دامت المرأة تُطالب باستحضار عقلية الإنكار الذاتي إلى المائدة الشعبية، لن تصبح مستديرةً أبداً. يجلس الرجال والنساء على المقاعد معاً؛ ولكن بنفس المنصة الهرمية التقليدية، فيوضع للنساء طاولة قابلة للطي عند القدم.

في الوباء الحالي للمرأة الغربية الغنية التي لا تستطيع (اختيار) أن تتناول الطعام، نرى استمرار التقاليد الأقدم والأفقر في علاقة المرأة بالطعام. ينحدر النظام الغذائي الغربي العصري من تاريخ طويل؛ فقد كان على النساء دائماً أن يأكلن بطريقة مختلفة عن الرجال: أقل وأسوأ. ففي روما العصر الهلليني Hellenistic Rome ذكرت الكلاسيكية سارة بي بوميروي Sarah B. Pomeroy أنَّه يخصص للأولاد ١٦ مقداراً من الطعام مقابل ١٢ مقداراً للبنات. وفي فرنسا العصور الوسطى، طبقاً للمؤرخ جون بوزويل John Boswell، تتلقى النساء نسبةً من الحبوب تُعادل ثُلثي النسبة المخصصة للرجال. وعبر التاريخ كله، عندما يكون هنالك الكثير من الطعام، تأخذ النساء القليل، أو لا يأخذن شيئاً: التفسير الشائع بين علماء الأنثروبيولوجيا لقتل الأطفال الإناث هو أنَّ نقص الغذاء يثير هذا التصرف. وطبقاً لمنشورات الأمم المتحدة، حيثما تحل المخمصة فإنَّها تقابل النساء أولاً: ففي بنغلاديش وبوتسوانا، الأطفال الإناث يَمتن أكثر من الذكور، وتصاب الفتيات بسوء التغذية أكثر من الصبية، لأنَّهن يُعطَين حصةً أقل من الغذاء. في تركيا والهند وباكستان وشمال أفريقيا والشرق الأوسط يحصل الرجال على نصيب الأسد من الطعام الموجود، بغض النظر عن مقدار السعرات الحرارية التي تحتاجها المرأة (فقيمة السعرات الحرارية تبعاً للعمل لا تتوافق مع أنماط استهلاك

الغذاء)، وذلك عند مقارنة ما يحصل عليه الرجال مع ما تحصل عليه النساء في شمال إفريقيا، (كما أنَّها ليست مسألة احتياجات فيزيولوجية... إنما تميل هذه الأنماط لضمان أولوية الحقوق للأعضاء (المهيمنين) في المجتمع، والذين هم الرجال البالغون). في المغرب عندما تكون النساء ضيفاتٍ عند إحداهن (يُقسمنَ أنَّهن أكلن للتو) أو أنهن لسن جائعات (وسرعان ما تتعلم الفتيات الصغيرات أن يقدمن حصصهن للزوار، وأن يرفضن اللحم وينكرن الشعور بالمخمصة). وصفت عالمة الأنثروبولوجيا فانيسا ماهلر Vanessa Mahler امرأة من شمال إفريقيا أكدت لزملائها في العشاء أنَّها (تفضل العظم على اللحم). بينما، وحسب فانيسا ماهلر، يُفترض أنَّ الرجال مُعْفَوْن من مواجهة الندرة التي يتشاركها الأطفال والنساء.

ويشير تقرير للأمم المتحدة إلى أن (بلدان العالم الثالث تقدم أمثلة على حالات تعاني فيها طفلاتٌ إناث من سوء التغذية بينما الأطفال الذكور يحصلون على تغذية جيدة، حيث يذهب الغذاء الموجود إلى الأولاد في الأسرة). يعاني ثلثا النساء في آسيا ونصف النساء في إفريقيا وسُدس نساء أمريكا اللاتينية من فقر الدم بسبب نقص الغذاء. ونسبة النساء النيباليات اللواتي يصبن بالعمى نتيجة نقص الغذاء أكثر من الرجال بخمسين بالمئة. وتتشابه الثقافات في هذه الناحية، حيث يتلقى الرجال الوجبات الساخنة، والمزيد من البروتين، وتُسكب لهم الأطباق أولاً، بينما تتناول النساء بقايا الطعام البارد، وغالباً ما يتعين عليهن استخدام الخداع والدهاء للحصول على ما يكفي من الطعام (إضافةً إلى ذلك فإن ما يحصلن عليه من غذاء دائماً ما يكون أقل قيمة غذائية).

لا يقتصر هذا النمط على العالم الثالث: تستطيع معظم النساء الغربيات اللواتي على قيد الحياة اليوم أن يتذكرن أمثلة على ذلك من توزيع الأفراد على طاولة أمهاتهن أو جداتهن. فزوجات عمال المناجم البريطانيات يأكلن بقايا الخبز المنقوع بالدهن بعد أن يأكل أزواجهن اللحوم؛ تأخذ الزوجات الإيطاليات واليهوديات من الطائر الجزءَ الذي لا يرغب فيه أحد.

أنماط السلوك هذه هي المعيار في الغرب الغني اليوم، وما يديمها هو ثقافة حرمان الذات من السعرات الحرارية عند الإناث. منذ جيلٍ مضى، تغير المبرر وراء هذا التقسيم التقليدي: لا تزال النساء يتضوَّرن جوعاً، ويتناولن بقايا الطعام والطعام المخزن ويستخدمن الخداع للحصول عليه، لكنهن الآن يلُمْن أنفسهن.

لا تزال أمهاتنا ينفين أنفسهن من دائرة الأسرة التي تأكل الكعك بأدوات المائدة الفضية من شركة ويدغوود Wedgwood، وكنا نلحقهن إلى المطبخ فنراهن يأكلن البقايا خلسةً. كان النمط التقليدي مغطى بعارٍ حديث، لكنه لم يتغير كثيراً، أصبح ضبط الوزن هو أساسه المنطقي حالما خرجت الدونية الطبيعية من الموضة.

وينفذ الغرب الثري هذا التقسيم التقليدي؛ حيث وجد الباحثون أن الآباء والأمهات في الولايات المتحدة يحثون الأولاد على تناول الطعام، بغض النظر عن وزنهم، في حين يقومون بذلك مع بناتهم فقط إذا كُنَّ نحيلات نسبياً. وفي عينة أطفال تحوي كلا الجنسين، كان ٩٩ بالمئة من الرضّع الذكور يرضعون رضاعةً طبيعية، ولكن النسبة عند الإناث هي ٦٦ بالمئة فقط، مع وقت في الرضاعة أقل بنسبة ٥٠ بالمئة. تقول سوزي أورباش Susie Orbach: (وهكذا، غالباً ما تتغذى البنات بدرجةٍ أقل، وبمشاعر ولطفٍ أقل). لا تشعر النساء بأنهن مؤهلات للحصول على ما يكفي من الغذاء لأنهن منذ الولادة يتعلمن أن يحصلن على كمية أقل من حاجتهن، وذلك في تقليد تتناقله الأمهات جيلاً بعد جيل دون نهاية؛ الدور العام لـ (ضيف الشرف) جديد بالنسبة إلينا، وتخبرنا الثقافة من خلال أيديولوجية تقييد السعرات الحرارية أنّه ليس مرحباً بنا أن نشغل هذا الموقع.

ما هي الدهون إذاً؟ يتم تصوير الدهون في أدب الأسطورة على أنها قذارة نسائية مستهلكة؛ مادة سرطانية فعلياً، تسلل خامل أو غادر إلى جمع النفايات المقززة. لا تنشأ الخصائص الشيطانية لمادة الجسم البسيطة عن خواصها الجسدية، إنما عن كره النساء القديم، لأن الدهون في المقام الأول نسائية؛ إنها الوسيط والمنظم للخصائص الجنسية للإناث.

وفي مختلف الثقافات، تمتلك الإناث منذ الولادة نسبة دهون أكثر بـ ١٠ ـ ١٥ بالمئة مقارنةً مع الذكور. وفي سن البلوغ، تنخفض نسبة الدهون إلى العضلات عند الذكور، بينما تزداد عند الإناث. زيادة نسبة الدهون في الفتيات المراهقات هي سبيل النضج الجنسي والخصوبة لأجسادهن. تمتلك المرأة المتوسطة الصحية البالغة من العمر ٢٠ عاماً ٢٨,٧ بالمئة من الدهون في جسمها. وبحلول منتصف العمر، تبلغ نسبة الدهون في جسم المرأة ٣٨ بالمئة: وهذا خلافاً لخطاب الأسطورة، (ليس الأمر فريداً بالنسبة إلى الدول الغربية الصناعية المتقدمة، إنها معايير مميزة لأنثى النوع البشري). احتياجات السعرات الحرارية للمرأة النشيطة

نشاطاً معتدلاً (مرة أخرى بخلاف أحد المبادئ الأساسية للأسطورة) هي أقل فقط بـ ٢٥٠ سعرة حرارية من الرجل النشيط نشاطاً معتدلاً (٢,٢٥٠ إلى ٢,٥٠٠)، أو ما يعادل أونصتين من الجبن. وإنَّ زيادة الوزن لكلا الجنسين بتقدم العمر أمرٌ طبيعي أيضاً بين الثقافات. من الواضح أن الجسم مبرمج ليزن مقداراً معيناً، وهو الوزن الذي يدافع عنه الجسم.

الدهون جنسية عند النساء، أطلق عليها الفيكتوريون بحب لقب (طبقتهن الحريرية). ويعوق نحول العذراء الحديدية جنسانية الإناث. خُمس النساء اللواتي يمارسن الرياضة لتغيير شكل أجسادهن يحصل لهن اضطرابات حيضية وانخفاضٌ في الخصوبة. تذكري أن جسم العارضة أكثر نحولاً بنسبة ٢٢ إلى ٢٣ بالمئة من جسم المرأة المتوسطة؛ وتريد المرأة المتوسطة أن تكون هزيلة مثل العارضة تماماً، لكن العقم والاضطرابات الهرمونية شائعان بين النساء اللائي تقل نسبة الدهون عندهن إلى الجسم الغث عن ٢٢ بالمئة. يعزز الخلل الهرموني الإصابة بسرطان المبيض وبطانة الرحم وترقق العظام. تخزّن الأنسجة الدهنية الهرمونات الجنسية، لذلك ترتبط احتياطيات الدهون المنخفضة بانخفاض الإستروجين، وانخفاض مستويات جميع الهرمونات الجنسية المهمة الأخرى، وكذلك بتعطل المبايض. تشير روز إ. فريتش Rose E. Frisch من مجلة **سيتيفيك أمريكان** *Scientific American* إلى ارتباط السمنة بالخصوبة في العصر الحجري، قائلةً إن (هذا الارتباط التاريخي بين السمنة والخصوبة منطقيٌّ بيولوجياً) لأن الدهون تنظم التكاثر. لذلك لدى النساء ناقصات الوزن ضِعفُ خطر ولادة أطفال منخفضي الوزن.

لا تتعلق الدهون عند النساء بالخصوبة فقط، إنما بالرغبة أيضاً. وجد باحثون في مستشفى مايكل ريس في شيكاغو أنَّ النساء السمينات يرغبن في الجنس أكثر من النحيفات(*). وعلى مقاييس قابلية الإثارة الجنسية والاستعداد، فقد تغلبن على النساء النحيلات بنسبة الضعف تقريباً. إنَّ مطالبة المرأة بأن تصبح نحيلة بدرجة

(*) (المترجم: صحيح أن مرضى القهم تنقص عندهم الشهوة الجنسية، لكن زيادته أيضاً تنقصها، وأضع روابط في الملحق لدراسات حول الأمر) لكن زيادته أيضاً تنقصها:

<https://www.webmd.com/sex-relationships/features/sex-and-weight#1>.

<https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC4580485/>.

<https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC3201733/>.

<https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC2820601/>.

غير طبيعية هو مطالبتها بأن تتخلى عن حياتها الجنسية: (تظهر الدراسات باستمرار أنّه بالحرمان الغذائي تتبدد الاهتمامات الجنسية). وقد توقفت المشاركات في إحدى التجارب عن الاستمناء أو تخيل خيالات جنسية عندما خضعن لحمية غذائية تحوي ١,٧٠٠ حريرة في اليوم، وهي أكثر بـ ٥٠٠ حريرة من حمية بيفرلي هيلز الغذائية. تؤثر المخمصة على الغدد الصماء، فيعد انقطاع الطمث وتأخر البلوغ سمات شائعة عند النساء والفتيات اللواتي يتضورن جوعاً؛ أما الرجال الجائعون فيفقدون شهوتهم الجنسية ويصبحون عاجزين، وأحياناً تظهر لهم أثداء. تشير عيادة العجز الجنسي في جامعة لويولا إلى أن اضطرابات إنقاص الوزن لها تأثير أسوأ بكثير على النشاط الجنسي للإناث مقارنة باضطرابات زيادة الوزن؛ فالنساء الأثقل أكثر تلهفاً للمغازلة والجنس، في حين أنَّ المصابات بالقهم (قلقات للغاية على أجسادهن لدرجة أن لديهن عدداً أقل من الخيالات الجنسية، ومواعيد غرامية أقل، ورغبة أقل في ممارسة الجنس). ذكرت **مجلة نيوإنغلاند للطب** *New England Journal of Medicine* أنَّ التمارين الشديدة تُفقد الرغبة بممارسة الجنس. تؤكد جوان جاكوبس برومبرغ على أنَّ (الأدبيات السريرية تشير إلى غياب النشاط الجنسي عند المصابين بالقهم). وكتبت ميت بيرغستروم Mette Bergstrom: (من النادر أن يشعر المصابون بالشره المرضي بالمتعة في ممارسة الجنس، بسبب الكره الشديد للجسم). وكتبت روبرتا بولاك سيد: (يبدو أنَّ الأدلة تشير والمنطق يؤكد أنَّ الحيوان الجائع الذي يعاني من نقص التغذية أقل اهتماماً بملذات الجسد، وليس أكثر).

وأخيراً، ما هو اتباع الحمية الغذائية؟ (اتباع حمية غذائية) (ما يسمى في بريطانيا العظمى (التخسيس)) هو كلمات مسخفة لما هو في الواقع مخمصة جزئية ذاتية. في الهند (أحد أفقر البلدان في العالم) تأكل أفقر النساء ١,٤٠٠ حريرة في اليوم، وهي أكثر بـ ٦٠٠ حريرة من حمية هيلتون هيد الغذائية التي تتبعها النساء الغربيات. وتكتب روبرتا سيد: (ببساطة شديدة يتفاعلن بالطريقة التي يتفاعل بها ضحايا المخمصة الجزئية... المخمصة الجزئية ـ حتى لو كانت ناتجةً عن الحميات المفروضة ذاتياً ـ تؤدي إلى آثار مماثلة جداً على جميع البشر).

تصور مجموعة السلوكيات البغيضة والمثيرة للشفقة التي تظهرها النساء المتأثرات بأحد الأمراض الغذائية على أنّها نسائية أساساً، وهو دليل على عدم

عقلانية المرأة (والتي تستبدل إدانة لامنطقية فترة الحيض التي كان يجب تجاهلها عندما كان هنالك حاجة للمرأة في قوة العمل ذات الدوام الكامل). في دراسة كلاسيكية أجريت في جامعة مينيسوتا، وضع ٣٦ متطوعاً على حمية غذائية مطولة منخفضة السعرات الحرارية و(قد وثقت النتائج الجسدية والنفسية والسلوكية). كان المتطوعون شباباً ينعمون بصحة جيدة، ما أظهر (مستويات عالية من قوة الأنا، والثباتية العاطفية، والقدرة الذهنية الجيدة). لقد بدؤوا (بفترة ٦ أشهر... أُنقصت فيها كمية الطعام المتناول إلى النصف، وهي تقنية إنقاص وزن نموذجية عند النساء.بعد خسارة ٢٥ بالمئة تقريباً من أوزانهم الأصلية، شوهدت عليهم تأثيرات واسعة الانتشار للمخمصة الجزئية). أصبح أفراد العينة (مشغولين أكثر فأكثر بالطعام وتناوله، لدرجة أنَّهم بدؤوا يفكرون بهوس بالطعام والوجبات الغذائية، يجمعون الوصفات وكُتب الطبخ، وأظهروا طقوساً غذائية غير طبيعية، مثل تناول الطعام ببطء، وتخزين الأشياء ذات الصلة بالطعام). ثم (عانى الغالبية منهم من اضطرابات عاطفية كنتيجة للمخمصة الجزئية، بما فيها الاكتئاب والمراق(*) والهيستيريا ونوبات من الغضب، وفي بعض الحالات مستويات نفسية للاختلال). ثم (خسروا قدرتهم على العمل في سياقات العمل والسياقات الاجتماعية، نتيجة اللامبالاة وانخفاض الطاقة وتدني مستوى اليقظة والعزلة الاجتماعية ونقصان الرغبة بممارسة الجنس). وفي النهاية (في غضون أسابيع من إنقاص مدخولهم من الطعام)، (أبلغوا عن شعورهم بجوع قاسٍ، إضافة إلى رغبة شديدة في كسر القواعد الغذائية. استسلم بعضهم لأكل الحفلات، وأتبعه بالإقياء والشعور بلوم الذات. واستمرت المخمصة الضارية، حتى بعد تناول وجبات غذائية كبيرة أثناء إعادة التغذية). بعض المشاركين (وجدوا أنفسهم يأكلون باستمرار، بينما انخرط الباقون في حلقات لا يمكن السيطرة عليها من تناول الطعام والتقيؤ). ((أصبح) المتطوعون مرعوبين من الخروج من بيئة التجربة حيث سيشعرون بالإغراء تجاه الأطعمة التي وافقوا على عدم تناولها... وعندما استسلموا قدموا اعترافات هستيرية شبه مجنونة). أصبحوا سريعي الغضب ومتوترين ومرهقين ويشعرون بكثيرٍ من الشكاوى المبهمة. (كالهاربين، لم يتمكنوا من التخلص من الشعور بأنَّهم تحت تأثير قوةٍ شريرة). بالنسبة إلى بعضهم كان على الأطباء في النهاية أن يصفوا لهم المهدئات.

(*) المراق: الوسواس المرضي.

كـان الـمشاركـون مجمـوعـة مـن طـلاب الجـامعـة الـذكـور ذوي الصحة الجيدة تماماً.

خلال المجاعة الكبرى التي بدأت في أيار/مايو من عام ١٩٤٠ أثناء الاحتلال الألماني لهولندا، أبقت السلطات الهولندية على حصول الأفراد على حصص غذائية تتراوح بين ٦٠٠ و١٦٠٠ حريرة باليوم، أو ما وصفوه بـ مستوى المخمصة الجزئية. أسوأ المعاناة التي حصلت عرفت بأنَّها التضور جوعاً عندما خسروا ٢٥ بالمئة من وزن أجسامهم، وقُدمت إليهم مكملات غذائية ثمينة. كانت الصور المأخوذة للنساء الهولنديات الكاسيات المتضورات جوعاً صادمة جداً من حيث تشابه أولئك النساء مع مظهر المرأة المعاصر غير الطبيعي.

عانت هولندا من مخمصة جزئية بتناول الناس لوارد غذائي يومي يقدر بـ ٦٠٠ ـ ١,٦٠٠ حريرة؛ بينما ثبت مركز الحميات الحمية على ١٦٠٠ حريرة يومياً. عندما فقد الهولنديون ٢٥ بالمئة من وزنهم أُعطوا مكملات غذائية للأزمات. واليوم على المرأة الصحية المتوسطة أن تخسر تقريباً نفس القدر تماماً لتناسب العذراء الحديدية. في حي اليهود وودج من عام ١٩٤١ كان يوزع على اليهود المحاصرين حصص تجويع تقدّر بـ ٥٠٠ ـ ١٢٠٠ حريرة باليوم. وفي معسكر تريبلينكا حُدِّد علمياً أنَّ ٩٠٠ حريرة يومياً هي أدنى مقدار لإبقاء الجسم البشري يعمل. وفي (أفضل عيادات إنقاص الوزن في البلاد)، حيث يعالج (المرضى) لمدة تصل إلى سنة، تكون نسبة المدخول مماثلة.

إنَّ التأثيرات النفسية للمخمصة الجزئية الذاتية مطابقة لتلك التي للمخمصة الجزئية غير الطوعية. وبحلول عام ١٩٨٠ اعترفت المزيد والمزيد من الأبحاث بوجود عواقب جسدية وعاطفية للحمية الغذائية المزمنة، تتضمن (أعراضاً مثل الهيوجية وضعف التركيز والقلق والاكتئاب واللامبالاة وتقلب المزاج والتعب والعزلة الاجتماعية). كتب ماغنوس بيك Magnus Pyke واصفاً المجاعة الهولندية: (يعرف بأن المخمصة تؤثر على عقول الناس، وهؤلاء الناس في هولندا أصبحوا خاملين ذهنياً ولامبالين ومهووسين دائماً بأفكارٍ تتعلق بالطعام). وذكرت هيلدا بروش أنّه في المخمصة الجزئية المترقية اللاطوعية (يصاب المرء بتوتر في المشاعر وحساسية وسمات بشرية أخرى). وجدت روبرت جاي ليفتون Robert Jay Lifton أنَّ ضحايا الحرب العالمية الثانية للمخمصة (عانوا من مشاعر بالذنب

تجاه أمور سيئة كانوا قد فعلوها من قبل ويعاقبون الآن على ذلك، إضافة إلى أحلام وخيالات عن الطعام من كل الأنواع وبكميات لا محدودة). تدمر المخمصة الشخصية. وتصر هيلدا بروش أنَّ (مرضى القهم) ـ مثل غيرهم ممن يعاني المخمصة ـ (يظهرون سلوكاً موحداً وأنماطاً عاطفية موحدة بدرجة ملحوظة إلى أن يكتسبوا بعض الوزن). وتلخص روبرتا سيد ذلك بأنَّ (الحرمان من الطعام يحفز الهوس بالطعام لأسباب جسدية ونفسية... يؤدي سوء التغذية إلى إنهاك واكتئاب وهيوجية، ينخفض استقلاب الجسم... وتقود المخمصة الشخص الجائع للهوس بالطعام). إنَّ الرعب النفسي من المخمصة منتشر في الثقافات: فمثلاً الأيتام الذين تم تبنيهم من البلدان الفقيرة لم يستطيعوا ضبط دوافعهم الشديدة بتهريب الطعام وإخفائه، أحياناً حتى بعد العيش لسنوات في بيئة آمنة.

تتراكم الأدلة الموثوقة على أنَّ اضطرابات الشهية تنتج أساساً عن اتباع حمية غذائية. اقتبس كلٌّ من إيلانا آتي Ilana Attie وجين بروكس غن J. Brooks-Gunn من باحثين وجدوا أنَّ (تناول الطعام المقيد والمزمن) يولد توتراً تراكمياً لدرجة تجعل اتباع الحمية الغذائية نفسه (شرطاً كافياً لتطور القهم أو النهم). وقد وصلت روبرتا سيد إلى نفس الخلاصة: (من المثير للسخرية أنَّ اتباع حمية غذائية... نفسه قد يثير هوساً سلوكياً تجاه الطعام وتناوله بشراهة. في الواقع هو قد يسبب كلاً من اضطرابات الشهية والسمنة نفسها). يبدو أنَّ الحرمان المستمر من السعرات الحرارية يسبب صدمة شديدة للجسم، تبقى في ذاكرة الجسم مع عواقب تدميرية. كتبت روبرتا سيد: (يبدو أنَّ المشاكل النسائية مع الطعام تنشأ... عن جهدهن في الحصول على جسم في غاية النحول... والطريقة الوحيدة لحصول ٩٥ بالمئة منهن عليه هي اتباع حمية غذائية حرمانية). وتتفق إيلانا آتي Ilana Attie وجين بروكس غن J. Brooks-Gunn على أنَّ (كثيراً من الأفكار السلوكية التي تسبب القهم والنهم قد تكون بالفعل نتيجة المخمصة... وأنَّ المتّبعة الطبيعية لحمية غذائية، والتي تتبعها لتبدو وتشعر بأنَّها نحيلة، تكون أيضاً عرضةً لأنماط معرفية وسلوكية للاضطرابات العاطفية، ذلك بسبب التوتر المستمر في محاولتها إبقاء وزنها دون الوزن الحيوي أو (الطبيعي للجسم). يجعل اتباع حمية غذائية والتخسيس العصري صحةَ المرأة متدهورةً لدرجة خطيرة.

الآن، لتلخيص ما سبق، إذا كانت الدهون عند النساء جنسانية، وتشكل قوة إنجابية، وإذا كان الطعام يعد شرفاً، وإذا كان اتباع حمية غذائية هو مخمصة جزئية، وبالمقابل إذا كان على النساء خسارة ٢٣ بالمئة من وزن أجسادهن ليتناسبن مع العذراء الحديدية، ويصاب المرء باضطراب نفسي مزمن عند خسارة الجسم ٢٥ بالمئة من وزنه، وإذا كانت المخمصة الجزئية منهكة للمرء جسدياً ونفسياً، وتشكل قوة المرأة وجنسانيتها واحترام الذات التهديداتِ التي استكشفناها سابقاً ضد المصالح الراسخة للمجتمع، وإذا كانت الصحف النسائية تمولها صناعة تبلغ قيمتها ٣٣ مليار دولار، رأسمالها ناتج عن الخوف السياسي من النساء؛ فبجمع كل ما سبق يمكننا فهم لمَ تبدو العذراء الحديدية نحيلةً للغاية. (المثالية) النحيلة ليست جميلة من الناحية الجمالية، إنما هي جميلة كحلٍ سياسي.

إنَّ القهر الذي تخضع له لتقليدها ليس شيئاً سخيفاً اختارت النساء بحرية القيام به لأنفسهن، إنَّه شيء من الخطير أن يفعلنه لأنفسهن لحماية السلطة السياسية. في ضوء ذلك، من غير المعقول ألا تُرغم النساء على ألا يزددن نحولاً في هذه المرحلة من تاريخنا.

تلغي إيديولوجية المخمصةِ الجزئيةِ النسويةَ؛ فما يحدث لأجساد النساء يحدث لعقولهن. إذا كانت أجساد النساء ـ ولطالما كانت تُعد ـ خاطئة، بينما أجساد الرجال صحيحة، فعندها تكون النساء على خطأ بينما الرجال على صواب. عندما علَّمَت النسوية النساء وضع قيمة أعلى لأنفسهن، علمتهن المخمصة كيف يقوضن احترامهن لذواتهن. إذا كان بالإمكان جعل امرأة تقول: (أنا أكره فخذيّ السمينين) فهي طريقة لجعلها تقول: أنا أكره كوني أنثى. كلما أصبحت النساء المثقفات والمستقلات جنسياً أكثر استقلالاً مادياً في العالم للسيطرة على الأحداث، يُطلب منهن أن يشعرن بأن أجسادهن أكثر فقراً وحمقاً وغير آمنات جنسياً ويخرجن عن السيطرة.

تجعل المخمصة النساء يشعرن كما لو أنّهن فقيرات، ويفكرن أيضاً كما لو أنهن فقيرات. النساء الغنيات اللواتي يتبعن حمية غذائية يشعرن جسدياً بأنّهن تحت رحمة اقتصاد الندرة؛ والنساء النادرات اللواتي يجنين ١٠٠,٠٠٠$ في السنة لديهن مدخول جسدي يعادل ١,٠٠٠ حريرة في اليوم. تجعل المخمصة النساء الناجحات يشعرن بأنّهن فاشلات: تعلم المهندسة المعمارية أنَّ عملها

ينهار؛ والسياسية التي تنظر برؤية بعيدة المدى تعود إلى التفاصيل، لتفكر في كل لقمة من الطعام؛ المرأة التي تستطيع تحمل نفقة السفر لا تستطيع (تحمل) الطعام الأجنبي الغني، إذ إنه يدمر كل تجربة السيطرة والأمن الاقتصادي والقيادة التي لم يكن عند المرأة سوى جيلٍ واحد لتتعلم الاستمتاع بها. أولئك اللواتي تحررن مؤخراً ليستطعن التفكير بما وراء الأسس، أصبحن الآن مدفوعاتٍ بهذا المرض النفسي للعودة إلى نير العقلية النسائية للاعتماد الاقتصادي: للتركيز على الحصول على القوت والأمان. تعتقد فيرجينيا وولف أنّه (لا يمكن للمرء التفكير جيداً والنوم جيداً والحب جيداً إذا لم يتناول الطعام جيداً). وكتبت معارضةً للطعام الفقير البائس في كليات البنات التي تعاني من صعوبات شديدة مقارنةً مع تلك التي لكليات الرجال الغنية: (المصباح في الأعلى لا يضيء على لحوم بقر وخوخ مجفّف، بينما في كليات الرجال تغرق النعال في صحون عميقة، يضع عليها طباخ الكلية طبقة من الكريمة شديدة البياض). والآن بما أنَّ بعض النساء يحققن في النهاية ما يعادل ٥٠٠ جنيه إسترليني(*) في السنة ولديهن غُرف خاصة بهن، عاد الأمر بهن مرة أخرى إلى ٤ أونصات من لحم العجل المسلوق و٣ حبات غير محلّاة من الخوخ المجفّف ومصباح غير مضاء.

قد تبدأ المصابة بالقهم رحلتها بشعورٍ من التحدي، لكن من وجهة نظر المجتمع الذي يسيطر عليه الذكور ينتهي بها الأمر أن تصبح امرأةً مثالية. هي ضعيفة بلا مشاعر جنسية، بكماء وبصعوبةٍ فقط تستطيع التركيز على العالم ما بعد طبق طعامها. لقد قُتلت المرأة داخلها. هي تقريباً غير موجودة. النظر إليها بمثل هذه الطريقة (منزوعة الأنوثة) يجعل من المنطقي جداً أنَّ حركة التخيلات الجماعية نصف الواعية العدائية خلقت كذبة حيوية عن الجمال الأنثوي العظمي. المستقبل الذي تعج فيه الأمم الصناعية بنساءٍ يقودهن القهم، هو مستقبل محتملٌ جداً لإنقاذ التوزع الحالي للثروة والسلطة من الادعاءات التي أطلقها النضال النسائي للمساواة.

بالنسبة إلى منظّري القهم، فعند التركيز على المرأة الفردية ـ حتى داخل أسرتها ـ يغفلون القلب التكتيكي لهذا النضال. إنَّ العلاقة الاقتصادية والسياسية ضد شهية المرأة أقوى بكثير في هذه النقطة من الديناميكيات العائلية.

(*) تذكير: تختلف قيمة العملة من سنة كتابة الكتاب (١٩٩٠) حتى الآن

لم يعد بالإمكان تفسير هذا على أنّه مسألة خاصة. عندما لا تستطيع فجأة ٦٠ حتى ٨٠ بالمئة من الطالبات الجامعيات تناول الطعام، فمن الصعب التصديق أنَّ ذلك نتج فجأة عن إصابة ٦٠ ـ ٨٠ بالمئة من عائلات طالبات الجامعات بخلل وظيفي على هذا النحو. هنالك مرض منتشر في المجتمع، هنالك من سبّبه عمداً؛ تصاب به الشابات.

تماماً كما العذراء الحديدية، النحيلة ليست جميلة بالفعل، فإنَّ القهم والنهم وحتى تناول الطعام القهري، المفهومة رمزياً، ليست بالفعل أمراضاً. هي تبدأ ـ كما ذكرت سوزي أورباش ـ كاستجابات صحية ذهنية وإدراك لواقع اجتماعي مجنون: بأنَّ معظم النساء يمكنهن الشعور بالرضا عن أنفسهن فقط في حالة المخمصة الجزئية المستمرة. ترفض المصابة بالقهم ترك الدورة الرسمية تتحكم بها: فمن خلال المخمصة تسيطر هي عليها. قد تدرك مريضة النهم جنون طائفة المخمصة، انهزامها الداخلي، إنكارها للمتعة. ستقاوم المرأة المتمتعة بصحة نفسية جيدة الإجبار على الاختيار بين الطعام والجنسانية؛ حيث تُشترى الجنسانية اليوم من خلال الحفاظ على الجسم الرسمي. ولكن باختيارها التقيؤ تكون قريبة من خيار كونها مازوخية. غالباً ما تُفسر اضطرابات الشهية بأنّها أعراض للحاجة العصبية للسيطرة. لكن بالتأكيد هي علامة للصحة النفسية لمحاولة التحكم بشيءٍ يحاول التحكم بك، خصوصاً إذا كنتِ شابة وحيدة، وهي أيضاً صناعة هائلة مدعومة باحتياجات نظام عالمي كامل محدد. فالدفاع عن النفس هو ردُّ فعلٍ صحيح عندما يتعلق الأمر بكوارث تناول الطعام؛ وليس جنوناً. الدفاع عن النفس لا يحمل وصمة عار، إنما الجنون هو الذي يحملها.

إنَّ الهستيريا الأنثوية الفيكتورية ـ التي كانت غامضة في ذلك الوقت ـ أصبحت منطقية الآن بعد أن رأيناها في ضوء الضغوط الاجتماعية الدافعة على إنكار الذات جنسياً والسجن في المنزل. يجب أن يكون القهم مفهوماً بنفس البساطة. ما كان هستيريا فيما يتعلق بولع القرن التاسع عشر بالمرأة اللاجنسية المحبوسة في المنزل، هو نفسه القهم فيما يتعلق بولع أواخر القرن العشرين بالمرأة الجائعة.

ينتشر القهم لأنه يفعل فعله. فهو لا يحل فقط معضلة المرأة الشابة التي تواجه طائفة المخمصة، بل ويحميها أيضاً من التحرشات في الشوارع والإكراه

الجنسي؛ ذلك أنَّ عمال البناء يتركون الهياكل الحية وشأنها. عدم وجود دهون يعني عدم وجود ثديين أو فخذين أو وركين أو أرداف، وهذا يعني بالطبع ولأول مرة أنَّها غير مطلوبة منها. تخبر المجلات النسائية النساء أنهنَّ يستطعن التحكم بأجسادهن. لكنَّ تجارب النساء في التحرش الجنسي تجعلهن يشعرن أنهن لا يستطعن التحكم بمن يقول إن أجسادهن تثيره. تمنح ثقافتنا المرأة الشابة حلمين فقط تتخيل فيهما جسدها، مثل عملة ذات وجهين: الأول هو الإباحي والآخر فهمي، الأول لليل والثاني للنهار، من المفترض أنَّ الأول للرجال والآخر للنساء الأخريات. ليس لديها خيار الرفض، ولا يحق لها حتى الآن أن تطالب بحلم أفضل. الجسم المصاب بالقهم هو أكثر أماناً من الناحية الجنسية للعيش فيه من جسم المواد الإباحية.

في الوقت نفسه، يعمل ذلك لصالح المؤسسات التي يسيطر عليها الذكور من خلال معالجة النساء بسلاسة (بنزع الأنوثة منهن)، النساء اللواتي يشغلن مناصب قريبة من السلطة. إنه (يتدفق) على النساء من جميع الطبقات الاجتماعية، من نخبة المدارس والجامعات، لأن هذا هو المكان الذي تقترب فيه النساء من السلطة. وهناك، تقوم المخمصة رمزياً بعمل كش ملك للسلطة في حياة أي امرأة: مئات الآلاف من الشابات المتعلمات تعليماً جيداً، اللائي يعشن ويدرسن في نقطة ارتكاز التأثير الثقافي، لا يسببن أي مشكلة. تتلاءم الطالبة التي تعاني من القهم مع ذلك، مثل اليهودي المعادي للسامية والسود الكارهين لذواتهم. إنها مخصية سياسياً، بما يكفي من الطاقة تماماً للقيام بواجبها المدرسي، بدقة وكمال، وتتجول في المسار الداخلي في حلقات أبدية. ليس لديها أي طاقة لتغضب أو تنتظم، أو تطارد الجنس، أو تصيح من خلال مكبر صوت، أو تطلب المال للحافلات الليلية أو لبرامج الدراسات النسائية أو لمعرفة مكان وجود جميع الأساتذة النساء. إن إدارة فصل دراسي مختلط نصفه عبارة عن طالبات مصابات بالقهم نفسياً هي تجربة تختلف عن تجربة إدارة صف نصفه طالبات بصحة تامة وواثقات من أنفسهن. إنَّ كينونة المرأة بين أولئك النساء ملغاةٌ، فهذا أقرب إلى إدارة شبابٍ فقط، وهو ما كانت تدار به الأمور بأريحية من قبل.

لتبقى النساء في أقصى درجات طيف الوزن الرسمية تحتاج ٩٥ بالمئة منهن أن يعاملن عقولهن كما لو كُنّ في سن الطفولة، أو أن يحجرن إلى حدٍّ ما حياتهن

الفكرية. لا يكمن جمال النحول فيما يفعله بالجسم، إنما بما يفعله بالعقل؛ حيث ليس النحول الأنثوي هو ما يكافأ، إنما المخمصة الأنثوية، أما النحول فهو مجرد عرض لا أكثر. تُشتت المخمصة بطريقة جذابة تركيزَ العقل بـ: (اتركي الأمور كما هي).

لا يستطيع الرضّع إطعام أنفسهم، ويحتاج العاجزون والأورثوذوكس حمياتٍ غذائية خاصة. لذا فاتباع حمية غذائية يجعل المرأة ترى نفسها مريضة رضيعة متدينة. وفقط هذا الغموض يمكن أن يثبت أنّه قوي وعميق كفايةً ليقوم بالعمل الذي تخلت عنه العزلة المنزلية والعفة القسرية. كلمة (طبيعية) هي الكلمة التي يجري تحدّيها بحق. لكن إذا كان هنالك اندفاع طبيعي أقوى، فسيرضي المخمصة. إذا كان هنالك شكل أنثوي طبيعي، فيجب أن يكون هو الشكل الذي تكون فيه المرأة جنسية وولودة ولا تفكر به طوال الوقت. بينما الحفاظ على المخمصة عند توفر الطعام (كما تفعل النساء الغربيات) هو خضوع لحالة حياة غير طبيعية لدرجة لم يسبق لنوعنا البشري الإتيان بمثله، وهو أكثر غرابة وشذوذاً من أكل لحوم البشر.

إنَّ اتباع حمية غذائية هو جوهر الأنوثة المعاصرة. ويعد حرمان النفس من الطعام سيئةً عند الرجال وحسنةً عند النساء. بالنسبة إلى النساء في أوستن (في تكساس) وجدت عيادة التوتر أنَّ (الاهتمام باتباع حمية غذائية) كان له ارتباط وثيق بـ (سمات أنثوية إيجابية)؛ أما بالنسبة إلى الرجال فقد كان تقييد الطعام يرتبط بـ (أنوثة اجتماعية غير مرغوبٍ فيها). وبما أنّ المرأة الأنثوية في الغموض الأنثوي تنكر إرضاءها لنفسها في العالم، فإنَّ النموذج (الناضج) الناجح الحالي للأنوثة يخضع لحياة من النكران الذاتي لجسدها.

لكن هذه السمة المميزة المحسودة لا تتمتع إلا بقدر ضئيل من الصلاحية التي كانت لها في السابق. وهي تعتمد أيضاً على كذبة حيوية. بينما كانت (النساء غير الناضجات) في الخمسينيات يرغبن في هزات جماع، كانت النساء (الناضجات) مستسلمات راكنات. وترمز الرغبة الفموية اليوم بترميز جنسي مماثل لذلك. يعد الأكل بشغف تصرفاً غير ناضج عند النساء اليوم، ذلك أنّه قيل لهن إنهن يخاطرن بجنسانيتهن؛ يُنظر لهن كناضجات فقط إذا أُصبن بالمخمصة، ووعدن بكسب الجنسانية بهذه الطريقة. في السبعينيات، عندما استرجعت المتعة البظرية، تعجبت كثير من النساء كيف كُن يعشن في جو ينكر تلك المتعة. وفي الثمانينيات كانت

النساء مجبرات على إنكار ألسنتهن وأفواههن وشفاههن وبطونهن. وفي التسعينيات إذا استطاعت النساء استعادة متعة الشهية(*)، فقد ننكر نحن معشر النساء ما الذي دهانا في سنوات المخمصة الطويلة تلك عديمة القيمة. يتمثل الإنكار الذاتي عند النساء فيما يتعلق بالطعام اليوم بأنّه جيد لشريكها، بل وأفضل لها. لكن بالنظر ما وراء أسطورة الجمال نرى أنَّ المخمصة الأنثوية لها تأثير تدميري بوضوح على صحة النساء وأحبائهن، تماماً كما يبدو لنا الآن ما كانت عليه الحال من اختناقهن القسري الباكر في المنزل.

الجنس والطعام واللحم الجسدي هي فقط إيديولوجيات سياسية (لا تتعلق بالصحة ولا برغبات الرجال ولا بأي قانون للحب)، تبعد النساء عن الاعتقاد بأنّه يمكنهن الحصول على ثلاثتهن معاً. تصدق الشابات الأمور التي ليس لديهن خلفية تثير الشكوك حولها، فيصدقن بأنّه قد لا يحصلن على الجنس والطعام واللحم الجسدي بوفرةٍ معاً، وأنَّ هذه الكلمات الثلاث يلغي بعضُها بعضاً.

سهل للغاية

من السهل جداً أن تصبحي فهمية. عندما كنت في الثانية عشرة من عمري ذهبت لزيارة قريبةٍ لي أكبر مني عمراً لكنها شهوانية، قالت وهي تشرح تمارين التنفس العميق التي تقوم بها قبل النوم: (أحاول تخيل أنَّ بطني يبدو بشكلٍ أحبه وأتقبله وأتعايش معه). كُنت ما أزال مضغوطة في جسد طفلةٍ غير مجزأ عندما حُذِّرت من التفكير بأنَّ الحياة النسائية تضمن التجزؤ إلى أجزاء تطفو قريبةً من بعضها، حيث بدت قريبتي كما لو أنَّها تحاول جمع نفسها بعمليةٍ من التركيز. لم يكن ذلك تفكيراً مريحاً، براعم صدري كانت قد بدأت بالفعل بإشعاري بالألم. وبقيامها بتمارينها قمت بتصفح نسخة من مجلة المرأة كوزموبوليتان *Cosmopolitan* ومررت بمقال يوضح للمرأة كيف تتعرى وتتخذ وضعيات وتتحرك في السرير مع شريكها بحيث تخفي بدانتها.

نظرت إلي قريبتي وقالت: (هل تعرفين كم هو وزنك؟)، فأجبت: لا. ردت: (لمَ لا تقفين على الميزان؟). استطعت الشعور كم كانت قريبتي تتمنى أن تسكن

(*) الكتاب كُتب سنة ١٩٩٠، لذلك يتحدث بزمن المستقبل هنا.

بجسدٍ بسيط خفيف بعمر الثانية عشرة. فكرت حينها أنَّ ذلك يعني أنّه عندما أكون امرأة سأرغب في الخروج من جسدي لأسكن جسد طفلة صغيرة.

وبعد سنة، وبينما كان بوبي فيرنر Bobby Werner ينحني ليشرب من نافورة في باحة مدرستي الإعدادية، والذي كنتُ بالكاد أعرفه، وكزني وكزة قوية في المنطقة الناعمة من بطني، أسفل السرة مباشرةً. لقد مر عقد من الزمن قبل أن أتذكر بأنّه كان الطفل السمين في الصف.

في ذلك المساء تركت عصير قطعة لحم الضأن يتخثر في طبقي. كنت أستطيع رؤية عقيدات لزجة من الدهون، رؤية حافة خارجية متفحمة لمادة صفراء تبرد فتتحول من الشكل السائل إلى الصلب، عليها علامة USDA CHOICE(*) بصبغة زرقاء آمنة للأكل. كان العظم المركزي المسنن مشقوقاً باستخدام شفرة دوارة قوية. شعرت بشعور جديد، بغثيان لعين، بمتعة مع كراهة. قمت جائعة من على المائدة، كنت أشعر بتدفق من الاعتقاد بالتفوق الأخلاقي يخرج من تحت مريئي، يسممني، وكنت أستنشقه طوال الليل.

في اليوم التالي مررت على المفكّرة الصغيرة التي كنتُ أحتفظ بها في غسالة الصحون. لقد علمت ما ذكر فيها، على الرغم من أنّها كانت مفكرة والدتي، خاصة بها، وجاء فيها: (نصف حبة غريفون وقهوة و٤ قطع من بسكويت الألياف لشركة Wheat Thins ومصاصة ثلجية واحدة). شخبطة سوداء: إنَّ هذا (شراهة). رغبت في تمزيقها. بعض المذكرات.

لم يكن لدي صبرٌ إطلاقاً على اعترافات النساء التافهة. كنت أستطيع أن أتذوق في فمي أنَّ جسدي دخل مرحلة اضطراب الشوارد، المرحلة الكيتونية، وهو أمرٌ كان جيداً بالنسبة إلي. كنت أشعر كأني واقفة على سطح سفينة مشتعلة. وضعت الأطباق في حوض الغسيل، وصخب هذا الاعتراف يجول في خاطري.

وفي عمر الثالثة عشرة كنت أتناول ما يعادل من السعرات الحرارية الطاقة الغذائية التي كانت متوفرة لضحايا مجاعة حصار باريس. قمت بحل واجباتي بجد، وبقيت صامتة في الدرس. لقد كنت أشبه باللعبة المطيعة ذات الزنبرك. لم

(*) USDA CHOICE: علامة تستخدم في أمريكا للحوم العجول عالية الجودة الصالحة للأكل.

يقم أي مدرس أو مدير أو مستشار توجيهي بمواجهتي باعتراض على ابتعادي المتدرج عن كوني على قيد الحياة.

كان هنالك الكثير من الفتيات اللواتي يعانين المخمصة في مدرستي الإعدادية، وكلٌّ منهن كانت مثلاً أعلى للمعلمة. كان يسمح لنا أن نأتي ونروح، وتُعلق لنا نجومٌ ذهبية، يتساقط شعرنا بغزارة والسماكات خلف محجَرَي أعيننا قد تسطحت. عندما تتحرك مقل أعيننا نشعر بوجود مقاومة. سمحوا لنا بجر عظامنا حول حبلٍ متأرجح في فصل الرياضة، حيث ليس ثمة شيء سوى قوة الإرادة المنهكة بين السقف الذي كُنا نتشبث به بأيدٍ هزيلة للغاية لدرجة يبدو وكأن حبلاً من الخيش يحتك بالغضروف نفسه، والأرض الخشبية المصقولة التي نبعد عنها ٣٥ قدماً.

كان هنالك صوتٌ أجنبي قوي قد طغى على صوتي. لم أكن أبداً ناعمة الحديث. لقد فقد الصوت تعبيره وطابعه وغرق متحولاً إلى همهمة خافتة رتيبة، عكس الصوت الحاد. وافقني أساتذتي. لم يكونوا يرون أي شيء خاطئ فيما كنتُ أقوم به، وأستطيع أن أقسم أنَّهم رأوني مباشرةً. فبينما أوقفت مدرستي سباقات الدراجات المؤذي المسمّى قطط الزقاق، حيث كان يعد غير إنساني، لم يكن هنالك ـ من ناحية أخرى ـ تدخل في تجربتي العلمية الموجهة ذاتياً: لمعرفة أدنى مقدار من الطعام يمكن أن يُبقي الجسم البشري على قيد الحياة.

لم تكن الأحلام التي استطعتُ حشدها رؤى مراهقة كالتي للصبية، ولم تكن خالية من رؤى الفتيات اللواتي بصحةٍ جيدة. لم تكن لدي خيالات عن الجنس أو الهروب أو التمرد أو النجاح في المستقبل. كل المساحة التي كانت لدي لأحلم فيها كانت عن الطعام. عندما استلقيت على سريري في وضعية أحلام البلوغ تلك، لم أكن أشعر بالارتياح، كانت عظامي مضغوطة بحدة على فراش صغير، كانت أضلعي أشبه بخطافات وعمودي الفقري أشبه بنصلٍ مُثلم، وتضوري جوعاً بدرع ثقيل للغاية، كل ما كان علي هو تجنب التفاهات التي تقال لي والتي يمكن أنّ تلصق نفسها بجسدي مثل الطفيليات، في الدقيقة التي تقوم بها بخطوة خاطئة نحو عالم النساء. وضع الطبيب يده على بطني وقال إنه يستطيع الشعور بعمودي الفقري. استحقرت النساء اللواتي يفتقرن بوضوح لقوة الإرادة ليستطعن أن يعانين كما كنتُ أعاني.

رسمت رسمة: رسمت نفسي، صغيرةً للغاية، ملتفة على نفسي في شيء أشبه بملجأ، محاطةً بمواد تصلح لبناء الأعشاش، بمخزنٍ من المكسرات والزبيب. كُنت محمية. كان هذا الصغر والاختباء ما كنتُ أتوق إليه في ذلك الوقت من حياتي عندما كان ستيفين ديدالوس Stephen Dedalus مندفعاً لينفجر مثل نيزك على العالم. ماذا كانت تعني تلك الرسمة؟ لم تكن اندفاعاً للعودة إلى الرحم، إنما للعودة إلى جسدي. لم أكن مندفعةً لأكون آمنة من اختيارات العالم، إنما من إجباره لي على الدخول في معركة لا أستطيع تصديقها إلا إذا تناسيت نفسي تماماً، وخضعت كغبية للبدء من جديد، الأمر أشبه بشخص ارتطم بشدة على مؤخرة رأسه.

كان علي أن أنسى أنّهن كُن صديقاتي، وأنّهن الآن بالفعل أعدائي: أتحدث عن منافِساتي في لعبة الورق، زميلاتي اللصات اللواتي كُن يسرقن ملمع الشفاه بنكهة البيبسي: جيما وستيسي وكيم، اللواتي اعتدن على الوقوف بجانبي كصفٍّ واحد في غرفة النوم الرئيسية المظلمة، نحدق في المرآة، نضيء أسفل ذقوننا بشمعة، ونترنم بصوتٍ خائف، نحن لسن خائفات من ماري الدموية. لقد عرفت أنّه إذا تركت نفسي تسقط للأمام لفترة من الزمن، فلن أكون قادرةً أبداً على الوقوف مجدداً: الأكتاف على الأكتاف أمام مرآة واحدة، والغول على الجانب البعيد من الزجاج؛ لا شيء في نفوسنا، ولا شيء تجاه بعضنا.

كانت المخمصة التي تصيب المراهقات بالنسبة إليّ مرحلة إحجام طويلة لنولد نساء، باعتبار أنه يفترض أن تكون محطةً للجمال. يقاوم الأطفال الإرباك الناتج عن الأعراف، وغالباً ما يرون الجنون الاجتماعي بأبعاده الكاملة. في الصف السابع كنا نَعلَم ما كان قادماً، ونتحول لمجنونات مع خوفٍ شديد؛ ليس جنوناً طبيعياً للبلوغ، بل ذعراً بسبب ما كان يلوح في الأفق بشكل غير طبيعي. وكما في لعبة أمي هل يمكنني(*) Mother May I، لكنها هائلة بحجم الحياة، كنا نعلم أنَّ الجمال كان سيقول: (تجمدن كما أنتن)، وحيثما نكون سيكون.

ظهرت أغنية مشهورة في تلك السنة تندب قائلة: (لقد تعلمنا الحقيقة في عمر السابعة عشرة، أنَّ الحب كان مخصصاً لملكات الجمال). لقد تبادلنا بدلات

(*) لعبة تتكون من ٣ أشخاص على الأقل، يُختار أحدهم على أنه الأم، والتي تُعطي أوامر بالمشي إليها بخطوات محددة وبطريقة تختارها هي.

استحمام جديدة، وخربناها، وأقسمنا أنّنا لن نسامح المقترض. عندما كشفت جيما وكيم مؤخراتهما تجاه كاميرا ستيسي، قالت كيم: (أوه، لا تقلقي حيال الصورة، لقد كنتِ قريبة من الكاميرا). أدارت جيما عنقها أمام المرآة باحثةً عن الحقيقة المرة، بينما تساءلت كيم كيف تناست كلمات أمها.

كانت جولي أول من حصلت على أثداء، لقد كانت مذمومة بحلول عيد الشكر. وبما أنه لا يوجد غيرها تبدو كفاسقةٍ في الصف، فقد منحت ذلك المنصب، وسرعان ما استسلمت. لقد قامت بتبييض شعرها بمفتح الشعر Sun In، وبدأت بالعبث مع الصبية الذين كانوا يعزفون في فرق موسيقى الروك. أما مريان فلأنه كان لديها ساقان طويلتان ورقبة طويلة، فقد كانت تسرع من المدرسة إلى دروس الباليه، شعرها ملفوف ككعكة، ورأسها مرفوع، تنحني وتثب أمام المرآة حتى يخيم الليل. سلمت كارا المقطع الصوتي الخاص بها كما هو، لكن بما أنه كان لديها ضفيرة بلونٍ حنطي حول خصرها، كانت ستمثل شخصية تيتانيا في مسرحية المدرسة. أما إيميلي ذات الأنف المدبب والوجه ذي التعابير الواضحة، فيمكن أن تتفوق على كارا في النوم؛ عندما رأت قائمة الممثلات توقفت عن الحديث مع أفضل صديقاتها، والتي أعطتها علبةً من كريمة شوكولا الحليب لترضيها. رأت إيفي الطويلة القوية الهزيلة إليس تستمتع بغمازات وجهها، فانفردت بها خارج الصف لتسألها إذا ما كانت تظن نفسها لطيفة، أجابتها إليس بـ: نعم، فقامت إيفي برمي ممص من الحمض ـ كانت قد سرقته من مختبر الكيمياء الحيوية ـ على وجهها. كانت دودي تكره شعرها الأسود القصير للغاية الذي لا ينمو، لقد تسللت خلف كارين الشقراء في درس الاقتصاد المنزلي وقصت حفنة من شعرها باستخدام مقص التخريم؛ حتى كارين فهمت أنَّ الأمر ليس شخصياً.

تبدو الأمور التي رأينا النساء يفعلنها من أجل الجمال مجنونة. رغبت أن أسافر، لكنني رأيت أنَّ الجمال يقود النساء في حلقات. كانت أمي (امرأة جميلة) تحصل على القليل جداً من المتع، أقل مما أستطيع فهمه. لقد رأيت أنَّ جمالها يؤذيها: التقشف المؤلم في حفلات العشاء، والسخط على الميزان، والتدليكات الغاضبة والصور المعلقة على البراد الدالة على اتهام الذات. لقد ربحت بالفعل، ألم يكن ذلك كافياً؟ كنت أعتقد أنّه من اللطيف أن تكوني جميلة مثلها، كنت

أحسب الأمر كذلك بالتأكيد. لكن لم يكن هنالك شيء لطيفٌ كفاية للتعويض عن هذا التقهقر اللانهائي.

كان القهم هو الطريقة الوحيدة التي أراها للإبقاء على كرامتي في جسدي الذي كان لدي كطفلة، ذلك ما كنت أود خسارته كامرأة. كان الخيار الوحيد الذي بدا خياراً بالفعل هو: من خلال رفض ارتداء جسد المرأة وتلقي تقييم عليه، اخترت ألا تقتصر جميع خياراتي المستقبلية على أشياء صغيرة، وألا تُصاغ الخيارات لي مسبقاً في الأمور الكبرى، على أساس شيء عديم القيمة بالنسبة إلي. لكن بمضي الوقت، تقلصت خياراتي شيئاً فشيئاً. مرق اللحم أم الماء الساخن مع الليمون؟ يحتوي مرق اللحم على عشرين حريرة، لذا سآخذ الماء. يحتوي الليمون على ٤ حريرات، أستطيع العيش من دونه. كان الأمر تماماً هكذا.

الآن، عندما أتمكن من التفكير بما كنت أقوم به بنفسي في ذلك الوقت (تعتيم آخر يلقيه الجمال على مدن الذاكرة) لا يمكن لحزني أن يلغي الغضب الذي يتبعه مباشرةً. إلى من أعترض على تلك السنة المفقودة؟ كم إنشاً من الطول فقدت نتيجة منع الكالسيوم عن عظامي؟ لقد كانت خلايا بانيات العظام تكافح للتضاعف دون غذاءٍ كافٍ. كم سنة خسرت قبل أن ينحني عمودي الفقري الهش؟ في أقسام الطغيان التابعة لمكتب المخمصة، والذي أدانني بالذنب لجريمة محددة جداً تسكن الجسد الأنثوي، أي باب عليّ أن أطرق في تلك الأقسام؟ من مجبر بتقديم تعويضات لي عن الأفكار التي تركتها، الطاقة التي لم توجد أبداً، والاستكشافات التي لم تؤخذ بالاعتبار أبداً؟ من يدين لي بانشغالي الذهني الذي دام لسنوات في وقت نموي الفكري الأكثر إلحاحاً؟

في تفسيرنا للأضرار التي سببتها أسطورة الجمال، لم يعد من الممكن إلقاء اللوم على أي أحدٍ سوانا. يمكنني القول في النهاية بالنسبة إلي على الأقل: في عمر الثالثة عشرة، ما الذي دفعني إلى أن أتضور جوعاً حتى أوشك على الموت؟ ليس ذنبي، ليست تلك الطفلة هي المذنبة. هنالك بالتأكيد تهمة بوقوع ذنب يجب على أحدٍ تحملها، تهمة متأخرة جداً. لكنه ليس ذنبي، هو ذنبٌ ينتمي لمكان آخر، ولشيء آخر.

تتعلم أصغر الضحايا من الطفولة المبكرة أن تتضور جوعاً وتتقيّأ، وذلك من الرسالة القوية الطاغية في ثقافتنا، والتي لم أجد قدراً من الحب الأبوي والدعم

القوي كفايةً للتغلب عليها. عرفت أن أبويّ لم تكن لديهما رغبة في أن أتضور جوعاً، ذلك أنّهما يحبانني؛ لكن حبهما كان مناقضاً لرسالة العالم الأكبر، والذي رغب مني أن أتضور جوعاً لأحب نفسي. تعرف الشابات أنّه عليهن الإصغاء لرسالة العالم الأكبر إذا كُن سيخرجن عن حماية آبائهن وأمهاتهن. لقد أبقيت ما يلمح لي بالطريق الصحيح للعالم الأكبر، فقد كنت أسأل ذلك العالم: ألصبحت نحيلة للغاية؟ ماذا عن الآن؟ لا؟ والآن؟

لا يوصل العالم الأكبر رسالةً للنساء بأنَّ أجسادهن ذات قيمة ببساطة لأنّهن داخل تلك الأجساد. وإلى أن تخبر ثقافتنا الشابات بأنّه مرحّبٌ بهن بأي شكلٍ كُنَّ عليه (بأنَّ النساء ذات قيمة فيه مع أو من دون عذر (الجمال)) ستظل الفتيات يتضورن جوعاً. والرسالة المؤسساتية حينها تكافئ تعليم الشابات بالمخمصة. لكن عندما يفكرن بالدرس بجدية كبيرة، يتجاهلن العواقب، ويعززن المرض. ترغب المصابات بالقهم أن يُنقذن، لكنهن لا يستطعن الوثوق بالمستشارين الفرديين، ولا بأفراد الأسرة، ولا بالأصدقاء؛ هذا غير مؤكد أبداً. هنَّ علامات استفهام تمشي على قدمين متحديات (أو مستجديات) في المدارس والجامعات والمتحدثات الأخريات اللواتي ينقلن ما هو مقبول ثقافياً للنساء، أن يقال لهن صراحةً ودون لبس: هذا لا يطاق، هذا غير مقبول، نحن لا نصيب النساء بالمخمصة هنا، نحن نقدّر النساء. فمن خلال غض المدارس والجامعات الطرف عن ويلات رد الفعل العنيف بين الشابات فإنّها تقتل بنات أمريكا. وتتعلم أوروبا القيام بالأمر ذاته لبناتها. ليس عليكِ أن تموتي لتُحسبي من بين المصابات. لا يمكن تماماً تسمية المصابة بالقهم أنّها على قيد الحياة. أن تكوني مصابة بالقهم يعني أن تحافظي على نفسك قريبةً من الموت يومياً، يعني أن تكوني عضواً من مجموعة الأموات الأحياء.

نظراً لأن المؤسسات تعامل هذا الوضع كأحد الأشياء النسائية المحرجة المستوردة إلى الدير، مثل موزعات الذكة النسائية أو الفساتين العامة التي تُلبس فوق التنانير، فليس هنالك من حدادٍ رسميٍّ على ذلك. تُمنع الطالبات من الاعتراف علانية بما يعرفن في دواخلهن أنّه يحصل حولهن. لا يسمح لهن بالادعاء بأنَّ هذا الوباء حقيقة، وأنّه يحدث بالقرب منهن وفي دواخلهن. لذلك عليهن كبح هذه

المعرفة المخيفة، أو تسفيهها، أو لوم من تشعر بالمعاناة منها. وتمرض أنثى أخرى، وتختفي أخرى، وتسقط أخرى ميتة.

في الجامعة لم تتح فرصة للحداد على سالي. كانت ترتدي مثل دمية خرقاء رثة، ذات قماش باهت ودانتيل مخرم، لقد وضعت ريشة طاووس على قبعةٍ قديمة. أبقت على بطنها الأشبه ببطن المصابين بكواشيوركور(*) مخفياً بأدب، وذكاؤها المخفي مستتر، لكنها كانت قادرة على تحليل أي حجة وتمنع بإهمال ذكر خلاصة تنم عن ذكاء حادٍ كالكوارتز. صوتها الضعيف يكاد ينقطع، وشفاهها الشاحبتان مطبقتان على بعضهما. في الحفلات تسند رأسها المخاط على جسدها (حيث يظهر رأسها كبيراً جداً نسبةً إلى جسمها) للحصول على قوة كافية لضربه مراراً وتكراراً بأقرب جدار. دماغها مرتخٍ لأجل الراحة، وقد ترقص كأنّها زاحف في عيد الهالوين، تُلوّح بأطرافها مفككة المفاصل. لقد كانت الجملة الفريدة في الحرم الجامعي: (اعزف موسيقى جيدة لسالي لترقص عليها).

لقد غادرت فجأة. كان على زميلتها في الغرفة توضيب أشيائها بعدها: ميزان حساس لوزن نصف قطعة من الخبز المدور يومياً؛ أثقال للتمارين تزن ١٥ رطلاً؛ مقالة الوضوح المدمر متروكة على مكتبها غير مكتملة.

عندما قيل لي إنَّ قواها قد خارت، تذكرت أحد أوقات الظهيرة الزرقاء الساطعة في الخريف، عندما خرج مجموعة من الطلاب من صفٍّ، يتجادلون بحدة. أسقطت كتبها بقوة، رمت كتفيها للوراء، لتخلع سترتها المعلقة على أكتافها تاركةً جيوباً كبيرة للهواء الجليدي، ثم استدارت بحركة دورانية بطيئة على قدمٍ واحدة، وقفزت في منتصف تلك المجموعة. قام صبيٌّ بالتقاطها قبل أن تسقط، وقدَّمها إلي، وهي تتملص مثل طفلٍ مزعج. أمسكتها بين ذراعيّ دون صعوبة. لقد نجَحَت، لقد تفوقَت على الجاذبية. كانت أطرافها خفيفة كأغصان البتولة المجوفة، لفائف لحائها سليمة بالكامل، لكن جوفها منهار، أصبح الجوف هشاً. لقد طويتها بسهولة، لأنّه لم يكن هنالك شيء بها.

(*) كواشيوركور Kwashiorkor: حالة طبية تنتج عن نقص البروتين في الجسم نتيجة نقص الغذاء من أوضح أعراضها كبر حجم البطن.

حزمٌ من الأغصان والعظام تلبس أحذية نايك، تصفع الأرض(*) وهي تمشي في جوٍّ قاسٍ؛ ألقت الشابات بظلال دمى عصا الجاوي(**)، ذات الرأس الضخم، وهن يختفين في ضوء جانبي. يعانين من جفافٍ في الفم كالعجائز، غير مستقرات، يتجهن إلى المنزل على ركبهن المتورمة بينما يكون الوقت لا يزال صباحاً.

لا شيء يبرر المقارنة مع الهولوكوست؛ لكن عند مواجهة عدد هائل من الجثث الهشة التي تتضور جوعاً ليس بسبب الطبيعة، إنما بسبب الرجال، فيجب على المرء أن يلاحظ وجود تشابه واضح. لا يستطيع الجسد الذي يتضور جوعاً معرفة أنّه من الطبقة الوسطى في المجتمع. لا يستطيع الجسد المسجون معرفة أنَّ ذلك يعد حرية. تجربة العيش في جسد مصاب بقهم عصبي شديد، حتى إذا كان ذلك الجسد يسكن في ضاحية مترفة، هي نفسها تجربة جسد يعيش في معسكر بيرغن بيلسن(***)؛ وذلك إذا تخيلنا أنَّ السجين في معسكر بيرغن بيلسن له فرصة ٤٠ بالمئة أن يظل سجيناً إلى الأبد وفرصة ١٥ بالمئة أن يموت. إنَّ هذه التجارب أقرب لبعضها من قرب أحدها لتجارب جسد الطبقة الوسطى غير المسجون في العالم الأول المترف. على الرغم من أنّني أحاول تجنب صور معسكرات الموت، إلا أنّها تعود إلي. لا تزيد أوزان أجساد أولئك الشابات على أوزان الأجساد الموثقة في أرشيف ما كان يسمى بحق الجحيم. ففي أشد لحظات مرضهم لم يعد لديهم شيء ليأكلوه؛ ولم يكن لديهم خيار. ولسبب غير معروف، لا بد أنّه فيزيولوجي، وفي مرحلة معينة من جوعهن يفقدن القدرة على التوقف عن التضور جوعاً، ويبدأن بتناول الطعام. في النهاية، الأمر الذي من النادر أن يُعترَف به هو أنّهن جائعات. لقد كنتُ جائعة في كل لحظة وعي؛ لقد كنت جائعة حتى في نومي.

يجب أن تدعي النساء بأنَّ القهم ضرر سياسي لحق بنا من النظام الاجتماعي الذي يعد تدميرنا أمراً غير ذي أهمية بسبب ما نحن عليه، بأننا أدنى مرتبة. يجب أن نُعرِّفه كما يعرف اليهود معسكرات الموت، كما يُعرِّف المثليون الإيدز: بأنّه خزيٌ ليس مرتبطاً بنا، إنما هو من صنع النظام الاجتماعي اللاإنساني.

(*) حالة طبية تنتج عن صعوبة في رفع الجزء الأمامي من القدم. أشبه بحالة طبية أخرى تسمى سقوط القدم foot drop.

(**) نوع من الدمى مصنوع من عصيٍّ صغيرة.

(***) أحد معسكرات الاعتقال النازية في ألمانيا.

القهم هو معسكر اعتقال. إنَّ خُمس الشابات الأمريكيات المثقفات سجينات فيه. قارنت سوزي أورباش القهم بالإضراب عن الطعام عند السجناء السياسيين، لا سيما المنادون بحق المرأة في الاقتراع. لكن قد تجاوزنا زمن الاستعارات. أن تكوني قهمية أو مصابة بالشره المرضي هو أن تكوني سجينة سياسية.

الموجة الثالثة: مجَمَدةُ الحركة

إذا نظرنا إلى العلاقة الخاملة لمعظم الشابات بالنسوية، نرى أن أسطورة الجمال نجحت في هجومها، ونستطيع رؤية ذلك من خلال القهم والشره المرضي. أين النساء الناشطات في الجيل الجديد؟ أين الدماء الجديدة لبث الطاقة في إجهاد واحتراق الموجة الثانية؟ لمَ الكثيرات صامتات؟ في الحرم الجامعي، ما يصل إلى خُمسهن هادئات للغاية، ذلك أنّهن يتضورن جوعاً حتى الموت. الأشخاص الجائعون دائماً ما تعتريهم صفة سيئة بأنهم يفتقرون للحماس التنظيمي. ويتم التغلب على ٥٠ بالمئة أخرى تقريباً بالإدمان المخزي المضيع للوقت بتقيؤ ما في جوفهن في مراحيض المراكز الأساسية للتعليم العالي. نفس الشابة التي تبدو أنّها وارثة الحركة النسائية، نراها لا تحمل رايتها لسبب قد لا يكون أكبر من كونها مريضة جسدياً للغاية للقيام بأكثر من تحمل المتطلبات الشخصية العاجلة. وعلى المستوى العقلي، فإنَّ وباء اضطرابات الشراهة قد يؤثر على نساء هذا الجيل بمثل هذه الطريقة لجعل النسوية تبدو غير مقنعة من الناحية النظرية، فتوحي بـ: كونك امرأة حتماً ليس أمراً تسخطين وتثورين عليه، فهو يجعلك جائعة وضعيفة ومريضة.

وما وراء هذا هنالك المشاكل الموروثة التي ولدتها الأسطورة. ترث الشابات ٢٠ سنة من الرسوم الكاريكاتورية الدعائية للمرأة النسوية القبيحة، لذا قالت إحدى طالبات السنة الأخيرة في إحدى الجامعات لمجلة تايم: (أنا أنثوية، ولست نسوية، أتصور المرأة النسوية امرأة ذكورية لا تحلق شعر ساقيها). لا تدرك الكثير جداً من الشابات أنَّ هنالك آخرين صوروا (المرأة النسوية) بتلك الطريقة حتى يكونوا متأكدين من رد النساء بتلك الطريقة. وعلى نحوٍ مقلق، هنالك آخرون يلقون اللوم على الحركة النسائية بسبب رد الفعل الذي اتخذه الجمال ضدها؛ فمثلاً قامت كاثرين (فتاة بعمر ٢٥ عاماً) باقتباس ما كتبته سيلفيا آن هيوليت Sylvia Ann Hewlett لتصف مُتَقَاضيةً كانت في مكتبها للمحاماة: (غالباً ما أشعر بالاستياء... من الطريقة التي يسبب بها تحرير المرأة علو توقعات الرجال)، وتشتكي أنّه منذ

عشرين سنة كان هنالك شابٌّ محامٍ يريد أن يحمل (شقراء ميتة) على ذراعه، بينما يتنافس هو وزملاؤه اليوم على ملازمة الفائز بينهم؛ (الغنيمة الوحيدة كانت أنَّ أولئك النساء المحترفات كان عليهن أن يظهرن دائماً تقريباً بأنهن فاتنات كتلك الشقراء الميتة من الماضي). في النهاية تسعى الأسطورة لتثبيط جميع الشابات عن التشبه بالنسويات السابقات؛ وذلك ببساطة لأنَّهن نساء أكبر سناً. يمنح الرجال أنفسهم تقليداً يتناقلونه عبر الأجيال، بينما يُسمح للنساء فقط اتباع الموضة دائمة التغير. وتحت تلك الهيكلية، يضعف الارتباط بين أجيال النساء بحكم التعريف: فنادراً ما يُتمسك بالماضي باعتباره تاريخاً أو إرثاً، إنما يتعرض للسخرية حسب القاعدة الراسخة للموضة باعتباره عتيقاً بدرجة محرجة.

عند مشاركتك وجبة طعام مع شابة من الجيل الحالي، فيجب أن تستعدي لأن تشهدي علاماتٍ لمرض مميت. ستتجاهلين إمعانها الجنوني بقائمة الطعام، الطريقة الدقيقة التي تقشط بها الصلصة من على الطعام. إذا شربتْ ٥ كؤوس من الماء وبدأت بمص الثلج ومضغه، فعليك ألا تعلقي على ذلك. يجب أن تغضي الطرف إذا بدأت بنقل أصابع الخبز إلى جيبها، وتجاهلي تهيجها المتهور عند ظهور صينية المعجنات، وكذلك غيابها المخجل الطويل بعد الوجبة، قبل فنجان القهوة. (هل أنتِ على ما يرام؟)، (أنا بخير). كيف تجرئين على طرح هكذا سؤال؟!

عندما تتشاركين معها الفاتورة، فأنتِ لم تتشاركي معها وجبة طعام. النقاش المتجدد باستمرار، والذي يعُده الشباب في كل جيلٍ بديهياً، هو نقاش عن كيفية تغيير العالم ليناسب رؤيتهم، لكن من غير الممكن أن يتجدد بين النساء على طاولة مثل هذه. تأتي عربة المعجنات أولاً، مقابضها المزخرفة تشغل ناظريك، تحجب عنك رؤية ما سواها. يجب على العالم أن ينتظر. هكذا تجري الأمور.

ليس هنالك من شرير يتربص عند المحاسب، ليس هنالك من عدوٌ مرئي قام بهذا لكما؛ هنالك فقط النادل، وأغطية المائدة المزخرفة، واللوح الأسود الحاوي على قائمة الطعام اليومية، ودلو الثلج المليء بمكعباتٍ تذوب، والممر المخفي الذي يقود إلى الحمامات ذوات الأقفال الانزلاقية. قالت حنة آرنت Hannah Arendt إنَّ الشر تافه. لكن الفعل الشرير يحصل بكل الأحوال، بل ويجري الأمر

كما لو أن فعل الشر قد اقترفته أيدينا. ثم تأخذين معطفك وتخرجين وتسلكين طرقاً مختلفة، دون أن تكوني قد تحدثتِ عن أي شيءٍ جديدٍ هام في الحياة.

الشابات والفتيات الصغيرات مُضعفات لدرجة خطيرة بوراثتهن التداعيات العامة لعقدين من ردود الأفعال الخاطئة لأسطورة الجمال. لكن هنالك عوامل أخرى تضاعف هذه الضغوط على الشابات بدرجة شديدة بحيث لا تصبح المفاجأة عدد المصابات باضطرابات الشهية، إنما المفاجأة أن توجد أنثى غير مصابة بأحدها.

تتضور الفتيات والشابات جوعاً أيضاً لأنَّ الحركة النسائية غيرت المؤسسات التعليمية ومكان العمل بما يكفي لجعلهن يعترفن بالمرأة، لكن ليس بما يكفي لتغيير ذكورية السلطة نفسها. النساء في الجامعات والمدارس (المختلطة) لا يزلن معزولات عن بعضهن، ويُعترف بهن عند غياب الرجال. تبقى دراسات النساء على هوامش المناهج، وأقل من ٥ بالمئة من الأساتذة هم من النساء؛ وإنَّ الرؤية الكونية التي درستها الشابات ذكورية. يهدف الضغط عليهن إلى انسجامهن مع الجو الذكوري. وبانفصال الشابات في الحرم الجامعي عن أمهاتهن يقلّ لديهن عدد القدوات الأكبر سناً من غير الذكور؛ كيف إذاً يمكنهن تعلم كيف يحببن أجسادهن؟ الصور الأساسية للنساء التي أعطيت لهن ليعجبن بها ويحاكينها ليست صور نساء حكيمات مثيرات للإعجاب أكبر منهن، إنما صور فتيات من عمرهن أو أصغر، لا يحترمن عقولهن. عملياً، هذه الجامعات مرتبة للرجال أو النساء منزوعات الأنوثة. هي مملوءة بلوحات زيتية للرجال؛ محفوفة بأسماء الرجال المساهمين؛ مصممة للرجال (كما نادي ييل في نيويورك، والذي لمدة عشرين سنة ـ بعد أن تم الاعتراف بالنساء ـ لم يمتلك غرفاً خاصةً للنساء لتبديل الملابس). إنَّها لا تضاء من أجل النساء اللواتي يرغبن في الهروب من الاغتصاب؛ في حرم جامعة ييل تُظهر خرائط الشرطة أركان الشوارع الأكثر خطراً للاغتصاب أنها منيعة ـ زعماً ـ على أجساد الطلاب، وذلك كي لا يتلقى الآباء تحذيراً. لا تهتم الجامعات كثيراً بالأشياء التي تحدث لأجساد النساء خاصةً دون أجساد الرجال. تشعر الطالبات أنَّ هذه الرغبة المؤسسية توحي بأنَّ مشاكل أجسادهن النسوية ستختفي من تلقاء نفسها؛ معتبرة ـ من تلقاء نفسها ـ أن الأجساد نفسها ستختفي.

إضافة إلى هذه العزلة والافتقار للاعتراف هنالك المستوى غير المسبوق من التوقعات المبنية على الشابات الطموحات. استكشفت النساء الأكبر سناً

بطرائق متعددة أفضل الأدوار لكلا الجنسين: يكبرن كنساء ويحاربن بطريقتهن في قوة العمل الذكورية. يتعلمن التأكيد على قيم النساء ويحترفن عمل الرجال. إنَّهن قويات بدرجة مضاعفة. أما الشابات فضعيفات بدرجة مضاعفة: ترعرعن لينافسن كالرجال في مؤسسات ذكورية بقوة، ويجب أن يحافظن أيضاً على أدق تفاصيل الأنوثة الكاملة. أدوار جنس النساء في هذا الجيل غير متسقة كثيراً لتكون مضاعفة: حيث يُتوقع من المرأة اليوم أن تتصرف مثل (رجل حقيقي) وتبدو مثل (امرأة حقيقية). نقل الآباء إلى البنات توقعات الإنجاز التي كانت مخصصة للأبناء الذكور؛ لكن الحِمل الملقى على عاتقهن بأن يكنَّ جميلاتٍ، الموروث من الأمهات، لم يخف باعتبار حملهن حملاً إضافياً من الآباء.

تؤدي مراسم تحقيق الإنجازات إلى إثارة هذا الصراع: أي نقل الشباب إلى مستوى جديد من السلطة والخبرة، حيث تستحضر تلك الاحتفالات عاطفة لاأنثوية، إنَّها تستحضر الفخر. لكن مع كل طقسٍ من طقوس العبور خلال هذه المؤسسات، تُنتزع دفعات من المرأة الشابة على شكل (جمال)؛ وذلك استرضاءً وإغراءً للرجال موضع السلطة، وهو مطلوب في هذه الأوقات كدليل أنها لا تعني شيئاً خطيراً جداً بالفوز بهذه الدبلوما أو الترقية. فمن ناحية، تضغط السلطة هنا مجدداً على أسطورة الجمال لإحباط الإنجازات التي تدخل فيها المرأة؛ ومن ناحية أخرى، تشيد النساء بالأسطورة في مثل هذه اللحظات طلباً للحماية، وهي تعويذة ستتيح لهن الوصول إلى المرحلة التالية دون عقاب.

في الخمسينيات كان (الولع بالحياة المنزلية) هو ما خفف لحظات الإنجاز هذه. وكما ورد في إعلان ليستيرين: (ماذا تساوي الشهادة أمام تلك الخواتم البراقة الثمينة التي كان يرتديها بابس Babs وبيث Beth؟). ويقوم (الجمال) اليوم بنفس الأمر: (١٥ يوماً فقط بقي لتتخرج بيكي. أريدها أن تكون فخورة بي أيضاً... جعلت ألبا من حميتك الغذائية نجاحاً نجاحاً رائعاً). في إعلان لشركة جوني ولكر، تطلَّب الأمر عارضتين للموضة الراقية لإلهام فكرة: (يظن هو أنه لا بأس بالنسبة إليّ أن أنجز أكثر منه). واستشهدت صحيفة نيويورك تايمز بامرأة أهداها حبيبها عملية زراعة ثدي لاستكمال الدكتوراه. والاتجاه الحالي في الولايات المتحدة هو أنَّ البنات اللواتي يتخرجن من الجامعة يخضعن لعملية زراعة ثدي، بينما الذكور

يذهبون في جولة كبيرة تقليدية إلى أوروبا. الطالبات الأروع في الحرم الجامعي هنَّ في الغالب الأقرب إلى المخمصة الكاملة.

إنَّ النساء اللواتي يخضعن لعملية زراعة ثدي أو شفط دهون أو تجميل أنف، لا يحصلن على ذلك فقط كجوائز لحصولهن على قوةٍ ما (الدكتوراه أو الميراث أو بار متسفا)(*)، بل يحصلن أيضاً على هذه الأشياء ـ ويطلب منهن الحصول عليها ـ كترياقٍ لاكتسابهن تلك القوة.

إنَّ دفعة التضحية هذه دينية، لاسترضاء الآلهة قبل الشروع في المرحلة التالية من الرحلة. والآلهة عطِشة، تطلب أن تُسترضى. يقول المشرف الذي يحضر مقابلات منحة رودوس الدراسية في جامعة ييل: (أيها الأولاد، هذا كل شيء؛ أيتها الفتيات، رجاءً ابقين قليلاً من أجل وضع الإشارات على الملابس ومن أجل اتخاذ وضعية جيدة ومن أجل المكياج). في مأدبة الغداء، بينما يُسأل الأولاد: (كيف تخطط لإنقاذ العالم من نفسه؟)، تُسأل الفتيات: (كيف تعملين على الحفاظ على شخصيتك الجميلة؟).

تكشف مراسم تحقيق الإنجازات الحاجة للسلطة لمعاقبة النساء باستخدام الجمال، حيث إنَّ التوتر المتمثل في قمع صدى أي إنجاز أنثوي أصبح أمراً رسمياً في تلك الاحتفالات بدرجة غريبة. تميل إهانات أسطورة الجمال لتطلق عليهن نكاتٍ أشبه بالنكات حول الموت في جنازة. يفترض أن تستمر ذكريات احتفالات الإنجاز هذه مثل لقطات الكاميرا التي تتصلب متحولة إلى ألوانٍ دائمة وذكريات لإبقاء السباق الصعب جارياً؛ إلا أنّه في الواقع بالنسبة إلى الفتيات والشابات تُبقي الأسطورة هذه الألوان سائلةً دائماً بحيث ـ وبكلمة واحدة ـ يمكن مدّ ألوانها لتصبح على شكل ظلال موحدة من الوحل.

في حفل تخرجي، واجه المتحدث ديك كافيت (وهو (أخو) رئيس الجامعة في الجمعية السرية للذكور) ألفي شابة متخرجة من جامعة ييل يلبسن القبعة الجامعية المربعة وأثواب التخرج الأكاديمية، وقصّ عليهنّ هذه القصة: عندما كنتُ في جامعة ييل لم يكن هنالك نساء، كانت النساء يذهبن إلى جامعة فاسار Vassar،

(*) بار متسفا هو حفل يهودي ديني يقام عند بلوغ اليهودي ١٣ من عمره، أي عندما يعتبر مكلفاً بأداء جميع الفرائض المفروضة عليه حسب الشريعة اليهودية.

وهناك يُلتقط لهن صورٌ وهُنَّ عاريات في صالة الرياضة للتحقق من وضعيتهن. بعض الصور تصل إلى السوق السوداء للمواد الإباحية في نيو هيفن. لكن الكلمة الأقسى كانت: لا تحصل تلك الصور على أي راغب في ذلك السوق.

سواء كانت الإهانة متعمدة أم لم تكن كذلك، فقد كان لها أثرها: ربما نكون نشبه إليس Elis، لكن لا تزال صورنا الإباحية لا تستحق الشراء. اليوم، هنالك ٣٠٠٠ رجل في دفعة عام ١٩٨٤ متأكدين أنَّهم تخرّجوا من تلك الجامعة، يتذكرون حفل التخرج كما يجب أن يعني لهم: فخراً. لكنَّ كثيراً من أولئك الخريجات الألفين، عندما يستطعن التفكير بذلك اليوم، يتذكرن مشاعر العجز: الإقصاء والعار والعجز والصمت المتواضع. لم يكن بإمكاننا الاعتراض على ذلك، لأنَّه كان اليوم العظيم لآبائنا الذين سافروا لمسافات طويلة من أجله؛ وهم أيضاً لم يتمكنوا من الاعتراض، ولنفس السبب.

كانت أشعة الشمس تخترق المطر، يصدر الميكروفون أصوات تشويش، الطين يتدفق، كل الأمور كانت خاطئة. جلسنا دون حراك تحت عباءات البوليستر الحارة التي كنا نرتديها. قام المتحدث بنقلنا للحظة خارج فناء الجامعة اللطيف، وهو المكان الذي جعلونا نعتقد أنَّنا كُنا في موضع اعتزاز فيه، وعلى بعد ٤ أبنية كان الحي الدنيء الذي لم تجد فيه صورنا العارية المسروقة شارياً. كُنا ننتظر وثيقة التخرج التي ستشرف عقولنا، لقد أُرجعنا بتخبط متردد إلى أجسادنا، والتي قيل لنا للتو إنه لا قيمة لها. وخلال تلك الفترة ونحن غير قادرات على الجلوس ساكنات لبقية الخطب إلّا إنْ فَصَلْنا عقولنا (التي تُحيَّا ويصفق لها) عن أجسادنا (التي يُسخر منها)، فقمنا بذلك. أردنا الشرف، لقد استحققناه. لكن أتى الشرف والسخرية في الوقت ذاته من نفس المنصة. لقد بدَّلنا مقاعدنا.

لقد دفعنا الثمن المطلوب منا. وبالعيش في تلك اللحظات، بدأت الإحصاءات التي تبدو غير حقيقية لأمراض اضطرابات الشهية عند الشابات تتضح. إنَّ انفصالاً مثل هذا يجعل المرء يشعر بالغثيان. لقد اختُطِفَ منا فخر ٤ سنوات من العمل الجاد والكفاح في اللحظة التي وصلنا فيها إليه، وأُعيد إلينا فاسداً. كان هنالك طعم العصارة الصفراوية لشخصٍ آخر في فمنا.

اتحد ضغط مواد الجمال الإباحية مع ضغوطات الإنجاز في ضرب الشابات في موقفٍ كُنَّ فيه هشّاتٍ للغاية: في استكشافهن لجنسانيتهن فيما يتعلق

بإحساسهن بقيمتهن. تجعل مواد الجمال الإباحية من مرض اضطراب الشهية يبدو حتمياً، بل وحتى مرغوباً فيه، وذلك إذا اعتبرت شابةٌ ما نفسها جنسانية وذات قيمة: وجد روبن لاكوف Robin Lakoff وراكل شير Raquel Scherr في كتاب **القيمة الظاهرية** *Face Value* عام ١٩٨٤ أنّه (بين فتيات الجامعة، كانت التعاريف (العصرية) للجمال (الصحة والطاقة والثقة بالذات)) منتصرة. لكن (الأخبار السيئة) هي أنَّ جميعهن (لديهنَّ شاغلٌ هام واحد فقط: أشكال أجسادهن وأوزانها. جميعهن لديهن الرغبة بخسارة ٥ ـ ٢٥ رطلاً، على الرغم من أنَّ معظمهن لم يكن يعانين ولو من أدنى زيادة طفيفة في الوزن. لقد وصل بهنَّ الأمر إلى تفحّصٍ دقيق لكل عيب في كل بقعةٍ من أجسادهن، وتحدثن عن الاشمئزاز الشديد الذي كُنَّ يشعرن به في كل مرة ينظرن فيها إلى المرآة). كان (الاشمئزاز الشديد) الذي كُنَّ يشعرن به نتيجة تعلمهن الأعراف الصارمة لمواد الجمال الإباحية قبل تعلم قيمتهن الجنسية؛ وفي مثل هذا الجو تكون اضطرابات الشهية منطقية تماماً.

جيل القهم والمواد الإباحية

عندما تتسنى فرصةٌ لنساءٍ من مختلف الأعمار للتحدث مع بعضهن، فإنَّ الفجوة الموجودة بين النساء الأكبر سناً وأجيال القهم والمواد الإباحية تسبب أخطاءً فظيعة في ترجمة مفاهيمهن لبعضهن. تقول بيتي فريدان Betty Friedan عن جمهورها في الكلية: (هذا ما أقوله لجذب انتباههن):

(كم منكن سبق وأن ارتدت حزاماً؟)، فيضحكن. ثم أقول:... (لقد كان من المعتاد كونك امرأة في الولايات المتحدة أن... تغطي جسدك بغلافٍ بلاستيكي متين يجعل من التنفس والحركة أمراً في غاية الصعوبة، لكن لم يكن من المفترض أن تلاحظي ذلك. لم يسألن لمَ كنتن تلبسن الحزام، ولم يكن من المفترض أن تلاحظن وجود بقعٍ حمراء على بطونكن عند خلعه ليلاً). ثم أقول: (كيف أتوقع منكن أن تعلمن كيف يكون الشعور عندما لا ترتدين أي شيء تحت بناطيل الجينز الزرقاء باستثناء الجوارب الطويلة أو ألبسة بكيني صغيرة؟)، ذلك يوصل الفكرة لهن. ثم أشرح إلى أي مدى وصلنا، أين نحن الآن، ولمَ عليهن البدء بقول: (أنا نسوية).

بالنسبة إلى كثير من الشابات في جمهور بيتي فريدان فإنَّ الحزام موجود، لكنه مصنوعٌ من لحمهن، لا يستطعن نزعه مساءً. لم تجلب (ألبسة البكيني الصغيرة) لهذا الجيل حرية جسدية طائشة، لقد أصبحت دعائم تتراكب مع السيناريوهات الجنسية الكاذبة الأنيقة للشابات فتضع حدوداً جديدة على ما يمكنهن التفكير به، وعلى كيف يتحركن، وما يأكلن. كان رد الفعل موجهاً لعقول الشابات، وقد كان أكثر حرية وقوةً، له تأثيرٌ أكبر من أي تأثير قد سبقه، تأثير لم تعد تستطيع مشدات الخصر والأحزمة والبوابات في الجامعات فعله. البنات بعد عام ١٩٦٠ يرين في يوم واحد صوراً لنساء مستحيلات (الجمال) يشاركن في وضعيات (جنسية) أكثر مماً شاهدته أمهاتهن خلال فترة مراهقتهن كاملة: تحتاج أن تكون محطَّ نظرٍ أكثر إذا أرادت معرفة مقامها. وبالتشبع بتلك الصور، يُنزع فتيل الانفجار المحتمل لهذا الجيل بأمان.

أصيبت الشابات المولودات بعد عام ١٩٦٠ بأمراض منهكة نتيجة رؤية عروض صغيرة للنشاط الجنسي بعيداً عن مواد الجمال الإباحية. لكن مرضهن ليس أشدَّ من مرض بنات الجيل اللواتي كُنَّ طفلات في السبعينيات؛ أولئك النساء الصغريات مريضات مرضاً مميتاً. فماذا عن بنات الثمانينيات؟

(لقد ازدادت حالات اتباع نظام غذائي بين الفتيات قبل مرحلة المراهقة (بنسبة كبيرة) في السنوات الأخيرة... نحن نعلم أن اتباع نظام غذائي منتشر في الصفين الرابع والخامس)، وفقاً لتقرير فيفيان ميهان Vivian Meehan، رئيسة الجمعية الوطنية للقهم العصبي والاضطرابات المرتبطة به. في دراسة استقصائية شملت ٤٩٤ تلميذة من الطبقة المتوسطة في سان فرانسيسكو، وصفت أكثر من نصف أولئك التلميذات أنفسهن بأنّهن يعانين من زيادة في الوزن، في حين أن ١٥ بالمئة فقط منهن كُنَّ كذلك بالفعل حسب المعايير الطبية. اعتقدت واحدة وثلاثون بالمئة منهن في سن التاسعة بأنهن كُن سمينات للغاية، و٨١ بالمئة في سن العاشرة كُنَّ يتبعن حميات غذائية. وقد وصف مقال نُشر عام ١٩٨٩ في صحيفة نيويورك تايمز، بعنوان (طفلات في أرض المكياج Babes in Makeup Land)، حملةً تسويقية جديدة لمستحضرات التجميل للفتيات الصغيرات اللائي يبلغن من العمر ست سنوات (ملونة بالكامل)؛ استخدمت دمية واحدة، وكان عنوان الدعاية مكياج ليل ميس، تظهر فيها دمية (تشبه فتاة بعمر ٥ أو ٦ سنوات)، عندما تمسح

بالماء البارد، (يرتفع حاجباها وجفناها الملونان وأظافرها وشفتاها الملونتان ولها علامات على شكل قلب).

هذه الفتيات الصغيرات، المولودات في وقتٍ قريب من الانتخابات الأولى لرونالد ريغان Ronald Reagan، يظهرن طفرات الجيل الثالث من ردة فعل الجمال ضد الحركة النسائية. لقد ولدن بتشوّهٍ خلقي: إنَّهن يفتقرن للطفولة. سيواجه هذا الجيل مشاكل في العيش في الجسم أكثر من بنات الستينيات والسبعينيات. ولدن للتنافس، وسيتنافسن بدءاً من ذكرياتهن الأولى المرتبطة بالأنوثة والحرمان. أصبح للمخمصة بالفعل تأثيرٌ مثيرٌ عند الفتيات الصغيرات اليوم كمدخل للنشاط الجنسي للبالغات. فبالنسبة إلى الطفلة المعاصرة التي تبلغ من العمر سبعَ سنوات، أصبح الوقوف على ميزان والصياح برعب طقساً من طقوس الأنوثة، طقساً لا ينفصم عن الوعد بالرضا الجنسي، مثل وقفة بنات جيلي باستفزاز أمام المرآة مرتدياتٍ كعباً عالياً، ومثل نساء جيل أمي اللواتي كُن يتبرّجن بملابس من الساتان الأبيض. إذا كُنّ قد بدأن بالفعل باتباع حمية غذائية في عمر السابعة، ولم يمارسن الجنس حتى منتصف سن المراهقة، فسيكون قد فات الأوان: ذلك أنَّهن سيكنّ قد قضين نصف حياتهن يتعلمن المازوخية استعداداً للإشباع الجنسي. ستكون فرصتهن ضئيلة لتشكيل ذكريات حياة مثيرة في جنة عدن بجسد الطفلة غير المجزئ الساعي وراء المتعة. سيتعلمن المازوخية بتعلمهن النشاط الجنسي، وسيدخلن فترة مراهقة طويلة غير آمنة، محاصرات برسائل الجمال الأخرى مثل المازوخية، غير محميات بكمال الجوهر الجنسي البريء من الألم.

خارج الطريق

لقد أُهملت حماية الوصيفات، ولم يُطالب بحماية السلامة الجنسية بالكامل بعد، الشابات عرضةً لمخاطر طرائق جديدة تماماً. صحيح أنَّه لديهن الآن فسحة أكبر للتنقل فرادى دون صحبة في أنحاء العالم أكثر من أي وقتٍ مضى، لكن من المثير للسخرية أنَّ ذلك أصبح أيضاً استخداماً جديداً لاضطرابات الشهية.

رهاب الأماكن المغلقة القديم لديه تأثير مخرش جديد، أكثر إغاظة من أي وقتٍ سبق. تعرف الشابة ما تفتقده أكثر من أمها عندما كانت في سنها. لقد ذاقت، ومن ذاق عرف. في قصيدة كريستينا روسيتي Christina Rossetti (سوق العفاريت

(Goblin Market) كان هنالك أخت لم تذق طعم الفاكهة المحرمة، بقيت كاملة؛ أما الأخت الأخرى فرشفت رشفةً واحدة من حلاوتها، ووجدتها ذات مذاقٍ رائع بسبب الإدمان عليها، لقد كانت تحتاج أن ترشف المزيد منها، احتاجت أن تتخم نفسها بتلك الفاكهة، أو أنها ستضيع.

التهديد الكامن في الخطر الجنسي يجعل جسد الفتاة منظراً طبيعياً للمشاهدة يجب أن تجعله يتماشى مع العالم الخارجي الذي أصبح قريباً جداً. توحي هذه الإقامة الجبرية للمراهقات في المنزل بأحلام بحث واستكشاف صحوة جرداء عقيمة. مراكش، مالابار، جزر سبايس، ثم انهيار لخيالات الاكتشاف، ثم تتعلم أن ترسم نقطةً بقلم التظليل وسط شفتها العليا. يجب أن تكون مغامراتها مقصورة على مغامرات يمكن فيها النظر إلى جسدها بحيث تكون آمنة، لأن المغامرات الجيدة حقاً سيعرضها النظر فيها لتأثيرٍ كارثي. حيثما يذهب أقرانها من الذكور على الطريق(*)، يتعين عليها وعلى القيد الذهبي لـ (جمالها) الانحراف عن ذلك الطريق.

كمراهقة، تدرك برعب متصاعد أنهم لم يكونوا يمزحون: لأن المشي وحدها سيكون نشاطاً مقلقاً إلى الأبد. إنَّ القهم والشره المرضي والتمارين الرياضية لضبط الجسم تلغي وتُخدر شعور الإحباط الناتج عن رهاب الخوف الذي يصاحب إدراك الفتاة الحزين بأن العالم الواسع الذي تخيلته، الذي ورثته للتو، منغلق عليها بسبب تهديد العنف الجنسي.

إذا كانت ستأكل فقد تحصل على طاقة؛ لكن المراهقة مرتبة للتنفيس الآمن عن المكنونات الذكورية. لدى الأولاد منافذ لتفريغ هذا الهيجان الناتج عن انتظار بدء التحليق، من الأحداث الرياضية إلى الفتوحات الجنسية إلى المشي المزاجي في الغابة. لكن إذا كان لدى فتاةٍ ما مقدار كامل من حب السفر والرغبة الجنسية والفضول فهي سيئة؛ ذلك أنَّه بامتلاكها لمخازنَ من السكر كافية لإثارة ضجيجٍ ورغبةٍ حول الاستكشاف الفكري، سيتحول النشاء ليقبع في ساقيها التي تزدادُ طولاً، ولدهونٍ كوقود لفضولها الجنسي، وشجاعة ناتجة عن عدم الاهتمام من أين ستأتي وجبتها التالية؛ بوجود هذا كله ستكون في مشكلة.

(*) على الطريق: رواية وفيلم يعيش أبطاله حياة طائشة وهم يقودون سيارة على الطرقات متنقلين من مكانٍ لآخر.

ماذا لو لم تقلق حيال جسمها، وأكلت بما فيه الكفاية لتنمو كما يجب؟ قد تمزق جواربها وترقص على بطاقة مزورة لحفل فرقة Pogues، وتأتي المنزل حافية القدمين وقت الفجر لوحدها ممسكةً حذاءها بيدها، قد ترعى طفلة في مأوى النساء(*) لليلة كل شهر، قد تتزلج على شارع لومبارد بانعطافاته الحادة السبعة، أو تقع في الحب مع أفضل أصدقائها، وتقوم بشيءٍ حيال ذلك، أو تنسى نفسها وهي تحدق بأنابيب الاختبار شعثاء الشعر، أو تتسلق صخرة شاطئية شديدة الانحدار مع فتيات أخريات، وتسكر في قمتها، أو تجلس عندما يقول قسم الولاء للعَلَم والولايات المتحدة: قفوا، أو تقفز في قطار شحن، أو تتخذ عشيقاً دون أن تخبره باسمها الأخير، أو تهرب إلى البحر. قد تبتهج بالتمتع بكل الحريات التي تبدو تافهةً للغاية لأولئك الذين يهملونها، قد تحلم بجدية بأحلام تبدو هينةً للغاية لأولئك الذين كبروا وهي متوفرةٌ لهم. من يدري ما قد تفعله؟ من يدري كيف سيكون شعورها؟

لكن إذا لم تكن حذرةً فسينتهي بها الأمر: ضحية اغتصاب أو حاملاً أو طائشة، أو قد ينتهي بها الأمر فقط كما يطلق عليها الآن (سمينة). تعرف الفتاة المراهقة هذا. يخبرها الجميع أن تكون حذرة. تتعلم أنَّ جعل جسدها منظراً طبيعياً يستحق المشاهدة بترويضه أفضلُ من أي نوعٍ من الطيش أو الاندفاع قد تمارسه.

اتباع حمية غذائية يعني أن تكوني حذرة، والتسجيل في معسكر المخمصة يوفر أقصى درجات الرعاية.

(*) مأوى النساء: مكان للجوء المؤقت وتوفير الدعم للنساء الهاربات من العنف أو المواقف التي تنطوي على سوء المعاملة، مثل الاغتصاب والعنف المنزلي.

Woolf: Virginia Woolf, *A Room of One's Own* (San Diego: Harcourt Brace Jovanovich, 1981); reprint of 1929 edition.

Anorexia and Bulimia Association: cited in Joan Jacobs Brumberg, *Fasting Girls: The Emergence of Anorexia Nervosa as a Modern Disease* (Cambridge, Mass: Harvard University Press, 1988), p. 20.

AIDS: "AIDS Toll Rises by 50 percent," *Glasgow Herald*, January 7, 1990.

5 to 20 percent of women students: Brumberg, op. cit., p. 12.

50 percent of college women: *Ms.*, October 1983. A recent University of California at San Francisco survey showed "*all* [italics added] the 18-year-olds said they currently use vomiting, laxatives, fasting, or diet pills to control their weight. [Jane Brody, "Personal Health," *The New York Times*, March 18, 1987.]

Bulimic: Cited in Roberta Pollack Seid, *Never Too Thin: Why Women Are at War with Their Bodies* (New York: Prentice Hall, 1989), p. 21.

Death rate: L.K.G. Hsu, "Outcome of Anorexia Nervosa: A Review of the Literature," *Archives of General Psychiatry*, vol. 37 (1980), pp. 1041–1042. For a thorough overview of the literature, see L. K. George Hsu, M. D., *Eating Disorders* (New York: The Guildford Press, 1990).

Never recover completely: Brumberg, op. cit., p. 24.

Medical effects: Brumberg, op. cit., p. 26. According to *The Penguin Encyclopaedia of Nutrition* (New York: Viking, 1985): "The patient's teeth are eroded by acidity of ejected gastric contents. Imbalance of blood chemistry can lead to serious irregularities of the heartbeat, and to kidney failure. Epileptic seizures are not uncommon. Irregular menstrual pattern [leads to infertility]," op. cit.

Failure to thrive: Seid, op. cit., p. 26, citing Michael Pugliese et al., "Fear of Obesity: A Cause of Short Stature and Delayed Puberty," *New England Journal of Medicine*, September 1, 1983, pp. 513–518. See also Rose Dosti, "Nutritionists Express Worries About Children Following Adult Diets," *Los Angeles Times*, June 29, 1986.

50 percent of British women suffer: Julia Buckroyd, "Why Women Still Can't Cope with Food," British *Cosmopolitan*, September 1989.

Spreading to Europe: Hilde Bruch, *The Golden Cage: The Enigma of Anorexia Nervosa* (New York: Random House, 1979), cited in Kim Chernin, *The Obsession: Reflections on the Tyranny of Slenderness* (New York: Harper & Row, 1981), p. 101.

Sweden: Cecilia Bergh Rosen, "An Explorative Study of Bulimia and Other Excessive Behaviours," King Gustav V Research Institute, Karolinska Institute, Stockholm, and the Department of Sociology and the School of Social Work, University of Stockholm, Sweden (Stockholm, 1988). "Social seclusion and economic problems were seen as the two most negative effects of bulimia.

Although physical consequences were severe, the probands were not deterred by this.... In all cases bulimia was said to have caused social withdrawal and isolation" [p. 77].

Italian teenagers: Professor N. Frighi, "Le Sepienze," Institute for Mental Health, University of Rome, 1989; study of over 4,435 secondary-school students.

Middle-class: Brumberg, *Fasting Girls*, p. 9. Ninety to 95 percent of anorexics are young, white, female, and disproportionately middle- and upper-class. The "contagion" is confined to the United States, Western Europe, Japan, and areas experiencing "rapid Westernization" [Ibid., pp. 12–13]. Recent studies show that the higher the man's income, the lower his wife's weight [Seid, op. cit., p. 16].

The look of sickness: Ann Hollander, *Seeing Through Clothes* (New York: Viking Penguin, 1988), p. 151.

The average model...23 percent: Reported in Verne Palmer, "Where's the Fat?," *The Outlook*, May 13, 1987, quoting Dr. C. Wayne Callaway, director of the Center for Clinical Nutrition at George Washington University; cited in Seid, op. cit., p. 15.

Twiggy: Quoted in Nicholas Drake, ed., *The Sixties: A Decade in Vogue* (New York: Prentice Hall, 1988).

Playboy Playmates: See David Garner et al., "Cultural Expectations of Thinness in Women,"

Psychological Reports, vol. 47 (1980), pp. 483–491.

25 percent on diets: Seid, op. cit., p. 3.

Glamour survey: Survey by Drs. Wayne and Susan Wooley, of the University of Cincinnati College of Medicine, 1984: "33,000 Women Tell How They Really Feel About Their Bodies," *Glamour*, February 1984.

Obesity...heart disease: See "Bills to Improve Health Studies of Women," *San Francisco Chronicle*, August 1, 1990: According to Rep. Barbara Mikulski (Democrat, Maryland), nearly all heart disease research is done on male subjects; the National Institutes of Health spends only 13 percent of its funds on women's health research.

J. Polivy and C. P. Herman: "Clinical Depression and Weight Change: A Complex Relation," *Journal of Abnormal Psychology*, vol. 85 (1976), pp. 338–340. Cited in Ilana Attie and J. Brooks-Gunn, "Weight Concerns as Chronic Stressors in Women," in Rosalind C. Barnett, Lois Biener, and Grace K. Baruch, eds., *Gender and Stress* (New York: The Free Press, 1987), p. 237.

Other theories: Rudolph M. Bell, *Holy Anorexia* (Chicago and London: The University of Chicago Press, 1985); Kim Chernin, *The Hungry Self: Women, Eating and Identity* (London: Virago Press, 1986); Marilyn Lawrence, *The Anorexic Experience* (London: The Women's Press, 1984); Susie Orbach, *Hunger Strike: The Anorectic's Struggle as a Metaphor for our Age* (London: Faber

and Faber, 1986); Eva Szekeley, *Never Too Thin* (Toronto: The Women's Press, 1988); Susie Orbach, *Fat Is a Feminist Issue* (London: Arrow Books, 1989).

Rome: Sarah Pomeroy, *Goddesses, Whores, Wives and Slaves: Women in Classical Antiquity* (New York: Shocken Books, 1975), p. 203. Under Trajan, the allowance for boys was sixteen sesterces, twelve for girls; in a second-century foundation, boys were given twenty sesterces to girls' sixteen [Ibid.].

Infanticide: M. Piers, *Infanticide* (New York: W. W. Norton, 1978); and Marvin Harris, *Cows, Pigs, Wars and Witches: The Riddles of Culture* (New York: Vintage, 1975).

Botswana: See Jalna Hammer and Pat Allen, "Reproductive Engineering: The Final Solution?," in Lynda Birke et al., *Alice Through the Microscope: The Power of Science Over Women's Lives* (London: Virago Press, 1980), p. 224.

Less nutritious: See L. Leghorn and M. Roodkowsky, "Who Really Starves?," *Women and World Hunger* (New York, n.a., 1977).

Turkey: Debbie Taylor et al., *Women: A World Report* (Oxford: Oxford University Press, 1985), p. 47.

Not hungry: While both Kim Chernin and Susie Orbach describe this pattern, they do not conclude that it directly serves to maintain a political objective.

Anemic: Taylor et al., op. cit., p. 8, citing E. Royston, "Morbidity of Women: The Prevalence of Nutritional Anemias in Developing Countries," World Health Organization Division of Family Health (Geneva: 1978).

In a sample of babies: Susie Orbach, op. cit., pp. 40–41.

Healthy twenty-year-old female: Seid, op. cit., p. 175.

38 percent body fat: Anne Scott Beller, *Fat and Thin* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 1977); for discussion of set-point theory (the weight which the body defends), see Seid, op. cit., p. 182. See also Gina Kolata, "Where Fat Is Problem, Heredity Is the Answer, Studies Find," *The New York Times*, May 24, 1990.

Caloric needs: Derek Cooper, "Good Health or Bad Food? 20 Ways to Find Out," *Scotland on Sunday*, December 24, 1989; Sarah Bosely, "The Fat of the Land," *The Guardian*, January

12, 1990. Women who exercise: Seid, op. cit., p. 40.

Ovarian cancer: Ibid., p. 29.

Inactive ovaries, Saffron Davies, "Fat: A Fertility Issue," "Health Watch," *The Guardian*, June 30, 1988.

Frisch: Rose E. Frisch, "Fatness and Fertility," *Scientific American*, March 1988.

Low-birthweight babies: *British Medical Journal*, cited in British *Cosmopolitan*, July 1988.

But desire: Seid, op. cit., pp. 290–291.

Develop breasts: Magnus Pyke, *Man and Food* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1970), pp. 140–145.

Loyola University: Seid, op. cit., p. 360, quoting Phyllis Mensing, "Eating Disorders Have Severe Effect on Sexual Function," *Evening Outlook*, April 6, 1987.

Exercisers lose interest in sex: Seid, op. cit., p. 296 citing Alayne Yatres et al., "Running-An Analogue of Anorexia?," *New England Journal of Medicine*," February 3, 1983, pp. 251–255.

Sexless anorexics: Brumberg, op, cit., p. 267.

Sexless bulimics: Mette Bergstrom, "Sweets and Sour," *The Guardian*, October 3, 1989.

In India: Taylor et al., op. cit., p. 86.

Self-inflicted semi-starvation: Seid, op. cit., p. 31.

University of Minnesota: See ibid., p. 266; excerpts from Attic and Brooks-Gunn, *Gender and Stress*, op. cit.

Social Isolation: See Rosen, op. cit. See also Daniota Czyzewski and Melanie A. Suhz, eds., Hilda Bruch, *Conversations with Anorexics* (New York: Basic Books, 1988). See also Garner et al., op. cit, pp. 483–491.

Half-crazed confessions: Seid, op. cit., pp. 266–267.

[Dutch] great famine: Pyke, op. cit., pp. 129–130.

Lodz ghetto: See Lucian Dobrischitski, ed., *The Chronicles of the Lodz Ghetto* (New Haven: Yale University Press, 1984). See also Jean-Francis Steiner, *Treblinka* (New York: New American Library, 1968).

Starvation rations: Paula Dranov, "Where to Go to Lose Weight," *New Woman*, June 1988.

Food deprivation: Seid, op. cit., p. 266.

Eating diseases caused by dieting: Attie and Brooks-Gunn, op. cit., p. 243: "According to this perspective, dieting becomes an addiction, maintained by (1) feelings of euphoria associated with successful weight loss, requiring further caloric restriction to maintain the pleasurable, tension-relieving effects; (2) physiologic changes by which the body adapts to food deprivation; and (3) the threat of "withdrawal" symptoms associated with food consumption, including rapid weight gain, physical discomfort, and dysphoria."

Woolf, op. cit., p. 10.

Austin Stress Clinic: Raymond C. Hawkins, Susan Turell, Linda H. Jackson, Austin Stress Clinic, 1983: "Desirable and Undesirable Masculine and Feminine Traits in Relation to Students' Dieting Tendencies and Body Image Dissatisfaction," *Sex Roles*, vol. 9 (1983), p. 705–718.

An indifferent eye: The Intercollegiate Eating Disorders Conference, mentioned by Brumberg [op. cit.], did draw many colleges' representatives. But according to women's centers in several Ivy League universities, eating diseases are not dealt with beyond self-help groups, and certainly not at an administrative level. The entire term's budget for the Yale University Women's Center is $600, up from $400 in 1984. "Diet-conscious female students report that fasting,

weight control and binge eating are a normal pan of life on American college campuses." [Brumberg, op. cit., p. 264, citing K. A. Halmi, J. R. Falk, and E. Schwartz, "Binge-Eating and Vomiting: A Survey of a College Population," *Psychological Medicine* 11 (1981), pp. 697–706.]

Disgust: Quoted in Robin Tolmach Lakoff and Raquel L. Scherr, *Face Value: The Politics of Beauty* (London and Boston: Routledge and Kegan Paul, 1984), pp. 141–142, 168–169.

Friedan: Betty Friedan, *Lear's*, "Friedan, Sadat," May/June 1988.

Meehan: Quoted in Jean Seligman, "The Littlest Dieters," *Newsweek*, July 27, 1987.

Little girls' cosmetics: Linda Wells, "Babes in Makeup Land," *The New York Times Magazine*, August 13, 1989.

العنف

يجب أن يعاني المرء ليصبح جميلاً

مثل فرنسي

يجب أن تكدح المرأة لتكون جميلة.

ويليام بتلر ييتس W. B. Yeats

وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: (تَكْثِيراً أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَداً. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ).

سفر التكوين ٣:١٦

تجعل المخمصة أجساد النساء مصدر ألم لهن، وهُن يسببن الألـم لها. أظهرت دراسات على المعتدين، أنَّ العنف بمجرد بدئه يصبح في تصاعد. الجراحة التجميلية هي الاختصاص (الطبي) الأسرع نمواً. أكثر من مليوني أمريكي (٨٧ بالمئة على الأقل منهم من النساء) خضعوا لها بحلول عام ١٩٨٨، وهو رقم تضاعف ٣ مرات خلال سنتين. وطوال فترة الثمانينيات، وباكتساب النساء السلطة، سعت أعداد غير مسبوقة منهن إلى مبضع الجراحة وخضعن له. لماذا الجراحة؟ لماذا الآن؟

منذ بداية تاريخ النساء، وإلى قبيل الستينيات، كان كون النساء إناثاً يسبب لهن الألـم. وذلك بسبب حمى النفاس ومضاعفاتها، كانت الولادة مؤلمة بدرجة قاسية، وذلك حتى اختراع الكلوروفورم عام ١٨٦٠، وكان الخطر مميتاً حتى اختراع المطهرات في الثمانينيات. وحتى بعد ذلك بقيت ممارسة الجنس تحمل

خطر الإجهاض غير الشرعي، بما يصاحبه من مخاطر النزيف والرحم المثقوب والموت بتسمم الدم. كلمة (Labor) تعني العمل، وهي تعني في سياق النساء الولادة، إذاً ذلك عمل وجنس وحب وألم وموت، وكانت على مر القرون متشابكة في عقدة حية في مركز الوعي الأنثوي: الحب يسبب الألم، والجنس قد يقتل، الولادة المؤلمة للنساء كانت ولادة الحب. ما يمكن وصفه بالمازوخية عند الرجل يعني النجاة عند المرأة.

بدأت ممارسة الجنس تفقد لدغتها المؤلمة عام ١٩٦٥، عندما أقرت المحكمة العليا في الولايات المتحدة بيع وسائل منع الحمل إثر قضية Griswold v. Connecticut، وبدأ وصف حبوب منع الحمل على نطاق واسع. ونقصت الأذية المصاحبة لممارسة الجنس أكثر من ذلك أيضاً من أواخر الستينيات حتى أواخر الثمانينيات، وذلك عندما شُرِّعَ الإجهاض في معظم الدول الغربية. وعندما دخلت النساء قوة العمل مدفوعة الأجر وفقدن اعتمادهن على المقايضة الجنسية من أجل البقاء على قيد الحياة، قلَّت الأذية الناتجة عما سبق أكثر فأكثر. بدأ تغيير الأعراف الاجتماعية ودفاع الحركة النسائية عن الحياة الجنسية للإناث يجعل من الممكن تصور أن المتعة التي تمنحها ممارسة الجنس للمرأة قد تفوق الألم إلى الأبد. بدأت ضفيرة خيطي الجنس والألم عند النساء بالانفصال أخيراً.

في الغياب الجديد الغريب لألم الأنثى، حلت أسطورة الجمال محل ذلك الألم. ذلك أنَّ النساء يتذكرن أنّه كان في الماضي شيء مؤلم حيال كونك أنثى. ومنذ جيل مضى، بدأت هذه الحقيقة تضعف شيئاً فشيئاً. لكن لا النساء ولا النظام الاجتماعي الذكوري كانا قادرين على التكيف بشكل مفاجئ مع واقع لا تتسم فيه الأنوثة بالألم وتُعرف به. واليوم، ما يسبب الألم هو الجمال.

تبنّت كثير من النساء هذه النسخة من الألم التي فرضها الجمال بجَلَد، لأنَّ التحرر من الألم الجنسي ترك فجوةً في الهوية الأنثوية. كان يُتوقع من النساء ـ ويتوقعن هُنَّ أنفسهن أيضاً ـ أن يمتثلن للحرية دون مجهود، وبمرونة خارقة. لكن لا يمكن تعلم الحرية بسهولة بين عشية وضحاها. إنَّ جيلاً واحداً لا يعدُّ طويلاً بما يكفي لنسيان خمس آلاف سنة من تعلم كيفية تحمل التعرض للأذى. إذا كان الإحساس الجنسي الذاتي عند المرأة يركز على الألم في كل هذا التاريخ الطويل، فمن هي من دونه؟ إذا كانت المعاناة هي الجمال والجمال هو الحب، فإنها

لا تستطيع الثقة بأنها سوف تكون محبوبة إذا لم تُعانِ. وبسبب هذا، فمن الصعب تخيل جسدٍ أنثويٍّ خالٍ من الألم ولا يزال مرغوباً فيه.

تحول الجراحة التجميلية أجساد النساء التي من صنع النساء (اللائي يشكلن الغالبية العظمى من مجموع المرضى) إلى أجساد نساء من صنع الرجال. فقد استحوذت تلك الجراحة على باحات العقل الأنثوي التي لم تتعطل بعد عندما توقفت الحياة الجنسية للإناث عن توليد الألم، واستغلت رغبتنا بالالتفات إلى صوت استبدادي يعلن (عندما كُنا نحاول بصعوبة الخروج من الحالة الغريبة للمرأة الخالية من الألم) أنّه ليس بهذه السرعة.

الجريحة الحية

تتوسع صناعة الجراحة التجميلية من خلال أفكار تتلاعب بالصحة والمرض. هنالك سابقة تاريخية واضحة لما يفعله الجراحون. فكما تشير سوزان سونتاج Susan Sontag في كتاب (مرض كاستعارة *Illness as Metaphor*)، كونك (سليمة) و(مريضة) غالباً هي أحكامٌ شخصية صاغها المجتمع لأغراضه الخاصة. لطالما كانت النساء تُعرَّف بأنهن مريضات كوسيلة لإخضاعهن للسيطرة الاجتماعية. إن ما يقوم به العصر الجراحي الحديث للمرأة هو إعادة تشريع علني لما فعله طب القرن التاسع عشر لجعل النساء السليمات مريضات والفاعلات راكنات. تبنت الصناعة الجراحية ـ لدوافع ربحية خاصة بها ـ الموقف الطبي القديم، والذي يرجع إلى اليونان الكلاسيكية، والذي وصل أعلى قمة له في طائفة السَّقَم عند الأنثى الفيكتورية، التي تعد الرغبات والدوافع الفيزيولوجية الأنثوية الصحية الطبيعية رغباتٍ ودوافعَ مرضية. كتبت ديردري إنجليش Deirdre English وباربرا إهرنريتش Barbara Ehrenreich في كتاب **شكاوى واضطرابات: السياسات الجنسية للمرض** *Complaints and Disorders: The Sexual Politics of Sickness*: (في تقاليد الفكر الغربي، يمثل الرجل الكمال والقوة والصحة. المرأة هي (رجل ممسوخ)، ضعيف وغير مكتمل). يشير المؤرخ جول ميشليه Jules Michelet إلى النساء على أنهن (جريحات على قيد الحياة).

كانت علاقة الأطباء بالنساء غير واضحة تماماً في معظم تاريخهن. كان علاج المرضى ورعايتهم مهارات نسائية في المقام الأول حتى عصر التنوير؛

حيث كانت كفاءة المرأة طبياً عاملاً مساعداً لنشوء حملات حرق الساحرات التي اجتاحت أوروبا من القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن عشر. لكن ارتقاء العلم واستبعاد المعالِجات النساء عن النفاس كانا مرتبطين، كما أنَّ احتراف الطب في القرن التاسع عشر منع النساء عمداً عن دورهن العلاجي التقليدي.

تولى العصر الجراحي مسؤولية إضفاء الطابع المؤسسي على (الاضطراب النفسي) عند الإناث، والذي تخطى بدوره إضفاء الطابع المؤسسي على الهستيريا في القرن التاسع عشر، ففي كل مرحلة من مراحل الإكراه الطبي كانت توجد باستمرار طرائق جديدة لتحديد أنَّ ما هو أنثوي هو مريض. على حد تعبير ديردري إنجليش وباربرا إهرنريتش: (لقد كان الإسهام الرئيسي للطب في الإيديولوجيا الجنسية هو وصف النساء بأنهن مريضات، وهنالك إمكانية من إصابتهن الرجالَ بالمرض). وقد استفاد الأطباء في كل مرحلة من المراحل الثلاث للتاريخ الطبي من (الكذبة الحيوية) التي تساوي الإناث مع المرض؛ ضامنين وجود (مرض) ومرضى مربحين في أي مكان توجد فيه نساء من الطبقة الوسطى. والآن يكتسب الصرح القديم للإكراه الطبي للنساء (الذي أُضعف مؤقتاً عندما دخلت النساء المدارس الطبية بأعداد كبيرة) تعزيزات قدمها أطباء التجميل في العصر الجراحي.

إنَّ أوجه التشابه بين النظامين واضحة؛ فقد نشأ كلاهما لتلبية الحاجة إلى أيديولوجية يمكن أن توهن وتشوه نساء الطبقة المتوسطة اللائي قد يؤدي تعليمهن وراحتهن وحريتهن من القيود المادية إلى الوصول بهن بعيداً، إلى خطر التحرر والمشاركة في الحياة العامة. وقد كانت الفترة من عام ١٨٤٨ إلى منح المرأة الغربية حق الانتخاب في العقود الأولى من القرن العشرين فترة التحريض النسوي، والتي امتازت بكثافة غير مسبوقة، وأصبح (موضوع المرأة) أزمة اجتماعية مستمرة: وكرد فعلٍ عكسي، ظهرت مثالية جديدة لـ (المجال المنفصل) للولع الكامل بالحياة المنزلية. لم تكن تلك المثالية مجانية، بل جاءت (كما جاءت أسطورة الجمال كرد فعل مقابل ضد تقدم المرأة) بسعرٍ مفيدٍ اجتماعياً: وهو نشوء طائفة مرض الإناث، والتي بدأت بـ (انقباض في مجال الرؤية، ما دفع الأطباء إلى التركيز بقلق استحواذي على النساء كأعضاء تكاثر... تشويه للإدراك، والذي ـ من خلال التركيز الأساسي على الأعضاء الجنسية ـ مكّن الرجال من رؤية النساء كمخلوق مختلف). وتشير إلين شوالتر إلى أنَّه:

خلال العقود من عام ١٨٧٠ إلى عام ١٩١٠، كانت نساء الطبقة المتوسطة قد بدأن بالتنظيم في سبيل التعليم العالي، ودخول المهن، والحقوق السياسية. وفي الوقت نفسه، أصبحت الاضطرابات العصبية الأنثوية الناجمة عن القهم العصابي والهستيريا والوهن العصبي وبائيةً. ونشأ (اختصاص الأعصاب) الدارويني ليفرض وجود السلوك الأنثوي المناسب خارج المصح العقلي، وكذلك داخله... ولمعارضة جهود النساء لتغيير ظروف حياتهن.

تحولت المرأة الفيكتورية إلى مجرد مبايضها، كما تحولت المرأة اليوم إلى مجرد (جمالها). أصبح يُنظر لقيمة المرأة الفيكتورية الإنجابية (كما في قيمة المرأة (الجمالية) لوجهها وجسمها اليوم) (كثقة مقدسة، أمر يجب عليها حراسته باستمرار لمصلحة عرقها).

وبينما ساعد الأطباء الفيكتوريون في دعم ثقافةٍ كانت بحاجة إلى إظهار النساء من خلال الحتمية المبيضية، يقوم جراحو التجميل في العصر الحالي بالشيء نفسه للمجتمع من خلال إنشاء نظام لحتمية الجمال. ذكرت إلين شوالتر أنّه في القرن الماضي كانت النسبة العظمى من المرضى في العيادات الجراحية ومؤسسات العلاج بالمياه ودور العلاج بالراحة من النساء). لقد توافدن على المتخصصين الجدد في (أمراض النساء) المتعلقة بالهستيريا والوهن العصبي، وكذلك العلاجات الهامشية، مثل (العلاج بالتنويم المغناطيسي)، تماماً كما تشكل النساء المرضى الرئيسيين في (علاجات الجمال) في رد الفعل الحالي. تسمح هذه المواقف ـ في كلا الإيديولوجيتين ـ للأطباء بالعمل كواجهة في فرض ما يحتاجه المجتمع من النساء.

الصحة

يعيد كل من النظام الفيكتوري والنظام الطبي الحديث تصنيف سمات الأنوثة الصحية إلى شذوذ غريب. فالطب الفيكتوري (عامل الحمل وانقطاع الطمث كأمراض، والحيض كاضطراب مزمن، والولادة كحدث جراحي). فكانت المرأة في فترة الدورة تعالج بالمسهلات، والأدوية القسرية، وحمامات الورك وديدان العلق. كان هنالك سعي هوسي لتنظيم الدورة الشهرية، تماماً كتنظيم الدهون عند النساء اليوم: (كان ينظر إلى التأسيس المناسب للوظيفة الحيضية بأنّه أساسي لصحة

المرأة النفسية، ليس فقط في سنوات المراهقة، إنما في كامل حياة المرأة. كان بدء الحيض) (كما تعد الآن زيادة الوزن عند البلوغ) (المرحلة الأولى للخطر المميت). كان ينظر إلى الحفاظ على الخصوبة (كما الحفاظ على (الجمال) اليوم) بأنَّه الوظيفة الأنثوية الأكثر أهمية المهددة بالتراخي الأخلاقي للمرأة والفوضى النفسية: تماماً كما يفعلون الآن، ثم ساعد الأطباء النساءَ الفيكتوريات على الحفاظ على (استقرارهن في مواجهة الصعاب الجسدية الغريبة الهائلة تلك) وفرضوا عليهن (صفات الحكم الذاتي والاجتهاد التي من شأنها أن تساعد المرأة على مقاومة ضغوط جسدها وضعف طبيعتها الأنثوية).

ومع قدوم الطبيب النسائي الفيكتوري، تغيرت أسس المنطق الدينية السابقة لنعت النساء بأنَّهن مريضات أخلاقياً لترسو على أسس طبية حيوية. وذلك بدوره تحول ـ في عصرنا ـ إلى أساسٍ (جمالي)، ما وضَعَنا (نحن النساء) في حلقة كاملة لا مخرج منها. إنَّ أساسنا المنطقي هو أكثر شخصنة من (الكذبة الحيوية) حتى بالنسبة إلى الفيكتوريين. فبينما كانت مصطلحاتهم الطبية تشير على الأقل إلى (الموضوعية)، نجد أنّ الأحكام الجمالية اليوم حول من هي المريضة ومن هي السليمة مستحيلة الإثبات بسهولة، ومن السهل التلاعب بها، بسبب الإيمان بوجود وصمة عار ملازمة لروح المرأة. كما أنَّ إعادة التصنيف اليوم تجني المزيد من المال: ففي السابق لم تكن المرأة التي كانت تعتقد أنها مريضة بداء الأنوثة تستطيع شراء علاج نهائي لكونها أنثى. بينما المرأة التي تعتقد اليوم أنها مريضة بالقبح الأنثوي أصبحت الآن مقتنعة بأنها قادرة على شراء علاج لهذا.

تبدو نسخة القرن التاسع عشر من الإكراه الطبي عجيبة بالنسبة إلينا: كيف يمكن جعل النساء يعتقدن أنَّ الحيض والاستمناء والحمل وانقطاع الطمث كانت أمراضاً؟ ولكن كان الأمر تماماً كما تُطالب المرأة اليوم أن تعتقد بأنَّ أجزاءً طبيعيةً سليمة من جسدها مصابة بالمرض. لقد دخلنا في مرحلة جديدة من الإكراه الطبي، مرحلة مروعة للغاية لا يرغب أحدٌ في رؤيتها على الإطلاق.

إن إعادة تصنيف النساء المتمتعات بالصحة والجمال كمريضات وبشعات تحدث دون عائق. فمنذ القرن التاسع عشر، دعم المجتمع ضمنياً جهود مهنة الطب في حصر حياة المرأة في إصدارات إعادة التصنيف هذه. ونظراً لكونه الآن أمراً ضرورياً اجتماعياً ـ كما كانت الحال في القرن الماضي ـ فإن الواقعية قليلاً

ما تُطبق على هذا الأمر، مقارنةً بتطبيقها على الممارسات الطبية عموماً؛ والوسائط الإعلامية متسامحة مع هذا أو داعمة له، والموظفون الرئيسيون ـ الذين يستفيد النظام الاجتماعي من عملهم ـ يحصلون على تعويضات عالية بدرجةٍ غير عادية.

كان غرض الطائفة الفكتورية من المرض الأنثوي هو السيطرة الاجتماعية. لقد كانت أيضاً رمزاً مزدوجاً، كما (الجمال): ذاتياً، مارست النساء المريضات في تلك الطائفة القليل من السلطة التي امتلكنها، وهربن من المطالب الجنسية الشاقة والولادة الخطرة، وحظين باهتمام من الأطباء المتفاعلين معهن. لكن في الأساس لقد كان ذلك حلاً سياسياً، ذا فائدة بقدر فائدة العذراء الحديدية. وكما أوضحت الكاتبة الفرنسية كاثرين كليمنت Catherine Clément: ([كانت] الهيستيريا محتملة، لأنَّها في الواقع لم تملك أي قوة لإحداث تغيير ثقافي؛ لقد كانت أكثر أماناً للنظام الأبوي بتشجيع النساء والسماح للساخطات منهن بالتعبير عن أخطائهن بإصابتهن بتلك الأمراض النفسية الجسدية، أكثر أماناً من تركهن يتحرضن على حقوقهن الاقتصادية والقانونية). وقد طالب الضغط الاجتماعي أولئك النساء المتعلمات المترفات من الطبقة الوسطى أن يستبقن المشكلة بأن يكُنّ مريضات، وشعرن بمراق قسري، تشعر به المرأة التي تعاني منه كما لو أنه مرضٌ حقيقي. ولأسباب مماثلة اليوم يتطلب الضغط الاجتماعي أن تستبق النساء حصول تداعيات لمطالبتنا الأخيرة بأجسادنا بأنهن سيشعرن بالقبح، وذلك يخفض قسراً من التقدير الذاتي عندهن، والذي يبدو أساساً للمرأة المعانية منه كـ (قبحٍ) حقيقي.

يتبنى الجراحون إعادة تعريف النسوية للصحة على أنَّها الجمال، ويحرفونها إلى مفهوم أنَّ (الجمال) هو نفسه الصحة؛ وبذلك يكون كل ما يبيعونه يبيعونه على أنه صحة، فيبيعون: المخمصة كصحة، الألم وإراقة الدماء كصحة. كانت المعاناة والمرض (جمالاً) من قبل: ففي القرن التاسع عشر، المرأة المصابة بالسل (بعينيها اللامعتين وبشرتها اللؤلؤية وشفتيها المحمومتين) كانت هي المرأة المثالية. يصف كتاب **الجنس والتوتر** *Gender and Stress* إظهار وسائل الإعلام المصابات بالقهم على أنَّهن مثاليات؛ كانت الأيقونات الفيكتورية تظهر النساء المثاليات بأنَّهن (الجميلات)، المصابات بالهيستيريا، اللواتي يغمى عليهن أمام الأطباء الذكور، عاش أطباء المصحات العقلية حياةً فاسقة على الأجسام الهزيلة للمصابات بالقهم عند رعايتها، ثم طلبت الكتب النفسية من الأطباء أن يعجبوا بـ (الوجه الجميل

والهادئ) للمرأة المخدرة التي تخضع للمعالجة بالصدمات الكهربائية. وكما في التغطية الحالية للصحف النسائية للمثالية الجراحية، قامت الصحافة الفكتورية حينها باستهداف النساء اللواتي يقمن بتسجيلات غنائية عن الانجذاب العاطفي للوهن والمرض والموت الأنثوي.

قبل قرنٍ من الزمن كان النشاط الأنثوي الطبيعي (خصوصاً النوع الذي من شأنه أن يقود النساء إلى السلطة) يُصنف بأنَّه قبيح ومريض. إذا قرأت المرأة أكثر من اللازم فقد (يضمر) رحمها، وإذا استمرت بالقراءة فإنَّ جهازها التكاثري قد ينهار، وطبقاً للتعليق الطبي اليوم (مفترض أنَّه سيكون حينها أمامنا هجينٌ بغيض لا فائدة منه). صُوِّرَ سن اليأس على أنَّه ضربة قاضية، (موت المرأة في المرأة): (كانت نهاية الحياة الإنجابية للمرأة تسبب هيجاناً نفسياً عميقاً في المرأة بقدر بدايتها)، ما يسبب (مثل الانحسار المعاصر لـ (الجمال)) (صدمةً جلية للدماغ). وكما هي الحال الآن، وعلى الرغم من اختلاف الأسس المنطقية، فقد كان اليأس يتمثل بأنَّه يسبب الشعور بأنَّ (العالم... ينقلب رأساً على عقب، وأنَّ كل شيء تغير، أو أنَّه قد حدثت كارثة مروعةٌ جداً لكنها غير معروفة، أو على وشك أن تحدث).

كانت المشاركة في الحداثة والتعليم والتوظيف تُصوَّر بأنَّها تجعل النساء الفيكتوريات مريضات: (إنَّ الشقق الدافئة والنيران المشتعلة بالفحم، وأضواء الغاز والساعات المتأخرة والطعام الغني) حولتهن إلى مريضات، كما هي الحال اليوم، حيث توحي نسخ كريمات البشرة بأنَّ: (التدفئة المركزية وتلوث الجو والأضواء اللماعة... إلخ (تجعلنا قبيحات)). احتج الفيكتوريون على تعليم المرأة العالي من خلال ظنهم ـ بعاطفة مفرطة ـ أنَّها ستسبب لأعضائها التكاثرية أضراراً، وقد ادعى فريدريك إنجلز Friedrich Engels أنَّ (العمل المطول يتسبب في كثيرٍ من الأحيان بتشوهات في الحوض)، وقد كان من المسلم به أنَّ (تعليم النساء قد يسبب إصابتهن بالعقم) ويجعلهن غير جذابات جنسياً: (عندما تبدي امرأة اهتماماً بالعلم، فهنالك شيء غير مضبوط في نشاطها الجنسي). أصر الفيكتوريون على أنَّ التحرر من ذلك (المجال المنفصل) يضر بالأنوثة، تماماً كما طُلب منا التصديق بأنَّ التحرر من أسطورة الجمال يضر بالجمال.

إنَّ الأكاذيب الحيوية مرنة؛ فمثلاً أحياناً تذكر مهنة الطب أنَّ مانعات الحمل في مهنة الطب تجعل المرأة مريضة وأحياناً تقول بأنَّها تجعلها (جميلة)، وذلك اعتماداً على المزاج الاجتماعي: ادعى الأطباء الفيكتوريون أنَّ أي مانع حمل يسبب (سرطانات خببية[*] وعقماً وغُلْمَة[**] عند النساء؛... وأنّه من المرجح أنَّ الممارسة تسبب هوساً يؤدي إلى الانتحار). وقد كانت حتى العشرينيات تعتبر (خطرة جداً على الصحة)، وقد كان العقم و(التدهور العقلي في النسل اللاحق) يُعَدُّ من بين آثارها المفترضة. لكن عندما احتاج المجتمع نساءً متاحات جنسياً (على الرغم من الظهور الفجائي لتساؤلات حول السلامة والتأثيرات الجانبية لذلك) قامت المجلات النسائية بنشر قصصٍ حماسية تشير إلى أنَّ حبوب منع الحمل تبقي النساء صغيراتٍ في السنّ، وتجعلهن أكثر (جاذبية جنسية).

بنفس الطريقة يعيد الجراحون (والمجلات النسائية أيضاً، التي تعتمد اعتماداً متزايداً على إيرادات الإعلانات والنسخ التحريرية التي يقدمها الجراحون) صياغة تعبير التحرر من أسطورة الجمال على أنّه مرض يجب علاجه. بدأت إعلانات الزيوت المقدسة هذا التعريف الجديد من خلال تقليد صور المجلات الطبية عن (المرض) و(العلاج)، وقد استندت إلى أسوأ المخاوف الطبية لهذا العصر، ألا وهي السرطانات ما بعد النووية والإيدز؛ ذلك أنّه تبدو (أقدام الغراب[***]) غير هامة مقارنةً بالاقتراحات التي تقدمها الإعلانات المتعلقة بالأمراض الإشعاعية والآفات المولدة للسرطان، بالفوضى الخلوية وضعف الأجهزة المناعية. يعد نظام إليزابيث آردن (أكثر الأنظمة العلاجية تطوراً في هذا القرن)، وذلك إذا كان التقدم في السن يتطلب أساساً علاجاً كيميائياً. ويُطبق مستحضر Night Repair (المثبت علمياً) التابع لشركة Estée Lauder بمحقن طبي وبالون مطاطي، مثل عملية نقل الدم أو الدواء السائل. تتيح فيشي Vichy لبشرتك (التعافي). وتتحدث شركة كلارينس عن (الانتكاس). بينما تتحدث إلانسيل عن الدهون كما لو أنَّها (حالة) تؤدي إلى (تشوه). يقدم الأطباء وصفاتٍ طبية، وتقدم كلارينس مستحضر (وصفة الجمال Beauty Prescription)، أما كلينيك فتقدم مستحضر (Prescriptives)

(*) السرطان الخببي: سرطان صغير يصيب الرئة.

(**) الغُلمَة: فرط الرغبة الجنسية.

(***) أقدام الغراب: مصطلح طبي يشير إلى التجاعيد على جانب العينين.

المشتق اسمه من اسم الوصفة Prescription. يتحدث اختصاصيو السرطان عن (انتكاس) المرض؛ وكذلك تفعل شركة كلينيك التجميلية، فقد جاء في إعلانٍ لها: (تابعي في علاجك، فيتوقف (الانتكاس المؤقت)). وتصنع شركة Ultima II منتج الجرعة الضخمة Megadose.

وصفت يوجينا تشاندرس Eugenia Chandris عام ١٩٨٥ في كتاب **متلازمة الجماع** *The Venus Syndrome* كبر حجم الوركين والفخذين بأنَّه (مشكلة طبية). وبالنظر إلى أرقام الخصوبة في العصر الحجري القديم، فقد ارتكبت هفوةً بقول إنَّ (المشكلة أزعجت النساء منذ ذلك الحين). (المشكلة) بالطبع كانت تزعج النساء، لكن فقط منذ أن بدأت تسميتها مشكلة، هكذا هي في الذاكرة الحية. أصبحت توصف الدهون النسائية كما لو أنَّها ليست ميتةً فحسب، إنما مسرطنة: (خلايا في طور التكاثر) تولد المزيد والمزيد من الموت. عرف الفيكتوريون جميع النشاطات التكاثرية على أنَّها أمراض، ويعرّف جراحو التجميل اليوم كل دليل في الجسد على نشاطه الإنجابي على أنَّه مرض؛ مثل علامات التمدد وترهل الأثداء والأثداء التي قامت بإرضاع الأطفال والوزن التالي للوضع الذي يزيد تراكمياً ـ في كل الثقافات ـ بقرابة ١٠ أرطال لكل حمل. وبالطبع فإنَّ التعليم لم يؤثر أبداً على مبايض النساء، تماماً كما لا تسبب الأثداء الأمومية فقدان أي شعور جنسي (الإشاعة المنتشرة حالياً)؛ فالرضاعة مثيرة جنسياً. وهي ليست غير وظيفية أيضاً؛ بل على النقيض تماماً، فهي تقوم بالوظيفة الأساسية للأثداء، ألا وهي الإرضاع. إلا أنَّ جراحي التجميل يصفون الأثداء بعد الوضع بأنَّها (ضامرة)، كما كان يصف الفيكتوريون المبايض عند المرأة المتعلمة، وهو مصطلح يستخدمه أطباء العلاج لوصف العضلات الهزيلة غير الوظيفية لمرضى الشلل. هم يعيدون تصنيف لحم الأنثى البالغة الصحية بأنَّه لحم مصاب بـ (السيلوليت)(*)، وهي (حالة) مخترعة مستوردة للولايات المتحدة من مجلة فوغ فقط عام ١٩٧٣؛ لقد أشاروا إلى هذا النسيج بـ (متشوه) و(قبيح) و(ملوث بالسموم)؛ بينما كان قبل عام ١٩٧٣ لحماً أنثوياً طبيعياً.

(*) السيلوليت: داء يظهر فيه الجلد أشبه بقشر البرتقال.

توفر الصحة بروباغاندا جيدة. كتبت آن أوكلي Ann Oakley أنَّ (الدليل على أنَّ النشاطات النسائية خارج المنزل ضارة بالصحة وبرفاهية أنفسهن وعائلاتهن والبلد بأكمله) قدم حافزاً لطائفة القرن التاسع عشر المتعلقة بالولع بالحياة المنزلية. كان ينظر للمبايض على أنّها ملكية جماعية، بدلاً من كونها أموراً خاصةً بالمرأة نفسها، تماماً كما تُرى تقاسيم الجسم والوجه اليوم. من يمكنه الجدال بخصوص الصحة الجسدية؟

إعادة التصنيف المؤسسي

تشارك المؤسسات التي تحظى بالاحترام ـ كما فعلت في القرن الماضي ـ في هذا الضبط الثقافي للمرأة من خلال إعادة التصنيف: عام ١٩٧٨، ادعت الجمعية الطبية الأمريكية أن الانشغال بالجمال هو نفسه الانشغال بالصحة. أعلن الدكتور آرثر ك. بالين Arthur K. Balin، رئيس الجمعية الأمريكية للشيخوخة، لصحيفة نيويورك تايمز (أنه من المفيد ألّا ينظر الأطباء إلى القبح كقضية تجميلية بل كمرض). في المجلات المتخصصة في الجراحة التجميلية، من المستحيل أن تعرف هل يميز الجراحون بين أن يشقوا الثدي السرطاني أو الثدي الذي بصحة جيدة. فمثلاً الطبيب دانييل س. توستين Dr. Daniel C. Tostesen من كلية الطب بجامعة هارفرد، والذي قَبِل ٨٥ مليون دولار من شيسيدو Shiseido بغرض الأبحاث، يحصل على راتبه من ذلك، ويؤكد: هناك (تدرج دقيق ومستمر) بين المصالح الصحية والطبية من ناحية، و(الجمال والشعور بالصحة) من ناحية أخرى. تؤثر هذه الأقوال على النساء أكثر من الرجال، وهذا هو المطلوب منها؛ فالنساء هُن المجموعة الرئيسية لمرضى الجراحات التجميلية، والمشترون الأساسيون لمنتجات شيسيدو (لم يرد ذكر للجاذبية الجسدية، أو عدم وجودها، في كلام الأطباء بالين وتوستيسن). وعندما يعقد الجراحون مؤتمرات لمناقشة (تشوهات شيخوخة الوجه)، يكون الملف الخاص بالإعلان نسائياً دائماً.

يكون الرجل (مشوهاً) إذا كان أحد أطرافه أو معالمه مفقوداً، أو مختلفاً بشدة عن النمط الظاهري البشري. بينما عندما لا تشبه المرأةُ العذراءَ الحديدية، تسمى وحشاً، وفي الواقع ليس ثمة من امرأة تشبه العذراء الحديدية، أو لن تشبهها إلى الأبد. يُطلب من المرأة الآن أن تشعر بأنها وحش، على الرغم من أنها كاملة، وهي وظيفية بدنياً بالكامل. يلعب الجراحون وفق المعيار المزدوج للأسطورة المتعلق

بوظيفة الجسم. ففخذ الرجل مخصص للمشي، لكن فخذ المرأة مخصص للمشي وأن يبدو (جميلاً). فإذا تمكنت المرأة من المشي ولكنها تعتقد أن أطرافها تبدو بمنظر خاطئ، تشعر أن جسدها لا يؤدي المطلوب منه؛ تشعر بالتشوه والإعاقة بحق مثل ما كانت تشعر المصابة بالمراق في العصر الفيكتوري وهي كارهة لكونها مريضة.

إن مأساة إعادة التصنيف هذه هي أن معظم النساء في التاريخ عانين بالفعل من المرض؛ فالرحم المتدلي، والموت المبكر من كيسات المبيض، والأمراض التناسلية غير القابلة للعلاج والالتهابات المهبلية، وسوء النظافة الصحية، والجهل، والعار، والحمل السنوي الإلزامي، كُلها كان لها أثرها. بالمقارنة مع ذلك، أصبحت النساء الآن بصحة وعافية عجيبة لم يسبق لها مثيل؛ لكن تحرمنا الأسطورة من التمتع بعافيتنا. وبعد جيل واحد فقط من انتهاء مرض الجسد الأنثوي، قامت أسطورة الجمال بتدمير الإمكانية الجديدة للتعامل برفق مع الجسد الأنثوي.

حوَّل الخطاب المعاد تدويره مرض الأنثى بغرض إهانة أجساد النساء السليمة: عندما تنعم المرأة المعاصرة بجسم يمكنه الحركة والركض والرقص واللعب وإيصالها إلى هزة الجماع؛ مع وجود ثديين معافيين من السرطان، ورحم سليم، وحياة تبلغ ضعف عمر المرأة الفيكتورية العادية، وهي فترة كافية للسماح لها بالتعبير عن شخصيتها باستخدام وجهها الطبيعي؛ مع ما يكفي من الطعام والتمثيل الغذائي الذي يحميها عن طريق تموضع اللحم في المكان والوقت اللذين تحتاجهما؛ والآن بعد أن أصبحت هذه هي هدية الصحة والعافية التي تتجاوز ما كان يمكن أن يأمله أي جيل من النساء من قبل، قام عصر الجراحة بإفساد ثروتها الهائلة تلك. إنه يقسم ما وهبت من جسدٍ حيوي وحساس ووجهٍ ذي تقاسيم خاصة إلى مكونات معيبة، فيعلمها عصر الجراحة بالتالي أن تتعايش مع هذه النعمة الممتدة على مدى الحياة كلعنة حلت عليها مدى الحياة.

نتيجة لذلك، قد تكون الآن المرأة ذات الجسد مكتمل القدرات أقل رضًى عن جسدها من الأشخاص المعاقين أنفسهم: حسب دراسة حديثة نقلت عنها صحيفة نيويورك تايمز (يعبر الأشخاص المعاقون جسدياً عموماً عن الرضا العام عن أجسادهم)، في حين كما رأينا تكون النساء ذوات الجسد السليم غير راضيات عن أجسادهن. ستخضع امرأة واحدة من كل أربع نساء في منطقة خليج سان

فرانسيسكو لجراحة تجميلية إذا تسنت لها الفرصة لذلك. لم تعد كلمة (مشوهة) تُستخدم في خطابٍ مهذب، إلا لوصف أجساد ووجوه النساء الطبيعيات السليمات، حيث قامت لغة الجراحين التجميليين بوصفنا كمسوخ جديدة.

هل «الصحة» صحية؟

ما هو مدى الصحة الجسدية في العصر الجراحي؟ إنَّ معدل التدخين في انخفاض في جميع الفئات باستثناء النساء الشابات؛ تقول ٣٩ بالمئة من جميع النساء المدخنات إنهن يدخنَّ لمنع زيادة وزنهن؛ سوف يموت ربعهن بسبب الأمراض الناجمة عن تدخين السجائر؛ ومع ذلك، لكي نكون منصفين، فإن جثث النساء المدخنات المتوفيات تزن في المتوسط أقل بأربعة أرطال من جثث غير المدخنات. يُعلن عن سجائر كابري بجملة: (أنحل نحول). رفع زوج الراحلة روز سيبولون Rose Cipollone دعوى قضائية ضد صناعة التبغ بسبب وفاة زوجته بسرطان الرئة، وكانت قد بدأت التدخين عندما كانت مراهقة، والسبب حسبما قالت: لأنني (اعتقدت أنني سأكون براقة أو جميلة).

تسبب صوم العصير(*) بـ ٦٠ وفاة على الأقل في الولايات المتحدة، وتشمل آثاره الجانبية الغثيان وفقدان الشَّعر والدوخة والاكتئاب. ويسبب التمرين القهري فقر الدم الرياضي وتوقف النمو. بينما يجعل زرع الثدي اكتشاف السرطان أكثر صعوبة. وتؤخر النساء تصوير الثدي بالأشعة السينية خوفاً من فقدان الثدي، لكيلا تصبح الواحدة منهن حينها (نصف امرأة فقط).

لا تؤدي الأسطورة فقط إلى إصابة النساء بأمراض جسدية، بل بأمراض نفسية أيضاً. تؤكد إيلانا آتي Attie وجين بروكس غن Brooks-Gunn في كتاب **الجنس والتوتر** *Gender and Stress* أن الحمية الغذائية هي سبب مزمن للإجهاد النفسي عند النساء؛ إجهاد يعد أحد أكثر العوامل الطبية خطورة، حيث يعمل على إضعاف الجهاز المناعي والمساهمة في الإصابة بارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب وارتفاع معدلات الوفيات بسبب السرطان. ولكن الأسوأ من ذلك أن أسطورة الجمال في (العصر الجراحي) تضاعف بالفعل الأعراض التقليدية للأمراض النفسية في وعي النساء.

(*) صوم العصير: نوع من الصيام يتناول فيه المرء السوائل فقط، بما فيها عصائر الفواكه.

يتميز مرضى الفصام بشعور مضطرب بحدود الجسم. تكون صورة الجسم عند المصاب بمرض عُصابي تائهة، سلبية للغاية أو إيجابية للغاية. يشعر النرجسيون أن ما يحدث لأجسادهم لا يحدث لهم. ويشعر مرضى الذُّهان بأن أجزاءً من أجسامهم تتساقط؛ تُرى لهم تصرفات مثل الفرك المتكرر للجسم، وتشويه الذات، ومخاوف من الانزلاق إلى العدم والتلاشي. كما تخضع التوقعات الجراحية وتقلبات الوزن لحدود جسدية ضعيفة. يمنحهن الضغط حيال مظهرهن وجهات تائهة، سلبية للغاية أو إيجابية للغاية عن أنفسهن. يُظهر سيلٌ من الصور الإعلامية الوجه والجسم الأنثويين منقسمين إلى أجزاء، وهو ما تطلب أسطورة الجمال من المرأة التفكير فيه بخصوص أجزاء جسمها. يتطلب هذا منها ممارسة عددٍ من ممارسات الجمال، مثل الفرك المتكرر والتشويه. عندما تتقدم المرأة في العمر، يُطلب منها أن تصدق أنه من دون (جمال) تنزلق إلى العدم والتلاشي. هل من الممكن أن يزداد احتمال إصابة النساء بأمراض نفسية من خلال جعلهن يجربن أعراض الأمراض النفسية؟ تشكل النساء غالبية المصابين بأمراض نفسية بأغلبية كبيرة.

لكن هذه الحقائق ليست ذات أهمية كبيرة للمرأة، لأنه يوجد معيار مزدوج لـ (الصحة) لدى الرجال والنساء؛ فالنساء لا يعتقدن بأنَّهن يخطئن عندما يدخِّنَّ لفقدان الوزن. مجتمعنا يفضل مكافأة الجمال الخارجي على الصحة الداخلية. يجب عدم إلقاء اللوم على النساء في اختيار (إصلاحات) قصيرة المدى للجمال، إصلاحات تسبب تأثيرات سلبية طويلة المدى على الصحة، حيث إنَّ فترة حياتنا معكوسة في ظل أسطورة الجمال، وليس هناك حافزٌ اجتماعي أو اقتصادي كبير للنساء للعيش لفترة طويلة. فشابة نحيلة برئتين محتمل إصابتهما بالسرطان تُكافأ أكثر من الناحية الاجتماعية من كونها عجوزاً مفعمة بالحيوية. يبيع الناطقون الرسميون النساءَ العذراءَ الحديدية، ويطلقون عليها اسم (الصحة)؛ لو كان الخطاب العام معنياً بصحة المرأة فعلياً، لكان قد انقلب بغضب على هذا الجانب من أسطورة الجمال.

تعريف العصر الجراحي (لصحة) الأنثى ليس صحياً. هل هذه الجوانب المحددة بأنها (مرضية) مرضية بالفعل؟

يمكنك أن ترى علامات شيخوخة الإناث على أنها مرضية، خاصة إذا كان لديك اهتمام راسخ بجعل النساء يرين أنفسهن بالطريقة التي تراهُنَّ أنت بها. أو يمكنك أن ترى أنه إذا كانت المرأة تتمتع بصحة جيدة فإنها تعيش لتشيخ؛ فكلما انتعشت، تفاعلت وتحدثت وأظهرت العواطف، ظهر التقدم في السن في وجهها. تتبع الخطوط فكرها وتنطلق من زوايا عينيها بعد عقود من الضحك، وتقترب من بعضها مثل المعجبات وهي تبتسم. يمكنك تسمية الخطوط شبكةً من (الآفات الخطيرة)، أو يمكنك أن تراها لوحةً من فن التخطيط الدقيق، على الرغم من أنَّها تحفر علامات تركيز بين حاجبيها، وترسم على جبينها التجاعيد الأفقية الناتجة عن المفاجأة والبهجة والرحمة والأحاديث الجميلة. يظهر عمرٌ من التقبيل، من التحدث والبكاء، بوضوح حول فم محزز مثل ورقة متحركة. يرتخي الجلد على وجهها وحلقها، مما يعطيها ملامح من الكرامة الحسية؛ تنمو ملامحها بوضوح أكبر كلما كبرت هي بالعمر. لقد كانت تسرح بناظريها في حياتها، وهذا ظاهر. عندما تنعكس ألوان الرمادي والأبيض في شعرها، يمكنك تسميتها سراً قذراً أو يمكن تسميتها فضة أو ضوء القمر. تتهدل أجزاء جسدها، متجهةً مع الجاذبية مثل انهمار الماء عند الاغتسال، فتنمو بسخاء مع بقية أجزاء جسدها. يكشف اللون الداكن تحت عينيها، وثقل جفونها، وتقاطع أشعار جفونها الدقيقة مع بعضها، أنَّ ما كانت هي جزءاً منه (أحداث حياتها) ترك فيها تعقيدها وثراءها. هي الآن أغمق وأقوى وأكثر ارتخاءً وأشد وأكثر جاذبية جنسية. إن نضج امرأةٍ واصلت نموها هو أمر جميل يستحق الإدراك.

لكن إذا كانت إيرادات إعلانك أو راتبك المكون من سبعة أرقام أو حالتك الجنسية المميزة تعتمد على الجمال، فذلك النضج هو حالة يمكنك تحويلها لتخضع لعمليات جراحية.

إذا كنت تستطيع أن تجني مليون دولار سنوياً (وهو متوسط دخل جراحي التجميل في الولايات المتحدة) من خلال القيام بذلك، فيمكن بسهولة تسمية الدهون النسائية بالمرض. أو يمكن ملاحظة ذلك على النحو التالي: بأنه طبيعي، حيث إنَّ أنحل النساء المتمتعات بالصحة يمتلكن دهوناً أكثر من الرجال. عندما ترى الطريقة التي تنتفخ بها انحناءات جسد المرأة في الوركين ومرة أخرى في الفخذين، فيمكنك الادعاء بأنَّ هذا تشوه غير طبيعي. أو يمكنك قول الحقيقة،

وهي أن: ٧٥ بالمئة من النساء على هذا النحو، وأنَّ الفخذين الناعمين المدورين والوركين والبطن كان ينظر لها بأنَّها مرغوب فيها وشهوانية دون شك، إلى أن حصلت النساء على حق التصويت. يمكنك الاعتراف بأنَّ جسد المرأة ناعم الملمس ومتموج وكثيف ومعقد؛ والطريقة التي تتموضع بها الدهون على العضلات الأنثوية، وعلى الوركين والفخذين التي تنشئ وتنجب الأطفال مع فتحة لممارسة الجنس، هي واحدة من أكثر الصفات إثارةً في الجسم الأنثوي. أو يمكنك تحويل هذا أيضاً إلى حالة قابلة للخضوع إلى جراحة.

كل ما هو أنثوي على نحوٍ أساسي وبعمق (الحياة في تعبير المرأة، ملمس جسدها، شكل ثدييها، تحولات بشرتها بعد الولادة) يعاد تصنيفه على أنه قبح، ويعاد تصنيف القبح على أنَّه مرض. تقوم هذه الصفات بتركيز قوة الإناث، وهو ما يفسر السبب في إعادة صياغتها على أنها نقصٌ في القوة. تتميز ثلث حياة المرأة على الأقل بالشيخوخة، وقرابة ثلث جسدها مصنوع من الدهون. ويحَوِّل كلا الرمزين إلى حالات قابلة للخضوع للجراحة، بحيث لا تشعر المرأة بصحة جيدة إلا إذا كانت ثلثي امرأة فقط(*). كيف تكون (المثالية) في النساء إذا عُرِّفت على أنها مقدار السمات الجنسية الأنثوية غير الموجودة في جسد المرأة الطبيعي؟ وكم هي مدة فترة حياة الأنثى التي لا تظهر على وجهها؟

الربح

لا يمكن أن يكون الأمر متعلقاً بالمرأة، لأن (المثالي) لا يتعلق بالمرأة بل بالمال. العصر الجراحي الحالي ـ كما النظام الطبي الفيكتوري ـ مدفوع لتحقيق أرباح سهلة. تحقق صناعة جراحة التجميل في الولايات المتحدة ٣٠٠ مليون دولار سنوياً، وتنمو سنوياً بنسبة ١٠ بالمئة. ولكن مع اعتياد النساء على الراحة والحرية، لم تعد تلك الصناعة تستطيع الاستمرار بالاعتماد على الربح من رغبة النساء في المعاناة بسبب جنسهن (كما كانت في العصر الفيكتوري). يجب وضع آلية للترهيب للحفاظ على هذا المعدل من النمو، أعلى من أي (تخصص طبي) آخر. يجب رفع عتبة الألم عند المرأة، مع غرس شعور جديد بالضعف فينا، وذلك إذا أريد للصناعة جني الأرباح الكاملة للتكنولوجيا الجديدة التي تعمل على

(*) أي حذف فترة التقدم في السن التي تشكل ثُلث حياتها تقريباً.

الشعور بالذنب القديم. يعتمد سوق الجراحين على الخيال، لأنه ليس ثمة أساساً من خطأ في الوجوه أو الأجسام النسائية التي لن يشفيها التغيير الاجتماعي؛ لذلك يعتمد الجراحون في دخلهم على تشويه صورة الذات لدى الإناث ومضاعفة الكره الذاتي لديهن.

(إنَّ أسطورة هشاشة الإناث أمام الأمراض، والطائفة الحقيقية للمراق النسائي التي تبدو بأنَّها تدعم الأسطورة، كانت تعمل مباشرةً على المصالح المالية لمهنة الطب)، وذلك وفقاً لديردري إنجليش وباربرا إهرنريتش. وفي القرن التاسع عشر، ارتفعت المنافسة في مهنة الطب؛ فقد كان الأطباء يشعرون بحماسٍ شديد نتيجة ضمان وجود مجموعة موثوقة من المرضى من النساء الثريات (طبقة العميل) اللواتي ممكن إقناعهن بالحاجة إلى زيارات منزلية منتظمة ونقاهة مطولة. لقد استطاع المنادون بمنح المرأة حق الاقتراع النظر إلى عمق الحافز الحقيقي الكامن وراء سقم المرأة، فرأوا مصالح الأطباء والظروف غير الطبيعية التي قيدت حياة المرأة. احتجت ماري ليفرمور Mary Livermore (من المناديات بمنح المرأة حق الاقتراع) على (الافتراض الوحشي بأن المرأة مريضة من الأساس)، ونددت (بالجيش القذر من أطباء أمراض النساء) الذين (يبدون مستعدين لإقناع النساء بأنهن لا يمتلكن سوى مجموعة واحدة من الأعضاء، وأنَّ هذه الأعضاء مريضة دائماً). تتبعت الدكتورة ماري بوتنام يعقوبي Mary Putnam Jacobi سلامة مرض المرأة مباشرة إلى أن وصلت إلى (وظيفتها الجديدة كمريضة مربحة). كما وصف لديردري إنجليش وباربرا إهرنريتش الأمر: (كما رجل الأعمال، كان للطبيب مصلحة مباشرة في أن يكون هنالك دور اجتماعي للنساء يقتضي أن يكُنَّ مريضات).

لدى جراحي التجميل المعاصرين مصلحة مالية مباشرة في وجود دور اجتماعي للنساء يقتضي أن يشعرن بالقبح. إنهم لا يستهدفون في إعلاناتهم ببساطة حصة من السوق موجودة بالفعل: إنما تُنشِئ إعلاناتهم أسواقاً جديدة. إنها صناعة مزدهرة لأنها في وضع مؤثر لخلق الطلب الخاص بها من خلال مزاوجة النص مع الإعلانات في المجلات النسائية.

أطلقت الصناعة الإعلانات وحصلت على تغطية لتلك الإعلانات؛ فحصلت النساء على إجراءات جراحية. إنهم يدفعون أموالهم ويغتنمون فرصهم. كلما زاد ثراء الجراحين، أصبحوا قادرين على الحصول على مساحة إعلانية أكبر وأكثر

إشراقاً: فمثلاً تعد قضية مجلة *Harper's and Queen* في تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٩٨٨ قضيةً نموذجية، وذلك بمزاوجة مقال إيجابي عن الجراحة بنفس مقدار المساحة مع إعلان جراحي، وفي نفس صفحة الإعلانات الجراحية. وفي الملحق الصحي لصحيفة نيويورك تايمز في تموز/يوليو عام ١٩٨٩، تملأ الإعلانات عن الصوم المنظم ومزارع الدهون(*) ومعسكرات إنقاص الوزن والجراحين واختصاصيي اضطرابات الشهية أكثر من نصف المساحة التجارية. وبحلول أيلول/سبتمبر من عام ١٩٩٠، كانت المقايضة راسخة: قدمت كوزموبوليتان *Cosmopolitan* قطعة نصية تعظم فيها بإذلال ودون حرج في إصدار مدعم بإعلانات جراحية تمتد على كامل الصفحة وبالألوان الكاملة. لقد حان الوقت لتقوم العلاقة بين الجراحة التجميلية وإيرادات الإعلانات والمخاطر والتحذيرات بإعادة خلق مثبطات لإعلانات السجائر في جريدةٍ محاربة للتدخين قبل أن يتخذ كبير الأطباء موقفه. ونظراً لعدم وجود حافز لدى الصحفيين لفضحهم أو متابعتهم (في الواقع، يتلقون حافزاً لعدم القيام بذلك: حيث تقدم منظمة جراحي التجميل الرائدة جائزة صحفية بقيمة ٥٠٠ دولار، تشمل تذكرتين مجانيتين بالطائرة)، فستستمر منزلة الجراحين وتأثيرهم بالارتفاع. وبميلهم لتلبية الاحتياجات الثقافية (وليس البيولوجية) فقد يستمرون في تزايد السلطة على حساب حياة المرأة الاجتماعية والاقتصادية أو وفاتها؛ وإذا كان الأمر كذلك، فسرعان ما سيتحولون إلى ما يرغب الكثيرون في التحول إليه: إلى آلهة صغيرة، لا يرغب أحد في تجاوزها.

إذا توقفت النساء فجأة عن الشعور بالقبح، فإن التخصص الطبي الأسرع نمواً سيكون الأسرع موتاً. في العديد من ولايات الولايات المتحدة، يمكن أن يكون جراح التجميل (على عكس جراحي إزالة التشوهات المتخصصين في الحروق والصدمات والعيوب الخلقية) أيّ طبيبٍ غير مختص، فيمكن أن يعود هؤلاء الأطباء بعد موت الجراحة التجميلية حينها إلى جراحات النكاف والبواسير، وهي حالات طبية لا يمكن أن تثير إعلاناتها الناس. إنهم يعتمدون في معيشتهم الكبيرة على بيع النساء شعوراً بالقبح الشديد. إذا أخبرت أي امرأة أنها مصابة بالسرطان، فلا يمكن لقولك ذاك أن يسبب لها المرض وألمه؛ لكن قل للمرأة

(*) مزارع الدهون fat farms: هي قصة قصيرة يقوم فيها البطل ونسخته بالعمل لدى شركة بغرض التخسيس.

بصورة مقنعة بما يكفي: إنها قبيحة، فستكون حينها قد سببت لها (المرض)، وستكون معاناته حينها حقيقية. إذا اختتمت إعلانك، بجانب مقال يروج لعملية جراحية، بسياق يجعل النساء يشعرن بأنّهن قبيحات، وقادنا هذا إلى الاعتقاد بأن النساء الأخريات يتنافسن على هذا الأمر، فعندئذٍ تكون قد أنفقت على ترويج مرض تستطيع وحدك علاجه.

يبدو أن إنشاء هذا السوق لا يخضع لأخلاقيات مهنة الطب الأصيلة. فمثلاً ستُشوه سمعة الأطباء المعالجين إذا عززوا السلوك الذي يدمر الصحة من أجل الربح من الضرر: وتقوم المستشفيات أيضاً بسحب الاستثمارات من شركات التبغ والكحول. ويبين المصطلح الخاص بهذه الممارسة (الاستثمار الأخلاقي) أنَّ بعض علاقات الربح الطبي غير أخلاقية. يمكن للمستشفيات تحمل مثل هذه الفضيلة، ذلك أن مجموعة روادهم من المرضى والوفيات متجددة دائماً على نحوٍ طبيعي. لكن يجب على الجراحين التجميليين إنشاء مجموعة مرضى غير مريضين بيولوجياً بالأساس؛ لذلك ينشرون إعلانات بصفحات كاملة في صحيفة نيويورك تايمز (إعلانات تعرض صورة كاملة الطول لعارضة مشهورة ترتدي ملابس السباحة، مصحوبة بعرضٍ سهل الشروط الائتمانية وشروط شهرية مخفضة، كما لو كان ثديا المرأة زوجاً من السلع المعمرة) وتحقيق حلمهم بالإصابة بالمرض الشامل.

الأخلاقيات

على الرغم من أنَّ العصر الجراحي قد بدأ بالفعل، إلا أنَّه لم يخضع للفحص من الناحية الاجتماعية والأخلاقية والسياسية. ففي حين أنَّ آخر ما نحتاجه ـ نحن معشر النساء ـ هو وجود شخص يخبرنا ما يمكننا فعله بأجسادنا وما لا يمكننا فعله، وبينما آخر شيء نحتاجه أن يلقى علينا اللوم على اختياراتنا، فإنَّ الحقيقة هي أنَّه لا يوجد نقاش أخلاقي يركز على جانب العرض للعصر الجراحي. إنَّ موقف عدم التدخل هذا غير متسقٍ لعدد من الأسباب. هنالك الكثير من النقاش والتشريعات التي تقيد شراء أجزاء من الجسم، وتحمي الجسم من المخاطر التي تطرحها السوق الحرة. يعترف القانون بأنَّ جسم الإنسان يختلف اختلافاً جوهرياً عن الجمادات عندما يتعلق الأمر بالشراء والبيع. يحظر قانون الولايات المتحدة المقايضة التجارية للعضو التناسلي أو الفم أو فتحة الشرج في معظم الولايات، وهو يجرّم التشويه الذاتي والانتحار، ويرفض العقود التي يتحمل فيها أحد أطرافها

مخاطر شخصية غير منطقية (خطر الموت في هذه الحالة). كتب الفيلسوف إيمانويل كانط أن بيع أجزاء الجسم ينتهك القيود الأخلاقية حول ما يمكن بيعه في السوق. تدين منظمة الصحة العالمية بيع الأعضاء البشرية لزرعها، وقد حظره القانون البريطاني والأمريكي، وكذلك فعلت ما لا يقل عن عشرين دولة أخرى. والتجارب على الأجنة محظورة في الولايات المتحدة، كما قد ناقش البرلمان البريطاني هذه القضية بمرارة وفي قضية(*) في الولايات المتحدة، قضت المحكمة بعدم قانونية شراء الأرحام أو استئجارها(**). ومن غير القانوني في الولايات المتحدة وبريطانيا شراء طفل. تثار النقاشات الأخلاقية بسبب الضغط المالي الواقع على المرأة لبيع رحمها، أو على الرجل لبيع كليته. يركز النقاش الوطني المؤلم على حياة الجنين وموته. إن استعدادنا للصراع مع مثل هذه القضايا يعتبر علامة على الصحة الأخلاقية للمجتمع.

في الحقيقة، ما يتاجر به الجراحون هو أجزاء الجسم، وإنَّ طريقة البيع باضعة(***). على الرغم من أنَّ أنسجة الجنين التجريبية ميتة، إلا أنَّها لا تزال تثير تساؤلات معقدة. لا تزال النساء اللواتي خضعن للتجارب الجراحية على قيد الحياة. يسمي الجراحون أنسجة جسد المرأة أنسجةً ميتة، وذلك حتى يتمكنوا من قتلها على نحوٍ مربح. هل كامل المرأة على قيد الحياة، أم فقط أجزاؤها الشابة و(الجميلة)؟ يثير الضغط الاجتماعي حول السماح لكبار السن بالموت تساؤلات تتعلق بتحسين النسل. ماذا عن الضغوط الاجتماعية الواقعة على المرأة لتدمير (التشوه) الموجود على جسدها السليم، أو قتل التقدم بالسن الظاهر عليها؟ هل هذا لا علاقة له بالصحة الأخلاقية للمجتمع؟ كيف يمكن أن يكون ما هو خطأ في الجسم السياسي(****) ليس فقط صواباً في الجسم الأنثوي بل ضرورياً فيه؟ ألا يوجد شيء سياسي يدور حول هذا؟

(*) قضية Baby M: أطلق فيها أول حكم للمحكمة الأمريكية بشأن مسألة تأجير الأرحام.

(**) أصبحت الآن قانونية.

(***) باضعة: نسبة للمبضع (المشرط).

(****) الجسم السياسي body politic، أو الجهاز السياسي: هو مصطلح مأخوذ من القرون الوسطى، ومقصد الكاتبة أن الخطأ ليس في جسد الأنثى بل في النظام السياسي الذي يهدف لجعل الأنثى تغير من جسدها.

عندما يتعلق الأمر بالنساء والفراغ الأخلاقي الذي ينشئه العصر الجراحي، فليس ثمة من لوائح إرشادية لتطبيقها، ولا حتى نقاش يجري حول هذا الموضوع. يضع الأشخاص الأكثر عنفاً حدوداً لأنفسهم للإشارة إلى أنهم لم يفقدوا إنسانيتهم بعد. جندي يمنع قتل طفل، ووزارة الدفاع تسحب خط الغاز السام، تؤكد اتفاقية جنيف أنه حتى في حالة الحرب تبقى مثل هذه التجاوزات غير مقبولة: نحن متفقون على أن الناس المتحضرين يستطيعون تمييز التعذيب وإدانته. لكن وفي هذا الخصوص، يبدو أن أسطورة الجمال موجودة خارج نطاق الحضارة: ذلك أنّه لا يوجد حتى الآن حدود لها لا يجب تجاوزها.

تستند الأسطورة إلى مغالطة أن الجمال هو شكل من أشكال الداروينية، وصراع طبيعي على الموارد النادرة، وأنَّ هذه الطبيعة شديدة الوحشية. حتى لو كان المرء قادراً على قبول المغالطة القائلة بأن ألم المرأة في سعيها للجمال يمكن تبريره (كما يبرر الجنرالات الحرب) كجزء من صراع تطوري لا مفر منه، لا يزال يتعين على المرء أن يدرك أنه لم يقل الناس المتحضرون مطلقاً في وجه ذلك (كما يفعلون بشأن التجاوزات العسكرية): هذا يكفي، نحن لسنا حيوانات.

يبدأ قسم أبقراط بـ: (أولاً، لا تؤذِ). في التجارب الطبية التي ذكرت في كتاب **الأطباء النازيون** *The Nazi Doctors* لروبرت جاي ليفتون Robert Jay Lifton، سألت ضحيةٌ الأطباء: (لماذا تريدون إجراء عمليات جراحية علي؟ أنا... لست مريضة). تتناقض تصرفات جراحي التجميل بطريقةٍ مباشرة مع الأخلاقيات الطبية التي يتبناها أطباء العلاج. يتبع أطباء العلاج دستوراً صارماً (وضع بعد تجارب الأطباء النازيين في مدينة نورمبرغ) لحماية المرضى من التجارب المستهترة: يدين الدستور وجود خطرٍ كبير في التجارب الطبية، ويمنع تماماً عمل تجارب دون أن يكون لها غرض علاجي، ويصر على حرية اختيار المرضى المشاركةَ في تلك التجارب من عدمها، وعدم إجبارهم عليها، وهو يفرض الكشف الكامل عن المخاطر المترتبة على تلك التجارب ضمن (وثيقة موافقة) تقدم للمرضى المشاركين. وبالنظر إلى تصرفات جراحي التجميل المعاصرين، يظهر من الجلي تماماً وحرفياً (وليس مجازياً) أنّهم ينتهكون يومياً الدستور الطبي لنورمبرغ.

يبدو أن التقنيات الجراحية التجميلية طورت في تجارب طبية مستهترة، باستخدام نساء يائسات كحيوانات تجربة: في الطعنات الأولى لشفط الدهون في

فرنسا، مزقت القضبان القوية النساء، ومزقت فيهن كريات ضخمة من الأنسجة الحية وشبكات عصبية كاملة من الخلايا المتغصنة والعقد العصبية. وتابع القائمون على التجارب على هذا المنوال بلا مبالاة. توفيت تسع نساء فرنسيات بسبب التقنية (المحسنة)، والتي كانت تسمى نجاحاً وتم جلبها إلى الولايات المتحدة. يبدأ خبراء شفط الدهون بالممارسة في غياب أي خبرة عملية أثناء التدريب. مما أفادت به إحدى مدمنات الجراحة: (لم يقم الجراح المسؤول عن عمليتي بهذا الإجراء من قبل... لذلك سوف يستخدمني (للتجربة). وبعملية تدبيس المعدة(*)، (يواصل الجراحون القيام بالتجارب من أجل التوصل إلى تقنيات أفضل).

لحماية المرضى من التجارب الطبية، يؤكد دستور نورمبرغ أنه من أجل تحصيل موافقة حقيقية يجب أن يعرف المرضى جميع المخاطر. وعلى الرغم من أنَّ المرضى يُطلب منهم التوقيع على استمارات الموافقة، فمن الصعب للغاية ـ إن لم يكن من المستحيل ـ الحصول على معلومات دقيقة أو موضوعية حول الجراحة التجميلية. تؤكد معظم التأمينات الشمولية على مسؤولية المرأة في البحث عن الممارسين والإجراءات. إلا أنّه بقراءة المرأة للمجلات النسائية فقط، قد تتعلم المضاعفات (لكن دون معرفة احتمال وقوعها)؛ وحتى لو كرست كل وقتها للبحث عن ذلك، فستبقى غير قادرة على معرفة معدل الوفيات؛ إما لأنّه لا أحد يعرف ذلك ممن يجب عليهم معرفته، أو لأنَّه لا أحد يذكر تلك النسبة. تقول متحدثة باسم الجمعية الأمريكية لجراحي التجميل والترميم: (لا أحد يتحفّظ على أرقام معدل الوفيات، لكن الأمر أنّه لا توجد سجلات عن معدل الوفيات الإجمالي). وينطبق الأمر ذاته في كندا. كما ذكرت الجمعية البريطانية لجراحي التجميل أن الإحصاءات غير متوفرة. يعترف أحد مصادر المعلومات في الجراحة التجميلية بوفاة حالة من كل ٣٠,٠٠٠، مما يعني أن ما لا يقل عن ٦٧ امرأة أمريكية متْنَ حتى الآن (على الرغم من أن هذه الاحتمالات لم تُذكر مطلقاً في مقالات الصحف الشعبية). تتجاهل معظم المصادر المتاحة مستويات الخطر وجميع أوصاف مستويات الألم، وكما يظهر مسح عشوائي للكتب الشائعة حول هذا الموضوع: في كتاب عن الوجه *About Face*، يغطي المؤلفون خمسة إجراءات تشمل شفط

(*) عملية تدبيس المعدة: عملية يجري فيها خياطة لجزء من المعدة بجانب فتحة المريء، مع وضع رباط تحت الفتحة، وهي من العمليات المستخدمة لإنقاص الوزن.

الدهون، والتقشير الكيميائي، وتسحيج الجلد الكيميائي، لكنَّهم لم يذكروا أياً من المخاطر، ولا الألم. ويغطي كتاب (**كتاب الجسم الجميل**) *The Beautiful Body Book* إجراءات تشتمل على جراحة الثدي وتسحيج الجلد وشفط الدهون دون ذكر المخاطر أو الألم أو تصلب الثدي أو معدلات الحاجة لعمليات أخرى أو صعوبات اكتشاف السرطان. تصف المؤلفة جراحة تصغير الثدي وجراحة (إعادة تموضع) الثدي (لأنَّ الحلمة ـ وكما ذكرت بالحرف ـ (تتموضع في غير محلها)). تقتل هذه الإجراءات على نحوٍ دائم الاستجابة الشبقية للحلمة. إنها لم تذكر هذا التأثير الجانبي إلا لإنكاره مستندةً إلى رأي (د. برينك) المذهل الذي (أخبرني أنه من الطبيعي عند كثيرٍ من النساء ذوات الأثداء الكبيرة أن يكون إحساسهن بمنطقة الحلمة بسيطاً، أو قد لا يشعرن بشيء بأي حال من الأحوال). واستمرت في تقديم (حقائق)، والتي عادة ما تكون خاطئة ببساطة كما هو معتاد في مثل هذه الكتب: لقد أسفر شفط الدهون عن (أربع وفيات فقط)، (بينما سجلت صحيفة **نيويورك تايمز** إحدى عشرة وفاة عام ١٩٨٧)، وأنه (حتى الآن، لم تُلاحظ أي آثار سلبية طويلة الأجل). ولم تذكر نشرة Poutney Clinic في قائمتها الخاصة بـ (المخاطر) الألم، وفقدان الإحساس عند الحلمة في أي من جراحات الثدي الخمس التي يقدمونها، ولا خطر الموت. تقدم نشرة الخدمة الاستشارية للجراحة كذبة صريحة: فتدعي أنَّ تطور أنسجة مصابة ندبية بعد جراحة الثدي (نادر الحصول)، ولا يحدث إلا (في حالات قليلة جداً)، على الرغم من أن تقديرات حصول النُّدَب تتراوح في الواقع من ١٠ بالمئة من جميع الحالات إلى ما يصل إلى ٧٠ بالمئة. يعتبر الطبيب توماس أسلوب جراح التجميل د. ريس في الحصول على الموافقة مميزاً: حيث يقوم بـ (إعطاء مرضاه ورقة مصممة لتزويدهم بأكبر قدرٍ ممكن من المعلومات العملية دون تخويفهم حتى الموت من العديد من المضاعفات) التي ـ على الرغم مما يقوله بخصوص ندرتها ـ (قد تصيبهم). ومن الصعب للغاية أيضاً تحديد أي المصادر تُعد متحيزة: نشرت صحيفة **إندبندنت** *Independent* (لندن)، وهي صحيفة محترمة، مقالة إيجابية عن الجراحة، تنتهي بإعلان عن دليل **الإندبندنت** للجراحة التجميلية (بـ ٢ جنيه)، والذي يقلل من المخاطر ويعلن فيه عن جميع الجراحين الأكفاء في بريطانيا العظمى. لا يمكن للمرأة أن تعرف ما هي فرص حدوث قصة رعب لها حتى تعيش إحداها؛ جهلها وحده يساعد الجراحين التجميليين في انتهاك نص نورمبرغ وروحه.

يحترم أطباء العلاج الجسدَ السليم، ولا يبضعون إلا الجسد المريض، وذلك كحل أخير؛ بينما ينعت جراحو التجميل الأجسام الصحية بأنَّها مريضة بغرض بضعها. يتجنب جراحو العلاج القيام بعمليات على أفراد الأسرة؛ بينما جراحو التجميل هم أول الرجال الذين تمنحهم التكنولوجيا الخيال الذكوري لبجماليون(*) الأسطوري، النحات الذي وقع في حب منحوتته الخاصة: فلا بد من وجود جراح واحد على الأقل قام بإعادة تشكيل زوجته بالكامل. يمتنع أطباء العلاج عن أن يتلاعب بهم مدمنو العلاج(**)؛ بينما هناك بالفعل فئة من النساء مدمنات على الجراحة، وفقاً لمجلة **نيوزويك** *Newsweek*، (إماء(***) المبضع ينغمسن... في الجراحة التجميلية بالطريقة التي ينغمس بها بعضنا بتناول الشوكولاتة، بطريقة قهقرية. لا التكلفة ولا الألم ولا الكدمات المثيرة للعجب تقلل من الرغبة في الحصول على مزيد من التقليم للجسم). فمثلاً (بخلاف تمنّع أطباء العلاج عن مدمني العلاج)، يقدم أحد الجراحين لإحدى المدمنات خصماً على العمليات المتكررة. وتقوم المدمنات (بالانتقال من طبيب إلى آخر، بحثاً عن عمليات متعددة... يصبح تفحص الذات لديهنَّ على المستوى المجهري. يبدأن بالشكوى من النتوءات التي لا يراها الشخص العادي). فيقوم الجراحون بالعمليات: قام الدكتور فرانك دونتون بإجراء ٦ عمليات على الأقل لامرأة واحدة، (ويتوقع مواصلة عمل إعادة تشكيل جسدها. يقول: (أعتقد أنّه لا بأس بهذا ما دام زوجها لا يشتكي).

الحماية

إنَّ الإكراه الطبي في خدمة كذبة حيوية لا يخضع للتنظيم والضبط كالطب الشرعي. في القرن التاسع عشر، كانت الجراحة الجنسية محفوفة بالمخاطر وغير علمية، مع القليل من الفحوصات القانونية. كان المرضى أكثر عرضة ـ حتى قرابة عام ١٩١٢ ـ للتضرر من التدخل الطبي من كونه مساعداً لهم. فوفقاً لمعايير اليوم

(*) بجماليون: أسطورة نحات يوناني مبدع يدعى بجماليون كان يكره النساء، لكنه نحت مرة منحوتة لامرأة جميلة بناءً على طلب أحدهم، فأعجب جداً بجمال المنحوتة، حتى إنه لم يقبل بيعها.

(**) مدمنو العلاج: مقصد الكاتبة هم في الغالب مرضى مانشاوزن، الذين يحبون تلقي اهتمامٍ طبي، فيزيفون مرضاً، أو يصيبون أنفسهم بمرض لتلقي ذلك الاهتمام.

(***) إماء: جمع أَمَة، وهي مؤنث العبد.

لم يكن الأطباء يعرفون سوى القليل عن كيفية عمل الجسم، وكانت التجارب الغريبة على الأعضاء التناسلية للمرأة شائعة. لم يكن للجمعية الطبية الأمريكية أي سيطرة قانونية على من يمكنه تسمية نفسه طبيباً. كان الأطباء أحراراً عملياً في تجريب علاجات زيوت الثعابين المسببة للإدمان والعلاجات المستندة على الأفيون، والعلاج بالمعجزات للأمراض الغامضة التي تصيب النساء.

تزدهر تلك الأعمال الوحشية الجديدة دون تدخل من المؤسسات التي وعدت بحماية رفاهية المواطنين. ففي المعيار الجنسي المزدوج فيما يتعلق بمن يتلقى حماية المستهلك، يبدو أنه إذا كان ما تقوم به للنساء تقوم به باسم الجمال فيمكنك فعل ما تريد. من غير القانوني الادعاء بأن شيئاً ما يطيل الشعر، أو يجعلك طويلاً، أو يعيد الرجولة، إذا لم يكن يفعل ذلك بالفعل. من الصعب أن نتخيل أن علاج الصلع Minoxidil سيكون في السوق لو أنه قتل تسع فرنسيات و١١ رجلاً أمريكياً على الأقل. على النقيض من ذلك، لا تزال تأثيرات Retin-A طويلة الأجل غير معروفة. يشير الطبيب ستيوارت يوسبا Stuart Yuspa من المعهد الوطني للسرطان إلى وصفته بأنها (تجربة بشرية)، وعلى الرغم من أنَّ إدارة الغذاء والدواء لم توافق عليها، إلا أنَّ أطباء الأمراض الجلدية يصفونها للنساء بعائدات تفوق ١٥٠ مليون دولار في السنة.

كانت حقن السيليكون في السبعينيات (والتي لم توافق عليها إدارة الغذاء والدواء الأمريكية) تتصلب (مثل كيسٍ من الصخر) (كما وصفها الدكتور توماس ريس) في أثداء النساء. لا يزال تأثير السيليكون المسرطن على المدى الطويل غير معروف، ومع ذلك لا يزال الجراحون يحقنونه في وجوه النساء. ظهرت (صالات التقشير) حيث يستخدم العاملون فيها ـ الذين لم يخضعوا لأي تدريب طبي على الإطلاق ـ الحمض للتسبب بحروق من الدرجة الثانية لوجوه النساء. واستمر الأمر كذلك حتى عام ١٩٨٨ حيث قامت إدارة الغذاء والدواء باتخاذ إجراءات صارمة ضد العلاجات الزائفة لفقدان الوزن التي تستهدف النساء، وهي نشاط تجاري تبلغ قيمته ٢٥ مليار دولار في السنة. وعلى مدار أربعين عاماً قبل تلك المكافحة كان الأطباء القذرون يصفون علاجات لفقدان الوزن (معتمدة طبياً) تشمل: الأمفيتامينات والعقاقير الأخرى المسببة للإدمان، وجرعات عالية من الديجيتال (دواء شديد السمية القلبية)، وحقناً من بول النساء الحوامل، والصيام المطول، وجراحة الدماغ،

وخياطة الفك بالأسلاك، ومجازات الأمعاء. وعلى الرغم من أنَّ جميع تلك العلاجات كان يروج لها أطباء، إلا أنَّه لم يكن أيٌّ منها مدعوماً بدراسات طويلة الأجل على الحيوانات ولا بتجارب سريرية لضمان السلامة أو الفعالية. لا تزال صيغ الحميات الغذائية المنتشرة في الأسواق تضع ضغوطاً خطرة على الجسم عند استئناف الأكل الطبيعي؛ ومثلاً PPA (فينيل بروبانولامين، الموجود في حبوب الحمية وعلاجات إنقاص الوزن العشبية)، له مخاطر على القلب، ولكن لا يلزم وضع علامة على المنتج بحمله تلك المخاطر. لا تزال توصف للنساء العقاقير التي تسبب الإدمان (مثل الكوكايين والأمفيتامينات)(*) لفقدان الوزن، لكن هذا لا يستحق اهتمام فرقة عمل الرئاسة المعنية بالمخدرات. هذا النقص في التنظيم هو بحد ذاته رسالة إلى النساء، وهي رسالة نفهمها بوضوح.

في بريطانيا العظمى، يقوم الأطباء الذين لم يتم تسجيلهم في مؤسسة الخدمات الصحية الوطنية لإجراء عمليات التجميل بابتكار أسماء رنانة لمنظمات (مثل خط المساعدة لجراحة التجميل، والمجموعة الاستشارية الطبية، والخدمات الاستشارية للجراحة)، ويستفيدون من الأدبيات التي بين أيديهم عن العصا المجنحة وثعابين أسكليبوس(**)، وإله الشفاء في مهنة الطب. هُم يضللون النساء بالتفكير بجعلهن يفكرن بأنَّهن يتلقين معلومات غير متحيزة، بينما ما يفعلونه في الواقع هو الضغط عليهن عبر الهاتف، من خلال (مستشارين غير مدربين طبياً) للحصول على مرضى جدد. في الولايات المتحدة، إلى عام ١٩٨٩ (أي بعد مرور عشر سنوات على بدء العصر الجراحي) حتى عُقدت جلسة استماع في الكونغرس من قبل عضو الكونغرس رون وايدن (ديموقراطي، أوريغون) للتحقيق فيما وصفه أحد الشهود (الملاذ الأخير للقراصنة الذين يشحنون السوق بما يمكن أن يسمه) وإعلاناتهم التي (غالباً ما تكون مضللة وكاذبة... ينقضون بها على شعور انعدام الأمن لدى النساء الأمريكيات). اتهمت الإفادة لجنة التجارة الفيدرالية بالفشل في تنظيم (المهنة)، وألقت باللوم عليها في السماح بالإعلان في السبعينيات، وتهربت من المسؤولية عما أحدثته تلك الإعلانات. يرمز الرمز .M.D/D.P.S(***) إلى الطبيب

(*) توقف هذا منذ سنوات، وسُحبت من الأسواق بعد أن استمرت فيها فترة من الزمن.

(**) رموز مشهورة للطب.

(***) M.D: ترمز للطبيب. .D.P.S: ترمز لجراح التجميل.

(المجاز من مجلس متخصص) (حاصل على شهادة بورد) من المجلس الأمريكي لجراحة التجميل، وبالتالي فهو شخصٌ مدرب؛ لكنَّ المرأة الأمريكية التي قيل لها إنَّ العبء يقع عليها في ضمان أن يكون الجراح (حاصل على شهادة البورد)، من غير المرجح أن تعرف أنَّ هنالك أكثر من ١٠٠ شهادة (بورد) تختلف عن بعضها بأسماء رسمية رنانة غير نظامية. تُجرى ٩٠ بالمئة من عمليات التجميل في الولايات المتحدة في مكاتب الأطباء غير المنظمة. أخيراً، أكدت إفادة الكونغرس أنه: (لا توجد طريقة قياسية لفحص المريضة قبل العملية الجراحية)، لذلك أي امرأة يمكن أن تخضع لعملية جراحية. ماذا فعل الكونغرس حيال الموقف الذي واجهه؟ لا شيء: اقتُرِحَ التشريع فقط بعد أن رأى الكونغرس ١٧٩٠ صفحة من الشهادات المروعة (كما يقول الدكتور ستيف سكوت، المتحدث باسم مكتب عضو الكونغرس وايدن) بعد أكثر من عام (من الانتظار). لماذا؟ لأنَّ ذلك كان يحصل للنساء في سبيل الجمال، لذا فهو لَيس خطيراً.

الجراحة الجنسية

يصبح الأمر خطيراً جداً إذا كان جنسياً. توسعت الصناعة في الثمانينيات استجابةً لمواد الجمال الإباحية. فبعدما ضبط الإيدز الاختلاط بين الجنسين، قلَّت التجارب الجنسية الحقيقية بين الرجال والنساء لجعلهم يشعرون بالأمان بأن يعلموا بأن الجنس الجيد كان يظهر بأي شكلٍ كان. وعندما كان هناك عدد قليل فقط من الصور الأصيلة للحياة الجنسية في رؤوس الناس، والتي تمكنهم من مواجهة تأثير الصور التجارية للحياة الجنسية، بدأت فكرة (نحت الجسم) حياتها وانتشارها، دافعةً لفصل الجنسين في نرجسية تكميلية لم تعد تهدف حتى للإغواء. رفعت النساء الأثقال و(أصبحت أجسادهن صلبة). لكن الرجال هم مَن مِن المفترض أن (تكون أجسادهم صلبة)، و(الجمال) ضروري لدى النساء للاعتذار عن القوة الذكورية: عندما أصبح كامل جسدهن صلباً، أُحدثت شقوقٌ تحت طيات أثدائهن وأُدخلت فيها أكياس صافية من الهلام. كانت عضلاتهن قبضةً حديديةً مفرطة الذكورة؛ بينما الأثداء الاصطناعية كانت القفاز المخملي فائق الأنوثة. لم يعد المثل الأعلى (امرأة عارية)، لم يعد ذلك الكائن الضعيف. أثداؤها مصنوعة من مواد كيميائية صافية، لقد تخلصت من الكثير من (العري) و(الأنوثة) بقدر ما تستطيع.

لقد تم إجراء شقوق في ٢٠٠,٠٠٠ إلى ١ مليون امرأة أمريكية(*)، وغرست أكياس من الهلام الكيميائي فيها.

يقدر الصحفي جيريمي وير ألدرسون من مجلة سيلف *Self* العدد بأكثر من مليون، والأرباح تتراوح بين ١٦٨ مليون دولار و٣٧٤ مليون دولار(**). (تبلغ تكلفة العملية من ١٨٠٠ إلى ٤٠٠٠ دولار). ويكتب أن الثدي هو أكثر جزء يعمل عليه الجراحون: ١٥٩,٣٠٠ عملية جراحية للثدي في السنة، مقارنة بـ ٦٧,٠٠٠ عملية شد للوجه. تؤدي العملية الجراحية إلى تصلب الأنسجة الندبية حول الغروسات في سبع حالات من أصل عشرٍ، عندما يصبح الثدي صلباً كالصخر، يجب إعادة فتحه وإزالة الغروسات منه، أو أن يقوم الجراح بتمزيق تلك الكتل باستخدام يديه العاريتين ووزنه كاملاً. يتسرب محتوى غروسات ماء البحر، ويجب حينها استخراجها؛ يزود مصنعو الغروسات الجراحين بتأمين روتيني لتغطية البدائل (يقوم الجراحون بشراء الأكياس في رزم من ثلاثة أزواج بأحجام مختلفة). تتسرب المواد من غروسات السيليكون إلى الجسم، مما يؤدي إلى تأثير غير معروف، وتتوقع المجلات الطبية أن تتسبب تلك التسربات بمشاكل في الجهاز المناعي ومتلازمة الصدمة التسممية. وتُضعِف الغروسات من القدرة على اكتشاف السرطان. في دراسة أجريت في مركز الثدي في فان نويس، كاليفورنيا، على عشرين مريضة بالسرطان خضعن لعمليات زرع غروسات، لم يجرِ اكتشاف أيٍّ من أورام الثدي في وقت مبكر عندهن، وبحلول وقت اكتشاف المرض كان السرطان قد انتشر إلى العقد اللمفاوية عند ثلاث عشرة امرأة منهن. تقول جراحة التجميل في بيفرلي هيلز الدكتورة سوزان تشوبانيان: (إنَّ عدداً قليلاً جداً من النساء ينسحبن بعد سماعهن للمخاطر).

من المخاطر التي لم يسبق ذكرها في المصادر المتاحة لمعظم النساء هي موت الحلمة: وفقاً لبيني بينورلتون، (أي عملية جراحية على الثدي يمكن أن تؤثر ـ وغالباً ستفعل ـ سلباً على أي تحفيز جنسي تتمتع به المرأة حتى الآن، وهذا يجب أن يوضحه الجراح في حال كان مهماً للمريضة). وبالتالي تعد جراحة الثدي ـ في تشويهها لمشاعر الإثارة الجنسية ـ شكلاً من أشكال التشويه الجنسي.

(*) هذا العدد وضع عام ١٩٩٠، فما بالك الآن!

(**) هذا العائد مقدر قبل عام ١٩٩٠، فما بالك الآن!

تخيل هذا: غروسات للرجل، تكبير أعضائه، حقن سيليكون، حقن محاليل ملحية مع إمكانية الاختيار من بين ثلاثة أحجام، جراحة لتصحيح زاوية الانتصاب، رفع كيس الصفن وجعله مثالياً. المخاطر: انخفاض الشعور الجنسي؛ انعدام دائم بالشعور الجنسي؛ تصلب الحشفة، نتيجة لتماسك البلاستيك الصلب؛ تورّم وتصلّب الخصيتين، مع احتمال الحاجة لعمليات لاحقة، بما في ذلك تكوين أنسجة ندبية يجب على الجراح كسرها بالضغط اليدوي؛ انهيار الغروسات؛ تسرب محتوى الغروسات؛ عواقب غير معروفة على المدى الطويل؛ الحاجة إلى أسابيع للشفاء يجب خلالها عدم لمس القضيب. تخيل أن يخضع الرجال للإجراءات المذكورة أعلاه لأنها تجعلهم مثيرين للنساء، أو لأنّه يقال لهم هذا.

سيوافق الأشخاص المتحضرون على أن هذه تشوهات فظيعة لدرجة أن المرأة لا ينبغي أن تكون قادرة على مجرد التفكير بها. لقد جفلت عندما كتبتها. إذا كنت أيتها القارئة امرأة، فربما أحجمتِ عن قراءتها؛ وإذا كنت رجلاً، فلا بد أنك شعرت ببعض الاشمئزاز الجسدي.

ولكن نظراً إلى أنَّ النساء يُعَلَّمن أن ينظرن إلى جسد الرجل أو الطفل (أو حتى الجنين أو أي حيوانٍ من الرئيسيات أو صغير الفقمة) على نحو أكثر عاطفية من أجسادهن، فسنشعر ببعض الخدر في مشاعرنا عند القراءة عن هجمات على أجسادهم مماثلة للتي تحدث على أعضائنا الجنسية. مثلما تنقلب جنسانية المرأة من الداخل إلى الخارج لتلبية متعة الذكور أكثر من متعة المرأة نفسها، فإن الشيء نفسه ينطبق على إحساسنا بالألم. قد يعترض أحدهم على أن الثدي والقضيب ليسا مصطلحين متماثلين، وهذا صحيح: جراحة الثدي ليست بالضبط استئصالاً للبظر، إنَّها ليست سوى نصف استئصال للبظر.

وقد يجادل آخر: لكن الأمر ليس أشبه بتشويهٍ حقيقيٍّ للأعضاء التناسلية كما تدعين، فالمرأة هي من تختار ذلك. في غرب أفريقيا، لا تتزوج الفتيات المسلمات ذوات البظر غير المختون. تقوم نساء القبيلة باستئصال البظر بزجاجات مكسورة غير معقمة أو بسكاكين صدئة. النساء هن من يقمن بالأمر هناك. وقد يقول أحدهم ببصيرة يحسبها واسعة إن أولئك النساء (يفعلن ذلك بأنفسهن).

يقدر أن ٢٥ مليون امرأة في أفريقيا مشوّهات جنسياً. التفسير الشائع هو أنه يجعل المرأة أكثر خصوبة، بينما العكس هو الصحيح. كان لربط القدم في الصين

أيضاً سبب جنسي، كما ذكرت أندريا دوركين: كان يعتقد أن ربط القدم في الصين يغير العضو عند النساء، مما يسبب في (فرط خارقٍ في الشعور) أثناء ممارسة الجنس، لذلك ـ وكما أوضح دبلوماسي صيني ـ فإن النظام (لم يكن مستبداً حقيقةً)، على الرغم من أنَّه ـ كما كتبت دوركين ـ : (غالباً ما يصبح اللحم متعفناً أثناء الربط، وتُزال أجزاء منه من النعل)، و(أحياناً تسقط إصبع واحدة أو أكثر من أصابع القدم). لقد كانت الغاية أن تكون مرغوباً فيها: فلا توجد فتاة صينية (يمكن أن تتحمل السخرية بأن يقال عنها: (شيطان كبير القدمين)، ولا العار من كونها غير قادرة على الزواج. إنَّ الأساس المنطقي للخضوع لعملية جراحية في الثدي هو أيضاً الرغبة الجنسية وأن تكون مرغوباً فيها).

كما حدث في جراحة الثدي، يجري أيضاً تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية: إنَّ الفظائع التي تحدث للنساء (جنسية) وليست (سياسية)، لذلك وصفتها وزارة الخارجية الأمريكية ومنظمة الصحة العالمية واليونيسف بأنها (مواقف اجتماعية وثقافية)، ولم تفعل شيئاً حيالها. في النهاية، وعلى الرغم من ذلك، راقبت منظمة الصحة العالمية هذه الممارسة. وقد حظرها دانييل آراب موي (رئيس كينيا) عام ١٩٨٢، بعد أن علم أن ١٤ فتاة توفينَ بسببها.

الجراحة الجنسية الغربية ليست جديدة؛ فقد كانت الجنسانية الأنثوية الطبيعية تُعدّ مرضاً في القرن التاسع عشر، تماماً كما تُعدّ الأثداء الطبيعية اليوم قابلة للخضوع لعمليات جراحية لتغييرها. كان دور اختصاصيي أمراض النساء في القرن التاسع عشر هو (اكتشاف ومحاكمة وعقاب) المرض الجنسي و(الجريمة الاجتماعية). أصبحت جراحة الحوض واسعة الانتشار باعتبارها (انعكاساً اجتماعياً)، لأن (هزة الجماع كانت مرضاً وعلاجها هو تدميرها).

جعل استئصال البظر في العصر الفيكتوري المرأة تحسن التصرف. (تُشفى المريضات من البظر... فيرتفع الحس الأخلاقي عند المريضات... وتصبح قابلة للعلاج ومنظمة ومجتهدة ونظيفة). يدّعي الجراحون المعاصرون أنهم يجعلون النساء يشعرن بالتحسن، وهذا صحيح بلا شك؛ كانت نساء الطبقة الوسطى الفيكتوريات قد استوعبن فكرة حياتهن الجنسية على أنها مرض، فكان اختصاصيو أمراض النساء (يستجيبون لصلواتهنّ). تقول مريضة خضعت لعملية شد الوجه عند الطبيب توماس ريس: (كان الارتياح الذي شعرت به واسعاً). كتبت إحدى

مريضات الطبيب كوشينغ بعد أن شعرت بالارتياح بمشرط (إغراء) العادة السرية: (لقد فُتحت [لي] نافذة إلى السماء). وتقول مريضة خضعت لجراحة تجميل أنف على يد الطبيب توماس ريس: (لقد غيّر هذا حياتي، بهذه البساطة).

لقد تباين الرأي الطبي الفيكتوري حول ما إذا كان إخصاء المرأة يعمل على إعادتها إلى دورها (الطبيعي). اعترف الدكتور وارنر (كما يعترف الجراحون المعاصرون الآن) بأن النتائج ربما كانت نفسية وليست جسدية. واعترفت الدكتورة سيمينغتون براون بذلك، لكنها أصرت على أن العملية لا تزال صالحة لأنها تعمل من خلال (التأثير بالصدمة). وبالمثل يعزز (العصر الجراحي) خضوع المرأة لأسطورة الجمال من خلال الخوف الدائم غير المُعلن: إذا لم تكن حذرة، فسوف تحتاج إلى عملية.

مثل معايير الجراحة الحديثة، التي يخضع فيها مرضى شد الوجه في العشرينيات من العمر لعملية (وقائية)، والتي ـ على حد تعبير أحد الأطباء ـ ما هي إلا (ضجيج تسويقي خالص)، كانت قد حُددت معايير استئصال البظر في البداية على نحوٍ ضيق ولكن سرعان ما أصبحت شاملة. بدأت الدكتورة سيمينغتون براون عمليات استئصال البظر عام ١٨٥٩. وبحلول ستينيات القرن التاسع عشر، كان يزيل الشفرين أيضاً. لقد أصبح أكثر ثقة، فكان يعمل على فتيات لا تتجاوز أعمارهن عشرة أعوام، وعلى الغبيات والمصابات بالصرع والمصابات بالشلل، والنساء المصابات بمشاكل في العين. كما تقول مدمنة جراحة لمجلة *She*: (بمجرد أن تبدأ، يكون لها تأثير غير مباشر). لقد قام خمس مرات بإجراء عمليات على نساء يرغبن في الطلاق، وفي كل مرة يعيد فيها الزوجة إلى الزوج. (كانت الجراحة... حفلاً للوصم، يرعب معظمهنَّ للخضوع... يبدو أن التشويه، والتخدير، والترهيب النفسي... كان شكلاً فعالاً ـ وإن كان وحشياً ـ من إعادة البرمجة). كتب شوالتر: (استئصال البظر هو التعزيز الجراحي لأيديولوجية تحصر جنسانية الإناث في الإنجاب)، تماماً كما أنَّ جراحة الثدي أيديولوجية تحصر جنسانية الإناث في (الجمال). اشتكت النساء الفيكتوريات من (الخداع والإكراه) اللذين تعرضن لهما في العلاج، كما فعلت النساء الأمريكيات اللائي وصفن عام ١٩٨٩ لمضيفة البرامج الحوارية أوبرا وينفري التشوهات الجنسية التي أصابتهن دون موافقتهن

على يد جراح مقتنع بأنه يستطيع تحسين هزات الجماع التي يشعرن بها عن طريق إعادة هيكلة جراحية.

ليس من المصادفة أن تزداد جراحة الثدي انتشاراً في وقتٍ تُعد فيه الحياة الجنسية للإناث تحت مثل هذا التهديد. كان هذا صحيحاً في العصر الفيكتوري أيضاً، عندما كان الأطباء يعالجون انقطاع الطمث عن طريق وضع العلق مباشرة على المهبل أو عنق الرحم، وكانوا يكوون الرحم بحمض الكروميك بسبب النجيج الخارج منه. تقول إحدى النساء اللاتي خضعن لعملية تجميل الأنف: (العملية... ليست هي المهمة)، كما كانت (المعاناة النفسية والتعذيب الجسدي) التي عانت منها النساء الفيكتوريات (لا تؤخذ بالحسبان). أصبح الجراحون نجوماً إعلاميين. أحاطت (الفتنة والرفعة) بالجراح النسائي، وكان الأطباء ينصحون المريضات في كثير من الأحيان بإجراء عملية جراحية في حالات تكون فيها التدابير الأقل شدة كافية. أصبحت عملية استئصال المبيض (عملية موضة على الرغم من ارتفاع معدل الوفيات في بعض الأحيان إلى ٤٠ بالمئة. لم يقتصر الأمر على المبيض المصاب، بل حتى المبيض الطبيعي السليم كان يقع فريسة للجراحين الجنسيين). لا يتطلب الأمر سوى الاطلاع على منشور يتعلق بالجراحة التجميلية لمعرفة كم هي طبيعية وسليمة تلك الأثداء التي تقع الآن (فريسة للجراحين الجنسيين).

ويعرض الجراحون الجنسيون الحديثون عملهم بكل فخر؛ تستنسخ فاي ويلدون Fay Weldon في كتابها **حياة وقصص العشق لامرأة شيطانة** *The Life and Loves of She-Devil* خيالاً معاصراً للمرأة المعاد تشكيلها بالكامل تتباهى به أمام جراحين زمالة في حفل كوكتيل. كان الأطباء الفيكتوريون يتباهون بعدد عمليات بضع المبيض التي أجروها، ويعرضون مبايض مرتبة على أطباق فضية لإثارة إعجاب الجماهير في اجتماعات الجمعية الأمريكية لأمراض النساء.

طورت عملية إزالة المبايض عام ١٨٧٢. وفي العام التالي، أوصي بها لـ(حالات غير مبيضية)، وعلى وجه الخصوص العادة السرية، مما سبب بوجود قرابة ١٥٠,٠٠٠ امرأة أمريكية من دون مبايض بحلول عام ١٩٠٦. كانت (الحالات غير المبيضية) حكماً اجتماعياً يهدف إلى منع النساء (غير المناسبات) من التوالد وتلويث الجسم السياسي. (تشمل (غير المناسبة) هنا... أي امرأة قد فسدت بممارستها الاستمناء أو استخدام وسائل منع الحمل أو تعرضها

للإجهاض... منذ تسعينيات القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الثانية، كان يجري (إخصاء) النساء المصابات بأمراض عقلية).

قدمت (جمعية الجراحة الفوهية) عام ١٩٢٥ تدريباً جراحياً لاستئصال البظر وتشويه الأعضاء التناسلية (بسبب الانتشار الهائل للمرض والمعاناة، ما يمكن أن ينقذ الجنس اللطيف). قبل عشر سنوات، عرض طبيبٌ لأمراض النساء في أوهايو القيام بعملية (العلامة زد Mark Z) بقيمة ١,٥٠٠ دولار لإعادة هيكلة المهبل (بجعل البظر أكثر سهولة في الإيلاج لتوجيه تحفيز القضيب). هناك تبجّحٌ منتشرٌ عند جرّاحي التجميل المعاصرين، وهو أن عملهم ينقذ النساء من حياة المعاناة والبؤس.

هناك نوع من المواد الإباحية يركز على إيذاء أثداء النساء وإجراء جروحٍ فيها إنه من المخيف أنَّ ما يبدو أنّه يعد مثيراً جنسياً في جراحة الثدي ليس هو نفسه ما يجعل المرأة تبدو وكأن لديها ثديين طبيعيين أكبر أو أفضل؛ حيث لا يبدو أنَّ هنالك أحداً مهتماً بالتظاهر بأنها تبدو طبيعية؛ ولا أنّها تجعل النساء أكثر (أنوثة)؛ ولا حتى تجعل الثديين (أكثر كمالاً). الأمر المخيف هو أن إجراء الجراحة نفسها هو ما يظهر بمظهر الإثارة الجنسية. أبرزت مجلة هنغارية أثداء محلية ضمن معايير الجمال إلى جانب الجراحين الذين قاموا بهيكلتها. وأبرزت مجلة إباحية جراحة ماريبل همنغواي وجيسيكا هان، فلم تكن الأثداء هي المقصودة، إنما العملية نفسها. إنه لأمر مخيف أن نرى الآن ـ في حقبة خوف النساء ـ أنَّ التفكير بعلماء يقومون بشق وبضع وإعادة هيكلة صناعية لأثداء النساء يظهر كأنه انتصار شبقي مطلق.

قد تصبح إعادة التشكيل الصناعية للثدي مثيرةً جنسياً عند النساء أيضاً. وفقط بعد عقدين من مواد الجمال الإباحية التي كانت تحدّ من جنسانية الإناث، أصبحت الأثداء الميتة جنسياً ينظر لها ويُشعر بأنَّ ملمسها (أفضل) من الأثداء الحية جنسياً. نفس الرقابة الضمنية التي تُحرر صور أوجه النساء وأشكال أجسامهن تُحرِّر أيضاً صور الثدي الأنثوي، مع إبقاء النساء جاهلات بالشكل الحقيقي للثدي. تظهر الثقافة الأثداء بإتقانٍ لا يشوبه شائبة، ولا تعرض أبداً تقريباً تلك الأثداء الناعمة أو غير المتناظرة أو الناضجة، أو التي مرت بتغيرات الحمل.

عندما يتعلم المرء شكل الثديين من الثقافة، فلن يكون لديه فكرة تُعلمه أن الثديين الحقيقيين يأتيان بأشكال عديدة ومتنوعة بقدر ما يوجد من نساء. ونظراً لأن معظم النساء نادراً ـ إن لم يكن مطلقاً ـ ما يشاهدن أو يلمسن أثداء النساء الأخريات، فليس لديهن أي فكرة عن ملمسها، أو عن الطريقة التي تتحرك بها بتحرك الجسم، أو كيف تبدو حقاً أثناء ممارسة الجماع. لدى النساء من جميع الأعمار إقرار (حزين في ضوء مدى تنوّع ثديي النساء حقاً في الملمس) حول (بروزها) و(متانتها). تعاني العديد من الشابات من آلام العار بسبب قناعتهن بأنهن وحدهن لديهن علامات تمدد. ونظراً لأن رقابة الجمال تبقي النساء في ظلام عميق حول الأجساد الحقيقية للنساء الأخريات، فمن الممكن عملياً جعل أي امرأة تشعر أن ثدييها هي فقط ناعمان أو منخفضان أو متدليان أو صغيرا الحجم أو كبيران أو غريبان أو خاطئان، مما يسرق منها النشوة الكاملة والرائعة للحلمتين.

الميل نحو الخضوع لعمليات جراحة الثدي هو اتجاه أرسته ثقافةٌ تمنع كل ثدي لا ينتمي للأثداء الرسمية، كما أنّها تسمي الصور المتبقية من هذا التحرير (جنساً)، وتبقي النساء جاهلات بأجسادهن وأجساد غيرهن من النساء، وتوفر خدمة غير مضبوطة توزع مقابل عدة آلاف من الدولارات ((لأحدها؟) (لا، لكليها)) البديل المسموح به للنساء المتحمسات جداً.

في إعلان تلفزيوني لجرّاح تجميل أمريكي، فرقرت الممثلة التي تظهر على الشاشة بابتسامة المرأة التي تشعر بالرضا التام. لا شيء على وجهها يبدو غير عادي. يتضح أنها لا تتحدث عن وجهها. على العموم، لا تقوم النساء بشق أثدائهن لأجل رجال بعينهم، إنما ليتمكنَّ من تجربة جنسانيتهن الخاصة. في بيئة مريضة، يفعلن هذا (لأنفسهن). معظمهن متزوجات أو في علاقات مستقرة. وثلثهن بالكامل أمهات أثداؤهن ـ بكلمات الجراح نفسه ـ (تضمر) بعد الحمل. شركاؤهم الجنسيون (ينكرون إنكاراً قاطعاً) أنهم يشجعون العمليات، ويؤكدون أنهم لم ينتقدوا أبداً أثداء عشيقاتهم.

لا يتعلق هذا التشويه الجنسي بالعلاقات بين الرجال والنساء الحقيقيين، إنما يتعلق بالحياة الجنسية للمرأة المحاصرة في ردة فعل الجمال، على الرغم من وجود رجال يحبون هذا التشويه بالفعل. وقريباً، وعند كثيرٍ من النساء، لن يتمكن حتى الشريك المحب من إنقاذ جنسانية شريكته من تلك السكين. على المرأة

اليوم أن تتجاهل انعكاسها في أعين عشيقها، لأنه قد يعجب بها، وأن تبحث عنها في نظر إله الجمال، والذي في مفهومه لن تكون كاملة أبداً.

ما المميز في الأثداء الرسمية التي تجعلها تلغي جميع الأثداء الأخرى؟ بأشكالها وأحجامها المختلفة تضمن أفضل مرحلة مراهقة. الفتيات الصغيرات جداً لديهن بالطبع أثداء صغيرة، لكنَّ كثيراً من النساء الناضجات لديهن أثداء صغيرة أيضاً. وكثير من النساء الناضجات لديهن أثداء كبيرة ليست (بارزة) و(متينة). فالثدي المرتفع والكبير والمكتنز أيضاً من المرجح أن يكون عند المراهقات. ولكن في ثقافةٍ تخشى ثمن الثقة الجنسية بالنفس لدى المرأة، يكون هذا الثدي هو الضمان المطمئن للشباب المتطرف، للجهل الجنسي والعقم.

يعتقد فرويد أن قمع الرغبة الجنسية يصنع الحضارة؛ تعتمد الحضارة في الوقت الحالي على قمع الرغبة الجنسية للإناث: عام ١٩٧٣، ذكرت مجلة **سيكولوجي توداي** *Psychology Today* أن ربع النساء الأمريكيات اللائي شملهن الاستطلاع لم يكُنّ راضيات عن حجم أو شكل أثدائهن. وبحلول عام ١٩٨٦، ارتفعت النسبة إلى الثلث؛ وبالطبع لم تكن أثداء المرأة هي ما تغير في تلك الأثناء.

هذا هو السبب وراء أنَّ كثيراً من النساء لا يأبهن على نحوٍ متزايد بقيام الجراحة لأثدائهن بأشياء قد تبدد الاهتمام الجنسي، الاهتمام الذي هو بشري بالأساس (تصلب يحولها إلى قطع من البلاستيك الصلب المتناسق). أفادت النساء (على الأقل، مقالات عن الجراحة تفيد بأن النساء ذكرن هذا) بشعور بإشباع جنسي جديد بعد العملية، على الرغم من أنَّ أثداءهن كانت فاقدة الإحساس ومتصلبة. كيف يمكن أن يحدث هذا؟ لقد أصبحت الحياة الجنسية للعديد من النساء تتجلى في صور الجمال الإباحية لدرجة أنها قد تتحمس حقاً بالأعضاء الجنسية التي تتناسب معها شكلياً، وإن كانت ميتة أو غير متحركة.

لذا فإن عملية زرع الثدي، حتى إن كانت غريبة بالنسبة إلى حبيبها وتلغي الإحساس به، إلا أنَّها في الواقع قد (تحرر) المرأة جنسياً. تبدو تلك الأثداء رسمية. شكلها جيد للغاية. لقد أصبحت تحفة فنية (وليست نسائية) ولن تتغير أبداً، وهذا هو الهدف الأسمى لأسطورة الجمال. لن تتوقف أجزاء الجسم البلاستيكية عند هذا الحد.

لا يُتوقع من الجراحين استنباط ما الذي سيجعل المرأة جميلة في عينيها، إنما يُتوقع منهم أن يضمنوا لها أنهم سيغرسون في جسدها الخيال الرسمي للثقافة. يبدو أنَّه ليس لديهم أوهام حيال دورهم. يعرض إعلان في مجلة جراحية يداً ذكريةً مشعرة تضغط على غرسة غروية، فتخرج نتوءات الهلام (صنعته بالمناسبة الشركات المصنعة للنابالم[*] نفسها) من بين أصابعه. يؤكد النص أن المنتج (يعطي شعوراً طبيعياً) لليد التي تضغط عليه.

تعامل الأخلاقيات الطبية التدخل في الحياة الجنسية للذكور باعتباره فظاعة؛ فمثلاً يعد دواء Depo-Provera (دواءٌ يقلل من الرغبة الجنسية لدى المجرمين الذكور) مثيراً للجدل لأنه من الوحشي التدخل في الحياة الجنسية للذكور. ولكن لا تزال الحياة الجنسية للإناث تُعامَل من المؤسسات كما لو كانت افتراضية. لا يقتصر الأمر على قيام الأثداء الصناعية بتعريض استجابة النساء الحسية للخطر؛ فهنالك العديد من الإجراءات الأخرى تضرُّ بها أيضاً (على سبيل المثال، حبوب منع الحمل، التي كان من المفترض أن تجعل النساء (أكثر جاذبية جنسية)، تقلل فعلياً من الرغبة الجنسية، وهذا نادراً ما يتم إخبارهن به)[**]. تحمل جراحة الجفن خطر الإصابة بالعمى، وتهدد عملية تجميل الأنف بالإضرار بحاسة الشم، وقد يترافق شد الوجه مع الإصابة بالخدر. إذا كانت المثالية الجراحية حساسة للشهوة، فيجب أن يكون هناك حواس أخرى غير الحواس الخمس المعتادة.

الخدر

كمية كافية من الألم تجعل الناس في حالةٍ من الخدر. انظر إلى امرأة (متهيئة تماماً) تسير في شارع شتوي، والهواء يعصف بفروع الأشجار فوقها. إنها ترتدي زياً، يتكون من جزءٍ من لباس راقصات الفلامنكو وجزءٍ من لباس كارمن، ابتكرته بنفسها لكنه هشٌّ وآسر. أمضت ساعة كاملة تلون وجهها بالمساحيق، مزجاً وتظليلاً، والآن ترفع رأسها كما لو كان عملاً فنياً. تلبس في ساقيها حريراً أسود، وهما مخدرتان بسبب الريح الباردة. إن الشق الطويل في لباسها مفتوحٌ أمام

(*) النابالم: سائل هلامي يلتصق بالجلد، وهو قابل للاشتعال، وقد استخدمته أمريكا في حربها على فيتنام، وهو محرّم دولياً.

(**) https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/23320933
libido decreased only with pills containing 15 µg ethinylestradiol.

الريح العاصفة، ما يسبب قشعريرة للجلد. العرقوبان(*) مسحوقان بسبب الضغط التصاعدي لارتفاع كعب حذائها الأسود والأحمر، ويخفقان بلا توقف. لكن المهم أنَّ الرؤوس تتلفت، وتواصل الالتفات: من هذه؟ كل نظرة أشبه بطلقة نارية تأتي من تحت الجلد. ما دامت الرؤوس تستمر بالالتفات إليها، فهي بالفعل لا تشعر بالبرد.

تؤدي ردود فعل الجسم السليم إلى تجنّب الألم. لكنَّ التفكير الجمالي هو تفكير تخديري، يمتلك القدرة على جعل النساء أكثر شبهاً بالجمادات عن طريق كَيِّ الإحساس. يرفع مؤشر الجمال عتبة الألم لدينا لدعم التقنيات الجراحية. ولننجو في هذا العصر الجراحي علينا أن نمنع أنفسنا من التفكير فيما نشعر به. كلما عانينا أكثر، زادت المقاومة النفسية لدينا لإعادة فتح القنوات العقلية التي يتعين علينا سدها. في تجارب ميلغرام في خمسينيات القرن العشرين، وضع الباحثون أيدي المتطوعين على ذراعٍ قيل لهم إنها ستوصل صدمات كهربائية لأشخاص لا يستطيعون رؤيتهم. ثم أخبرهم العلماء أن يستمروا في إرسال صعقات كهربائية متزايدة في الشدة. لم يرغب أفراد العينة في عصيان السلطة العلمية التي تخبرهم بأنَّه لا مشكلة في هذا، ومنعتهم من رؤية (الضحايا)، وازداد رفع التيارات الكهربائية إلى مستويات قاتلة. في فجر العصر الجراحي تتعلم المرأة أن تكون علاقتها بجسدها كعلاقة أفراد العينة بضحايا الصدمات الكهربائية. وبفصلها عنه، يطلب منها ألا تراه وألا تشعر به على أنَّه بشري، تعلمها السلطات العلمية أن تفعل أسوأ ما يمكنها فعله به.

الصدمة الكهربائية ليست مجرد استعارة؛ لقد كانت جزءاً من السيطرة على النساء منذ أن كانت الكهرباء قيد الاستخدام. كان المعاقون الفيكتوريون يتعرضون لصعقات غلفانية(**). يستخدم العلاج بالصدمات الكهربائية عادةً على المريضات في المصحات العقلية(***)، ويشبه إلى حدٍّ كبير احتفال الموت والبعث في الجراحة التجميلية. وكما الجراحة (كما تزعم إيلين شوالتر في كتاب **الداء الأنثوي** *The Female Malady*)، فتلك الصعقات تمتلك (زخارف طقوس دينية قوية، تجريها

(*) العرقوب: وتر غليظ فوق العقب.

(**) الصعقات الغلفانية: صعقات كهربائية تتولد من مواد كيميائية.

(***) المترجم: العلاج بالصدمات الكهربائية يُستخدم للرجال والنساء عموماً ولا يقتصر على النساء.

شخصية ذكورية كهنوتية... يأتي [سحرها] من تقليدها لحفل الموت والبعث). بالنسبة إلى المريضة، فإنه يمثل طقساً من طقوس العبور حيث يقوم الطبيب بقتل الذات المجنونة (السيئة)، ويعيد إحياء الذات (الجيدة) (في رؤية الشاعرة سيلفيا بلاث للصعق الكهربائي، تولد الذات من جديد (ليس من امرأة)). (لهذا السبب، غالباً ما يشعر مرضى الانتحار بالارتياح بعد العلاج بالصدمات الكهربائية؛ فبعد أن يستيقظوا يشعرون أنهم قد ماتوا وولدوا مرة أخرى، ولكن مع إبادة الأجزاء التي يكرهونها في ذواتهم، أو حرفياً بعد صعقها بالكهرباء). يصف جيرالد مِك نايت (العلاج) المضاد للشيخوخة الذي يجري فيه تطبيق صدمات كهربائية على الوجه. وتقدم شركة لانكوم (منتج رسم الحدود (كونتور) للنواحي فائقة الدقة) التي تَعِد بـ (مهاجمة الانتفاخات غير المرغوب فيها) بقولها: إنها (أول جسم حراري يرسم الحدود الأساسية للعلاج بالصدمات). وقد شجع العلاج بالصدمات الكهربائية الركون عند المنشقين السياسيين من الاتحاد السوفياتي إلى تشيلي.

الآن، وبما أنّه قد دُعيت النساء ليعملن بأنفسهن على صعق أنفسهن بالكهرباء، ليس هناك جدوى من تفصيل حالة تلو الأخرى من الحالات التي أصبحت خاطئة بطريقة مثيرة للاشمئزاز، ولا أن نقول مرة أخرى إنَّ الجراحة مكلفة ومؤلمة للغاية، ولا أن نتحدث عن فرص تحويل جسدك من أجل شخص غير منظم وغير مؤهلٍ وليس بجانبك، كما لم يعد هناك أهمية تُذكر للحديث عن الوفيات.

هذه اللامبالاة هي القضية الحقيقية: إن تأثير الخدر العالمي آخذ بالانتشار. مع كل مقالة عن الجراحة توضح تفاصيل أهوال تلك الجراحة (كما في كثير من تلك المقالات) تفقد النساء (من المفارقة) شيئاً من قدرتهن على الشعور بأجسادهن وعلى الاهتمام بما يشعرنه من ألم (مهارة بقاء، لأنه مع كل مقالة يتراكم الضغط الاجتماعي للخضوع لتلك الفظائع المخيفة). تعرف النساء الآن الفظائع، لكن لم يعد بإمكانهن الشعور بها بعد الآن.

كلما ارتفع المؤشر وأصبحت التقنيات الجراحية أكثر تطوراً، تسارعت عملية التخدير هذه. وسيجري استيعاب الإجراءات التي لا يزال وصفها يبدو بربرياً لآذاننا بسبب الخدر المتعدي. تنتشر الأسطورة شرقاً: الإجراءات التي أصبحت محتملة عندنا في أمريكا لا تزال تثير الغثيان في بريطانيا العظمى والقرف والاشمئزاز في

هولندا، لكن في العام المقبل ستكون المرأة البريطانية قادرة على كبت غثيانها وبالكاد ستشعر النساء الهولنديات بالاشمئزاز. سيعاد تصنيف بعض أجزاء جسمنا التي نحترمها الآن بكل سرور في العام المقبل على أنها تشوهات جديدة، وسترتفع عتبة الألم المطلوبة منا شيئاً فشيئاً. هذا الإسقاط هو مجرد حساب: حيث كان يتضاعف معدل الجراحة التجميلية كل خمس سنوات في الولايات المتحدة، إلى أن تضاعف مؤخراً ثلاث مرات في عامين؛ وهو يتضاعف كل عشر سنوات في بريطانيا. ما يقدر بمدينة من النساء بحجم سان فرانسيسكو يخضعن لجراحات كل عام في الولايات المتحدة؛ أما في بريطانيا، فتقدر بقرية بحجم باث(*).

النقطة المهمة هي أن خدرنا يجاري ما يطلبه مؤشر الجمال منا. تنهي القارئة المقالة وتنظر إلى الصور: يبدو وجه المرأة كما لو كانت قد تعرضت للضرب بأنبوبٍ حديدي طوال عبورها سلسلة من التلال المتعرجة، لقد زاد سواد عينيها، أما بشرة الوركين فمليئة بالكدمات، ثدياها منتفخان وصفراوان مثل عيون المصاب باليرقان، ثدياها لا يتحركان، يتقشر الدم تحت الغرز. قبل سنتين أو ثلاث سنوات، كانت القارئة ستعتقد أنَّ هذه الصور مثيرة للقلق. لكنها تشرق عليها الآن، لقد أصبحت صوراً ترويجية. لم يعد يُتوقع منها أن تتفاعل باشمئزاز كما كانت تفعل في البداية. وضعت المجلات النسائية مؤشر الجمال لتتبعه النساء. لقد أعطوا تغطية هائلة للجراحة، وذلك جزئياً لحصول أمور بسيطة جداً في عالم (الجمال)، وهي أمور جديدة تماماً. هذه السمات لها قارئات يُؤمنَّ بأنه لا ينبغي لنا أن نتقاعس الآن عن أي شيء، ذلك أن القارئات الأخريات (المنافسات) يبدو أنّهن يواجهنها بالفعل. المقال النموذجي، الذي يصف أسابيعَ من الألم المروع، ولكن ينتهي بجمال سعيد، يثير في النساء شيئاً مثل التهافت على الشراء.

وصفت لي امرأة في مأوى للنساء المعنفات ساقيها ذات يوم بأنّ (كل كدمة منها كما لو كانت مغطاة بملابس أرجوانية). سمعت في أحد المقاهي في مانهاتن في مقابلة عن كتاب يروج لجراحة تجميلية أنَّ امرأة كانت قد خضعت لعملية شفط الدهون قد استخدمت صورة مماثلة. ما يجب استكشافه ليس التشوهات، إنما الجو الذي نعيش فيه الآن والذي يجعلها بلا أهمية.

(*) باث: مدينة صغيرة في إنكلترا.

لقد دخلنا عصراً جديداً مرعباً للجراحة التجميلية. لقد انهارت كل الحدود. لا يمكن لأي قدرٍ من المعاناة أو التهديد بالتشويه أن يكون بمثابة رادع لذلك. إن ما يحدث للجسم الأنثوي فيما يتعلق بالجراحة التجميلية يشبه ما يحدث لتوازن الحياة على هذا الكوكب. نحن في نقطة تحول تاريخية.

بزغ فجر العصر الجراحي في الثمانينيات نتيجة بعض التقدم التكنولوجي في المهنة، ولكنه استمد طاقة أكبر بكثير من ردة فعل الجمال ضد النسوية. التطوران (الإمكانيات، والأهم من ذلك، الرغبة الكاملة لتغيير النساء) أوصلانا إلى اضطرابٍ عقلي غير اعتيادي يحيط بالحياة آخذاً شكلاً نسائياً. ومع حصول تحولٍ في الخطاب الذي يعيد صياغة الألم والتشويه إلى لغة متضائلة، كان على وعي الإناث أن يفترض نوعاً من التدمير للقواعد أشبه بالتدمير الذي واجه التفكير البشري عندما انشطرت الذرة. وقد رافق التوسع الهائل في الإمكانيات توسعاً هائلاً في الخطر.

إذا كان يمكن تغيير أي شيء في جسم المرأة، فقد حدث شيء ثوري (أو شيطاني) في العالم البديل لأسطورة الجمال. هل يعني ذلك أن الاقتصاد القديم القاسي قد انتهى؟ هل فتح هذا العلم حقاً أفقاً جميلاً لجميع النساء اللائي يستطعن تحمله؟ هل هذا يعني أنَّ النظام الطبقي المرتبك بمرارة ـ والذي يولد فيه البعض (أفضل) من غيرهم ـ قد مات، وأنَّ النساء أصبحنَ أحراراً؟

لقد كان هذا هو التفسير الشائع: عصر الجراحة هو خيرٌ غير مؤهل. إنه الحلم الأمريكي الذي أصبح حقيقة: يمكن للمرء أن يعيد خلق نفسه بطريقة (أفضل) في عالم جديد شجاع. حتى إنَّه فُسر ـ على نحو مفهوم ـ على أنه تحررٌ نسوي: أشادت مجلة مس *Ms* به بأنه (تحول ذاتي)؛ وفي مجلة *Lear's*، يحث جراحٌ امرأة: (فويلا! أنت تقادين إلى الحرية). هذا التطلع الأنثوي المتفائل إلى تقنية سحرية تدمر أسطورة الجمال والظلم المرافق لها (باستخدام (جمال) يكاد يكون عادلاً، لأنك تستطيعين اكتسابه بالألم وشراءه بالمال) هو استجابة مؤثرة، لكنَّها قصيرة النظر.

لقد كان أملاً من نفس نوع الأمل الذي تم به تقديم القنبلة الذرية في الخمسينيات؛ حيث قُدمت القنبلة في نهاية حرب شاملة على أنَّها أداة التعادل السحرية للدول غير المتكافئة؛ وكذلك تُقدم الجراحة التجميلية باعتبارها حافظة

السلام الإعجازية في معركة النساء في ظل أسطورة الجمال. لكن، استغرق الأمر عقوداً حتى يدرك الناس التأثير الحقيقي للعصر النووي على الوعي الإنساني. وسواء استخدمت القنبلة مرة أخرى أم لا، فقد غيرت إلى الأبد تفكيرنا عن العالم.

مع عصر الجراحة، نحن في أول تضخم لموجة لا نستطيع رؤية نهايتها. إنَّ البهجة التي تعترينا مع هذه التكنولوجيا هي بهجة قصيرة النظر، مثلما كان التفاؤل بشأن القنبلة التي أغرقت السوق بملابس البحر وشخصيات الرسوم المتحركة الذرية. ومع الجراحة التجميلية يمر الوعي داخل الجسد الأنثوي بتحولٍ قد يعني أننا تخطينا حدود الجسم، وهذا ما تم تعريفه والدفاع عنه مؤخراً (إضافة إلى توجهنا ما قبل الجراحي فيه) وإلى الأبد.

نحن متأثرون بالقنبلة سواء تم تفجيرها أم لا. سواء خضعت امرأة لعملية جراحية تجميلية أم لا، فإن عقلها يتشكل الآن تبعاً لوجود تلك العمليات. سيستمر ترقب الجراحة في تزايد. ونظراً لأن أسطورة الجمال تعمل في نظام توازن قابل للتخطيط، فبأسرع ما يمكن سيكون هنالك عدد كافٍ من النساء يقمن بتبديل أجسادهن، ومع الوصول إلى عددٍ كبيرٍ حرج، بحيث تبدو كثير من النساء وكأنهن (مثاليات)، سيتغير (المثالي) باستمرار. سوف يطلب من النساء أنواع مختلفة من عمليات شق أجسادهن وخياطتها ليجارين جنسانيتهن ومعيشتهن.

فقدنا عام ١٩٤٥ اعتبار أنَّه من المسلم به أن العالم يتجاوز الأفراد، حيث جعلت التكنولوجيا تدمير ذلك ممكن التصور. وقرابة عام ١٩٩٠، أدخلت التكنولوجيا نهاية الجسد الأنثوي نسائي الصنع. بدأت المرأة تفقد أنَّه من المفروغ منه أنَّ لديها وجهاً وجسماً كانا لها بمفردها، يمكنها عيش حياتها معهما.

كانت السنوات بين تطوير القنبلة وتطوير (طريقة التفكير الجديدة) لأينشتاين حول الحرب هي الأكثر خطورة. كان لدى البشر الوسائل لتدمير العالم من خلال استخدام التكنولوجيا الجديدة في الحرب التقليدية، ولكن لم يكونوا قد طوروا بعد ما يجعلهم يتجاوزون فكرة حتمية نشوب الحرب التقليدية. تتمتع النساء اليوم بالقدرة التكنولوجية لفعل أي شيء بأجسادهن في كفاحهن من أجل (الجمال)، لكن لم نطور بعد عقليّة تتجاوز القواعد القديمة، لجعلهن يتخيلن أنَّ هذه المعركة بين النساء ليست حتمية. يستطيع الجراحون الآن فعل أي شيء، لكن لم نصل بعد إلى العصر الذي يمكننا فيه الدفاع عن أنفسنا بعدم الرغبة في القيام (بأي شيء).

إنَّ هذه الفترة خطرة.

سرعان ما تصبح الإمكانيات الجديدة للمرأة التزامات جديدة. إنها خطوة قصيرة للانتقال من (أي شيء يمكن القيام به من أجل الجمال) إلى (يجب القيام بشيء ما). ما يجب العمل عليه قبل أن نبدأ في التفكير في طريقنا إلى الأمان، هو التأكيد على اختيار المرأة هذا الألم بحرية. ونحتاج أن نسأل ماذا يعني (الاختيار) و(الألم)، وذلك فيما يتعلق بالنساء في العصر الجراحي.

الألم

ما الذي يوجِد الألم؟ تشير المُنَظِّرة في مجال القانون سوزان ليفيت إلى أنه في قاعة المحكمة، لإثبات وقوع الضرر، عليك إثبات أنك في وضع أسوأ مما كنت عليه من قبل. لكن ـ كما تقول ـ نظراً لوجود (خلفية فوضوية) من الأذى المحيط بالنساء، لا يُنظر إليهن على أنهن يتعرضن للأذى عندما يتعرضن للأذى. يبدو أن نفس المفهوم ينطبق على الاعتراف بالضرر الذي لحق بالمرأة من أجل الجمال: بما أنه يجب أن تدمن النساء على (الجمال)، فإن هذا الإدمان الذي يهدد الحياة ليس حقيقياً. لأن أموال النساء ليست نقوداً حقيقية، إنما هي مصروفٌ خاص، ولأنهن غبيات فيما يتعلق بـ (الجمال) والغبية سرعان ما تُبدد مالها، فالممارسات الاحتيالية ليست غشاً، وإنَّ اللعب بأموال المرأة هو لعبة عادلة. لأن النساء مشوهات منذ البداية، فلا يمكن أن يعانين من التشوه. نظراً لأننا (معشر النساء) ساذجات بطبيعتنا في بحثنا عن (الجمال)، فليس هناك من خداع يعدّ فضيحة.

الألم حقيقي عندما تستطيع أن تجعل الآخرين يؤمنون به. إذا لم يؤمن به أحدٌ غيرك، فألمك هو جنون أو هستيريا أو هو قصور اللاأنوثة لديك. لقد تعلمت النساء الخضوع للألم عن طريق الاستماع لشخصيات السلطة (الأطباء والكهنة والأطباء النفسيين) التي تخبرنا أن ما نشعر به ليس ألماً.

يطلب من النساء أن يكنَّ رواقيات(*) في وجه الألم الجراحي، كما طلب منهن أن يكُنَّ رواقيات تجاه الولادة. عززت كنيسة القرون الوسطى لعنة حواء برفضها

(*) رواقيات: منتسبات لمذهب الرواقية الفلسفي، وهو مذهب يقول بالتخلي عن الانفعال بالمشاعر بأنواعها.

السماح بأي تخفيفٍ لآلام الولادة، وذلك وفقاً لتحليل أندريا دوركين Andrea Dworkin لكره النساء في كتابها **كراهية المرأة** *Woman Hating*، فقد ذكرت فيه: (يركز الاعتراض الكاثوليكي على الإجهاض خصوصاً على لعنة الكتاب المقدس التي جعلت الولادة عقاباً مؤلماً، لا علاقة لها بـ (الحق في الحياة) الذي يمتلكه الجنين الذي لم يولد بعد). تُذكِّر الشاعرة أدريان ريتش Adrienne Rich النساءَ أنَّ (السلطة الأبوية أخبرت المرأة في المخاض أن معاناتها كانت متعمدة، كانت معاناتها هي الغرض من وجودها، كانت الحياة الجديدة التي كانت تلدها (خاصةً إذا كان المولود ذكراً) ذات قيمة وأن قيمتها الخاصة تعتمد على تلك الحياة التي تلدها). وينطبق الشيء نفسه على (الحياة الجديدة) لـ (الجمال) الجراحي. في أجنحة الأمومة، تؤكد مجموعة برايتون للنساء والعلوم في كتاب **أليس تحت المجهر** *Alice Through the Microscope*، الأم (يتوقع منها عادةً أن تفصل نفسها عن جسدها وعن تصرفاته، لتبقى مسيطرةً على نفسها وتتصرف بطريقة (جيدة). المرأة التي تصرخ في المخاض، أو التي تبكي بعده، غالباً ما يجعلونها تشعر بأنها لم يكن ينبغي أن تقوم بذلك، بأنّها فقدت السيطرة، وأنَّ مشاعرها ليست طبيعية، أو أنها يجب ألا تستسلم لها). والنساء اللاتي خضعن لجراحة تجميلية يبلغن عن نفس التجربة.

تستطيع النساء تَذكُّر كثير من المناسبات قيل لهنَّ فيها إن ما يؤلمهن لم يكن يؤلمهن حقاً. أَتذكَّر اختصاصي أمراض النساء ذا الأيدي السميكة عديمة الإحساس، وسّع المنظار بغضب وأطلق نيزكاً من الألم على قاعدة عمودي الفقري؛ شعرت أن العظام المكونة لجمجمتي قد انفصلت عن بعضها، وصب الألم في دماغي صباً مثل الثلج؛ ثم قال لي: (توقفي عن القيام بهذه التعابير، هذا لا يؤلم). أو اختصاصي إزالة الشعر بالكهرباء، الذي أخبرتني امرأة أنه سألها: (هل سبق لك أن خضعت لتحليل كهربائي من قبل؟)، أجابت المرأة: (نعم)، (ماذا تعرفين عنه؟) (إنه يسبب ألماً يفوق التحمل). وناقضت نفسها بأن قالت (إنه لا يسبب الألم). أو الأصوات التي يسمعها المرء على الخط الساخن لأزمة اغتصاب: (قالوا إنهم لا يعرفون سبب غضبي الشديد. لم يكن هناك أي كدمات. لم يكن الأمر كما لو كان يؤذيني). أو المرأة المهنية التي وصفت لي عملية تجميلية لأنفها: (بعد علاقة حب سيئة، قمت حرفياً بقطع قمة أنفي على وجهي. قالوا إذا كنتُ مريضةً جيدةً فلن يكون هنالك ألم حقيقي، إنما فقط قليل من الدماء. لم أستطع تحمل الألم.

قلت إنها مؤلمة، قالوا إنني كنت أبالغ في ردة فعلي. كان هناك الكثير من الدماء لدرجة أنَّ أختي أُغمي عليها عندما رأتني. فقالوا: (انظري الآن إلى ما قمت به).

تصف إحدى (إماء المبضع) في مجلة *She* تقشيرَ الوجه: (في الأساس، لا يختلف عن الحرق من الدرجة الثانية.... [إنَّه] يجعل بشرتك بنية وهشة، ثم تتشكل جلبات (قشور) جلدية وتتساقط... يستغرق الأمر عدة ساعات لأنه سام للغاية ولا يمكنك المخاطرة بدخوله إلى مجرى الدم). وقد قالها الدكتور توماس ريس صراحةً: (يؤدي تسحيج الجلد وتقشيره إلى صدمةٍ له... في أيٍّ من الإجراءين السابقين، قد يزال الجلد بعمق شديد، ما يؤدي إلى جرحٍ مفتوح... وقد حصلت وفيات [من السكتة القلبية] بعد تقشير الجلد كيميائياً... يجري تجميد الجلد [في عملية تسحيج الجلد] إلى أن يفترض المعالج أنه أصبح أشبه بلوحٍ، مما يسهل عملية التسحيج باستخدام فرشاة ذات أسلاك دوارة مرصعة بجزئيات ألماسية). (يخبر القارئة: (نشأ سحل الجلد(*) في الحرب العالمية الثانية، وقد جرى ذلك باستخدام ورق الصنفرة لإزالة الشظايا الموجودة في الجلد). وقد طُورت الجراحة التجميلية بعد الحرب العالمية الأولى كرد فعل على التشوهات التي سببتها الحرب، والتي لم يشهدها أحدٌ من قبل). شهدت امرأة إجراء سحل الجلد، فقالت في مقابلة لها: (لو اكتشفنا أنهم كانوا يقومون بذلك لبعض السجناء، فستكون هناك صرخة دولية، وسيتم الإبلاغ عن [البلاد] إلى منظمة العفو الدولية على أنَّها تمارس نوعاً من أفظع أنواع التعذيب). ويصل التقشير الكيميائي ـ الذي هو (نوع من أفظع أشكال التعذيب) ـ إلى نسبة ٣٤ بالمئة وفقاً لريس.

ليس من السهل وصف الألم الجسدي، والكلمات التي نتفق عليها لتوصيفه نادراً ما تكون كافية. يجب على المجتمع أن يتفق على وجود الألم أساساً من أجل تخفيفه. إن ما تختبره النساء في غرفة العمليات (تحت قناع من الحمض، مفتوح لفم آلة الشفط، ويغمى عليها وهي تنتظر كسر جسر الأنف) لا يزال خاصاً ولا يمكن تعويضه.

يحصل تجاهلٌ لآلامهن عن طريق تسفيهها. (قد يكون ذلك غير مريح). (هناك بعض الانزعاج). (القليل، القليل جداً من الكدمات والتورم). لا يُسمح

(*) سحل الجلد: إجراء يجري فيه إزالة الجلد الميت.

لأحد بالمقارنة بين ألم النساء الأمريكيات والأوروبيات من أجل الجمال وألمهن الحقيقي (الألم الذي تعترف به منظمة العفو الدولية). سوف توصف المقارنة بأنَّه مبالغٌ بها. ولكن يجب أن تعقد المقارنة، لأن النساء يمتن جراء الاستهانة بهذا.

الجراحة تؤلم، إنَّها تؤلم بحق. يضعونها تحت الماء لفترة كافية لمنعها من المكافحة. تتنفس من خياشيم مشقوقة حديثاً. يخرجونها مرة أخرى، مثقلة وتتلوى، ملقاة على وجهها على شاطئ دون أي آثار. روحك معلقة في حركة ثابتة، يمرون بعناية بدبابة فوق جسمك الذي لا يأبهون به.

الاستيقاظ مؤلم، والعودة إلى الحياة تؤلم بشدة. المستشفى، على الرغم من أنه يسمى (الفاخر) أو تلحق به كلمة (رعاية)، إلا أنَّه يدهور من حالتنا: كما في السجن أو مؤسسات الأمراض العقلية، حيثما تكون هويتك القديمة تعني لك المتاعب، يقومون بخلع ملابسك وإعطائك سريراً مرقّماً.

في الوقت الذي تكونين فيه في خضم هذا، تفقدين حياتك، ولا تستعيدين تلك الساعات أبداً. يأتي الزوار إليك، لكنك ترينهم عبر الدموع التي غشت عينيك كائناً آخر: أشخاصاً معافين. حالما يبدأ إجراء الشقوق في جسدك، لا يمكن لأي قدر من العيش الرغيد أن يمحو ما تعرفينه عن مدى سهولة تقبل الموت في تلك اللحظة.

إنَّ الجراحة التجميلية ليست (تجميلية)، والجسد البشري ليس (صناعياً). حتى تلك الأسماء نفسها تسفهه. ليس الأمر أشبه بكيّ تجاعيد قطعة القماش، أو عيار سيارة، أو تغيير ملابس عفا عليها الزمن، ولكنَّها الاستعارات المستخدمة حالياً. يعم التسفيه والتحدث كلام الجراحين عندما يتحدثون إلى النساء، كما لو كنا أطفالاً، فيقولون مثلاً: مجرد (قرصة)، (شد ترهلات البطن). ويكتب ريس، واصفاً حروق الحمض من الدرجة الثانية على الوجه: (هل تتذكرين عندما كنت في المدرسة وتسلخت ركبتك فتشكلت جلبات عليها؟). يشوه هذا الكلام الطفولي الحقيقة. تغير الجراحة الشخص إلى الأبد، تغير عقله وجسده. إذا لم نتحدث عن الموضوع باعتباره خطيراً، فإننا سنلحق ألفية النساء اللواتي من صنع الرجال، ولن يكون أمامنا أيُّ خيار آخر.

الخيار

إنَّ ألم (الجمال) تافه لأنه يفترض أنَّ النساء يخترنه بملء إرادتهن. هذا الاقتناع هو ما يمنع الناس من رؤية أن ما يقوم به العصر الجراحي للمرأة هو انتهاك لحقوق الإنسان. المخمصة والغثيان والشقوق الجراحية لرد فعل الجمال هي أسلحة سياسية، ومن خلالها يحدث تعذيب سياسي واسع النطاق لنا. عندما تُحرم فئة من الناس من الطعام، أو يُجبرون على التقيؤ بانتظام، أو يتعرضون بانتظام لإجراء شقوق في أجسادهم وخياطتها مراراً وتكراراً دون أي غرض طبيٍ، فإننا نسمي هذا تعذيباً. هل ستكون النساء أقل جوعاً أو أقل دموية إذا عملن كمعذِّبات لأنفسهن؟ سيقول معظم الناس نعم، لأن النساء سيفعلن ذلك بأنفسهن حينها، وهذا شيء يجب القيام به. ولكن من غير المنطقي أن نستنتج أن هنالك نوعاً مختلفاً من الدم أو المخمصة أو حروق الدرجة الثانية فقط لأنها قد (اختارت) ذلك. فلا يمكن لنهايات الأعصاب معرفة من دفع ثمن التقطيع؛ الأدمة النيئة لا تُعَزَّى بالدافع وراء حرقها. يستجيب الناس بطريقة غير منطقية عندما يواجهون آلام الجمال، لأنهم يعتقدون أن المازوخيين يستحقون الألم الذي يحصلون عليه لأنهم يستمتعون به.

لكن إضافة إلى ذلك، تتعلم النساء ما يتعين عليهن القيام به من بيئتهن. المرأة حساسة للإشارات التي ترسلها المؤسسات حول ما يتعين عليها القيام به ب (جمالها) للبقاء على قيد الحياة، وتقدم لنا المؤسسات رسالة واضحة للغاية بأنها تؤيد أي مستوى من العنف. إذا كان الكفاح من أجل الجمال هو معركة النساء، فإن النساء اللواتي يضعن حداً لذلك يُعامَلن كجَبَانات، كما يُعامل الذكور دعاةً للسلام. يسخر جراحٌ قائلًا: (من تخاف من جراحة التجميل؟). خيارات النساء في عصر الجراحة ليست خياراتٍ حرةً، لذلك ليس لدينا أي عذر في رفض رؤية ألمهن على أنَّه ألم حقيقي.

لن يكون للمرأة خيار فعلي حول الجراحة التجميلية إلا في الحالات التالية:

في حال لم نخضع لها، يمكننا الاستمرار بحياتنا: لقد رأينا كيف أصبح التغيير الجراحي شرطاً لتوظيف النساء وترقيتهن. تؤكد المنشورات الجراحية على ضغوط الحياة الوظيفية على النساء ليبدون (شابات). هذا الشرط هو في الواقع شرطٌ إجرامي. وفقاً لقانون السلامة والصحة المهنية لعام ١٩٧٠، (لم يعد بإمكان

أرباب العمل... الدفع لإخضاع العمال لظروف عمل غير آمنة أو غير صحية). الجراحة، وRetin-A، والحرمان المزمن من السعرات الحرارية، جميعها غير صحية وغير آمنة، لكنَّ النساء اللواتي يُواجَهن بمؤهل الجمال المهني يفتقرن إلى خيار الإعراض عن ذلك والحفاظ على وسائل دعمهن.

في حال لم نخضع لها، يمكننا الاحتفاظ بهوياتنا: لا يعني (الخيار) شيئاً إذا كان خياراً بين البقاء على قيد الحياة أو الهلاك. لا يختار حيوان اصطيد في إحدى المصائد أن يقضم ساقه. تغلق العذراء الحديدية الآن، وشفراتها الحادة تحدد حدودها. ما يتجاوز حوافها يجب قطعه. عندما تتحدث النساء عن الجراحة، فإنهن يتحدثن عن (العيوب) التي (لا يمكنهن التعايش معها)، وأنهن لا يصبحن هستيريات. تسألهن مجلاتهن: (هل هناك حياة بعد الـ ٤٠؟ هل هناك حياة بعد الوصول إلى المقاس ١٦؟). وهذه الأسئلة ليست على سبيل المزاح. تختار النساء الجراحة عندما يكُنَّ مقتنعات بأنَّه لا يمكنهن أن يكُنَّ ما هن عليه بالفعل (نساءً حقيقيات) دون تلك الجراحة. إذا تمكنت جميع النساء من اختيار العيش مع أنفسهن كما هُن بالفعل، دون تغييرات، فربما على الأرجح سيخترن ذلك. مخاوف النساء من فقدان الهوية أمرٌ مشروع. نحن (نختار) موتاً طفيفاً على ما يصور على أنه حياة ليست كالحياة؛ نحن (نختار) أن نموت قليلاً لكي نولد من جديد.

في حال لم نخضع لها، يمكننا الاحتفاظ بأماكننا في المجتمع: في الثقافات التقليدية مثل اليونانية والتركية، يُعتبر من السفه أن تلبس النساء المسنات ألوان الشباب الزاهية. هناك بالفعل مجتمعات (حديثة) (مثل بالم سبرينغز وبيفرلي هيلز والجانب الشرقي الأعلى في مانهاتن) تعتبر الأمر صادماً بالنسبة إلى المرأة الكبيرة في السن أن تترك جلد حلقها دون إجراء جراحات له.

عادة ما يرى الرجال الإكراه على أنه تهديد بفقدان الاستقلال الذاتي. أما بالنسبة إلى النساء، فغالباً ما يتخذ الإكراه شكلاً مختلفاً، وهو: التهديد بفقدان فرصة تكوين روابط مع الآخرين، وأن يكنّ محبوبات، والبقاء مطلوبات. يعتقد الرجال أنَّ الإكراه يحدث أساساً من خلال العنف الجسدي، لكن ترى النساء أن المعاناة البدنية محتملة مقارنة بألم فقد الحب. يمكن أن يعيد تهديد فقدان الحب المرأةَ إلى التصرف المقبول أسرع من القبضة المرفوعة. إذا فكرنا في النساء بأنَّهن قد يقفزن عبر أطواق النار للحفاظ على الحب، فذلك فقط لأن تهديد عدم الحب

يستخدم حتى الآن ضد النساء بدلاً من الرجال، كشكل من أشكال السيطرة على الحشود السياسية.

يتعرض يأس المرأة سعياً للجمال للسخرية على أنّه صفةٌ نرجسية. لكن النساء يائسات من الاحتفاظ بمركز جنسي لا يتعرض للتهديد بنزعه على أيدي الرجال الذين يحتفظون بهويتهم الجنسية بغض النظر عن عيوبهم الجسدية وعمرهم. لا يسمع الرجال إلى الرسائل بنفس الطريقة التي تُطرح بها، وهم لا يندهشون أبداً ولا يُعجبون ولا يشعرون بالامتنان. دع الرجل يتخيل نفسه يعيش تحت هذا التهديد قبل أن يطلق على المرأة صفةَ «نرجسية». القتال الدائر هو من أجل (الجمال)، وتعتقد الكثيرات منا أننا نقاتل من أجل حياتنا، من أجل الحياة التي يسودها الحب الجنسي.

مع التهديد بفقد الحب يأتي تهديد الفناء. يُظهر التقدم الشديد بالعمر جوهر عدم المساواة في الأسطورة: من يدير العالم هم رجالٌ كبار السن؛ بينما تمحى النساء المسنات من الثقافة. يفقد الشخص المحظور أو المنبوذ شعوره بأهميته. النبذ والحظر فعّالان ولا يتركان أي دليلٍ على الإكراه: لا قضبان، ولا قوانين، ولا أسلحة. قال الناشط الجنوب أفريقي بيرز نود في التلفزيون البريطاني: (قد يؤدي أمر الحظر بسهولة إلى انهيار الناس). قلةٌ من النساء قد تتحمل معاملة أنّهن غير موجودات. تخضع النساء لعمليات شد الوجه في مجتمع يبدو فيه أن النساء اللواتي لم يخضعن لتلك العمليات يختفين عن الأنظار.

تسبب عملية شد الوجه شلل الأعصاب والعدوى وتقرح الجلد و(تموُّت الجلد) وزيادة حجم الندبات والاكتئاب التالي للعمليات الجراحية. (يا لها من صدمة! أبدو كما لو أنَّ شاحنة صدمتني! منتفخة، مليئة بالكدمات، مثيرة للشفقة... أبدو كمسخ... قيل لي إنَّه في هذا الوقت تبدأ العديد من النساء بالبكاء بدرجة خارجة عن السيطرة). (إنه أمر مؤلم للغاية، لأنك تشعرين كما لو أنَّ فكك مخلوع. لا يمكنك أن تبتسمي، سيؤلمك وجهك... لقد أصبت برضوض وكدمات صفراء رهيبة). (عدوى غاضبة... ورم دموي... كدمة نصف دائرية وثلاث كتل مميزة، واحدة بحجم الحلوى القاسية العملاقة... الآن أنا أستمتع بوضع المكياج!). هذه مقتطفات من مجلات نسائية لنساء خضعن لعملية شد الوجه.

أتمنى أن أنسى منظر امرأة أحبها تستلقي في مستشفى سانت فنسنت، كان هنالك ضمادات على عينيها ملطخة بمادة كبريتية، وأنبوب وريدي يقطر السائل منه في وريدٍ دقيق. تترنح، تدحرج رأسها على الوسادة مثل عجلٍ أعمى. لم تتمكن من رؤية الأشخاص الذين يهتمون لأمرها واقفين حول سريرها ذي القضبان العالية. أسفل عظام الخد الرائعة، فوق الفم المشهور، هنالك خط مشرقٌ من الدماء يسيل. كان يبدو أنها ترقد هناك لأنها كانت مريضة أو مصابة، لكن قبل دخولها إلى المستشفى لم تكن كذلك. كانت هناك لأنها كانت أقل جمالاً ـ كما يقول البعض ـ مما كانت عليه في السابق.

تتعلم النساء أن يتسمن بتجهم على مثل هذه القصص، لأن البديل ـ كما قيل لنا ـ لا يطاق حقاً. تختفي النساء المسنات. لقد اختفت أمهات أمهاتنا، وانخفضت قيمتهن الاجتماعية عندما انتهت أيام تربيتهن لأطفالهن.

ولكن مهما كانت ضغوط الحاضر، فإن المستقبل الجراحي هو مستقبلٌ بلا خيار.

المستقبل الجراحي

استمر تعريف الفيكتوريين لما يمكن إجراء عملية جراحية عليه في التوسع. كتبت إلين شوالتر: (إن الجنون الأخلاقي) ـ مثل القبح ـ كان (تعريفاً يمكن تغييره ليشمل أي نوع من السلوك يعد غير طبيعيٍّ أو مضطرباً وفقاً لمعايير المجتمع). (فتحت المصحات العقلية أبوابها (للنساء الشابات ذوات المزاج الجامح... المتجهمات المنفلتات الخبيثات المتحديات لكامل السيطرة المنزلية؛ أو اللواتي يردن ضبط عواطفهن التي من دونها تضيع الشخصية الأنثوية)). هكذا يستمر تعريفنا لما هو قابل للخضوع للجراحة في التوسع، لنفس الأسباب. في السبعينيات من القرن الماضي، ابتُكرت جراحة المجازة المعوية (حيث يُعطل فيها جزء من الأنبوب الهضمي لفقدان الوزن)، وتضاعفت أعداد الخاضعات لها حتى وصلت عام ١٩٨٣ إلى خمسين ألف عملية جراحية في السنة. ظهرت المشابك الفكية (التي يتم فيها ربط الفكين معاً بأسلاك، بغرض إنقاص الوزن) أيضاً في السبعينيات النسوية للقرن العشرين، وبدأت عمليات تدبيس المعدة (حيث يجري فيها خياطة المعدة بغرض إنقاص الوزن) عام ١٩٧٦. وذكرت Radiance أنّه (بمرور الوقت،

أصبحت معايير القبول أكثر مرونة شيئاً فشيئاً، فوصلت الآن إلى أنّه يمكن لأي امرأة جسمها مملوء قليلاً أن تجد جراحاً متعاوناً ليقوم بعملية عليها). المرأة ذات الوزن ١٥٤ تخيط أمعاءها معاً. وعلى الرغم من أن الطبيب الذي طور هذا الإجراء قصره على المرضى الذين تزيد أوزانهم ١٠٠ رطلٍ على المعدل الطبيعي، إلا أنَّ إدارة الغذاء والدواء أقرته لـ (أي شخص يريده فعلياً).

تسبب خياطة الأمعاء ٣٧ مضاعفة محتملة، وتشتمل على: سوء تغذية شديد وضرر كبدي وفشل كبدي وعدم انتظام ضربات القلب وتلف في الدماغ والأعصاب وسرطان المعدة ونقص المناعة وفقر دم خبيث والموت. تصاب مريضة واحدة من بين كل عشر مريضات بقرحات في غضون ستة أشهر، ويزيد معدل الوفيات عندهن بمقدار تسعة أضعاف معدل وفاة امرأة مماثلة امتنعت عن العملية الجراحية؛ يموت ٢ إلى ٤ بالمئة في غضون أيام، وقد يكون عدد الموتى في نهاية المطاف أعلى من ذلك بكثير. الجراحون (يبحثون عن كثب) عن المرضى، و(لا يجدون صعوبة في حث المرضى على توقيع استمارات الموافقة الموضحة التي تعلمهم بإمكانية حدوث مضاعفات حادة، بل وحتى الموت).

من غير المفاجئ الآن أن يعلم المرء أنَّ ٨٠ إلى ٩٠ بالمئة من مرضى تدبيس المعدة والأمعاء هم من الإناث.

في النهاية، أصبح من الممكن إجراء عمليات على أي امرأة. يعد شفط الدهون أسرع العمليات الجراحية التجميلية: خضعت ١٣٠,٠٠٠ امرأة أمريكية لعملية جراحية في العام الماضي، وقام الجراحون بشفط ٢٠٠,٠٠٠ رطل من أنسجة الجسم منهن. وكما رأينا فوفقاً لصحيفة **نيويورك تايمز**، توفيت ١١ امرأة بسبب هذا الإجراء. وماتت ٣ نساء على الأقل منذ كتابة هذا المقال(*).

لكنني لم أكن أعرف ذلك من المحادثات التي أجريتها مع (مستشارين) طبيين عندما مثلتُ كعميلة محتملة:

ـ (ما هي مخاطر شفط الدهون؟).

(*) المقصد منذ كتابة المقال حتى كتابة الكتاب.

- (المخاطر ليست كبيرة. هناك دائماً خطر من حصول عدوى، وهو خطرٌ صغير، وهنالك خطر ينتج عن التخدير، وهو صغير أيضاً).

- (هل مات أحد؟).

- (حسناً، ربما قبل عشر سنوات، مع أشخاص كانوا يعانون من السمنة المفرطة).

- (هل مات أي أحد في الوقت الحديث؟).

- (أوه، لا).

- (ما هي مخاطر شفط الدهون؟).

- (لا توجد مخاطر، لا خطر على الإطلاق).

- (قرأت أن هنالك أُناساً قد ماتوا من ذلك).

- (يا إلهي. أين قرأت ذلك؟).

- (في صحيفة نيويورك تايمز).

- (لا أعرف شيئاً عن ذلك، ولا أعرف شيئاً عن صحيفة نيويورك تايمز. أنا متأكد أنَّه إذا كان هذا صحيحاً فسيكون عنواناً رئيسياً، وذلك لإثارة ضجة لأدنى سببٍ ممكن).

- (هل هناك أي مخاطر تنطوي على شفط الدهون؟).

- (لا، لا. عموماً، لا توجد مخاطر على الإطلاق. لا، لا، لا مشكلة على الإطلاق، مطلقاً).

- (قرأت أنه كانت هناك بعض الوفيات).

- (مممم. لقد سمعت شيئاً عن ذلك. ولكن ما دُمتِ في أيدي ممارسٍ ماهر، يجب ألا تواجهك أي مشكلة، ولا أي مشكلة).

- (ما هي المخاطر التي تنطوي عليها عملية شفط الدهون؟).

- (هناك خطرٌ ضئيلٌ جداً، ضئيلٌ للغاية).

ـ (هل مات أحدٌ من قبل منها؟).

ـ (لا أعتقد هذا أبداً).

ـ (ما هي المخاطر التي تنطوي عليها عملية شفط الدهون؟)

ـ (إنها صغيرة جداً، ضئيلة للغاية. هي مخاطر ثانوية هامشية، سواء كانت مليوناً إلى واحد أو أياً كان. هي بسيطة للغاية، ليس هنالك سوى القليل جداً من الأخطاء الممكنة التي قد تسبب تأثيرات جانبية دائمة، الأخطاء الممكنة قليلة للغاية).

ـ (هل هناك أي خطر بحدوث الموت؟).

ـ (لا، مهما حدث، لا، لا. لم أسمع عن أي مضاعفة من هذا القبيل).

يمكنك تسمية الموت بأنه من الآثار الجانبية الدائمة، يمكنك حتماً تسميته مضاعفة. بالاسترسال بالحديث حول هذه النقطة، يمكنك القول إنَّ المخاطرة بحياتك هي أقل الأشياء التي يجب أن تقلقي بشأنها، إنها مخاطرة ضئيلة للغاية، صغيرة جداً، صغيرة جداً جداً، متناهية في الصغر. إن الوفيات الناتجة عن عمليات شفط الدهون ليست وفيات حقيقية، وهي فكرة مريحة لعائلة المتوفى. يقول الجراحون إنَّ (الفوائد تفوق المخاطر بكثير)، وهو حكم قَيِّم على الأهمية النسبية لنسختهنَّ من (الجمال) إلى النسخة المفترضة لحياة المرأة.

قد يقول الجراح إن كثرة الحديث عن الخطر الصغير الضئيل جداً للموت هو مبالغة في رد الفعل: تشكل الوفيات جزءاً بسيطاً من نسبة مئوية. وهذا صحيح حتماً، لكن لعملية ضرورية طبياً، وليس لإعادة هيكلة الشابات السليمات! كم امرأة يجب أن تموت قبل أن يقال عن هذا الخطر إنَّه كبير، قبل أن نضع حداً آمناً لنا منه؟ ماتت ١٤ امرأة، والعدد في تزايد، كلٌّ منهن لديها اسم، ومنزل، ومستقبل؛ ولكلٍّ منهن تجمعات صحية من اللحم، حيث تميز الدهون النمو الجنسي للأنثى عن النمو الجنسي للذكور؛ فَيُراهِنَّ بكل ما يمتلكنه في عجلة القرعة تلك، مقامرة لمضاعفة ما يملكن أو خسارة كل شيء؛ وبالنسبة إلى أولئك النساء الأربع عشرة، جميعهن قد خسرن. متى يكون من الملائم أن نلاحظ تلطخ أيادي الأطباء بالدماء؟ ألإلى أن يصل العدد إلى العشرين؟ أم إلى الثلاثين؟ أم إلى خمسين امرأة سليمة صحيحة قبل أن نشعر بضرورة المقاومة، قبل أن نسأل عن العملية التي جعلت

النساء يقامرن بحياتهن من أجل (جمال) لا علاقة لنا به؟ وبهذا المعدل، سيكون حصول هذه الوفيات مسألة وقت فقط. شفط الدهون هو الإجراء الأسرع نمواً في مجال يتضاعف ثلاث مرات كل عام. حان الوقت الآن للوقوف، وملاحظة الجثث الأربع عشرة، إنها جثثٌ حقيقية، جثث بشرية، وذلك قبل أن يتصاعد هذا الاتجاه إلى حدٌ لا يمكن فيه من المناسب مرة أخرى اتخاذ هذا الموقف. وفاة ١٤ امرأة كانت كافية لكينيا، ولكنَّها ليست كافية بالنسبة إلى الولايات المتحدة.

ما هي عملية شفط الدهون (على افتراض أنك تعيشين هذه التجربة)؟ إذا كنتِ تقرئين نشرة Poutney Clinic، فيبدو الأمر كما يلي:

تحسين الشكل عن طريق الإنقاص الفوري لكمية الدهون في مناطق في الجسم... هي واحدة من أنجح التقنيات التي طورت لتحسين الشكل وإعادة بنائه. في عملية شفط الدهون بمساعدة شفط/حل الدهون يُجرى شق صغير في كل منطقة من الدهون الزائدة، ثم يُدخل أنبوبٌ رفيع جداً، وبوساطة حركات لطيفة ومهارة تساعد على شفطٍ قويٍّ تُزال هذه الدهون غير المرغوب فيها (والتي غالباً ما تكون قبيحة) بشكل دائم.

لكن إذا كنتِ تقرئين تقرير شاهد عيان للصحفية جيل نيمارك، فيبدو الأمر كما يلي:

[رجل] يُدخِل بقوة أنبوباً بلاستيكياً أسفل حلق امرأة عارية. يربط الأنبوب بمضخة، والتي ستتنفس المرأة منها في الساعتين التاليتين. تم إغلاق عينيها وتُفتح ذراعاها أفقياً، بينما يتدلى رأسها قليلاً إلى الجانب.... إنها في غيبوبة مستحثة كيميائياً تُعرف باسم التخدير العام... ما يأتي بعد ذلك هو عنف لا يمكن تصديقه تقريباً. يبدأ جراحها (الدكتور لي لاكمان) بدفع قُنية، فيدخلها ويخرجها مراراً، وبسرعة كبيرة كما المكبس، مخترقاً شباكاً سميكة من الدهون والأعصاب والأنسجة في ساقها. الطبيب مستعد لخياطتها. لقد امتص منها ما يقرب من ٢٠٠٠ مل من الأنسجة والدم، وامتصاص أكثر من هذا بقليل سيعرضها لخطر عدوى شديدة، أو إلى فقدان سوائل يؤدي بها إلى الصدمة والموت.... قام بإزالة الشريط من على جفنيها، وبدأت بالتحديق فيه، لكن دون أن ترى شيئاً. (يجد الكثير من الناس صعوبة في استعادة وعيهم. إن إخراج شخصٍ ما من التخدير هو أخطر جزءٍ من

العملية).... [ما] قد يؤدي إلى عدوى واسعة، وإلحاق أضرار جسيمة بالشعيرات الدموية، ونضوب السوائل، مما يؤدي إلى صدمة وغيبوبة.

يفتح شفط الدهون الطريق إلى المستقبل: إنه الإجراء الأول من بين العديد من الإجراءات التي يجب أن تكون جميع النساء مؤهلات لها كنساء.

تحسين النسل

النساء مرشحات للجراحة لأننا نعتبر أقل شأناً، وهو تقييم تشترك فيه النساء مع المجموعات المستبعدة الأخرى. فالملامح العنصرية غير البيضاء هي (تشوهات) أيضاً: ولذلك يقدم منشور Poutney Clinic (مظهراً غربياً للعينين) إلى (الجفن الشرقي) الذي (يفتقر إلى الطية فوق الغضروف الجفني المحددة بوضوح). وهذا المنشور يزيد من شأن (الأنف القوقازي أو (الغربي) ويسخر من (أنوف الآسيويين)، و(أنوف سكان البحر الكاريبي الأفارقة (قمة الأنف عندهم تكون سمينة ومدورة، وتحتاج إلى تصحيح))، و(الأنف الشرقي (قمة الأنف لديهم... قريبة جداً من الوجه))، و(الأنف الغربي الذي يتطلب تغييراً يظهر دائماً بعض خصائص الأنوف (غير البيضاء)... على الرغم من أنَّ التحسين المطلوب أكثر بساطة حينها). النساء البيض، وكذلك النساء السود والآسيويات، يخضعن لعمليات جراحية ليس نتيجة الغرور الأناني، ولكن كرد فعل منطقي على التمييز الجسدي.

عندما تفحَّصنا لغة عصر الجراحة، لاحظنا صدًى لعملية انحطاط مألوفة. ففي عام ١٩٣٨، طلب الأقارب الألمان للأطفال المشوهين أن يُقتلوا قتلاً رحيماً. كتب عن ذلك روبرت جاي ليفتون: لقد كان جواً شدد فيه الرايخ الثالث على (وجوب أن تكون بصحة جيدة)، وطلب من شعبه أن (يتخلى عن المبدأ الفردي القديم المتمثل في (حق الفرد في جسده)، ووصف المرضى والضعاف بأنَّهم (أَكَلَةٌ عديمو الفائدة)).

تذكري عملية إعادة التصنيف وكيف تجري، وحينها يبدأ العنف، من مجاله الضيق إلى الواسع: بدأ الأطباء النازيون بتعقيم الأشخاص ذوي الإعاقات المزمنة، ثم ذوي العيوب البسيطة، ثم (غير المرغوب فيهم)؛ أخيراً، وضع أطفال اليهود الأصحاء في الشبكة لأن يهوديتهم كانت مرضيةً كفايةً، وسرعان ما أصبح تعريف الحياة المريضة المستهلكة (فضفاضاً وشاملاً ومعروفاً على نحو متزايد). وضِعَ

(الأكلة عديمو الفائدة) ببساطة على (حمية خالية من الدهون) ليتضوروا جوعاً حتى الموت؛ لقد (كان الطعام الذي يقدم إليهم غير كافٍ بالفعل، وفكرة عدم تغذيتهم نهائياً كانت تخطر على البال). تذكري وصف أجزاء من النساء بأنها مسبقاً مجروحة أو خدرة أو مشوهة أو ميتة. (هؤلاء الأشخاص) الذين أعلنهم الأطباء النازيون بأنَّهم (غير مرغوبٍ فيهم)، (أموات مسبقاً). اللغة التي صنفت (غير المناسب) على أنه بالفعل أقل من أن يكون حياً، أضعفت من ضمير أولئك الأطباء: أطلقوا عليهم (كابحات للبشرية)، (حياة لا تستحق الحياة)، (قشورٌ فارغة لكائنات بشرية). تذكري استخدام لفظ (الصحة) لجعل سفك الدماء منطقياً؛ تقوم الرؤية الكونية للأطباء على ما يسميه جاي ليفتون (انعكاس الشفاء/القتل). فمثلاً شددوا على الوظيفة العلاجية المتمثلة في قتل الأطفال المشوهين والضعفاء كوسيلة لشفاء الجسم السياسي، (لضمان أن يدرك الناس الإمكانات الكاملة للهبة العرقية والجينية) و(لعكس الانحلال العرقي).

تذكري اللغة المسفهة التي يستخدمها الجراحون؛ عندما قام الأطباء الألمان بإعدام الأطفال بالحقن، تلك (لم تكن جريمة قتل، إنما قاموا بجعلهم ينامون). تذكري التعتيم البيروقراطي للجراحين غير المؤهلين؛ كتب ليفتون أنَّ لجنة الرايخ للتسجيل العلمي للأمراض الخلقية والوراثية الخطيرة (تبنت منطق لجنة التسجيل الطبية العلمية الهائلة الموقرة، على الرغم من أن قائدها... حاصل على شهادة في الاقتصاد الزراعي.... وقد قدمت هذه المؤسسات (المراقبة)... أورة(*) من التفحص الطبي للأخطاء، في حين أنه في الواقع لم يُجرَ فحص أو ملاحظة حقيقية لها). وقد برروا القيام بتلك التجارب الطبية بأنَّهم يجرونها على (مخلوقات ـ أدنى من البشر ـ يمكن دراستها أو تعديلها أو التلاعب بها أو تشويهها أو قتلها، وذلك لغرضٍ... سامٍ، لإعادة صياغة البشرية). تذكري الخدر؛ فقد كان كلٌّ من الضحايا والقائمين على التجربة في حالة من (الخدر الشديد)، ذلك أنَّه في (جو معسكر أوشفيتز بيركينو... أي نوعٍ من التجارب ممكنٌ).

كما كتب ليفتون: (الطبيب... إذا لم يكن يعيش في حالة أخلاقية... تكون فيها الحدود واضحة جداً... فسيكون حينها خطراً جداً).

(*) الأورة: هي شعور بقدوم الشيء قبل حصوله.

إن التجريد المتدرج للإنسان من الإنسانية له نمط صارم وموثق جيداً. للخضوع لعملية جراحية يجب أن يشعر المرء وأن يوافق المجتمع على أنَّ بعض أجزاء الجسم لا تستحق الحياة، على الرغم من أنها لا تزال حية. تتسرب هذه الأفكار في الجو العام مع رائحة كريهة من تحسين النسل، أما بالنسبة إلى عالم جرَّاحي التجميل فهو يقوم على التفوق البيولوجي، وهو شيء يجب على الديمقراطيات الغربية ألا تحترمه.

العذراء الحديدية تتحرر

إنَّ النساء في خطرٍ نتيجة سوء فهمهن الحالي للعذراء الحديدية. ما نزال نصدق أنَّ هنالك جانباً ما تكون فيه الجراحة مقيدة بحدود طبيعية، بهيئة الأنثى البشرية (الكاملة). وهذا لم يعد صحيحاً. لم تكن (المثالية) مطلقاً تدور حول أجساد النساء، ومن الآن فصاعداً يمكن للتكنولوجيا أن تسمح لـ (المثالية) بالقيام بما تسعى دائماً إلى فعله: التخلي عن الجسد الأنثوي تماماً لاستنساخ طفراته في الفضاء. لم تعد الأنثى البشرية نقطةً مرجعية.

أصبحت (المثالية) أخيراً غير بشرية تماماً. تشير إحدى العارضات في Cosmopolitan إلى أنَّ (المثالية اليوم هي الجسد العضلي ذو الأثداء الكبيرة. لا تجعل الطبيعة المرأة تبدو بهذا الشكل). وفي الحقيقة لم تعد النساء ترى نسخاً من العذراء الحديدية تمثل الجسد الأنثوي الطبيعي. يقول الطبيب ستيفين هيرمان من جامعة ألبرت أينشتاين لكلية الطب: (أعتقد أنَّ كل عارضة شهيرة اليوم قد خضعت بشكل أو بآخر لعملية تكبير ثدي). وتعترف مجلة نسائية أخرى بـ: (كثير من العارضات الآن يعقدن جلساتٍ مع جراح تجميل كجزء من متطلبات العمل). هنالك خمسون مليون أمريكي يشاهدون مسابقة ملكة جمال أمريكا؛ وفي عام ١٩٨٩ قام جراح تجميلي واحد من أركنساس بإعادة هيكلة أجساد خمس متسابقات، منهن ملكة جمال فلوريدا وملكة جمال ألاسكا وملكة جمال أوريغون. تُقارن النساء ببعض، والشباب يقارنون الشابات بسلالة جديدة من كائنات هجينة ليست نساءً. لم تكن معالم الجذب الطبيعية عند النساء هي الهدف من أسطورة الجمال، فقد قامت التكنولوجيا أخيراً بالعبث بتلك المعالم وإزالتها. تقول المرأة أشعر بالسوء حيال هذا، فيقطعه. وتقول ماذا عن هنا؟ فيقطعه.

خيال المستقبل ليس أنَّ النساء سيكن إماء، إنما أنّنا ـ معشر النساء ـ سنكون روبوتات. أولاً، سنكون خاضعات لتكنولوجيا أكثر دقة من أي وقت مضى، وذلك للمراقبة الذاتية، مثل Futurex-5000 أو محلل مكونات الجسم هولتاين، وهو آلة نقالة لتحليل الشحوم بالأشعة تحت الحمراء، وحاسب نقال يطبق تيارات كهربائية عن طريق أقطاب كهربائية توضع على المعصمين والكاحلين. وبعد ذلك، وبغرض إجراء تعديلات أكثر تطوراً لصور (المثالية) في وسائل الإعلام: فإنَّ (الواقع الافتراضي) و(إعادة التصوير الفوتوغرافي) سيجعلان (الكمال) سريالياً على نحو متزايد. ثم يصل الأمر إلى تقنيات تحل محل الجسد الأنثوي الآثم الفاني، قطعةً قطعة، بهيئة (مثالية). هذا ليس خيالاً علمياً: استبدال النساء بدأ بالفعل بالتقنيات الإنجابية. تُجرى في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة أبحاث لتطوير مشيمة صناعية، وطبقاً للكُتَّاب العلميين فإنَّنا أيضاً: (ندخل الآن في حقبة نمتلك فيها معرفة علمية وتقنية كافيةً لحرمان النساء من فرصة الإنجاب، أو ينجبن فقط إذا استخدمن المواد الجينية للآخرين). وبذلك، تتوفر تقنية للأزواج البيض الأثرياء لاستئجار أرحام النساء الفقيرات من أي عرقٍ لحمل أطفالهم البيض. وبما أنّ الولادة (تخرب) الشكل، فإنَّ سيناريو النساء الغنيات باستئجار نساءٍ فقيرات للقيام بعملهن الإنجابي المرير لهو أمرٌ وشيك. وقد منحتنا الجراحة التجميلية سبباً بسيطاً للشك بأنّه عندما توجد التقنية لذلك فإنَّ النساء الفقيرات سيُضغط عليهن لبيع مواد جسدهن الحقيقية (مثل الأثداء والبشرة والشعر والدهون) بغرض إعادة هيكلة النساء الغنيات، كما يبيع الناس الآن أعضاءهم ودماءهم. وإذا كان هذا يبدو لك مستقبلاً مشوهاً، فارجع بنفسك للوراء ١٠ أعوام فقط وتخيل أن يخبرك أحدهم أن التعديل الجراحي على حجم ثديي المرأة ووركها سيحصل قريباً.

سوف تستمر التكنولوجيا جذرياً بزعزعة القيمة الاجتماعية للجسم الأنثوي. يجري حالياً تطوير منتجات لتحديد الجنس مسبقاً، بمعدل نجاح يتراوح بين ٧٠ و٨٠ بالمئة؛ عندما تتوفر مثل هذه المنتجات، يمكن للمرء أن يتوقع ـ على أساس التفضيلات الجنسانية المسجلة في جميع أنحاء العالم ـ أن تنخفض نسبة النساء إلى الرجال بدرجة كبيرة. تحذر مجموعة من العلماء أنه في المستقبل القريب قد (يمكن تكثير النساء تبعاً لصفات معينة، مثل الركون والجمال). أصبحت غرسات الثدي القابلة للتعديل الآن حقيقة واقعة، مما يسمح بتكييف النساء مع

تفضيلات كل شريك. لقد طور اليابانيون بالفعل روبوت غيشا(*) نابضاً بالحياة ذا بشرة صناعية.

لكن العلامات الأولى للإنتاج الضخم لجسم أنثوي متطابق لا تزال هي الاستثناء؛ بينما الإنتاج الضخم لعقل أنثوي متطابق واسعُ الانتشار. النساء هن الجنس المخدَّر: فبين عامي ١٩٥٧ و١٩٦٧، زاد استهلاك العقاقير النفسية (المهدئات والمركنات ومضادات الاكتئاب وكابحات الشهية) بنسبة ٨٠ بالمئة، وقد كان ٧٥ بالمئة من متعاطي تلك الأدوية المخدرة هم من الإناث. وبحلول عام ١٩٧٩، تمت كتابة ١٦٠ مليون وصفة طبية من المهدئات، وأكثر من ٦٠ مليون وصفة للفاليوم لوحده. كانت ٦٠ إلى ٨٠ بالمئة من تلك الوصفات للنساء، وتفيد التقارير بأن تعاطي الفاليوم هو أكثر مشكلات المخدرات شيوعاً التي تتعامل معها خدمات الطوارئ في المستشفيات. واليوم، في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة، فإنَّ عدد النساء اللاتي يتناولن المهدئات ضعف عدد الرجال؛ وكانت الفضيحة في كندا عند اكتشاف الإفراط في وصف المهدئات للنساء. في جميع البلدان الثلاثة، تشكل النساء المرضى الرئيسيين الذين يخضعون للعلاج بالصدمات الكهربائية والجراحة النفسية والعقاقير النفسية.

يمهد تاريخ المرأة الحديث هذا لاعتبارها زبونة للمستحضرات الصيدلانية (لحقبة جديدة من (مستحضرات التجميل الدوائية))، بما في ذلك عقار (فلوكستين) المضاد للاكتئاب لشركة ليلي إنداستريز، والذي ينتظر موافقة إدارة الغذاء والدواء (FDA)، وسيسوق كحبوب لتخفيف الوزن(**). ذكرت صحيفة **الغارديان** أنَّ دواءً آخر (وهو الإيفيدرين الشبيه بالأدرينالين) يسرع معدل الأيض، وهنالك ثالث DRL26830A، والذي يزيد من نحول مستخدميه لكونه يحفز إحداث (رعشات عابرة). وذلك على الرغم من أنّه بالطبع (هناك قلق داخل صناعة المستحضرات الصيدلانية من أنّها قد تتسبب بمشاكل أخلاقية خطيرة). لقد تم إعداد المتحدثين الرسميين في المجال الصناعي بالفعل من أجل (تمهيد الطريق لمزيد من (الاستخدام التجميلي) بدلاً من الاستخدام الطبي). وحسبما ذكرت إحدى وكالات

(*) الجيشا أو الغيشا: هن فنانات تقليديات في اليابان يمارسن دور مضيفات يمتلكن مهارات في الفنون المسرحية اليابانية المختلفة مثل الموسيقى الكلاسيكية والرقص والألعاب.

(**) في الواقع نعم، يستخدم هذا الدواء منذ سنوات لعلاج الاكتئاب وكذلك لعلاج النهم العصبي.

الأدوية في بعض التقارير عن سبب تناول النساء الأدوية: (لكي يُنظر إلى المرأة (الأنثوية) على أنها أنثوية.... فعليها أن تكون نحيفة، وراكنة، ومختلفة عن الرجال (لا تُظهِر مشاعرَ كالغضب أو الإحباط أو الإصرار)).

قد تحل الموجة الجديدة من معززات الحالة المزاجية الموجهة تجميلياً مشكلة النساء مرة واحدة وإلى الأبد، كما ندخل نحن أنفسنا في حالة من البهجة الدائمة والاحترام والركون الدائم والنحافة المخدِّرة تخديراً مزمناً.

أياً كان ما يهدده المستقبل، يمكننا أن نكون متأكدات إلى حدٍّ ما من هذا: سيستمر إخراج المرأة في حالتها (الخام) أو (الطبيعية) من فئة (امرأة) إلى فئة (قبيحة)، وتُعيِّر إلى أن تتحلى بهوية جسدية تنتج بكمية هائلة ومتطابقة في المجتمع. كلما زاد عدد المستجيبات لهذا الضغط زادت شدته إلى أن يصبح إلزامياً، حتى لا تجازف أي امرأة تحترم نفسها بالخروج من المنزل دون أن تكون قد خضعت لعملية جراحية لتغيير شكل وجهها. ستتنافس السوق الحرة على قطع أجساد النساء بأرخص الأسعار، وإذا زاد الإهمال فستجرى عمليات جراحية لإزالة الرتوش في عيادات المساومة في السراديب. وفي ذلك الجو، ستكون مسألة وقت قبل أن يغيروا موضع البظر، ويخيطوا المهبل ليكون أكثر راحة، ويرخوا عضلات الحلق، مع قطع المنعكس البلعومي. قام جراحو لوس أنجلوس بتطوير وزرع جلدٍ شفاف، يمكن من خلاله رؤية الأعضاء الداخلية، ويقول أحد الشهود إنه (المتلصص النهائي).

الآلة على الأبواب، فهل ستكون هي المستقبل؟



الهوامش

Throughout the 1980s: The figure of more than 2 million Americans was up from 590, 550 in 1986 (a rise of 24 percent from 1984). See *Standard and Poor's Industry Surveys* (New York: Standard and Poor's Corp., 1988) and Martin Walker, "Beauty World Goes Peanuts," *The Guardian* (London), September 20, 1989. But since over 80 percent of eyelifts, facelifts, and nose operations are on female patients, as are virtually all breast surgery and liposuction operations, the true female-male ratio must be higher than 87 percent-meaning that cosmetic surgery is only properly understood as a *processing of female-*

ness. See, for figures, Joanna Gibbon, "A Nose by Any Other Shape," *The Independent* (London), January 19, 1989.

Violence, once begun: Angela Browne, *When Battered Women Kill* (New York: Free Press, 1987) p. 106.

The Emperor Constantine: Sarah Pomeroy, *Goddesses, Whores, Wives and Slaves: Women in Classical Antiquity* (New York: Shocken Books, 1975), p. 160.

Sontag: Susan Sontag, *Illness as Metaphor* (New York: Schocken Books, 1988).

Misbegotten man: Barbara Ehrenreich and Deirdre English, *Complaints and Disorders: The Sexual Politics of Sickness* (Old Westbury, N.Y.: The Feminist Press, 1973); "Repulsive and useless hybrid," ibid., p. 28.

Michelet Quoted in Peter Gay, *The Bourgeois Experience, Volume II: The Tender Passion* (New York: Oxford University Press, 1986), p. 82.

Separate sphere: See Sarah Stage, *Female Complaints: Lydia Pinkham and the Business of Women's Medicine* (New York: W. W. Norton, 1979), p. 68.

1870–1920: Elaine Showalter, *The Female Malady: Women, Madness and English Culture, 1830–1980* (New York: Pantheon Books, 1985), p. 18. See also Mary Livermore's "Recommendatory Letter" and "On Female Invalidism" by Dr. Mary Putnam Jacobi, in Nancy F. Cott, ed., *Root of Bitterness: Documents of the Social History of American Women* (New York: Dutton, 1972), pp. 292, 304.

Women were the primary patients: Showalter, op. cit., p. 56.

Victorian medicine: Ehrenreich and English, op. cit., p. 60.

Catherine Clément: "Enclave Esclave," in Elaine Marks and Isabelle de Courtivron, eds., *New French Feminisms: An Anthology* (New York: Schocken Books, 1981), p. 59.

Calm...face: Showalter, op. cit.

Menopause: John Conolly, "Construction," cited in Showalter, op. cit., p. 59.

Modernity: Stage, op. cit., p. 75.

Engels: Cited in Ann Oakley, *Housewife: High Value/Low Cost* (London: Penguin Books, 1987), pp. 46–47.

Scientific interest: See Peter Gay, *The Bourgeois Experience, Volume II: The Tender Passion* (New York: Oxford University Press, 1986).

Questions of safety arose: Vivien Walsh, "Contraception: The Growth of a Technology," The Brighton Women and Science Group, *Alice Through the Microscope: The Power of Science over Women's Lives* (London: Virago Press, 1980), p. 202.

Recasting freedom...as disease: See Carlotta Karlson Jacobson and Catherine Ettlings, *How to Be Wrinkle Free* (New York: Putnam, 1987): "Wrinkles... may not be life threatening in the purest sense, but the stress and anxiety they produce can alter (if not threaten) the quality of life." The authors describe skin "shock treatments meant to 'shock' [skin] back into beautiful shape."

According to the authors, Steven Genender injects a toxin into the facial muscle so it will not express emotion; others sever facial muscles, leaving the face impassive.

Paleolithic fertility figures: Eugenia Chandris, *The Venus Syndrome* (London: Chatto & Windus, 1985).

Balin: "Despite Risks, Plastic Surgery Thrives," *The New York Times*, June 29, 1988.

Dr. Tostesen: "Harvard and Japanese Cosmetics Makers Join in Skin Research," *The New York Times*, August 4, 1989. The University of Pennsylvania has also accepted donations from cosmetics manufacturers for a $200,000 chair in "beauty and well-being" research.

Disabled people: Daniel Goleman, "Dislike of Own Body Found Common Among Women," *The New York Times*, March 19, 1985.

Bay Area: "Staying Forever Young," *San Francisco Chronicle*, October 12, 1988.

Rose Cipollone: "Coffin Nails," *The New York Times*, June 15, 1988.

Liquid fasts: Carla Rohlfing, "Do the New Liquid Diets Really Work?," *Reader's Digest*, June 1989; see also "The Losing Formula," *Newsweek*, April 30, 1990.

Cancer detection more difficult: In a study involving twenty breast-cancer patients with implants, researchers found that none of the tumors had been detected early with X rays, and the cancer had spread to the lymph nodes of thirteen by the time the disease was detected: Michele Goodwin, "Silicone Breast Implants," *The New Haven Advocate*, March 13, 1989. The Public Citizen Health Research Group made the charge to implant manufacturers Dow Corning Corp., citing the manufacturers' own research that 23 percent of female laboratory rats implanted with silicone developed cancer. The Group also points out that implants have been followed only for ten or twelve years, not long enough for the cancers to develop. The literature of the American Society of Plastic and Reconstructive Surgery denies any risk.

Mental illness: Stanley Grand, "The Body and Its Boundaries: A Psychoanalytic View of Cognitive Process Disturbances in Schizophrenia," *International Review of Psychoanalysis*, vol. 9 (1982), p. 327.

Stress: Daniel Goleman, "Researchers Find That Optimism Helps the Body's Defense System" "Science Times," *The New York Times*, April 20, 1989.

Schizophrenia: Daniel Brown, Harvard Medical School, quoted in Daniel Goleman, "Science Times," *The New York Times*, March 15, 1985.

Manufacturing mental illness: Eating disorders are mutating into self-mutilation, creating a new wave of young women who cut themselves up. "A growing number of 'self-lacerating' young women...One bulimic binged and vomited until she felt so out of control that she 'grabbed a knife and stuck it into [her] stomach.'" [Maggy Ross, "Shocking Habit," *Company*, September 1988]. Three "attractive young women" who feel "physically repulsive" and "evil

inside" regularly cut a pattern of up to sixty diagonal slashes on their forearms, feeling numb and detached. "I couldn't stand being so judged," said one [Michele Hanson, "An End to the Hurting," *Elle*, October 1988].

A million dollars: Gerald McKnight, *The Skin Game: The International Beauty Business Brutally Exposed* (London: Sidgwick and Jackson, 1989).

Surgery profits: *Standard and Poor's Industry Surveys*, 1988.

As a businessman: Ehrenreich and English, op. cit., p. 26.

Fetal experimentation, human organs: See *The New York Times*, August 1, 1988. See also Wendy Varley, "A Process of Elimination," *The Guardian*, November 28, 1989, and Aileen Ballantyne, "The Embryo and the Law," *The Guardian*, September 8, 1989.

"There are, in a civilized society, some things that money can't buy": Ruling on Baby M. Case. *In re Baby M.*, 537 A2d 1227 (N.J.) 1988; *In re Baby M.*, 225 N.J. Super. 267 (S. Ct., N.J., 1988) 73.

Robert Jay Lifton, *The Nazi Doctors: Medical Killing and the Psychology of Genocide* (New York: Basic Books, 1986).

Experimentation: "Use me to 'experiment'": Quoted in Maria Kay, "Plastic Makes Perfect," *She*, July 1988.

Stomach stapling experiments: Paul Ernsberger, "The Unkindest Cut of All: The Dangers of Weight-Loss Surgery," *Radiance*, Summer 1988.

Dr. Stuart Yuspa of the National Cancer Institute refers to Retin-A/tretonoin prescriptions as "a human experiment." [Jane E. Brody, "Personal Health," *The New York Times*, June 16, 1988.]

Nuremberg: The Code of Ethics of Human Experimentation was laid down on August 19, 1947, at the Nuremberg Military Tribunal. [See David A. Frankele, "Human Experimentation: Codes of Ethics," in Amnon Karmi, ed., *Medical Experimentation* (Ramat Gan, Israel: Turtledove Publishing, 1978).] The Berlin Medical School adapted a formulation (by Thomas Percival, 1803), a version of which was later adapted by the American Medical Association, that forbids "risk of any man's life...by vain experimentation, or doubtful means" and condemns debasing oneself by employing one's art for...immoral purposes."

In September 1948, the General Assembly of the World Medical Association adopted the Declaration of Geneva: "A doctor shall not in any circumstances do, authorize to be done or condone anything that would weaken the physical or mental resistance of a human being, except for the prevention and treatment of disease."

The Nuremberg Code was "meant to reinstate 'existing general principles of human experimentation accepted by all civilized nations.'" German courts after Nuremburg "have considered every medical operation or other treatment invading the human body technically to be assault and battery, which in general

needs to be justified by the patient's informed consent." [A. Karmi, "Legal Problems," in *Medical Experimentation*.]

Without "free choice," the procedure is criminal: "It is generally agreed that scientific experiments cannot be undertaken without the *free consent* of the person subjected to them after having been duly informed." [Gerfried F. Scher, quoted in Karmi, op. cit., p. 100.] Moreover, "the decision to participate in a scientific clinical trial must be perfectly free and uninfluenced by any sort of dependency." [Ibid., p. 101]

Cosmetic surgery violates current codes of medical ethics as well: As the chief U.S. medical adviser at the war trials adapted the code:

"The voluntary consent of the human subject is absolutely essential. This means that the person involved should have the legal capacity to give consent, should be so situated as to be able to exercise free power of choice, without the intervention of any element of force, fraud, deceit, duress, overreaching, or other ulterior form of constraint or coercion; and should have sufficient knowledge of the subject matter involved as to enable him to make an understanding and enlightened decision. The duty and responsibility for ascertaining the quality of the consent rests with the experimenter (minors cannot be considered to consent).... The degree of risk to be taken should never exceed that determined by the humanitarian importance of the problem to be solved in the experiment."

Regarding fraud, deceit, etc.: The State Court of Michigan ruled that the "inherently coercive atmosphere" surrounding one medical experiment made "truly informed consent impossible." Regarding minors' maturity to consent: Cosmetic surgeons have targeted teenage girls as a new market; they operate on them with parental consent in spite of their status as minors.

Regarding nontherapeutic experiments: "The risks to be run must be in *reasonable proportion* to the possible benefits. *If the experiment entails actual risk to the subject's life, his consent is invalid even if he has been informed of this....* The same holds true where there is an actual risk of heavy and lasting damage to the patient's health." [Italics added]

For the patient's own benefit, the experimental nature of new treatments must be disclosed: "His general consent to the treatment without knowing its experimental character is not sufficient." The law governing medical practice in the United States depends on the concepts of Standards of Care to distinguish between those medical and surgical procedures generally accepted by the medical professions and those that are not. According to Martin L. Norton: "We should...regard anything done to a patient, which is not for his direct therapeutic benefit or contributory to the diagnosis of his disease, as constituting an experiment." [Ibid., pp. 107–109]

1 in 30,000 possibility of death: Joanna Gibbon, *Independent Guide to Cosmetic Surgery (The Independent*, 1989), pamphlet, p. 7.

According to the *Guide*, silicone implants for breast augmentation "leach to other parts of the body, and the long-term effects are unknown," and there is a 10 to 40 percent chance that the scar tissue will harden into "a cricket ball," necessitating "a further operation to split the scar capsule." [Ibid., p. 8.] McKnight, op. cit., asserts that the chances are 70 percent that the implants will harden. Dr. Peter Davis at St. Thomas Hospital in England asserts that "Mortality... is reported to be up by 10 percent in America."

[McKnight, op. cit, pp. 114, 120.] "If [U.S.] doctors were to admit to a 10 percent failure rate, which is normal in our experience out of every thousand facelifts, they'd lose their practice. Take the breast prosthesis we've been inserting for years here—it has a 70 percent complication rate. Yet there are people in America quoting 1 percent. *One* of us has to be telling the truth."

Liposuction deaths: Wenda B. O'Reilly, *The Beautiful Body Book: A Guide to Effortless Weight Loss*. (New York: Bantam, 1989).

Liposuction...count of eleven: Robin Marantz Henig, "The High Cost of Thinness," *The New York Times Magazine*, February 28, 1988.

As many as 90 percent: See McKnight, op. cit When I asked the spokeswoman for the ASPRS what the likelihood of "capular contraction," in her words, might be, she replied, "It's impossible to say. Some surgeons have ten percent and some have ninety percent."

"Aren't there any studies with complication rates?" "No. Every woman's different. It's not fair to a woman to tell her she can't have the operation because there might be these numbers."

Addicts: See Maria Kay, "Plastic Makes Perfect," *She*, July 1988: "It's quite painful afterwards, because your jaw feels dislocated...you have to go on a liquid diet...food particles cause infection if they catch in the stitches, but you can't chew anyway. You can't smile, your face aches. My face swelled up like a hamster's and I had terrible yellow bruising and trauma." Chemical peeling "makes you go brown and crispy, then a scab forms and drops off." See also "Scalpel Slaves Just Can't Quit!," *Newsweek*, January 11, 1988.

Double standard: See "Government to Ban Baldness, Sex Drugs," *Danbury* (Conn.) *News Times*, July 8, 1989.

Fraud: Paul Ernsberger, "Fraudulent Weight-Loss Programs: How Hazardous?," *Radiance*, Fall 1985, p. 6; "Investigating Claims Made by Diet Programs," *The New York Times*, September 25, 1990.

In Britain: The British Medical Association has issued a statement deploring direct access of patients to cosmetic surgery clinics, but the General Medical Council can do nothing about it.

90 percent unregulated: Cable News Network, April 19, 1989; also Claude Solnick, "A Nip, a Tuck, and a Lift," *New York Perspectives*, January 11–18, 1991, pp. 12–13.

Congressional hearings: See Federal Trade Commission Report, *Unqualified Doctors Performing Cosmetic Surgery: Policies and Enforcement Activities of the Federal Trade Commission*, Parts I, II, and III, Serial no. 101–7.

Weir: Jeremy Weir, "Breast Frenzy," *Self*, April 1989.

Nipple death: Penny Chorlton, *Cover-up: Taking the Lid Off the Cosmetics Industry* (Wellingborough, U.K.: Grapevine, 1988), p. 244. See also the literature of the American Society of Plastic and Reconstructive Surgeons.

Genital mutilation: Gloria Steinem, "The International Crime of Genital Mutilation," in *Outrageous Acts and Everyday Rebellions* (New York: Holt, Rinehart & Winston, 1983), pp. 292–300.

Footbinding: Andrea Dworkin, *Woman Hating* (New York: Dutton, 1974), pp. 95–116.

Dr. Symington-Brown: Sarah Stage, *Female Complaints: Lydia Pinkham and the Business of Women's Medicine* (New York: W. W. Norton, 1981), p. 77.

Weldon: Fay Weldon, *The Life and Loves of a She-Devil* (London: Coronet Books, 1983): "One day, we vaguely know, a knight in shining armour will gallop by, and see through to the beauty of the soul, and gather the damsel up and set a crown on her head, and she will be queen. But there is no beauty in my soul…so I must make my own, and since I cannot change the world, I will change myself" (p. 56). Weldon wrote a pro-surgery article for *New Woman*, November 1989.

Ovariotomies: Stage, op. cit.; also Ehrenreich and English, op. cit., p. 35.

Electroshock: *Newsweek*, July 23, 1956, reports that a behavior-modification program used electric shock when subjects ate their favorite foods; cited in Seid, op. cit., p. 171.

Electric shock: Showalter, op. cit., p. 217, citing Sylvia Plath, *The Journals of Sylvia Plath*, Ted Hughes and Frances McCullough, eds. (New York: Dial Press, 1982), p. 318.

Harm: Suzanne Levitt, "Rethinking Harm: A Feminist Perspective," Yale Law School, unpublished doctoral thesis, 1989.

Right to life: Andrea Dworkin, op. cit., p. 140.

Rich: Adrienne Rich, *Of Woman Born: Motherhood as Experience and Institution* (London: Virago Press, 1977).

Dissociate: Lynda Birke et al., "Technology in the Lying-in Room," in *Alice Through the Microscope*, op. cit., p. 172.

Trivialization: See Lewis M. Feder and Jane Maclean Craig, *About Face* (New York: Warner Books, 1989): "Just as a seamstress can reshape a garment by taking necessary 'nips and tucks,' so the cosmetic surgeon can alter the contours of the facial skin" [p. 161].

Health at work: Occupational Safety and Health Act of 1970, United States Code, Title 29, Sections 651–658.

Facelifts: "What a shock!," quoted in Jeanne Brown, "How Much Younger My Short Haircut Made Me Look!," *Lear's*, July/August 1988. See also Saville Jackson, "Fat Suction-Trying It for Thighs," *Vogue*, October 1988: "The insides of my thighs are *black*. I am aghast but the surgeon seems quite pleased."

There are several "feminist" readings of cosmetic surgery: Surgeon Michele Copeland, in "Let's Not Discourage the Pursuit of Beauty," *The New York Times*, September 29, 1988, urges women to "burn their bras" with breast surgery. Carolyn J. Cline, M.D., in "The Best Revenge: Who's Afraid of Plastic Surgery?," *Lear's*, July/August 1988, urges women to have facelifts with the exhortation, "Voilà! You've been led to freedom."

Moral insanity: The term is attributed to asylum innovator John Conolly, cited in Showalter, op. cit., p. 48. See also Phyllis Chester, Ph.D., *Women and Madness* (Garden City, N.Y.: Doubleday, 1972).

Stomach stapling: See Paul Ernsberger, "The Unkindest Cut of All," op. cit.

200,000 pounds of fat: Harper's Index, *Harper's*, January 1989.

Neimark: Jill Neimark, "Slaves of the Scalpel," *Mademoiselle*, November 1988, pp. 194–195.

Lifton: Robert Jay Lifton, *The Nazi Doctors: Medical Killing and the Psychology of Genocide* (New York: Basic Books, 1986), p. 31.

Any kind of experiment: Ibid., p. 294.

"The doctor...": Relevant to the discussion, the reader is reminded of the Oath of Hippocrates. It reads: I swear by Apollo Physician, by Asclepius, by Health, by Panacea, and by all the gods and goddesses, making them my witnesses, that I will carry out, according to my ability and judgment, this oath and this indenture.... I will use treatment to help the sick according to my ability and judgment, but never with a view to injury or wrongdoing.... I will keep pure and holy both in my life and my art. In whatsoever house I enter, I will enter to help the sick, and I will abstain from all intentional wrongdoing and harm.... now if I carry out this oath, and break it not, may I gain forever reputation among all men for my life and for my art; but if I transgress it and forswear myself, may the opposite befall me.

"These people are already dead": Attributed to Nazi doctor Karl Bunding, quoted in ibid., p. 47.

The Reich Committee: Ibid., p. 70.

Liberating therapy for the race: Ibid., p. 26.

Trivialization: Ibid., p. 57.

Expansion of categories: Ibid., p. 56. "Excessive zeal" was widespread, excused as a product of "the idealism of the time." Life unworthy of life: Ibid., p. 302.

The doctor...very dangerous: Ibid., p. 430.

Cosmopolitan: Catherine Houck, "The Rise and Fall and Rise of the Bosom," *Cosmopolitan*, June 1989.

Every popular model: Dr. Steven Herman, quoted in *Glamour*, September 1987.

Miss America: Ellen Goodman, "Misled America: The Pageant Gets Phonier," *Stockton* (Calif.) *Record*, September 19, 1989.

Artificial placenta: Jalna Hammer and Pat Allen, "Reproductive Engineering: The Final Solution?," in *Alice Through the Microscope*, op. cit., p. 221. Also being researched are an artificial skin, and a pill that manipulates the pituitary gland to promote height.

Grossman: Edward Grossman, quoted in Hammer and Allen, op. cit., p. 210, lists the "benefits" that will accrue from an artificial placenta. Grossman reports that the Chinese and Russians are both interested in the artificial placenta.

Moving into an era: Hammer and Allen, op. cit., p. 211.

Gestate their white babies: Lecture, Catharine A. MacKinnon, Yale University Law School, April 1989. In 1990, a custody suit was brought for an infant carried to term in a genetically unrelated "rented" uterus.

To predetermine sex: Hammer and Allen, op. cit., p. 215.

Passivity and beauty: Ibid., p. 213.

Psychotropic drugs: Oakley, op. cit., p. 232.

Valium: Ruth Sidel, *Women and Children Last: The Plight of Poor Women in Affluent America* (New York: Penguin Books, 1987), p. 144.

Tranquilizers: Debbie Taylor et al., *Women: A World Report* (Oxford: Oxford University Press, 1985) p. 46.

Amphetamines first appeared in 1938, their dangers unknown. By 1952, 60,000 pounds of them were produced in the United States annually, with doctors prescribing them regularly for weight loss: Roberta Pollack Seid, *Never Too Thin: Why Women Are at War with Their Bodies* (New York; Prentice Hall, 1989) p. 106.

Sedated slimness: John Allman, "The Incredible Shrinking Pill," *The Guardian*, September 22, 1989.

ما وراء أسطورة الجمال

هل نستطيع تحقيق مستقبلٍ أفضل، تكون فيه أسطورة الجمال هي الميتة، ونعيش نحن بجمال؟

واجهت أسطورة الجمال الحريات الجديدة للمرأة من خلال نقل الحدود الاجتماعية لحيوات المرأة إلى وجوهنا وأجسادنا مباشرةً. ورداً على ذلك، علينا أن نطرح الآن الأسئلة حول مكانتنا في أجسادنا، ذات الأسئلة التي طرحتها النساء منذ جيل حول مكانتهن في المجتمع.

ما هي المرأة؟ هل هي ما يصنع منها؟ هل لحياة المرأة وخبرتها قيمة؟ إذا كان الأمر كذلك، فهل يجب أن تخجل من إظهار تلك القيمة؟ ما هو الأمر العظيم جداً وراء أن تبدو بمظهر شابة؟

فكرة أن لجسم المرأة حدوداً لا يجب انتهاكها هي فكرة جديدة إلى حدٍّ ما. من الواضح أننا لم نستسغها كفايةً. هل يمكننا مدّ هذه الفكرة؟ أم أن المرأة هي الجنس المرن، الذي يتكيف بطبيعته ليتم تشكيله أو القيام ببعض الشقوق فيه أو تعرضه لغزو جراحي؟ هل يستحق الجسد الأنثوي نفس مفهوم الكرامة الذي لجسد الذكر؟ هل هناك فرق بين موضات الملابس وموضات أجساد النساء؟ على افتراض أنّه في يوم من الأيام سيصبح من الممكن تغيير أشكال النساء بثمن رخيصٍ وبلا ألم ودون أي مخاطر، هل هذا هو ما يجب أن نرغب فيه؟ هل يجب أن ينقرض التعبير عن النضج والشيخوخة؟ ألن نخسر شيئاً إذا نجح هذا؟

هل لهوية المرأة الشخصية أية أهمية؟ هل يجب عليها أن ترغب في أن تبدو كأنها شخص آخر؟ هل هناك شيء فظيع ضمنياً في ملمس الجسد الأنثوي؟

يقوم الآن عدم كفاية الجسد الأنثوي مقام عدم الكفاية القديمة للعقل الأنثوي. تصر النساء الآن على أنَّ عقولهن ليست أدنى من غيرها. فهل أجسادنا حقاً أدنى من غيرها؟

هل (الجمال) يعني حقاً الجنس؟ هل تتوافق جنسانية المرأة مع ما تبدو عليه؟ هل لها الحق في المتعة الجنسية واحترام الذات لأنها شخص، أو أنها يجب أن تكسب هذا الحق من خلال (الجمال) كما اعتادت على اكتسابه من خلال الزواج؟ ما هي جنسانية الإناث؟ كيف تبدو؟ هل لها أي علاقة بالطريقة التي تُظهرها بها الصور التجارية؟ هل هي شيء تحتاج النساء شراءه مثل المنتج؟ ما الذي يجذب حقاً الرجال والنساء لبعضهم؟

هل النساء جميلات أو لا؟

بالطبع نحن جميلات؛ لكننا لن نصدق ذلك بالطريقة التي نحتاج أن نصدقه بها إلى أن نبدأ باتخاذ الخطوات الأولى ما وراء أسطورة الجمال.

هل كل هذا يعني أننا لا نستطيع وضع أحمر الشفاه دون الشعور بالذنب؟

على العكس تماماً؛ هذا يعني أنه يتعين علينا أن ننتزع من الأسطورة ما أحاطت به واحتجزته كرهينة، وهو: جنسانية الإناث، والترابط بين النساء، والتمتع البصري، والمتعة الحسية في الأقمشة والأشكال والألوان، متعة الإناث، السيئة والحسنة. يمكننا إنهاء الأسطورة والنجاة منها، ليس فقط مع سلامة كلٍّ من الجماع والحب والجاذبية والأناقة، بل أيضاً مع ازدهارها بحيوية أكثر من ذي قبل. أنا لا أهاجم أي شيء يجعل المرأة تشعر بشعورٍ جيد، إنما فقط ما يجعلنا نشعر بالسوء في المقام الأول. نحن جميعاً نود أن نكون مرغوبات، وأن نشعر بأننا جميلات. لكن منذ نحو ١٦٠ عاماً، كانت النساء الغربيات المتعلمات من الطبقة المتوسطة يُسيطر عليهن باستخدام العديد من المثل العليا حول كمال الإناث. يعمل هذا التكتيك القديم والناجح من خلال الاستفادة القصوى من الثقافة النسائية وأن يُلحِق بها أكثر المطالب القمعية للمجتمعات التي يسيطر عليها الذكور. تم فرض هذه الأشكال من الفدية على هزة الجماع للأنثى في العشرينيات من القرن العشرين، وعلى المنزل والأطفال والأسرة في الخمسينيات، وعلى ثقافة

الجمال في الثمانينيات. بهذا التكتيك، نضيع الوقت في كل جيل يناقش الأعراض بشغفٍ أكبر من مناقشة المرض نفسه.

إنَّنا نرى هذا النمط من الترويج الأناني للمثل العليا، وقد أشير إليها ببلاغة في أعمال باربرا. ديردري إنجليش وباربرا إهرنريتش في تاريخنا الحديث. يجب أن نجعلها تواكب أسطورة الجمال، لنتبناها نهائياً. إذا لم نفعل ذلك، فحالما ننفصل عن أسطورة الجمال ستظهر أيديولوجية جديدة تحل محل الفراغ الذي تركته. لا تتعلق أسطورة الجمال ـ في نهاية المطاف ـ بالمظهر أو النظام الغذائي أو الجراحة أو مستحضرات التجميل أكثر مما كان يهتم الغموض الأنثوي بالأعمال المنزلية. لا أحد من المسؤولين عن أساطير الأنوثة في كل جيل يهتم حقاً بالأعراض الناتجة عنها على الإطلاق.

لم يعتقد مهندسو الغموض الأنثوي حقاً أن خلو ذلك الغموض من العيوب يشير إلى فضيلة أساسية في النساء؛ في فترة حياتي، عندما تم إحياء فكرة عدم انتظام الدورة الشهرية الخرقاء كطريقة أخيرة لدرء مطالبات الحركة النسائية، لم يكن هنالك أساساً من شخصٍ مقتنع بعجز الدورة الشهرية بحد ذاتها. وعلى نفس المنوال، لم تكن أسطورة الجمال تهتم حقاً بمقدار وزن النساء، فهي لا تهتم مطلقاً بملمس شعر النساء أو نعومة بشرتهن. نحن ندرك أنه لو كُنّا سنعود جميعاً إلى بيوتنا غداً ونقول إننا لم نقصد كل ذلك أبداً (سنعود وقد تركنا الوظائف والحكم الذاتي وهزات الجماع والمال)، فستتباطأ أسطورة الجمال في الحال وتصبح أكثر راحة.

يعمل هذا الإدراك على تسهيل رؤية المشكلات الحقيقية الكامنة وراء الأعراض وتحليلها أيضاً: تماماً كما لم تهتم أسطورة الجمال بما كانت تبدو عليه المرأة حقاً ما دامت تشعر بأنَّها قبيحة، يجب علينا على الأقل أن نرى أنه لا يهم ما تبدو عليه المرأة ما دُمنا نشعر بأنها جميلة.

المشكلة الحقيقية لا علاقة لها بما إذا كانت النساء يضعن المكياج أو لا، ولا إذا ازددن وزناً أو نقص وزنهن، ولا إذا خضعن لعملية جراحية أو تجنبنها، ولا بما يلبسن أو يخلعن من ملابس، ولا بجعل لباسنا ووجوهنا وأجسادنا تحفةً فنية أو أن نتجاهل الزينة تماماً. المشكلة الحقيقية هي عدم قدرتنا على الاختيار.

في ظل الغموض الأنثوي، حُكم على جميع نساء الطبقة الوسطى تقريباً بموقف قهري تجاه الحياة المنزلية، وذلك بغض النظر عن ميولهن الفردية؛ الآن، وبعد أن تفككت هذه الفكرة إلى حدٍّ كبير، فإنَّ أولئك النساء اللاتي يملن شخصياً إلى التدبير المنزلي الدقيق يسعين إليها، أما النساء غير المهتمات أبداً بها فيتمتعن بدرجة أكبر (نسبياً) من القدرة على الاختيار. لقد أصبحنا سيئات، والعالم لم ينتهِ بعد. بعد قيامنا بتفكيك أسطورة الجمال، ستظهر حالة مشابهة (وهو أمر معقول للغاية، لكنه بعيد عن وضعنا حالياً) تصف علاقتنا بثقافة الجمال.

تتجلى المشكلة في مستحضرات التجميل فقط عندما تشعر المرأة بأنّها غير مرئية، لا يلتفت إليها أحد، أو بأنها ناقصة من دونها. وتتجلى مشكلة العمل خارجاً فقط إذا كانت النساء يكرهن النساء الأخريات إن لم يقمن بذلك. عندما تُجبَر المرأة على أن تزين نفسها لتشتري بذلك بعض الاستماع من الآخرين، وعندما تحتاج إلى أن تتهيأ وتتزين من أجل حماية هويتها، وعندما يجب أن تشعر بالمخمصة للحفاظ على عملها، عندما يجب عليها جذب حبيب حتى تتمكن من الاعتناء بأطفالها، فهذا هو بالضبط ما يجعل (الجمال) مؤذياً. فما يؤلم المرأة بخصوص أسطورة الجمال ليس الزينة، أو التعبير عن الجنسانية، أو الوقت الذي تقضيه في الاستمالة، أو الرغبة في جذب الحبيب. العديد من الثديّات تتزين، وكل ثقافة تستخدم الزينة. أن تكوني (طبيعية) أو (غير طبيعية) ليست هي المصطلحات التي نتحدث عنها. الصراع الفعلي يكمن بين الألم والمتعة، بين الحرية والإكراه.

عند منح النساء هويات ثابتة راسخة ستشعرهن الملابس والأزياء بالبهجة والسكينة. ستكون الملابس التي تسلط الضوء على جنسانية المرأة هي نفسها الملابس اليومية غير الرسمية عندما تكون الحياة الجنسية للمرأة تحت سيطرتنا الخاصة. وعندما يكون هنالك تأكيد على أنَّ جنسانية الإناث هي عاطفة مشروعة تماماً تنشأ من داخل كونهن إناثاً، فيمكننا حينها توجيهها إلى الجزء المختار من رغبتنا دون أن ترافقها وصمة العار، ولا يمكن بعد ذلك استخدام الملابس أو الطريقة المعبرة جنسياً التي قد نفترضها لتعييرنا أو لومنا أو استهدافنا بمضايقات أسطورة الجمال.

فرضت أسطورة الجمال على النساء مسألةً خاطئة: أيها سأكون، جنسية أم جادة؟ علينا رفض تلك المعضلة الخاطئة والقسرية. فجنسانية الرجال تُعزز

بجديتهم، أن تكون في ذات الوقت إنساناً جاداً وكائناً جنسياً هو أن تكون إنساناً كاملاً. لننقلب على أولئك الذين يقدمون صفقة الشيطان هذه ونرفض الاعتقاد بأنه عند اختيار جانب من جوانب الذات يجب أن نخسر الآخر. في عالم يكون فيه للمرأة خيارات حقيقية، فإنَّ الخيارات التي نتخذها بشأن مظهرنا أخيراً ستكون بالفعل خياراتنا الحقيقية: وليست صفقة كبيرة.

ستتمكن النساء ودون تفكير من التزين بأشياء جميلة عندما لا يكون لدينا شك بأننا لسنا أشياء. ستكون المرأة حرة من أسطورة الجمال عندما تستطيع اختيار استخدام وجهها وملابسها وجسدها كأحد أشكال التعبير الذاتي من بين أشكال أخرى كثيرة تمتلكها. يمكننا ارتداء الملابس لنشعر بالمتعة، لكن يجب أيضاً أن نتحدث عن حقوقنا.

حاول العديد من الكُتّاب التعامل مع مشاكل الخيال والمتعة و(الفتنة) بطردها من الأنثى الفاضلة. لكنَّ (الفتنة) مجرد دليل على قدرة الإنسان على أن يكون مسحوراً بشيءٍ ما، وهذا ليس في حد ذاته مدمراً. نحن بحاجة إليها، ولكن ليس قبل إعادة تعريفها. فلا يمكننا نشر دين استغلاليٍّ من خلال الزهد، أو شِعرٍ سيئٍ بالكلام النثري على الإطلاق. إلا أنّه يمكننا مكافحة المتعة المؤلمة فقط بمتعة خالصة.

لكن فلنحرصْ على ألّا نكون مغفلات. إنّنا نحاول إضافة معانٍ جديدة للجمال في بيئة لا تريدنا أن نصل إلى تلك المعاني. فقدرتنا على النظر كيفما نشاء (وأن يُسمع لنا كما نستحق أن يُسمع لنا) تتطلب ما لا يقل عن موجة نسوية ثالثة.

الكلمة

المشكلة في أي نقاش حول أسطورة الجمال هي رد الفعل المحنك الذي تستخدمه: فهي تعاقب فعلياً أي امرأة تحاول إثارة هذه القضايا عن طريق التدقيق في مظهرها. من المدهش ملاحظة مدى عمق فهمنا لهذه العقوبة الضمنية. نحن نعلم جيداً كيف تعمل تلك العقوبة في القيد المضاعف النموذجي لأسطورة الجمال: فبغضّ النظر عن مظهر المرأة، ستُستخدم أسطورة الجمال لنقض ما تقوله المعارضة، فتقوم الأسطورة بشخصنة الملاحظات (على أنها مشكلة شخصية تعاني منها) التي تدلي بها تلك المرأة حول جوانبَ من أسطورة الجمال في المجتمع.

لسوء الحظ، نظراً لأن وسائل الإعلام تقدم روتينياً روايات عن مظهر المرأة بطريقة تسخف أو تقلل من شأن ما تقوله، فإن النساء اللاتي يقرأنها أو يشاهدنها يعدلن على نحوٍ روتيني عن التشبه التام بالنساء في أعين العامة، وهو الهدف النهائي المناهض للنسوية لأسطورة الجمال. في كل مرة لا نستمع أو نغفل عما تقوله امرأة على شاشة التلفاز أو في إحدى المطبوعات لأن انتباهنا متجه لحجمها أو مكياجها أو ملابسها أو تصفيفة شعرها، تكون حينها أسطورة الجمال تعمل بكفاءة مثالية.

لتظهر المرأة في وسائل الإعلام المختلفة، فلا بد أن تواجه الخضوع للتدقيق الجسدي الغازي، والذي كما رأينا ـ بحكم تعريفه ـ لا تستطيع أي امرأة تجاوزه؛ تحدث المرأة عن أسطورة الجمال (كما هي الحال مع قضايا المرأة عموماً) يعني أنه لا توجد طريقة صحيحة يمكنها أن تظهر بها. لا يوجد موقف غير محدد أو محايد يعترف بالنساء في تلك الأوقات: إما أن يطلق عليهن (قبيحات) جداً أو (جميلات) جداً ليُصَدَّقن. تعمل هذه الانعكاسات على نحو جيد على الصعيد السياسي: فغالباً عندما تتحدث النساء اليوم عن الأسباب التي تجعلهن لا ينضممن أكثر إلى المجموعات والحركات التي تركز على النساء، فهن يركزن غالباً على الاختلافات، ولكن ليس الاختلافات في جدول العمل أو في الرؤية الكونية، إنما في الجمال والمظهر الشخصي. لكن من خلال استبقاء الأصول المناهضة للنسوية والغرض الرجعي(*) لهذا الاتجاه من الاهتمام ماثلاً في أذهاننا دائماً، يمكننا إحباط الأسطورة. بالنسبة إلينا أن نرفض الإصرار على أن مظهر المرأة هو كلمتها، أن يسمع بعضُنا بعضاً فيما وراء أسطورة الجمال، هو بحد ذاته خطوة سياسية إلى الأمام.

اللوم

اللوم هو ما يغذي أسطورة الجمال. لنُفصل الأمر، دعنا نرفض إلى الأبد إلقاء اللوم على أنفسنا وعلى النساء الأخريات بسبب ما تحاول أسطورة الجمال فعله بقوتها العظيمة. التغيير الأكثر أهمية الذي يجب أن نهدف إليه هو: عندما يحاول شخص ما ـ في المستقبل ـ استخدام أسطورة الجمال ضدنا، فلن ننظر بعد الآن في المرآة لنرى الخطأ الذي فعلناه. لا يمكن للنساء ضبط التمييز الحاصل في

(*) الرجعي: عكس التقدمي.

العمل على أساس المظهر إلا عندما يدرسن ردود الفعل المعتادة على مثل هذه الشكاوى ((حسناً، لماذا ارتديت تلك السترة الضيقة؟) (إذاً، لماذا لا تفعلين شيئاً حيال نفسك؟)) ويرفضنها. لا يمكننا التحدث عن الأسطورة حتى نؤمن إيماناً كاملاً أنه ليس ثمة من شيء موضوعي في كيفية عمل الأسطورة، حتى نؤمن أنه عندما يطلق على نساء قبيحات للغاية أو جميلات للغاية ليفعلن أمراً نريد منهن القيام به، فإن هذا لا علاقة له بمظهرنا. يمكن للمرأة أن تستجمع شجاعتها للتحدث عن الأسطورة علناً من خلال مراعاة أن الهجوم على مظهرها أو تملقه علناً لا يجعلها مذنبةً أبداً. كل ذلك غير شخصي، إنما هو سياسي.

لا شك أن الردود الانعكاسية التي طُورت لإبقائنا صامتات ستزيد من شدتها: (من السهل عليك قول هذا)، (أنت أجمل بكثير من أن تكوني نسوية)، (لا عجب أنها نسوية. انظري إليها)، (ماذا تتوقعين، بعد أن ارتدت ما ترتديه؟) (هذا ما يسببه الغرور)، (ما الذي يجعلك تعتقدين أنهم كانوا يصفرون لك؟) (ماذا كنتِ ترتدين؟) (ألا تتمنين؟)، (لا تتملقي نفسك). (لم يعد هناك أي عذر لأي امرأة بأن تبدو في سنها الحقيقي). (عنبٌ حامض(*)؟) (بيمبو(**)). (مجنونة)، (تستخدمه بأقصى ما تستطيع). بعد تمييز ردود الأفعال بما هي عليه بالفعل، قد يغدو من الأسهل تحدي الإهانة أو التملق القسري، أو كلاهما، واتخاذ بعض المواقف التي طال انتظارها.

سيكون هذا صعباً. إن الحديث عن أسطورة الجمال يسبب لنا توتراً يكون لمعظمنا شديداً. سنحتاج إلى التعاطف مع أنفسنا والنساء الأخريات بسبب توتر مشاعرنا حيال (الجمال)، وسنحتاج إلى أن نرأف بهذه المشاعر. إذا كانت أسطورة الجمال ديناً، فذلك لأن النساء ما زلن يفتقرن إلى الطقوس التي تشملهن؛ أما إذا كانت فكراً اقتصادياً، فذلك لأننا لا نزال نتلقى تعويضات غير عادلة؛ وإذا كانت جنسانية، فذلك لأن جنسانية الأنثى لا تزال قارةً مظلمة؛ وإذا كانت حرباً، فذلك لأن النساء محرومات من طرائق لرؤية أنفسهن بطلات ومتهورات ورواقيات،

(*) عنبٌ حامض: مثل معروف يقال عند استعصاء الوصول للأمر المرغوب فيه. (مأخوذ من قصة أسطورية عن محاولة ثعلب الوصول إلى العنب، فعندما تعذر عليه الأمر قال: «أساساً هو حامض ولم ينضج بعد»).

(**) بيمبو: مصطلح يشير إلى امرأة غاية في الجمال لكنها غبية.

ومتمردات؛ وإذا كانت هي ثقافة المرأة، فذلك لأن ثقافة الرجال لا تزال تقاومنا. عندما نـدرك أن الأسطورة قوية لأنها استولت على الكثير من أفضل ما في وعي الأنثى، فيمكننا أن نتحول عنها لننظر بوضوح أكبر إلى كل ما حاولت أن تحل محله.

الموجة النسوية الثالثة

وها نحن هنا. ماذا نستطيع أن نفعل؟

يجب علينا تفكيك التأهيل المهني للجمال (PBQ)، وذلك من خلال دعم التنظيم النقابي للمرأة، من خلال جعل كلٍّ من التحرشات المتعلقة بـ (الجمال)، والتمييز على أساس السن، وظروف العمل غير الآمنة مثل الجراحة القسرية، والمعيار المزدوج للمظهر، وقضايا للتفاوض بشأن العمل؛ يجب على النساء العاملات في التلفاز وغيره من المهن شديدة التميز تنظيم موجة تلو الأخرى من الدعاوى القضائية؛ يجب أن نصر على تطبيق قواعد للباس تضمن المساواة، وأن نأخذ نفساً عميقاً، ونروي قصصنا.

كثيراً ما يقال إنه يتعين علينا أن نجعل صور الأزياء والإعلانات تشملنا بما نحن عليه، ولكنَّ هذا سوء فهم متفائل على نحوٍ خطير حول كيفية عمل السوق. يعمل الإعلان الذي يستهدف النساء عن طريق خفض احترامنا لذاتنا. فإذا تملق احترامنا لذاتنا، فسيكون غير فعال. دعونا نتخلى عن هذا الأمل في سعينا أن يشملنا الدليل الإرشادي بالكامل. لن يحدث ذلك، لأنه إذا حدث، فقدْ فقدَ وظيفته. ما دام تعريف (الجمال) يأتي من خارج النساء، فسوف يستمر التلاعب بنا به.

لقد طالبنا بالحرية في التقدم بالسن مع البقاء جذابات جنسياً، لكنَّ ذلك مرتبط بقوة بحالة التقدم بالسن (بمظهرٍ شبابي). بدأنا بارتداء ملابس مريحة، لكن استقر الانزعاج حينها على أجسادنا. أصبح الجمال (الطبيعي) للسبعينيات أيقونة خاصة به؛ بينما تسبب الجمال (الصحي) في الثمانينيات في تفشي أمراضٍ جديدةٍ، وجعلت (قوة الجمال) النساءَ إماء لعضلاتهن. ستستمر هذه العملية معَ كل الجهود التي تبذلها النساء لإصلاح الدليل الإرشادي حتى نغير علاقتنا به تماماً.

إنَّ السوق لا يفتح المجال لارتقاء الوعي. إنها طاقة في غير محلها لمهاجمة صور السوق نفسها: بالنظر إلى التاريخ الحديث، فقد كان لا بد من تطويرها كما حدث.

وبينما لا نستطيع التأثير مباشرةً على الصور، إلا أنّه يمكننا استنزاف قوتها. يمكننا التخلي عنها والنظر إليها مباشرة، وإيجاد صور بديلة للجمال في ثقافة أنثوية فرعية؛ يمكننا أن نرتقي بأنفسنا وبالنساء الأخريات عن الأسطورة؛ لكن فقط إذا كنا على استعداد للبحث عن البدائل ودعمها والنظر إليها بحق.

نظراً لأن هيئتنا التخيلية تتلاشى إلى لونٍ رمادي عندما نحاول التفكير فيما وراء الأسطورة، فسنحتاج إلى مساعدة ثقافية لنتمكن من تخيل طريقنا بحرية. في معظم تاريخنا، لم يكن مظهر النساء وجنسانياتهن وجمالهن الحقيقي في أيديهن. وبعد عشرين سنة فقط من التقدم الكبير، الذي سعت فيه النساء إلى جعل من يحدد تلك الأشياء هم نحن، استحوذ السوق ـ الأكثر تأثيراً من أي فنان منفرد ـ على تعريف رغبتنا. هل سنسمح للصور الكارهة للنساء أن تطالب بحياتنا الجنسية على أنها من حقوقها؟ نحن بحاجة إلى الإصرار على جعل الثقافة تنبع من رغبتنا نحن: فمثلاً إنَّ رسم اللوحات وكتابة الروايات والمسرحيات والأفلام أمورٌ مؤثرة ومغرية وأصيلة بما يكفي لتقويض العذراء الحديدية وقهرها. دعونا نوسع ثقافتنا لفصل الجنس عن العذراء الحديدية.

وفي الوقت نفسه علينا أن نتذكر مدى مراقبة المعلنين لثقافتنا الجماهيرية فيما يخص الجمال: ما دام بث التلفاز في أوقات الذروة ومنشورات الصحافة السائدة الموجهة إلى النساء يدعمها معلنو الجمال، فإنَّ سير القصة عن كيف يجب أن تكون المرأة في الثقافة الجماهيرية سوف تمليه أسطورة الجمال. يتضح جلياً أنّه نادراً ما تُكتب قصص تتمحور حول الإعجاب بالمرأة (غير المعالجة). إذا تمكنا من رؤية امرأة تبلغ من العمر ستين عاماً تبدو بسنها وهي تقرأ الأخبار، فسيسبب هذا شرخاً عميقاً في أسطورة الجمال. وفي الوقت نفسه، دعونا نكن واضحين: إن الأسطورة تحكم الموجات الهوائية (الإعلام) فقط، ذلك أن منتجات عملية المعالجة تشتري الزمن.

أخيراً، يمكننا أن نبقي نظرتنا التحليلية حادةً دائماً، مدركات للأشكال التي يمكن أن تؤثر العذراء الحديدية على كيفية رؤيتنا لصورها واستيعابها والاستجابة

لها. وبسرعة، مع هذا الوعي، فإنها تبدأ بأن تبدو على حقيقتها، ثنائية الأبعاد. إنَّها تتهاوى لشكلها المسطح. عندما تصبح مملة بالنسبة إلينا، ستتطور لتتكيف مع تقلبات مزاج المرأة؛ فلا يمكن للمعلن التأثير على سير القصة إذا لم يكن هناك جمهور. واستجابة للضجر الشديد من جانب النساء، سيضطر صانعو الثقافة إلى تقديم صور ثلاثية الأبعاد للنساء من أجل إشراكنا مجدداً في هذا. لكن يمكن للمرأة ـ من خلال مللنا المفاجئ من العذراء الحديدية ـ أن تثير ثقافة جماهيرية تعاملنا بالفعل كأناس.

في عملية تغيير البيئة الثقافية، تعتبر النساء اللائي يعملن في وسائل الإعلام الرئيسية طليعة داخلية في غاية الأهمية. لقد سمعت الكثير من النساء في وسائل الإعلام يعبرن عن إحباطهن من القيود المحيطة بمعالجة قضايا أساطير الجمال. أفادت كثيرات منهن بشعورٍ بالعزلة فيما يتعلق بدفع تلك الحدود. ربما سيشكل النقاش المُجدد بمزيد من المصطلحات السياسية حول أسطورة الجمال في وسائل الإعلام، وخطورة عواقبها، تحالفات جديدة لدعم أولئك النساء في الصحافة المطبوعة والتلفزيونية والإذاعية، اللواتي يَتُقْنَ إلى محاربة أسطورة الجمال في الأرض صفر(*).

بسرعة، عندما نجتمع على ثقافة شخصية مضادة تتمحور حول صور الجمال ذات المغزى، تبدأ العذراء الحديدية بالظهور بصورة عنيفة غير جذابة؛ كطريقة بديلة لرؤية بداية القفزة من تلك الخلفية.

(لم تكن روزماري فيل جميلة تماماً. لا، لا يمكنك أن تقولي عنها جميلة. حسنة الشكل؟ ممكن، إذا جزأتِها إلى قطع... لكن لماذا يجب أن تكوني قاسيةً جداً لدرجة أن تجزئي أي شخص إلى قطع؟)، (كاثرين مانسفيلد).

(بالنسبة إلى ليلي Lily فقد كان جمالها يبدو شيئاً لا معنى له، لأنه لم يكسبها شيئاً في طريق العاطفة أو الإفراج أو القرابة أو العلاقة الحميمة...)، (جين سمايلي).

(*) الأرض صفر: ترمز للنشاط العنيف. أما هي (أرض الصفر أو جراوند زيرو) فهي منطقة في مدينة نيويورك أنشئت بعد مشروع مانهاتن والحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٦، وكان فيها مركز التجارة العالمي.

(كانت جميلة بشكل مدهش.... للجمال هذه العقوبة، لقد جاء بسهولة تامة، جاء كاملاً للغاية. لقد أسكت الحياة، جمدها. نسي المرء الهياج البسيط، الاحمرار، الشحوب، بعض التشوهات الغريبة، بعض الضوء أو الظل، جعل الوجه غير معروف للحظة، ولكنه أضاف فضيلة بعد ذلك إلى الأبد. كان من الأبسط تخفيف كل ذلك تحت غطاء الجمال...)، (فرجينيا وولف).

(إذا كان هناك أي شيء وراء الوجه، فهو أنَّ ذلك الوجه يتحسن مع تقدم العمر. تُظهر الخطوط التميز والشخصية: إنها تُظهر أن المرء قد عاش حياته، أن ذلك الشخص ربما قد عَرف شيئاً ما)، (كارين دي كرو).

(على الرغم من أنها تجاوزت الآن الخمسين... كان من الممكن تقدير هذا إذا ما سمع أحدٌ عن المشاعر التي ألهمتها. يحتفظ الأشخاص الذين تلقوا كثيراً من الحب ـ حتى في سنٍّ متقدمة ـ بطابع نوراني يصعب وصفه ولكن لا لبس فيه. حتى الحجر الذي اشتعلت فيه النيران طوال اليوم سوف يظل يحمل حرارةً بعد أن يخيّم الليل... سيحمل هذا الإشعاع الدافئ)، (دام إيثيل سميث Dame Ethyl Smyth).

تشهد طائفة الجمال على المخمصة الروحية للطقوس النسائية وطقوس العبور. نحن بحاجة إلى التطوير والرقي بطقوس أفضل للمرأة لملء الفراغ. هل يمكننا أن نتطور على نطاق أوسع بين الأصدقاء، وبين شبكات الأصدقاء، وبطقوس جديدة مثمرة وباحتفالات لدورة حياة الإناث؟ لدينا حمامات اغتسال للأطفال وللعرسان، لكن ماذا عن التزكية والتعميد والشفاء ومراسم تجديد النذور للولادة والحيض الأول وفقدان العذرية والتخرج والوظيفة الأولى والزواج والشفاء من كسر القلب أو الطلاق أو الحصول على شهادة أو انقطاع الطمث؟ أياً كان الشكل العضوي الذي تتخذه، نحتاج إلى احتفالات جديدة وإيجابية ـ وليست سلبية ـ لوسم حياة الإناث.

لحماية حياتنا الجنسية من أسطورة الجمال، يمكننا أن نؤمن بأهمية الاعتزاز والتربية والاهتمام بحياتنا الجنسية كما لأي حيوانٍ أو طفل. الحياة الجنسية ليست خاملة، ولا تُمنح، لكنَّها ـ ككائنات حية ـ تتغير بتغير ما نتغذى عليه. يمكننا الابتعاد عن صور العنف أو الاستغلال الجنسي غير المسوغة، وعندما نصادفها، نطلب من أنفسنا أن نشعر بها على هذا النحو. يمكننا السعي وراء تلك الأحلام

والرؤى التي تشمل حياة جنسية خالية من الاستغلال أو العنف، ونحاول أن نبقى واعيات لما ندخله في تصوراتنا، كما نحن الآن واعيات لما يدخل إلى أجسادنا.

من الصعب الآن تصور الإثارة الجنسية للمساواة. تميل انتقادات الجنسانية إلى التوقف سريعاً عند افتراض أن الجنسانية لا يمكن أن تتطور. لكن بالمقابل نرى أنَّ معظم النساء يتعلمن خيالات التشييء أو العنف سطحياً من خلال مجموعة من الصور. أؤمن أنه من الممكن محو ذلك التعليم من خلال قلب عملية التكيف التي نخضع لها بوعي، من خلال الربط المتكرر بين المتعة وتبادل العواطف. أفكارنا عن الجمال الجنسي مفتوحة لتخضع لمزيد من التحول أكثر مما ندرك حتى الآن.

عند مواجهة الأسطورة، فإن الأسئلة التي يجب طرحها يجب ألا تتعلق بوجوه النساء وأجسادهن، وإنما يجب أن تتعلق بعلاقات القوة في الحالة الراهنة. من الذين تخدمهم الأسطورة؟ من المتكلم فيها؟ من المستفيد؟ ما هو السياق؟ عندما يناقش شخص ما مظهر امرأة أمامها، فيمكنها أن تسأل نفسها ما علاقة ذلك الشخص بهذا؟ هل علاقات القوة متساوية؟ هل ستشعر بالراحة عند تقديم نفس التعليقات الشخصية في المقابل؟

وغالباً ما يتم لفت انتباه المرأة إلى مظهرها لسبب سياسي أكثر من كونه عنصراً من عناصر الجاذبية والرغبة الأصيلة. يمكننا أن نتعلم كيف نحسن تمييزنا لهذا، وهي مهارة تحريرية في حد ذاتها. لا نحتاج إلى إدانة الشهوة أو الإغواء أو الانجذاب الجسدي، بل هي سِمَات أكثر ديمقراطية وشخصية مما يريد السوق أن نكتشفه، إنما يجب علينا رفض التلاعب السياسي بها.

هذا الضغط الذي تعيشه النساء سيجعلهن يتحولن لحركة سياسية، لموجة نسوية ثالثة، كرد فعل على التأثيرات السلبية للموجة النسوية السابقة.

لا أدعي أن لدي جدول الأعمال الخاص بهنّ؛ كل ما أعرفه أن بعض المشاكل قد تغيرت. لقد أصبحت مقتنعةً أن هناك آلاف الشابات مستعدات ومتشوقات للانضمام إلى الموجة النسوية الثالثة التي يقودها الأقران والتي ستواجه ـ إلى جانب الأجندة النسوية الكلاسيكية ـ المشاكل الجديدة التي نشأت مع التحول في روح العصر ورد فعل الجمال. ستحتاج الحركة إلى التعامل مع

غموض الاستيعاب. تكون الشابات عند تعبيرهن عن شعورهن بالخوف والعزلة (باطنيات) بدلاً من كونهن خارجيات متحدات غاضبات، وهذا التميز يجعل رد الفعل المتمثل بأسطورة الجمال منطقياً: حيث إنَّ أفضل طريقة لإيقاف الثورة هي إعطاء الناس شيئاً يخسرونه. فقد يحتجنَ إلى تسييس اضطرابات الشهية، والعلاقة الشديدة الفريدة للشابات بالصور، وتأثير تلك الصور على حياتهن الجنسية. سوف يحتاج الأمر إلى توضيح أنّه ليس لديك الكثير من الحق في جسمك إن لم تستطيعي الأكل. قد تحتاج إلى تحليل البروباغاندا المعادية للنسوية التي ورثتها الشابات، وأن تمنحهن أدوات، تشمل حُججاً كهذه، والتي يمكنهن باستخدامها فهم الأمر. في الوقت الذي ينقل فيه التراث السابق للحركة النسائية بسلامة، يجب أن يصبح الأمر حينها مدفوعاً من قِبل الأقران، كما كانت جميع الموجات النسائية: ذلك أنّه بغض النظر عن مدى حكمة نصيحة الأم، نستمع إلى نظيراتنا. سيتعين عليها أن تجعل من البهجة والصخب والاحتفال الطائش جزءاً من مشروعها بقدر ما تجعل للعمل الشاق والنضال المرير، ويمكن أن تبدأ كل هذا برفض الأكذوبة الخبيثة التي تصيب النساء الشابات، تلك الأكذوبة التي تسمى ما بعد النسوية، الأمل الديني بأنَّ جميع المعارك قد انتهت بالانتصار. هذه الكلمة المخيفة تجعل الشابات، اللواتي يواجهن الكثير من المشاكل القديمة نفسها، يلمن أنفسهن مرة أخرى؛ ذلك أنَّ تلك المشكلات قد حُلّت جميعها، أليس كذلك؟ إنها تجردهن من سلاح النظرية وتجعلهن يشعرن بالوحدة مرة أخرى. نحن لا نتحدث أبداً برضى عن حقبة ما بعد الديمقراطية: نعلم أنَّ الديمقراطية هي شيء حيٌّ وهشٌّ يجب على كل جيل تجديده. وينطبق الأمر ذاته على هذا الجانب من الديمقراطية الذي تمثله الحركة النسائية. لذلك دعونا نواصل بها.

تعلمت النساء التعطش لـ (الجمال) في شكله المعاصر، لأننا كنا نتعلم في الوقت نفسه أن النضال النسوي سيكون أصعب بكثير مما كُنّا ندرك. كانت أيديولوجية (الجمال) وعداً مختصراً لنساء هائجات (علاجاً تاريخياً زائفاً) بأنّه يمكننا فيها أن نكون واثقات، ونحصل على التقدير، وأن يكون صوتنا مسموعاً ونتلقى الاحترام ونطرح مطالبنا دون خوف (في الواقع، من المشكوك فيه جداً ما إذا كان (الجمال) هو حقاً الرغبة الحقيقية؛ فقد ترغب النساء في (الجمال) حتى يتمكّنَّ من العودة إلى أجسادهن، ونتطلع إلى الكمال حتى ننسى كل تلك

المعاناة. معظم النساء، في دواخلهن، من المحتمل أن يفضلن في ضوء الاختيار ذواتهن الجنسية والشجاعة، على أن يكنّ شخصاً آخر جميلاً).

تَعِد نسخ إعلانات الجمال بهذا النوع من الشجاعة والحرية (فتضمنت مثلاً: (ثياب البحر لنساءٍ جميلات وشجاعات)؛ (مظهراً جديداً بعيداً كل البعد عن الخوف)؛ (شجاعة غير تقليدية)؛ (فكراً راديكالياً)؛ (مقاتلات من أجل الحرية) (للمرأة التي لا تخاف من التحدث أو الوقوف)). لكن هذه الشجاعة والثقة لن تكون حقيقية حتى نتلقى دعماً بالمكاسب المادية التي لا يمكننا تحقيقها إلا من خلال رؤية النساء الأخريات كحليفات، بدلاً من كونهن منافسات.

حاولت فترة الثمانينيات شراءنا بوعود من الحلول الفردية. لقد وصلنا إلى الحد الأقصى لما يمكن أن تفعله نسخة أسطورة الجمال الفردية لتقدم الإناث، ولم تكن جيدة بما يكفي: جعلتنا نشغل ٢ بالمئة من أعضاء الإدارات العليا و٥ بالمئة من الأساتذة في المجالات التخصصية و٥ بالمئة من كبار الشركاء، وسنبقى هكذا إلى الأبد ما لم نجتمع معاً لدعم الموجة الجديدة المقبلة. من الواضح أن عظام الخد المرتفعة والصدر الظاهر المتين لن يعطيانا ما نحتاج إليه من بصيرة وثقة حقيقية؛ ما سيعطينا إياه هو فقط الالتزام المتجدد بأساسيات التقدم السياسي الأنثوي، من برامج رعاية الأطفال، والقوانين الفعالة لمكافحة التميز، والإجازة الوالدية، وحق الاختيار بالإنجاب، والتعويض العادل، والعقوبات الحقيقية ضد العنف الجنسي. لن نحصل على هذه الأمور حتى نتمكن من تحديد اهتماماتنا بالنساء الأخريات، والسماح لتضامننا الطبيعي بالتغلب على العقبات التنظيمية التي يطرحها شعور المنافسة والندية التي يثيرها رد فعل الجمال بيننا عمداً.

الحقيقة الفظيعة هي أنه على الرغم من أن السوق يروج للأسطورة، إلا أنها ستكون عاجزةً إذا لم تدعمها النساء ضد بعضهن. ولكي تتفوق أي امرأة على الأسطورة، فإنها تحتاج إلى دعم العديد من النساء؛ ذلك أنَّ التغيير الأصعب ـ ولكنه الأكثر ضرورة ـ لن يخرج من الرجال، ولا من وسائل الإعلام، إنما من النساء أنفسهن، بالطريقة التي ننظر بها إلى النساء الأخريات ونعاملهن بها.

تعاون الأجيال

تحتاج الروابط بين أجيال النساء إلى الترميم، وذلك إذا أردنا إنقاذ بعضنا من أسطورة الجمال، وإنقاذ تقدم المرأة من مصيرها التاريخي السابق، من تجريب المجرب. تكشف المحررة في مجلة *Company* جيل هدسون Gill Hudson عن مدى انتشار تأثير ردة فعل الجمال على الشباب تقول: لا تريد الشابات (إطلاقاً أن يُعرفن بأنهن نسويات)، لأن (المرأة النسوية لا تعتبر مثيرة جنسياً). إنَّه لمن الغباء والمحزن أن تضطر نساء المستقبل القريب إلى خوض نفس المعارك القديمة من جديد من البداية بسبب انعزال الشابات عن النساء الأكبر سناً منهن. سيكون أمراً مثيراً للشفقة إذا اضطرت الشابات للعودة إلى البداية، لأننا خضنا حملة مزيفة لعشرين عاماً لتصوير الحركة النسائية على أنها (ليست مثيرة جنسياً)، فقد كانت هذه الحملة تهدف إلى مساعدة الشابات على نسيان المعارك التي جعلت الجنس مثيراً جنسياً في المقام الأول.

نظراً لأن مؤسساتنا لن تشجع الشابات على إنشاء تلك الصلات، فلا يمكننا تجاوز الأسطورة إلا من خلال الاستكشاف الفعال لقدواتٍ أكثر فائدة مما تقدمه لنا تلك المجلات. نحن بحاجة ماسة إلى التواصل بين الأجيال: نحن بحاجة إلى رؤية وجوه النساء اللائي جعلن حريتنا ممكنة؛ إنَّهن بحاجة لسماع شكرنا لهن. فالشابات الآن (لا يحظين باهتمام كبير بتربيتهن) (غير محميات، تائهات) مؤسسياً على نحوٍ خطير، ويحتجن إلى القدوات والمرشدات. ويقدم عمل وخبرة النساء الأكبر سناً عدسة موضحة وتأثيراً عند نقلها إلى الطالبات والمتدربات المهنيات والمتربيات جيداً. ومع ذلك، سيتعين على كلا الجيلين مقاومة دفعات متأصلة خارجياً ضد حصول التعاون بين الجيلين. نحن مدربات تدريباً جيداً (إذا كُنا شابات) للتخلي عن الاندماج مع النساء الأكبر سناً؛ والنساء الكبار في السن، بكونهن قاسيات قليلاً على الشابات، ينظرن إليهن دون صبر وبازدراء. وبذلك فإنَّ أسطورة الجمال مصمَّمةٌ بتعمد لتحريض أجيال النساء ضد بعضهن. إن تقويتنا بوعيٍ لتلك الروابط تعيد لنا كمال فترة حياتنا التي منعتنا أسطورة الجمال من اكتشافها.

فرّق تسُد

الحقيقة هي أنَّ النساء في الواقع لا يشكلن خطراً على بعضهن. خارج الأسطورة، تبدو النساء الأخريات كحليفات طبيعيات. لتتعلم النساء الخوف من بعضهن، كان يجب إقناعنا بأنَّ أخواتنا يمتلكن نوعاً من سلاح سري غامض وفعال يستخدمنه ضدنا، السلاح التخيلي، ألا وهو (الجمال).

جوهر الأسطورة ـ والسبب في أنها كانت مفيدة جداً في مواجهة النزعة النسائية ـ هو الانقسام. يمكنك رؤية ذلك وسماعه في كل مكان: (لا تكرهيني لأنني جميلة) (لوريال). (أنا حقاً أكره مدربة التمارين الرياضية، أعتقد أن الكراهية هي دافع جيد). (أنت تكرهينها. لديها كل شيء). (النساء اللاتي يبدون جميلات فور استيقاظهن يزعجنني حقاً). (ألا تكرهين النساء اللواتي يستطعن أن يأكلن هكذا؟) (لا يوجد مسام؛ ذلك يجعلك مريضةً). (طويلة وشقراء! ألا يمكنك قتلها فحسب؟). إنَّ التنافس، والاستياء، والعداء، الناجمة عن أسطورة الجمال، كلها عميقة. تتذكر الأخوات عموماً الحزن الذي يعتري إحداهن بعد تصنيفها على أنّها (الجميلة) بينهن. وغالباً ما تواجه الأمهات صعوبةً في جعل بناتهن مزدهرات حينها. نشوء الغيرة بين أفضل الصديقات هي حقيقة قاسية للحب عند النساء. حتى النساء العاشقات يقمن مسابقة جمال فيما بينهن. إنَّه لمن المؤلم بالنسبة إلى المرأة أن تتحدث عن الجمال لأنه في ظل الأسطورة يستخدم جسد امرأة لإيذاء امرأة أخرى. تصبح وجوهنا وأجسادنا أدواتٍ لمعاقبة النساء الأخريات، وغالباً ما تُستخدم خارج سيطرتنا وضد إرادتنا. في الوقت الحاضر، (الجمال) هو مدرسة اقتصادية تجد فيه النساء أنَّ (قيمة) وجوههن وأجسادهن تتضارب مع قيمة وجوه النساء الأخريات وأجسادهن، بغض النظر عن القيمة الفردية لكلٍّ منها. هذه المقارنة المستمرة، التي تتقلب فيها قيمة امرأة بعينها بوجود امرأة أخرى، تعمل على مبدأ فرّق تَسُدْ. إنها تجبر النساء على أن يكن متقدات بشدة لـ (الاختيارات) التي تتخذها النساء الأخريات حول شكلهن. لكنَّ هذا الفكر الاقتصادي الذي يثير النساء تجاه بعضهن لا مفر منه.

للتغلب على هذا الانقسام، سيتعين على النساء ارتكاب الكثير من المحرمات التي تحرم الحديث عن ذلك الانقسام، بما في ذلك تلك المحرمات التي تحظر

على المرأة سرد الجانب المظلم من معاملتها كشيء جميل(*). بعد استماعي للعشرات من النساء، أصبح من الواضح أن مقدار الألم الذي تعاني منه المرأة في أسطورة الجمال لا علاقة له على الإطلاق بما تبدو عليه مقارنةً مع المرأة المثالية في الثقافة. (على حدّ تعبير إحدى عارضات الأزياء المشهورات، (عندما كنت على غلاف مجلة *Vogue*، أخبرني الجميع كم كنت أبدو رائعة. فكرت حينها (لا أستطيع أن أصدق أنك لا تستطيع رؤية كل هذه الخطوط)). النساء اللائي يتحلن شخصية العذراء الحديدية قد يكنَّ ضحايا للأسطورة، وذلك على الأقل كما تكون النساء اللائي يخضعن لصورهن. تطلب الأسطورة من النساء أن يكن معاديات للنساء الأخريات دون تفكير، ويحسدنهن على (الجمال). كلٌّ من العداء والحسد يخدمان الأسطورة ويضران بجميع النساء.

كون المرأة (الجميلة) في قمة النظام لفترة وجيزة لهو بالطبع بعيدٌ عن حالة النعمة الإلهية التي تدعيها الأسطورة. المتعة في تحول المرء إلى قطعة فنية حية، الصخب في الأذنين ورذاذٌ ناعمٌ على سطح الجلد، هو نوع من القوة، وذلك عندما تكون السلطة غير متوفرة لهن. لكنها لا تقارن كثيراً بسرور العودة داخل الجسم إلى الأبد؛ بما فيها من متعة اكتشاف الكبرياء الجنسي، فرحة في الحياة الجنسية الأنثوية العامة التي تتغلب على انقسامات (الجمال)؛ متعة التخلي عن الوعي الذاتي والنرجسية والشعور بالذنب مثل الأثواب المصنعة من السلاسل؛ متعة حرية نسيان كل ما يخص ذلك.

عندها فقط ستتمكن النساء من التحدث عن سيئات ينطوي عليها (الجمال) حقاً، ألا وهي: لفت انتباه الأشخاص الذين لا نعرفهم، والمكافآت على أشياء لم نكتسبها، والجنس مع رجال يصلون إلينا كما يفعلون في لعبة إمساك الخاتم الدوار، والعداء والشك اللذان نتلقاهما من النساء الأخريات، وامتداد فترة المراهقة لفترة أطول مما ينبغي، والشيخوخة القاسية، والنضال الطويل القاسي من أجل الهوية. ستتعلم أن ما هو جيد حيال (الجمال) (الوعد بالثقة والجنسانية واحترام الذات عند المرأة الصحية السليمة) هو في الواقع صفات لا علاقة لها بـ (الجمال) على وجه التحديد، بل تستحقها جميع النساء، وذلك بتفكيك الأسطورة. أفضل

(*) المقصد كجماد جميل لا روح فيه.

ما يقدمه (الجمال) هو ملكٌ لنا جميعاً بالحق الذي نمتلكه باعتبارنا إناثاً. عندما نفصل (الجمال) عن الجنسانية، عندما نحتفل بتفرد مزايانا وخصائصنا الشخصية، حينها سنحصل على المتعة في أجسادنا التي توحدنا بدلاً من أن تفرقنا. وسوف تصبح أسطورة الجمال حينها من الماضي.

لكن ما دامت النساء يراقبنَ في بعضهن الحقائق عن تجاربهن، فسيبقى (الجمال) غامضاً وسيبقى مفيداً جداً لأولئك الذين يرغبون في السيطرة على النساء. الحقيقة غير المقبولة هي أنّنا نعيش في ظل نظام الطبقات. إنَّ هذه الحقيقة ليست فطرية ولا دائمة؛ وهي لا تقوم على الجنس أو الإله أو صخرة العصور. ويمكن ويجب تغييرها. يُضيِّق الوضعُ الخناقَ علينا أكثر فأكثر، وليس هنالك من وقتٍ طويلٍ كفاية لتأجيل الحوار.

عندما يبدأ الحوار، ستبدأ الحواجز الصناعية للأسطورة بالتساقط. سنسمع أنّه كون امرأة تبدو (جميلة) فقط لا يعني أنّها تشعر بذلك، ويمكن أن تشعر بأنها جميلة دون أن تبدو كذلك للوهلة الأولى. قد تشعر النساء النحيفات بأنهن سمينات؛ وستتقدم الشابات بالسن. عندما تنظر امرأةٌ ما لأخرى، لا يمكنها معرفة الصورة الذاتية الداخلية لتلك المرأة؛ فمثلاً: على الرغم من أنّها تبدو مسيطرة إلى حدٍّ تُحسد عليه، إلا أنّها قد تكون تتضور جوعاً؛ وبالمقابل على الرغم من أنّها تملأ ما ترتديه، فقد تكون راضية جنسياً بدرجة تُحسد عليها. قد تكون المرأة خدلجة(*) نتيجة ارتفاع تقدير الذات أو انخفاضه عندها؛ قد تغطي وجهها بالمكياج رغبةً بالعبث أو رغبةً بالاختباء. جربت جميع النساء معاملة العالم لهن بطريقة أفضل أو أسوأ تبعاً لتصنيفهن لكل يوم: وفي حين أنَّ هذه التجربة تفسد هوية المرأة، إلا أنّها تعني أنَّ النساء قد وصلن إلى مجال أوسع بكثير من التجارب مقارنة بما كانت تريدنا لقطات (الجمال) التي أُخذت لنا تصديقه. قد نستكشف أنَّ الطريقة التي نقرأ بها الآن المظاهر لا تخبرنا إلا القليل عن المرأة، وأننا خضنا تجاربَ ـ بغض النظر عن المظهر الذي نبدو عليه ـ لنفس الطيف من المشاعر: فأحياناً محبوبة، وغالباً غير محبوبة، أنثوية دائماً، في قاسم مشترك يمتد عبر شبكات لانهائية تحاول أسطورة الجمال رسمها بيننا.



(*) خدلجة: درجة من درجات السمنة، تكون ممتلئة اللحم.

تلوم النساءُ الرجالَ على النظر وليس على الاستماع. لكننا نقوم بذلك أيضاً؛ بل ربما أكثر منهم. علينا التوقف عن قراءة مظهر بعضنا كما لو كان المظهر لغة، أو ولاءً سياسياً، أو أنَّه قيمة الشخص، أو عدواناً. الاحتمالات ممتازة بأن يكون ما تعني المرأة قوله للنساء الأخريات أكثر تعقيداً وتعاطفاً من الرسالة المحرفة التي يسمح لها مظهرها بنقله.

لنبدأ بإعادة تفسير (الجمال) اللاتنافسي واللاهرمي واللاعنفي. لَم يجب أن تعني متعة امرأة ما وفخرها ألماً لامرأة أخرى؟ لا يكون الرجال في منافسة جنسية إلا عندما يتنافسون جنسياً، لكن الأسطورة تضع النساء في منافسة (جنسية) في جميع المواقف. التنافس على شريك جنسي معين نادر الحصول؛ ذلك أنَّها ليست من العادة أن تكون منافسة (على الرجال)، ذلك أنَّها ليست حتمية بيولوجية.

تتنافس النساء بهذه الطريقة (على باقي النساء)، وذلك جزئياً لكوننا نتبع نفس الطائفة، وجزئياً لملء الثقب الأسود الذي خلفته الأسطورة في المقام الأول، ولو مؤقتاً. غالباً ما تكون المنافسة العدائية دليلاً على ما تقمعه ترتيباتنا الجنسية الحالية.

من خلال تغيير حكمنا المسبق على بعضنا، سنمتلك الوسيلة لبدء التجربة اللاتنافسية للجمال. تتمثل (المرأة الأخرى) في أسطورة الجمال كخطر مجهول؛ فمثلاً قالت نشرة صبغة شعر لشركة ويلا: (قابلي المرأة الأخرى)، مشيرة إلى النسخة (اللاحقة) من المرأة المستهدفة. الفكرة هي أنَّ (الجمال) يحول النساء الأخريات (بل وحتى صورتهن المثالية) إلى كائنات غريبة لدرجة أنك تحتاجين تعريفاً رسمياً. هي عبارة تشير إلى عشيقات فاتنات مهددات مدمرات للعلاقات.

نحن نقوم بإبطال الأسطورة من خلال الاقتراب من المرأة الأخرى المجهولة. وبما أنَّ تجارب النساء اليومية بالاهتمام الغزلي مستمدة في معظم الأحيان من ردود فعل الرجال على (جمالنا)، فليس من العجب أنَّ النساء الصامتات المراقبات يتمثلن لنا كمعاديات.

يمكننا صهر هذا الشك وتلك المسافة: لِمَ لا ينبغي أن نكون نبيلات وغنجات تجاه بعضنا؟ لنسحر بعضنا ببعضٍ من ذلك الاهتمام اللماع الذي كثيراً ما يُحتفظ به للرجال فقط: يمدح بعضُنا بعضاً، نظهر إعجابنا ببعضنا. يمكننا التواصل مع المرأة الأخرى، نلفت انتباهها ونُقِلّها عندما تحتاج إلى ذلك، نحتويها

عندما تعاني. عندما نقترب من بعضنا في الشارع نمنح ـ أو نتلقى ـ تلك النظرة الحذرة والدفاعية المتفحصة لزينة الأخرى من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين، لكن ماذا لو نظرنا لعيون بعضنا؟ ماذا لو ابتسمنا؟!

هذه الحركة المتوجهة لفكرة اللاتنافسية للجمال موجودة بالفعل. لطالما أنكرت الأسطورة شرف المرأة؛ فترانا هنا وهناك، نقوم بتطوير قواعد الشرف لحمايتنا من تلك الأسطورة. نحن مع النقد السهل القديم. نغدق الثناء الأصيل. ننسحب من المواقف الاجتماعية التي يُستخدم فيها جمالنا لوضع النساء الأخريات في الظلال. نرفض التزاحم للحصول على اهتمام الذكور العشوائي. قامت إحدى المتسابقات في مسابقة ملكة جمال كاليفورنيا عام ١٩٨٩ بسحب إعلانها لملابس السباحة وقالت عنه: مسابقات تؤذي جميع النساء. أخبرتني ممثلة سينمائية أنّه عندما قدمت مشهد عري رفضت ـ كإيماء للنساء في الحضور ـ أن تضبط جسدها في البداية. نحن مسبقاً نبدأ بإيجاد طرائق لا نكون فيها متنافسات، ولن نكون بها أدواتٍ.

لا يغير هذا المنظور الجديد كيف نبدو، إنما كيف نرى. بدأنا برؤية وجوه وأجساد باقي النساء بأنها لهن، لم تعد العذراء الحديدية جزءاً مدمجاً. نلتقط أنفاسنا عندما نرى امرأةً تضحك، نبتهج في داخلنا عندما نرى امرأة تمشي باعتزاز، نبتسم في المرآة لنرى الخطوط في زوايا عيوننا، ونبتسم مجدداً مسرورات بذلك.

على الرغم من أنَّ النساء يمكنهن تناقل هذا المفهوم فيما بينهن، إلا أنَّ مشاركة الرجال في قلب الأسطورة أمرٌ مرحبٌ به. بعض الرجال بالتأكيد قد استخدموا أسطورة الجمال ضد النساء بطريقة سيئة، كالتي يستخدم فيها بعض الرجال قبضتهم؛ لكنّ هنالك وعياً كبيراً عند كلا الجنسين أنَّ العوامل الحقيقية التي تفرض أسطورة الجمال اليوم ليست الرجال العاشقين بعينهم، ولا الأزواج، إنما المؤسسات التي تعتمد على هيمنة الذكور. يبدو أنَّ كلا الجنسين يجد أنَّ القوة الكاملة للأسطورة لا تنبع من العلاقات الجنسية الخاصة إلا على نحوٍ ضئيل، إنما تنبع على نحوٍ أوسع بكثير من الميغاليثات(*) الثقافية والاقتصادية (هناك) في المجال العام. وعلى نحوٍ متزايد يعرف كلا الجنسين أنّهما قد تعرضا للخداع.

(*) الميغاليث: هو الحجر الضخم غير المنحوت، وكثيراً ما يشار به إلى الأحجار التاريخية.

لكنَّ مساعدة النساء على تمزيق الأسطورة هو في مصلحة الرجال على مستوى أعمق: فدورهم هو التالي. اكتشف المعلنون مؤخراً أنَّ تقويض الثقة الذاتية الجنسية يقوم بعمله بغض النظر عن الجنس المستهدف. وطبقاً لصحيفة *The Guardian* فإنَّ (الرجال الآن يقفون أمام المرآة لينظروا إلى أشكالهم بدل أشكال الفتيات... يمكن الآن رؤية رجال وسيمين يبيعون أي شيء). وباستخدام صور للثقافة الفرعية الذكورية للمثليين، بدأت الإعلانات بتصوير الجسد الذكري ضمن أسطورة جمالٍ خاصة به. وبتركيز هذه الصور بقربٍ أكبر على جنسانية الرجل، فهي ستقوض التقدير الذاتي الجنسي للرجال على العموم. وبما أنّ الرجال مهيؤون أكثر للانفصال عن أجسادهم، وللمنافسة على الشطط اللابشري، فإنَّ النسخة الذكورية ربما ستؤذي الرجال أكثر مما فعلت نسخة النساء بالنساء.

يتوقع الأطباء النفسيون زيادة معدلات إصابة الذكور بأمراض الشهية. والآن بعد أن اختير الرجال كممثلين لواجهة سوق ينفتح على الكراهية الذاتية، بدأت الصور تخبر الرجال متغايري الجنس نفس الحقيقة المجتزأة حول ما ترغب فيه النساء وكيف يرون ما كانوا يقولونه تقليدياً للنساء متغايرات الجنس في الرجال؛ ولكن إذا اقتنعوا بذلك وأسروا أنفسهم به، فلن يكون ذلك نصراً للنساء. لن يفوز أحد.

من مصلحة الرجال أيضاً إبطال الأسطورة، لأنَّ النجاة في هذا الكوكب تعتمد على ذلك. لم تعد الأرض تستطيع تحمل أيديولوجية الاستهلاك القائمة على التبذير الشره الناجم عن السخط الجنسي والمادي. يجب علينا أن نبدأ في الشعور برضًى دائم عن الأشياء التي نستهلكها. لقد تصورنا الكوكب على أنَّه أنثوي (الطبيعة الأم المعطاءة) كما تصورنا الجسد الأنثوي (قابلاً للتغير إلى ما لانهاية من قبل الرجال ومن أجلهم). إنَّنا نخدم أنفسنا وآمالنا بالكوكب إن أصررنا على واقع أنثوي جديد تقوم عليه استعارة جديدة لكوكب الأرض، وهي: الجسد الأنثوي بسلامته العضوية الأساسية، الواجب احترامه.

تتطلب الأزمة البيئية طريقة جديدة في التفكير تكون مجتمعية وجماعية وليست عدائية، ونحن بحاجة إليها بسرعة. يمكننا أن ندعو ونأمل أن تطور المؤسسات الذكورية طريقة التفكير المعقدة وغير المألوفة هذه في غضون بضع سنوات قصيرة؛ أو يمكننا أن نتجه إلى التقاليد الأنثوية، المتقنة بعد استخدامها

لخمسة آلاف سنة، وأن نُكيفها مع المجال العام الحالي. ولكن نظراً لأن أسطورة الجمال تحجب التقليد الأنثوي، فإننا نحتفظ بذلك الخيار الحاسم بالنسبة إلى الكوكب متاحاً عندما نقاومها.

ونبقي الخيارات متاحة أمامنا. لا نحتاج إلى تغيير أجسامنا، بل نحتاج إلى تغيير القواعد. فما وراء الأسطورة، ستظل تُلام المرأة على مظهرها ممن يحتاج إلى لومنا. لذلك دعونا نتوقف عن إلقاء اللوم على أنفسنا والتوقف عن السعي الشديد والتوقف عن الاعتذار، ولنبدأ بإرضاء أنفسنا رضًى دائماً. فحتى المرأة (الجميلة) لا تفوز في ظل الأسطورة؛ ولا أي امرأة أخرى. المرأة التي تتعرض للإدانة المستمرة من الغرباء لا تفوز، ولا المرأة التي تحرم نفسها من الاهتمام. المرأة التي ترتدي الزي الرسمي لا تفوز، ولا المرأة التي ترتدي الملابس المصممة لكل أيام السنة. أنتِ لا تفوزين بالنضال نحو قمة النظام الطبقي، بل تفوزين بالرفض المطلق للوقوع في شرك أحد تلك الأنظمة. لا تفوز إلا المرأة التي تسمي نفسها جميلة وتتحدى العالم ليتغير فيراها كذلك بحق.

هل يمكن أن يكون هناك تعريف للجمال مؤيد للمرأة؟ بالطبع. الأمر المفقود هو اللعب. أسطورة الجمال ضارة ومغرية وشديدة لأنَّ هنالك الكثير الكثير من الأمور تعتمد عليها. متعة اللعب هي أنَّها غير مهمة. بمجرد أن تراهن بأي مبلغ، تصبح اللعبة لعبة حرب، أو مقامرةً إلزامية. في الأسطورة، كانت اللعبة لعبةً من أجل الحياة، للحب المشكوك فيه، للجنسانية اليائسة والخدّاعة، ودون توفر خيار منع اللعب وفقاً لقواعد غريبة. لا تمتلك الخيار، ولا إرادة حرة، ولا هزلاً؛ ليست لعبة بمعنى الكلمة.

ولكن لننقذ أنفسنا يمكننا أن نتخيل حياةً في الجسد غير المهم؛ فهو مجرد تنكر، تصنّع طوعي ينبثق من حب الذات الوفير. إن إعادة تعريف الجمال المؤيد للمرأة يعكس إعادة تعريفنا لماهية السلطة. من قال إننا بحاجة إلى تسلسل هرمي؟ المكان الذي أرى فيه الجمال قد لا يكون نفس المكان الذي تراه فيه. بعض الناس يبدون مرغوبين بالنسبة إلي أكثر مما قد يكونون مرغوبين بالنسبة إليك. وماذا في ذلك؟ ليس لتصوري سلطةٌ على تصورك. لماذا يجب أن يكون الجمال حصرياً؟ يمكن أن يشمل الإعجاب المتوافر بكثرة. لماذا تُعدُّ الندرة مثيرةً للإعجاب؟ القيمة العالية للندرة هي مفهوم ذكوري، له علاقة بالرأسمالية أكثر مما له علاقة بالشهوة.

ما هي المتعة في الرغبة أكثر بما لا يمكن العثور عليه؟ على النقيض من ذلك الأطفال منتشرون انتشار الذباب، لكنَّهم يحملون قيمة عالية، ويعدون جميلين.

كيف ستتصرف المرأة بعد أن تتجاوز الأسطورة؟ من يدري؟ ربما سنسمح لأجسامنا بأن تكبر وأن تتضاءل، نستمتع بالتغيرات التي تطرأ عليها، ونتجنب الألم، لأنَّه عندما يبدأ شيءٌ بإيذائنا فإنه يبدأ يظهر لنا على أنه قبيح. ربما سنزين أنفسنا بسرورٍ حقيقي، بمعنى أننا نزين ما لا يحتاج التزيين. ربما كلما قل الألم الذي تتعرض له النساء في أجسادهن، كانت أجسادهن أكثر جمالاً بالنسبة إليهن. ربما سننسى انتزاع الإعجاب من الغرباء، ونكتشف أننا لا نفتقده. ربما سنترقب رؤية وجوهنا المسنة، ولن نكون قادرات على رؤية أجسادنا ككتلة من العيوب، بحيث لا يوجد ثمة شيء منها ليس ثميناً ونفيساً. ربما لا نريد أن نكون النسخة (اللاحقة) بعد الآن.

تعريف الجمال المحب للمرأة يستبدل باليأس اللعب، وبالنرجسية حب الذات، وبالتجزئة الكلية، وبالغياب الوجود، وبالسكون الحركة. هو يعترف بأنَّه مشرق: النور الخارج من الوجه والجسم، بدلاً من الضوء المسلط على الجسم، المعتم للذات. إنه جنسي ومتنوع ومثير للدهشة. سنكون قادرات على رؤيته في الأخريات دون أن نشعر بالرعب، وسنكون في النهاية قادرات على رؤيته في أنفسنا.

في الجيل السابق، كانت جيرمين غرير تتساءل عن حال النساء: (ماذا سوف يفعلن؟). ما قامت به النساء أحدث ثورة اجتماعية كارثية امتدت لربع قرن. تعتمد الآن المرحلة التالية من حركتنا للأمام (كنساءٍ شخصيات مستقلات، وكنساء ككل، وكمستأجرات لأجسامنا ولهذا الكوكب) على ما قررنا رؤيته عندما ننظر إلى المرآة.

ماذا سوف نرى؟.



المراجع

The Beauty Myth

de Beauvoir, Simone. *The Second Sex.* New York: Penguin, 1986. (1949).

Greer, Germaine. *The Female Eunuch.* London: Paladin Grafton Books, 1985.

Reed, Evelyn. *Sexism and Science.* New York: Pathfinder Press, 1978.

———. *Woman's Evolution: From Matriarchal Clan to Patriarchal Family.* New York: Pathfinder Press, 1975.

Russett, Cynthia Eagle. *Sexual Science: The Victorian Construction of Womanhood.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1989.

Stone, Merlin. *When God Was a Woman.* San Diego: Harvest, 1976.

Walker, Barbara G. *The Crone: Woman of Age, Wisdom, and Power.* New York: Harper & Row, 1988.

Work

Anderson, Bonnie S., and Judith P. Zinsser. *A History of Their Own: Women in Europe from Prehistory to the Present.* Vols. I and II. New York: Harper & Row, 1988.

Cava, Anita. "Taking Judicial Notice of Sexual Stereotyping (*Price Waterhouse* v. *Hopkins,* 109 S. Ct. 1775)," in *Arkansas Law Review.* Vol. 43 (1990), pp. 27–56.

Cohen, Marcia. *The Sisterhood: The Inside Story of the Women's Movement and the Leaders Who Made It Happen.* New York: Fawcett Columbine, 1988.

Craft, Christine. *Too Old, Too Ugly, and Not Deferential to Men.* New York: Dell, 1988.

Eisenstein, Hester. *Contemporary Feminist Thought.* London: Unwin Paperbacks, 1985.

Eisenstein, Zillah R. *The Female Body and the Law.* Berkeley: University of California Press, 1988.

Hearn, Jeff; Deborah L. Sheppard; Peta Tancred-Sheriff; and Gibson Burrell, eds. *The Sexuality of Organization.* London: Sage Publications, 1989.

Hewlett, Sylvia Ann. *A Lesser Life*. New York: Warner Books, 1986.

Hochschild, Arlie, with Anne Machung. *The Second Shift: Working Parents and the Revolution at Home.* New York: Viking, 1989.

Kanowitz, Leo. *Women and the Law: The Unfinished Revolution.* Albuquerque: University of New Mexico Press, 1975.

Lefkowitz, Rochelle, and Ann Withorn, eds. *For Crying Out Loud: Women and Poverty in the United States*. New York: Pilgrim Press, 1986.

MacKinnon, Catharine A. *Feminism Unmodified: Discourses on Life and Law.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1987.

________. *Sexual Harassment of Working Women.* New Haven: Yale University Press, 1979.

________. *Toward a Feminist Theory of the State.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1989.

Miles, Rosalind. *The Women's History of the World.* London: Paladin, 1989.

Millett, Kate. *Sexual Politics.* London: Virago, 1985.

Minton, Michael, with Jean Libman Block. *What Is a Wife Worth?* New York: McGraw- Hill, 1983.

Molloy, John T. *The Woman's Dress for Success Book.* New York: Warner Books, 1977.

Oakley, Ann. *Housewife; High Value/Low Cost.* London: Penguin, 1987.

Richards, Janet Radcliffe. "The Unadorned Feminist" in *The Sceptical Feminist: A Philosophical Enquiry.* Harmondsworth, England: Penguin, 1980.

Radford, Mary F. "Beyond *Price Waterhouse* v. *Hopkins* (109 S. Ct. 1775): A New Approach to Mixed Motive Discrimination" in *North Carolina Law Review.* Vol. 68 (March 1990), pp. 495–539.

________. "Sex Stereotyping and the Promotion of Women to Positions of Power," in *The Hastings Law Journal.* Vol. 41 (March 1990), pp. 471–535.

Rix, Sarah E., ed. *The American Woman, 1988–89: A Status Report.* New York: W. W. Norton, 1988.

Rowbotham, Sheila. *Woman's Consciousness, Man's World.* Harmondsworth, England: Penguin, 1983.

Sidel, Ruth. *Women and Children Last: The Plight of Poor Women in Affluent America.* New York: Penguin, 1986.

Swan, Peter N. "Subjective Hiring and Promotion Decisions in the Wake of Ft. Worth (*Watson* v. *Fort Worth Bank & Trust,* 108 S. Ct. 2777), Antonio (*Wards Cove Packing Co., Inc.* v. *Antonio,* 109 S. Ct. 2115) and Price Waterhouse (*Price Waterhouse* v. *Hopkins,* 109 S. Ct. 1775)," in *The Journal of College and University Law.* Vol. 16 (Spring 1990), pp. 553–72.

Taylor, Debbie et. al. *Women: A World Report.* Oxford: Oxford University Press, 1985.
Tong, Rosemary. *Women, Sex, and the Law.* Totowa, N.J.: Rowman & Al-lanheld, 1984.
Steinem, Gloria. *Outrageous Acts and Everyday Rebellions.* New York: Holt, Rinehart and Winston, 1983.
Waring, Marilyn. *If Women Counted: A New Feminist Economics.* New York: Harper & Row, 1988.

Religion

Appel, Willa. *Cults in America: Programmed for Paradise.* New York: Henry Holt, 1983.
Cott, Nancy F. *The Bonds of Womanhood: "Woman's Sphere" in New England, 1780–1835.*
New Haven: Yale University Press, 1977.
________. *Root of Bitterness: Documents of the Social History of American Women.* New York: Dutton, 1972.
Galanter, Marc, ed. *Cults and Religious Movements: A Report of the American Psychiatric Association.* Washington, D.C.: The American Psychiatric Association, 1989.
Halperin, David A., ed. *Psychodynamic Perspectives on Religion, Sect and Cult.* Boston: J. Wright, PSG, Inc., 1983.
Hassan, Steven. *Combating Cult Mind Control.* New York: Harper & Row, 1988.
Lasch, Christopher. *The Culture of Narcissism: American Life in an Age of Diminishing Expectations.* New York: W. W. Norton, 1979.
McKnight, Gerald. *The Skin Game: The International Beauty Business Brutally Exposed.* London: Sidgwick & Jackson, 1989.

Culture

Berger, John. *Ways of Seeing.* London: Penguin Books, 1988.
Brookner, Anita. *Look at Me.* London: Triad Grafton, 1982.
Chorlton, Penny. *Cover-up: Taking the Lid Off the Cosmetics Industry.* Wellingborough, England: Grapevine, 1988.
Ferguson, Marjorie. *Forever Feminine: Women's Magazines and the Cult of Femininity.* Brookfield, England: Gower, 1985.
Friedan, Betty. *The Feminine Mystique.* London: Penguin Books, 1982.
________. *The Second Stage.* New York: Summit Books, 1981.
Gamman, Lorraine, and Margaret Marshment, eds. *The Female Gaze: Women as Viewers of Popular Culture.* London: The Women's Press, 1988.

Gay, Peter. *The Bourgeois Experience: Victoria to Freud. Volume I: Education of the Senses*. Oxford: Oxford University Press, 1984.

———. *The Bourgeois Experience: Victoria to Freud. Volume II: The Tender Passion.* Oxford: Oxford University Press, 1986.

Kent, S., and J. Morreau, eds. *Women's Images of Men.* New York: Writers and Readers Publishing, 1985.

Lapham, Lewis H. *Money and Class in America: Notes on the Civil Religion.* London: Picador, 1989.

Oakley, Ann. *The Sociology of Housework.* Oxford: Basil Blackwell, 1985.

Reich, Wilhelm. *The Mass Psychology of Fascism.* New York: Penguin Books, 1978.

Root, Jane. *Pictures of Women:* Sexuality. London: Pandora Press, 1984.

Wilson, Elizabeth, and Lou Taylor. *Through the Looking Glass: A History of Dress from 1860 to the Present Day.* London: BBC Books, 1989.

Winship, Janice. *Inside Women's Magazines.* London: Pandora Press, 1987.

Sex

Brownmiller, Susan. *Against Our Will: Men, Women and Rape.* New York: Simon & Schuster, 1975.

Carter, Angela. *The Sadean Woman: An Exercise in Cultural History.* London: Virago Press, 1987.

Caputi, Jane. *The Age of Sex Crime.* London: The Women's Press, Ltd., 1987.

Cassell, Carol. *Swept Away: Why Women Fear Their Own Sexuality.* New York: Simon & Schuster, 1984.

Chodorow, Nancy J. *Feminism and Psychoanalytic Theory.* New Haven: Yale University Press, 1989.

Cole, Susan G. *Pornography and the Sex Crisis.* Toronto: Amanita, 1989.

Coward, Rosalind. *Female Desire: Women's Sexuality Today.* London: Paladin, 1984.

Crewdson, John. *By Silence Betrayed: The Sexual Abuse of Children in America.* New York: Harper & Row, 1988.

Danica, Elly. *Don't: A Woman's Word.* London: The Women's Press, 1988.

Dinnerstein, Dorothy. *Sexual Arrangements and the Human Malaise.* New York: Harper Colophon, 1976.

Dworkin, Andrea. *Pornography: Men Possessing Women.* London: The Women's Press, 1984.

Ehrenreich, Barbara, and Deirdre English. *For Her Own Good: 150 Years of the Experts' Advice to Women.* New York: Anchor/Doubleday, 1979.

———, Elizabeth Hess, and Gloria Jacobs. *Re-Making Love: The Feminization of Sex.* New York: Anchor/Doubleday 1986.

Estrich, Susan. *Real Rape.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1987.
Finkelhor, David. *Sexually Victimized Children.* New York: The Free Press, 1979.
———, and Kersti Yllo. *License to Rape: Sexual Abuse of Wives.* New York: The Free Press, 1985.
Firestone, Shulamith. *The Dialectic of Sex.* New York: Bantam, 1971.
Friday, Nancy. *My Secret Garden: Women's Sexual Fantasies.* New York: Pocket Books, 1974.
Foucault, Michel. *The History of Sexuality. Vol. 1: An Introduction.* New York: Vintage, 1980.
Griffin, Susan. *Pornography and Silence.* New York: Harper & Row, 1984.
Hite, Shere. *The Hite Report on Female Sexuality.* London: Pandora Press, 1989.
Katz, Judy H. *No Fairy Godmothers, No Magic Wands: The Healing Process After Rape.* Saratoga, Calif.: R&E Publishers, 1984.
Kinsey, A. C.; W. B. Pomeroy; C. E. Martin; and P. H. Gebhard, eds. *Sexual Behavior in the Human Female.* Philadelphia: W. B. Saunders Co., 1948.
Minot, Susan. *Lust and Other Stories.* Boston: Houghton Mifflin, 1989.
Mitchell, Juliet, and Jacqueline Rose, eds.; Jacques Lacan and The Ecolc Freu-dienne. *Feminine Sexuality.* London: MacMillan, 1982.
________. *Psychoanalysis and Feminism: Freud, Reich, Lang and Women.* New York: Vintage Books, 1974.
Russell, Diana E. H. *The Politics of Rape: The Victim's Perspective.* New York: Stein & Day, 1984.
________. *Rape in Marriage.* Bloomington, Ind.: Indiana University Press, 1990.
________. "The Incidence and Prevalence of Intrafamilial and Extrafamilial Sexual Abuse of Female Children," in *International Journal of Child Abuse and Neglect,* 7 (1983), pp. 133–139.
Snitow, Ann; Christine Stansell; and Sharon Thompson; eds. *The Powers of Desire.* New York: Monthly Review Press, 1983.
Suleiman, Susan Rubin. *The Female Body in Western Culture.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1986.
Vance, Carol S., ed. *Pleasure and Danger: Exploring Female Sexuality.* Boston: Routledge and Kegan Paul, 1984.
Warshaw, Robin. *I Never Called It Rape.* New York: Harper & Row, 1988.
Woolf, Virginia. *Three Guineas.* New York: Penguin Books, 1982.
Walker, Alice. *You Can't Keep a Good Woman Down.* San Diego: Harvest, 1988.

Hunger

Atwood, Margaret. *The Edible Woman.* London: Virago Press, 1989.
Barnett, Rosalind C.; Lois Biener; and Grace K. Baruch, eds. *Gender and Stress.* New York: The Free Press, 1987.

Bell, Rudolph. *Holy Anorexia.* Chicago: The University of Chicago Press, 1985.
Bruch, Hilde; Danita Czyzewski; and Melanie A. Suhr, eds. *Conversations with Anorexics.* New York: Basic Books, 1988.
———. *Eating Disorders: Obesity, Anorexia Nervosa and the Person Within.* London: Routledge and Kegan Paul, 1974.
———. *The Golden Cage: The Enigma of Anorexia Nervosa.* London: Open Books, 1978.
Brumberg, Joan Jacobs. *Fasting Girls: The Emergence of Anorexia Nervosa as a Modern Disease.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1988.
Chernin, Kim. *The Hungry Self: Women, Eating and Identity.* London: Virago Press, 1986.
———. *The Obsession: Reflections on the Tyranny of Slenderness.* New York: Perennial Library, 1981.
Hollander, Ann. *Seeing Through Clothes.* New York: Penguin, 1988.
Hsu, L. K. George. *Eating Disorders.* New York: The Guilford Press, 1990.
Jacobus, Mary; Evelyn Fox Keller; and Sally Shuttleworth; eds. *Body/Politics: Women and the Discourses of Science.* New York: Routledge, 1990. See especially, Susan Bordo, "Reading the Slender Body," pp. 83–112.
Lawrence, Marilyn. *The Anorexic Experience.* London: The Women's Press, 1988.
———, ed. *Fed Up and Hungry.* London: The Women's Press, 1987.
Orbach, Susie. *Fat Is a Feminist Issue.* London: Hamlyn, 1979.
———. *Hunger Strike: The Anorectic's Struggle as a Metaphor for our Age.* London: Faber and Faber, 1986 (especially pp. 74–95).
Pomeroy, Sarah B. *Goddesses, Whores, Wives and Slaves: Women in Classical Antiquity.* New York: Schocken Books, 1975.
Pyke, Magnus. *Man and Food.* London: Weidenfeld & Nicolson, 1970.
Seid, Roberta Pollack. *Never Too Thin: Why Women Are at War with Their Bodies.* New York: Prentice-Hall, 1989.
Szekeley, Eva. *Never Too Thin.* Toronto: The Women's Press, 1988.
Tolmach Lakoff, Robin, and Raquel L. Scherr. *Face Value: The Politics of Beauty.* Boston: Routledge and Kegan Paul, 1984.
Woolf, Virginia. *A Room of One's Own.* San Diego: Harvest/HBJ, 1989.

Violence

Brighton Women and Science Group. *Alice Through the Microscope: The Power of Science Over Women's Lives.* London: Virago Press, 1980.
Chesler, Phyllis. *Women and Madness.* Garden City. N.Y.: Doubleday & Co., 1972.
Dworkin, Andrea. *Letters from a War Zone: Writing 1976–1987.* London: Secker & Warburg, 1988.
———. *Woman Hating.* New York: E. P. Dutton, 1974.





أسطورة الجمال

كيف تُستخدم صور الجمال ضد النساء؟

يناقش هذا الكتاب قضية معايير الجمال التي يفرضها المجتمع على النساء. وتشير الكاتبة إلى أن الضغوط التي تشعر بها النساء من أجل ضرورة الوصول إلى هذه المعايير المجتمعية غير الواقعية زادت بشدة نتيجة تأثير الإعلام. وتؤدي هذه الضغوط إلى تصرّفات غير سليمة واهتمام مبالغ فيه بالمظاهر من كلا الجنسين.

تشرح الكاتبة آليات عمل خرافة معايير الجمال في مكان العمل، والمجالات الإعلامية، والثقافية والدينية. ترتكز الفكرة الأساسية للكتاب على أن معايير الجمال الخيالية الجسدية للنساء زادت بالتوازي مع زيادة حصولها على حقوقها في المجالات الاجتماعية. فتشير الكاتبة إلى أن هذه المعايير أخذت مهمّة الخرافات السابقة حول الأدوار الجندرية والأمومة وطبيعة النساء، والتي عملت على مرّ السنين على نزع جميع حقوق النساء وسلطتهن، وكذلك إلى أن هذه الخرافات حول الجمال، تنشر فكرة وجود معيار موضوعي (غير ذاتي) للجمال يجب على النساء أن يجسِّدنه، وعلى الرجل أن يريده.

إلا أن الكاتبة تشير إلى أن أسطورة الجمال لا تتمحور حول النساء، في المقام الأول، بل حول «مؤسسات الرجال وسلطتهم»؛ فالجمال يتمحور حول «السلوك»، وليس الشكل فقط.

فالصفات التي تصنّف «جميلة» في النساء في أي وقت من التاريخ، ليست سوى رموز تعبّر عن سلوك النساء المرغوب به في ذلك الوقت. وتعمل أسطورة الجمال على إضعاف النساء نفسياً وسلب رضاهن وتقديرهن لذواتهن. كما تناقش العلاقة بين العنف ضد النساء عن طريق الرجال والعنف المسؤول عنه النساء أنفسهن، الذي يتمثّل في الأمراض المتعلقة بالتغذية وجراحات التجميل.

الثمن: ١٦ دولاراً
أو ما يعادلها

ISBN 978-614-431-740-2



